# الميزان

# في تفسير القرآن

ج/١٩

الجزء التاسع عشر

من كتاب

# الميزان في تفسير القرآن

لمؤلفه

الأستاذ العلامة

السيد محمد حسين الطباطبائي

ملتزم الطبع والنشر

الشيخ محمد الآخوندي

مؤسس

دار الكتب الإسلامية

طهران ـ سوق السلطاني

١٣٩١ هـ ق

مطبعة الحيدري ـ تهران

بسم الله الرحمن الرحيم

( سورة الطور مكية و هى تسع و أربعون آية )

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ (١) وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (۴) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (۵) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (۶) انَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ (٧) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً (٩) وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً (١٠).

## ﴿ بيان ﴾

غرض السورة إنذار أهل التكذيب والعناد من الكفّار بالعذاب الّذي اُعدّ لهم يوم القيامة فتبدء بالإنباء عن وقوع العذاب الّذي اُنذروا به وتحقّقه يوم القيامة بأقسام مؤكّدة و أيمان مغلّظة، و أنّه غير تاركهم يومئذ حتّى يقع بهم ولا مناص.

ثمّ تذكر نبذة من صفة هذا العذاب والويل الّذي يعمّهم ولا يفارقهم ثمّ تقابل ذلك بشمّة من نعيم أهل النعيم يومئذ و هم المتّقون الّذين كانوا في الدنيا مشفقين في أهلهم يدعون الله مؤمنين به موحّدين له.

ثمّ تأخذ في توبيخ المكذّبين على ما كانوا يرمون النبيّ ﷺ و ما اُنزل عليه من القرآن و ما أتى به من الدين الحقّ.

وتختم الكلام بتكرار التهديد والوعيد وأمر النبيّ ﷺ بتسبيح ربّه. والسورة

مكيّة كما يشهد بذلك سياق آياتها .

**قوله تعالى** : « والطور » قيل : الطور مطلق الجبل وقد غلب استعماله في الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام ، والأنسب أن يكون المراد به في الآية جبل موسى عليه السلام أقسم الله تعالى به لمّا قدّسه و بارك فيه كما أقسم به في قوله : « و طور سينين » التين:٢ و قال : « و ناديناه من جانب الطور الأيمن » مريم : ٥٢ ، وقال في خطابه لموسى عليه السلام « فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى ، طه : ١٢ ، و قال : « نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة » القصص : ٣٠ .

و قيل : المراد مطلق الجبل أقسم الله تعالى به لما أودع فيه من أنواع نعمه قال تعالى : « وجعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها » حم السجدة : ١٠ .

**قوله تعالى** : « و كتاب مسطور في رقّ منشور » قيل: الرقّ مطلق ما يكتب فيه و قيل : هو الورق ، و قيل : الورق المأخوذ من الجلد ، والنشر هو البسط ، والتفريق.

والمراد بهذا الكتاب قيل : هو اللوح المحفوظ الّذي كتب الله فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن تقرؤه ملائكة السماء ، وقيل : المراد صحائف الأعمال تقرؤه حفظة الأعمال من الملائكة ، وقيل: هو القرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ ، و قيل : هو التوراة و كانت تكتب في الرقّ و تنشر للقراءة .

والأنسب بالنظر إلى الآية السابقة هو القول الأخير .

**قوله تعالى** : « والبيت المعمور » قيل : المراد به الكعبة المشرّفة فإنّها أوّل بيت وضع للناس ولم يزل معمورا منذ وضع إلى يومنا هذا قال تعالى : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركا و هدى للعالمين » آل عمران : ٩٦ .

و في الروايات المأثورة أنّ البيت المعمور بيت في السماء بحذاء الكعبة تزوره الملائكة .

و تنكير « كتاب » للإيماء إلى استغنائه عن التعريف فهو تنكير يفيد التعريف و يستلزمه .

**قوله تعالى** : « والسقف المرفوع » هو السماء .

**قوله تعالى** : «والبحر المسجور» قال الراغب : السجر تهييج النار ، وفي المجمع: المسجور المملوء يقال : سجرت التنّور أي ملأتها ناراً ، و قد فسّرت الآية بكلّ من المعنيين و يؤيّد المعنى الأوّل قوله : « وإذا البحار سجّرت » التكوير : ٦ أي سعّرت و قد ورد في الحديث أنّ البحار تسعّر ناراً يوم القيامة ، و قيل : المراد أنّها تغيض مياهها بتسجير النار فيها .

**قوله تعالى** : « إنّ عذاب ربّك لواقع ما له من دافع » جواب القسم السابق والمراد بالعذاب المخبر بوقوعه عذاب يوم القيامة الّذي أوعد الله به الكفّار المكذّبين كما تشير إليه الآية التالية ، و في قوله : « ماله من دافع » دلالة على أنّه من القضاء المحتوم الّذي لا محيص عن وقوعه قال تعالى : « و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور » الحجّ : ٧ .

و في قوله : « عذاب ربّك » بنسبة العذاب إلى الربّ المضاف إلى ضمير الخطاب دون أن يقال: عذاب الله تأييد للنبيّ صلى الله عليه وآله على مكذّبي دعوته و تطييب لنفسه أنّ ربّه لا يخزيه يومئذ كما قال : « يوم لا يخزي الله النبيّ والّذين آمنوا معه » التحريم : ٨.

**قوله تعالى** : « يوم تمور السماء موراً و تسير الجبال سيراً » ظرف لقوله : «إنّ عذاب ربّك لواقع » .

والمور ـ على ما في المجمع ـ تردّد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردّد الدخان ثمّ يضمحلّ ، و يقرب منه قول الراغب : أنّه الجريان السريع .

وعلى أيّ حال فيه إشارة إلى انطواء العالم السماويّ كما يذكره تعالى في مواضع من كلامه كقوله : « إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت » الانفطار : ٢ ، وقوله « يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب » الأنبياء : ١٠٣ و قوله : « والسماوات مطويّات بيمينه » الزمر : ٦٧ .

كما أنّ قوله : « و تسير الجبال سيرا » إشارة إلى زلزلة الساعة في الأرض الّتي يذكرها تعالى في مواضع من كلامه كقوله : « إذا رجّت الأرض رجّا و بسّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثّاً» الواقعة : ٥ وقوله : « وسيّرت الجبال فكانت سراباً» النبأ : ٢٠ .

## ﴿ بحث روائى ﴾

في تفسير القمّي في قوله تعالى : « والطور و كتاب مسطور » قال : الطور جبل بطور سيناء .

و في المجمع « والبيت المعمور » و هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة يعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة . عن ابن عبّاس و مجاهد ، و روي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : و يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً.

**أقول** : كون البيت المعمور بيتا في السماء يطوف عليه الملائكة واقع في عدّة أحاديث من طرق الفريقين غير أنّها مختلفة في محلّه ففي أكثرها أنّه في السماء الرابعة و في بعضها أنّه في السماء الاُولى ، و في بعضها السابعة .

و فيه « والسقف المرفوع » و هو السماء عن عليّ عليه السلام .

و في تفسير القمّي «والسقف المرفوع » قال : السماء « والبحر المسجور » قال : تسجر يوم القيامة .

وفي المجمع «والبحر المسجور» أي المملوء . عن قتادة ، و قيل : هو الموقد المحمّى بمنزلة التنّور . عن مجاهد والضحّاك والأخفش وابن زيد . ثمّ قيل: إنّه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا ثمّ تفجر بعضها في بعض ثمّ تفجر إلى النار . ورد به الحديث.



☆ ☆ ☆

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) .

## ﴿بيان﴾

تذكر الآيات من يقع عليهم هذا العذاب الّذى لا ريب في تحقّقه و وقوعه ، و تصف حالهم إذ ذاك ، و هذا هو الغرض الأصيل في السورة كما تقدّمت الإشارة إليه وأمّا ماوقع في الآيات من وصف حال المتّقين يومئذ فهو من باب التطفّل لتأكيد الإنذار المقصود .

**قوله تعالى** : « فويل يومئذ للمكذّبين » تفريع على مادلّت عليه الآيات السابقة من تحقّق وقوع العذاب يوم القيامة أي إذا كان الأمر كما ذكر ولم يكن محيص عن وقوع العذاب فويل لمن يقع عليه وهم المكذّبون لامحالة فالجملة تدلّ على كون المعذّبين هم المكذّبين بالاستلزام و على تعلّق الويل بهم بالمطابقة .

أو التقدير إذا كان العذاب واقعاً لا محالة ولا محالة لا يقع إلّا على المكذّبين لأنّهم الكافرون بالله المكذّبون ليوم القيامة فويل يومئذ لهم ، فالدالّ على تعلّق العذاب بالمكذّبين هو قوله : « عذاب ربّك » لأنّ عذاب الله إنّما يقع على من دعاه فلم يجبه و كذّب دعوته .

**قوله تعالى** : « الّذين هم في خوض يلعبون » الخوض هو الدخول في باطل القول قال الراغب : الخوض هو الشروع في الماء والمرور فيه ، و يستعار في الاُمور و أكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذمّ الشروع فيه انتهى ، و تنوين التنكير في « خوض » يدلّ على صفة محذوفة أي في خوض عجيب .

و لمّا كان الاشتغال بباطل القول لا يفيد نتيجة حقّة إلّا نتيجة خياليّة يزيّنها الوهم للخائض سمّاه لعبا ــ واللعب من الأفعال ما ليس له إلّا الأثر الخياليّ ــ .

والمعنى الّذين هم مستمرّون في خوض عجيب يلعبون بالمجادلة في آيات الله وإنكارها والاستهزاء بها .

**قوله تعالى** : « يوم يدعّون إلى نار جهنّم دعّا » الدّعّ هو الدفع الشديد ،

والظاهر أنّ « يوم » بيان لقوله : « يومئذ » .

**قوله تعالى** : « هذه النار الّتي كنتم بها تكذّبون » أي يقال لهم : هذه النار الّتي كنتم بها تكذّبون ، والمراد بالتكذيب بالنار التكذيب بما أخبر به الأنبياء عليهم السلام بوحي من الله من وجود هذه النار و أنّه سيعذّب بها المجرمون و محصّل المعنى : هذه مصداق ما أخبر به الأنبياء فكذّبتم به .

**قوله تعالى** : « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » تفريع على قوله : « هذه النار الّتي كنتم بها تكذّبون » والاستفهام للإنكار تفريعاً لهم أي إذا كانت هذه هي تلك النار الّتي كنتم تكذّبون بها فليس هذا سحراً كما كنتم ترمون إخبار الأنبياء بها أنّه سحر وليس هذا أمراً موهوماً خرافيّاً كما كنتم تتفوّهون به بل أمر مبصر معاين لكم فالآية في معنى قوله تعالى : «ويوم يعرض الّذين كفروا على النار أليس هذا بالحقّ» الأحقاف:٣٤.

و بما مرّ من المعنى يظهر أنّ « أم » في قوله : « أم أنتم لا تبصرون » متّصلة و قيل : منقطعة ولا يخلو من بعد .

**قوله تعالى** : « اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنّما تجزون ما كنتم تعملون » الصلي بالفتح فالسكون مقاساة حرارة النار فمعنى اصلوها قاسوا حرارة نار جهنّم .

و قوله : « فاصبرو أو لاتصبروا » تفريع على الأمر بالمقاساة ، والترديد بين الأمر والنهي كناية عن مساواة الفعل والترك ، ولذا أتبعه بقوله : « سواء عليكم » أي هذه المقاساة لازمة لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخفّفه ولا الجزع و ترك الصبر ينفع لكم شيأً .

و قوله : «سواء عليكم » خبر مبتدءمحذوف أي هما سواء وإفراد « سواء » لكونه مصدراً في الأصل .

و قوله : « إنّما تجزون ما كنتم تعملون » في مقام التعليل لما ذكر من ملازمة العذاب و مساواة الصبر والجزع .

والمعنى إنّما يلازمكم هذا الجزاء السيّء ولا يفارقكم لأنّكم تجزون بأعمالكم

الّتي كنتم تعملونها ولا تسلب نسبة العمل عن عامله فالعذاب يلازمكم أو إنّما تجزون بتبعات ما كنتم تعملون و جزائه .

**قوله تعالى** : « إنّ المتّقين في جنّات و نعيم » الجنّة البستان تجنّه الأشجار و تستره ، والنعيم النعمة الكثيرة أي إنّ المتّصفين بتقوى الله يومئذ في جنّات يسكنون فيها و نعمة كثيرة تحيط بهم .

**قوله تعالى** : « فاكهين بما آتاهم ربّهم ووقاهم ربّهم عذاب الجحيم » الفاكهة مطلق الثمرة ، و قيل : هي الثمرة غير العنب والرّمان ، ويقال: تفكّه و فكه إذا تعاطى الفكاهة ، و تفكّه وفكه إذا تناول الفاكهة ، وقدفسّرت الآية بكلّ من المعنيين فقيل: المعنى يتحدّثون بما آتاهم ربّهم من النعيم ، و قيل: المعنى يتناولون الفواكه و الثمار الّتي آتاهم ربّهم ، و قيل : المعنى يتلذّذون بإحسان ربّهم ومرجعه إلى المعنى الأوّل و قيل : معناه فاكهين معجبين بما آتاهم ربّهم ، و لعلّ مرجعه إلى المعنى الثاني .

و تكرار « ربّهم » في قوله : « و وقاهم ربّهم عذاب الجحيم » لإفادة مزيد العناية بهم .

**قوله تعالى** : « كلوا واشربوا هنيأ بماكنتم تعملون » أي يقال لهم : كلواواشربوا أكلاً و شرباً هنيئا أو طعاما و شراباً هنيئا ، فهنيئا وصف قائم مقام مفعول مطلق أو مفعول به .

و قوله : « بما كنتم تعملون » متعلّق بقوله : « كلوا و اشربوا » أو بقوله : « هنيئا » .

**قوله تعالى** : « متّكئين على سرر مصفوفة وزوّجناهم بحور عين » الاتّكاء الاعتماد على الوسادة و نحوها ، والسرر جمع سرير ، و مصفوفة من الصفّ أي مصطفّة موصولة بعضها ببعض ، والمعنى متّكئين على الوسائد والنمارق قاعدين على سرر مصطفّة .

و قوله : « و زوّجناهم بحور عين » المراد بالتزويج القرن أي قرنّاهم بهنّ دون النكاح بالعقد ، والدليل عليه تعدّيه بالباء فإنّ التزويج بمعنى النكاح بالعقد متعدّ بنفسها قال تعالى : « زوّجناكها » الأحزاب : ٣٧ كذا قيل .

**قوله تعالى** : « والّذين آمنوا و اتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم و ما ألتناهم من عملهم من شيء » الخ قيل: الفرق بين الاتّباع واللحوق مع اعتبار التقدّم والتأخّر فيهما جميعاً أنّه يعتبر في الاتّباع اشتراك بين التابع والمتبوع في مورد الاتّباع بخلاف اللحوق فاللاّحق لا يشارك الملحوق في ما لحق به فيه .

ولات وألات بمعنى نقص فمعنى ما ألتناهم ما نقصناهم شيأ من عملهم بالإلحاق .

و ظاهر الآية أنّها في مقام الامتنان فهو سبحانه يمتنّ على الّذين آمنوا أنّه سيلحق بهم ذرّيّتهم الّذين اتّبعوهم بإيمان فتقرّ بذلك أعينهم ، وهذا هو القرينة على أنّ التنوين في « إيمان » للتنكير دون التعظيم .

والمعنى اتّبعوهم بنوع من الإيمان وإن قصر عن درجة إيمان آبائهم إذ لا امتنان لو كان إيمانهم أكمل من إيمان آبائهم أو مساوياً له .

و إطلاق الاتّباع في الإيمان منصرف إلى اتّباع من يصحّ منه في نفسه الإيمان ببلوغه حدّاً يكلّف به فالمراد بالذرّيّة الأولاد الكبار المكلّفون بالإيمان فالآية لا تشمل الأولاد الصغار الّذين ماتوا قبل البلوغ ، ولا ينافي ذلك كون صغار أولاد المؤمنين محكومين بالإيمان شرعاً .

اللّهمّ إلاّ أن يستفاد العموم من تنكير الإيمان ويكون المعنى واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان مّا سواء كان إيماناً في نفسه أو إيماناً بحسب حكم الشرع .

و كذا الامتنان قرينة على أنّ الضمير في قوله : « و ما ألتناهم من عملهم من شيء » للّذين آمنوا كالضميرين في قوله : « واتّبعتهم ذرّيّتهم » إذ قوله : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » مسوق حينئذ لدفع توهّم ورود النقص في الثواب على تقرير الإلحاق و هو ينافي الامتنان و من المعلوم أنّ الّذي ينافي الامتنان هو النقص في ثواب الآباء الملحق بهم دون الذرّيّة .

فتحصّل أنّ قوله : « والّذين آمنوا » الخ استئناف يمتنّ تعالى فيه على الّذين آمنوا بأنّه سيلحق بهم أولادهم الّذين اتّبعوهم بنوع من الإيمان و إن كان قاصراً عن درجة إيمانهم لتقرّ به أعينهم ، ولا ينقص مع ذلك من ثواب عمل الآباء بالإلحاق شيء

بل يؤتيهم مثل ما آتاهم أو بنحو لا تزاحم فيه على ما هو أعلم به .

و في معنى الآية أقوال اُخر لاتخلو من سخافة كقول بعضهم إنّ قوله : «والّذين آمنوا» معطوف على «حور عين» والمعنى و زوّجناهم بحور عين و بالّذين آمنوا يتمتّعون من الحور العين بالنكاح و بالّذين آمنوا بالرفاقة والصحبة ، و قول بعضهم : إنّ المراد بالذرّيّة صغار الأولاد فقط ، و قول بعضهم : إنّ الضميرين في «وماألتناهم من عملهم من شيء» للذرّيّة والمعنى و ما نقصنا الذرّيّة من عملهم شيأ بسبب إلحاقهم بآبائهم بل نوفّيهم أعمالهم من خير أو شرّ ثمّ نلحقهم بآبائهم .

و قوله : «كلّ امرىء بما كسب رهين» تعليل لقوله : «و ما ألتناهم من عملهم من شيء» على مايفيده السياق ، والرهن والرهين والمرهون ما يوضع وثيقة للدين على ما ذكره الراغب قال : و لمّا كان الرهن يتصوّر منه حبسه استعير ذلك لحبس أيّ شيء كان . انتهى .

و لعلّ هذا المعنى الاستعاريّ هو المراد في الآية والمرء رهن مقبوض محفوظ عند الله سبحانه بما كسبه من خير أو شرّ حتّى يوفّيه جزاء ما عمله من ثواب أوعقاب فلو نقص شيأ من عمله ولم يوفّه ذلك لم يكن رهين ماكسب بل رهين بعض ماعمل و امتلاك بعضه الآخر غيره كذرّيّته الملحقين به .

و أمّا قوله تعالى : «كلّ نفس بماكسبت رهينة إلّاأصحاب اليمين» المدّثّر :٣٩ فالمراد كونها رهينة العذاب يوم القيامة كما يشهد به سياق مابعده من قوله : «في جنّات يتساءلون عن المجرمين» المدّثّر : ٤١ .

و قيل : المراد كون المرء رهين عمله رهين عمله السيّيء كما تدلّ عليه آية سورة المدّثّر المذكورة آنفا بشهادة استثناء أصحاب اليمين ، والآية أعني قوله : «كلّ امرىء بماكسب رهين» جملة معترضة من صفات أهل النار اعترضت في صفات أهل الجنّة .

و حمل صاحب الكشّاف الآية على نوع من الاستعارة فرفع به التنافي بين الآيتين قال : كأنّ نفس العبد رهن عندالله بالعمل الصالح الّذي هومطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحاً فكّها و خلّصها و إلّا أوبقها . انتهى .

و أنت خبير بأنّ مجرّد ما ذكره لا يوجّه اتّصال الجملة أعني قوله : « كلّ امرىء بما كسب رهين » بما قبلها .

**قوله تعالى** : « و أمددناهم بفاكهة ولحم ممّا يشتهون » بيان لبعض متنعّماتهم و تمتّعاتهم في الجنّة المذكورة إجمالاً في قوله السابق : « كلوا و اشربوا هنيئا » الخ .

والإمدادالإتيان بالشيء وقتاً بعد وقت و يستعمل في الخيركما أنّ المدّ يستعمل في الشرّ قال تعالى : « و نمدّ له من العذاب مدّاً » مريم : ٧٩ .

والمعنى أنا نرزقهم بالفاكهة و ما يشتهونه من اللّحم رزقاً بعد رزق و وقتاً بعد وقت من غير انقطاع .

**قوله تعالى** : « يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم » التنازع في الكأس تعاطيها والاجتماع على تناولها ، والكأس القدح و لا يطلق الكأس إلّا فيما كان فيها الشراب .

والمراد باللغو لغو القول الّذي يصدر من شاربي الخمر في الدنيا ، والتأثيم جعل الشخص ذا إثم و هو أيضا من آثار الخمر في الدنيا ، و نفي اللغو والتأثيم هو القرينة على أنّ المراد بالكأس الّتي يتنازعون فيها كأس الخمر .

**قوله تعالى** : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون» المراد بطوافهم عليهم للخدمة قال بعضهم : قيل : « غلمان لهم » بالتنكير ولم يقل : غلمانهم لئلّايتوهّم أنّ المراد بهم غلمانهم الّذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فهم كالحور من مخلوقات الجنّة كأنّهم لؤلؤ مكنون مخزون في الحسن والصباحة والصفا .

**قوله تعالى** : « و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون » أي يسأل كلّ منهم غيره عن حاله في الدنيا و ما الّذي ساقه إلى الجنّة والنعيم ؟

**قوله تعالى** : « قالوا إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين » قال الراغب : والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأنّ المشفق يحبّ المشفق عليه و يخاف ما يلحقه قال تعالى : « و هم من الساعة مشفقون » فإذا عدّي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، و إذا عدّي بفي فمعنى العناية فيه أظهر قال تعالى : « إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين » ، انتهى .

فالمعنى إنّا كنّا في الدنيا ذوي إشفاق في أهلنا نعتني بسعادتهم و نجاتهم من مهلكة الضلال فنعاشرهم بجميل المعاشرة و نسير فيهم ببثّ النصيحة والدعوة إلى الحقّ .

**قوله تعالى** : « فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم » المنّ على ما ذكره الراغب الإنعام بالنعمة الثقيلة و يكون بالفعل و هو حسن ، و بالقول و هو قبيح من غيره تعالى قال تعالى : « يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » الحجرات : ١٧ .

و منّه تعالى على أهل الجنّة إسعاده إيّاهم لدخولها بالرحمة و تمامه بوقايتهم عذاب السموم .

والسموم ـ على ما ذكره الطبرسيّ ـ الحرّ الّذي يدخل في مسامّ البدن يتألّم به و منه ريح السموم .

**قوله تعالى** : « إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البرّ الرحيم » تعليل لقوله : « فمنّ الله علينا » الخ كما أنّ قوله : « إنّه هو البرّ الرحيم » تعليل له .

و تفيد هذه الآية مع الآيتين قبلها أنّ هؤلاء كانوا في الدنيا يدعون الله بتوحيده للعبادة والتسليم لأمره وكانوا مشفقين في أهلهم يقرّبونهم من الحقّ و يجنّبونهم الباطل فكان ذلك سبباً لمنّ الله عليهم بالجنّة و وقايتهم من عذاب السموم ، و إنّما كان ذلك سبباً لذلك لأنّه تعالى برّ رحيم فيحسن لمن دعاه و يرحمه .

فالآيات الثلاث في معنى قوله : « إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصبر » العصر : ٣ .

والبرّ من أسماء الله تعالى الحسنى و هو من البرّ بمعنى الإحسان و فسّره بعضهم باللطيف .

## ﴿ بحث روائى ﴾

في الكافي بإسناده عن أبي بكر عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام في قول‌الله عزّ وجلّ: «والّذين آمنوا و اتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم» قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم.

**أقول**: و رواه أيضاً في التوحيد بإسناده إلى أبي بكر الحضرميّ عنه عليه‌السلام.

و في تفسير القميّ حدّثني أبي عن سليمان الديلميّ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها‌السلام، وقوله: «ألحقنا بهم ذرّيّتهم» قال يهدون إلى آبائهم يوم القيامة.

**أقول**: و روى في المجمع ذيل الحديث عنه عليه‌السلام مرسلاً.

و في التوحيد بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه‌السلام: إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض ألا إنّ فلان بن فلان قدمات فان كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، و إلّا دفع إلى فاطمة تغذوه حتّى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين فيدفعه إليه.

و في الفقيه: و في رواية الحسن بن محبوب عن عليّ عن الحلبيّ عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى كفّل إبراهيم و سارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصرمن درّة فإذا كان يوم القيامة اُلبسوا و طيّبوا و اُهدوا إلى آبائهم فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم، و هذا قول الله تعالى: «والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم».

و في المجمع روى زاذان عن عليّ عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ المؤمنين و أولادهم في الجنّة ثمّ قرء هذه الآية.

و في الدرّ المنثور أخرج البزّاز و ابن مردويه عن ابن عبّاس رفعه إلى النبيّ

صلّى الله عليه و سلّم قال : إنّ الله يرفع ذرّيّة المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل ثمّ قرء « والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّاتهم بإيمان ألحقنابهم ذرّيّاتهم و ما ألتناهم من عملهم من شيء » قال : و ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء .

و فيه أخرج الطبرانيّ و ابن مردويه عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ قال : إذا دخل الرجل الجنّة سأل عن أبويه و ذرّيّته و ولده فيقال : إنّهم لم يبلغوا درجتك و عملك فيقول : يا ربّ قدعملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به وقرء ابن عبّاس :«والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان » الآية .

**اقول** : والآية لا تشمل الآباء المذكورين في الحديث ، والأنسب للدلالة عليه ما ذكره تعالى في دعاء الملائكة « ربّنا و أدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّيّاتهم » الآية المؤمن : ٨ .

و في تفسير القميّ قوله : « لا لغو فيها ولا تأثيم » قال : ليس في الجنّة غناء ولا فحش ، و يشرب المؤمن ولا يأثم « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » قال : في الجنّة .



✩ ✩ ✩

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) .

## ﴿ بيان ﴾

لمّا أخبر عن العذاب الواقع يوم القيامة و أنّه سيصيب المكذّبين ، والمتّقون في جنّات و نعيم قريرة العيون أمر النبيّ ﷺ أن يمضي في دعوته و تذكرته مشيراً إلى

أنّه صالح لإقامة الدعوة الحقّة ، ولاعذر لهؤلاء المكذّبين في تكذيبه و ردّ دعوته .

فنفى جميع الأعذار المتصوّرة لهم و هي ستّة عشر أمرا شطر منها راجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لو تحقّق شيء منه فيه سلب صلاحيته للاتّباع و كان مانعا عن قبول قوله ككونه كاهناً أو مجنوناً أو شاعراً أومتقوّلاً مفترياً على الله وكسؤاله الأجر على دعوته وشطر منهاراجع إلى المكذّبين أنفسهم مثل كونهم خلقوا من غير شيء أوكونهم الخالقين أو أمر عقولهم بالتكذيب إلى غير ذلك ولا تخلو الآيات مع ذلك عن توبيخهم الشديد على التكذيب .

**قوله تعالى** : « فذكّر فما أنت بنعمة ربّك بكاهن ولامجنون » تفريع على ما مرّ من الإخبار المؤكّد بوقوع العذاب الإلهيّ يوم القيامة ، و أنّه سيغشى المكذّبين والمتّقون في وقاية منه متلذّذون بنعيم الجنّة .

فالآية في معنى أن يقال : إذا كان هذا حقّاً فذكّر فإنّما تذكّر و تنذر بالحقّ ولست كما يرمونك كاهناً أو مجنوناً .

و تقييد النفي بقوله : « بنعمة ربّك » يفيد معنى الامتنان على النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة ، وليس هذا الامتنان الخاصّ من جهة مجرّد انتفاء الكهانة و الجنون فأكثر الناس على هذه الصفة بل من جهة تلبّسه صلى الله عليه وآله بالنعمة الخاصّة به المانع من عروض هذه الصفات عليه من كهانة أو جنون وغير ذلك .

**قوله تعالى** : «أم يقولون شاعر نتربّص بهريب المنون » أم منقطعة ، والتربّص الانتظار ، و في مجمع البيان : التربّص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والمنون المنيّة والموت ، والريب القلق والاضطراب . فريب المنون قلق الموت .

و محصّل المعنى بل يقولون هو أي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شاعر ننتظر به الموت حتّى يموت و يخمد ذكره و ينسى رسمه فنستريح منه .

**قوله تعالى** : « قل تربّصوا فإنّي معكم من المتربّصين » أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يأمرهم بالتربّص كما رضوا لأنفسهم ذلك ، و هوأمر تهديديّ أي تربّصوا كما ترون لأنفسكم ذلك فإنّ هناك أمراً من حقّه أن ينتظر وقوعه ، و أنا أنتظره مثلكم لكنّه

عليكم لا لكم و هو هلاككم و وقوع العذاب عليكم .

**قوله تعالى** : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا » الأحلام جمع حلم و هو العقل ، وأم منقطعة والكلام بتقدير الاستفهام والإشارة بهذا إلى مايقولونه للنبيّ صلّى الله عليه وآله و يتربّصون به .

والمعنى بل أتأمرهم عقولهم أن يقولوا هذا الّذي يقولونه و يتربّصوا به الموت؟ فأيّ عقل يدفع الحقّ بمثل هذه الأباطيل ؟

**قوله تعالى** : « بل هم قوم طاغون» أي أنّ عقولهم لم تأمرهم بهذا بل هم طاغون حملهم على هذا طغيانهم .

**قوله تعالى** : « أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون » قال في المجمع : التقوّل تكلّف القول ولا يقال ذلك إلّا في الكذب ، والمعنى بل يقولون : افتعل القرآن و نسبه إلى الله كذباً و افتراء . لا بل لا يؤمنون فيرمونه بهذه الفرية .

**قوله تعالى** : « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » جواب عن قولهم : «تقوّله» بأنّه لو كان كلاماً للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان كلاماً بشريّاً مماثلاً لسائر الكلام ويماثله سائر الكلام فكان يمكنهم أن يأتوا بحديث مثله فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في دعواهم التقوّل بل هو كلام إلهيّ لائحة عليه دلائل الإعجاز يعجز البشر عن إتيان مثله ، وقد تقدّم الكلام في وجوه إعجاز القرآن في تفسير سورة البقرة الآية ٢٣ تفصيلا.

و يمكن أن تؤخذ الآية ردّاً لجميع ما تقدّم من قولهم المحكيّ أنّه كاهن أومجنون أوشاعر أومتقوّل لأنّ عجز البشر عن الإتيان بمثله يأبى أن يكون كلام الله سبحانه لكنّ الأظهر ما تقدّم .

**قوله تعالى** : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » إتيان « شيء » منكّراً بتقدير صفة تناسب المقام والتقدير من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر .

والمعنى بل أخلق هؤلاء المكذّبون من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر فصلح لإرسال الرسول والدعوة إلى الحقّ والتلبّس بعبوديّته تعالى فهؤلاء لا يتعلّق بهم تكليف ولا يتوجّه إليهم أمر ولا نهي ولا تستتبع أعمالهم ثوابا ولا عقابا لكونهم مخلوقين من غير

ما خلق منه غيرهم .

و في معنى الجملة أقوال اُخر :

فقيل : المراد أم أحدثوا وقدّروا هذا التقدير البديع من غير مقدّر و خالق فلا حاجة لهم إلى خالق يدبّر أمرهم ؟

و قيل : المراد أم خلقوا من غير شيء حيّ فهم لا يؤمرون ولا ينهون كالجمادات.

و قيل : المعنى أم خلقوا من غير علّة ولا لغاية ثواب وعقاب فهم لذلك لا يسمعون.

و قيل : المعنى أم خلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون .

وما قدّمناه من المعنى أقرب إلى لفظ الآية و أشمل .

وقوله : « أم هم الخالقون» أي لأنفسهم فليسوا مخلوقين لله سبحانه حتّى يربّهم و يدبّر أمرهم بالأمر والنهي .

**قوله تعالى** : « أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون » أي أم أخلقوا العالم حتّى يكونوا أربابا آلهة ويجلّوا من أن يستعبدوا و يكلّفوا بتكليف العبوديّة بل هم قوم لا يوقنون .

**قوله تعالى** : « أم عندهم خزائن ربّك أم هم المصيطرون » أي بل أعندهم خزائن ربّك حتّى يرزقوا النبوّة من شاءوا ويمسكوها عمّن شاؤا فيمنعوك النبوّة والرسالة.

وقوله : أم هم المصيطرون » السيطرة ـ وربما يقلب سينها صاداً ـ الغلبة والقهر والمعنى بل أهم الغالبون القاهرون على الله سبحانه حتّى يسلبوا عنك ما رزقك الله من النبوّة والرسالة .

**قوله تعالى** : « أم لهم سلّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين » السلّم المرقاة ذات الدرج الّتي يتوسّل بالصعود فيه إلى الأمكنة العالية ، والاستماع مضمّن معنى الصعود ، والسلطان الحجّة والبرهان .

والمعنى بل أعندهم سلّم يصعدون فيه إلى السماء فيستمعون بالصعود فيه الوحي فيأخذون ما يوحى إليهم و يردّون غيره ؟ فليأت مستمعهم أي المدّعي للاستماع منهم بحجة ظاهرة .

**قوله تعالى** : « أم له البنات ولكم البنون » قيل: فيه تسفيه لعقولهم حيث نسبوا إليه تعالى ما أنفوا منه .

**قوله تعالى** : « أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون » قال الراغب : الغرم ـ بالضمّ فالسكون ـ ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة انتهى والإثقال تحميل الثقل وهو كناية عن المشقّة .

والمعنى بل أتسألهم أجراً على تبليغ رسالتك فهم يتحرّجون عن تحمّل الغرم الّذي ينوبهم بتأدية الأجر ؟

**قوله تعالى** : « أم عندهم الغيب فهم يكتبون » ذكر بعضهم أنّ المراد بالغيب اللوح المحفوظ المكتوب فيه الغيوب والمعنى بل أعندهم اللوح المحفوظ يكتبون منه و يخبرون به الناس فما أخبروا به عنك من الغيب الّذي لا ريب فيه .

و قيل : المراد بالغيب علم الغيب ، و بالكتابة الإثبات والمعنى بل أعندهم علم الغيب يثبتون ما علموه شرعاً للناس عليهم أن يطيعوهم فيما أثبتوا ، و قيل : يكتبون بمعنى يحكمون .

**قوله تعالى** : « أم يريدون كيدا فالّذين كفروا هم المكيدون » الكيد ضرب من الاحتيال على ما ذكره الراغب ، و في المجمع : الكيد هو المكر ، و قيل : هو فعل ما يوجب الغيظ في خفية . انتهى .

ظاهر السياق أنّ المراد بكيدهم هو مكرهم بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بما رموه به من الكهانة والجنون والشعر والتقوّل ليعرض عنه الناس ويبتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته و ينطفىء نوره ، و هذا كيد منهم و مكر بأنفسهم حيث يحرّمون لها السعادة الخالدة والركوب على صراط الحقّ بذلك بل كيد من الله بقطع التوفيق عنهم والطبع على قلوبهم.

و قيل : المراد بالكيد الّذي يريدونه هو ما كان منهم في حقّه صلّى الله عليه وآله في دار الندوة و المراد بالّذين كفروا المذكورون من المكذّبين و هم أصحاب دار الندوة ، وقد قلب الله كيدهم إلى أنفسهم فقتلهم يوم بدر ، والكلام على هذا من الإخبار بالغيب لنزول السورة قبل ذلك بكثير ، و هو بعيد من السياق .

**قوله تعالى** : « أم لهم إله غير الله سبحان الله عمّا يشركون» فإنّهم إذا كان لهم إله غير الله كان هو الخالق لهم والمدبّر لأمرهم فاستغنوا بذلك عن الله سبحانه واستجابة دعوة رسوله و نصرهم إلههم ودفع عنهم عذاب الله الّذي أوعدبه المكذّبين و أنذرهم به رسوله.

و قوله : « سبحان الله عمّا يشركون » تنزيه له تعالى أن يكون له شريك كما يدّعون ، و ما في قوله : « عمّا يشركون » مصدريّة أي سبحانه عن شركهم .

**قوله تعالى** : «وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم» الكسف بالكسر فالسكون القطعة ، والمركوم المتراكم الواقع بعضه على بعض .

والمعنى أنّ كفرهم و إصرارهم على تكذيب الدعوة الحقّة بلغ إلى حيث لو رأوا قطعة من السماء ساقطاً عليهم لقالوا سحاب متراكم ليست من آية العذاب في شيء فهو كقوله «ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلّوا فيه يعرجون لقالوا إنّما سكّرت أبصارنا » الحجر : ١٥ .



☆ ☆ ☆

فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) .

## ﴿ بيان ﴾

الآيات تختم السورة و تأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يترك اُولئك المكذّبين وشأنهم ولا يتعرّض لحالهم ، و أن يصبر لحكم ربّه ويسبّح بحمده ، و في خلالها مع ذلك تكرار إيعادهم بما أوعدهم به في أوّل السورة من عذاب واقع ليس له من دافع ، و تضيف إليه الإيعاد بعذاب آخر دون ذلك للّذين ظلموا .

**قوله تعالى** : « فذرهم حتّى يلاقوا يومهم الّذي فيه يصعقون » « ذرهم » أمر بمعنى اتركهم و هو فعل لم يستعمل من تصريفاته إلّا المستقبل والأمر ، و « يصعقون » من الإصعاق بمعنى الإماتة و قيل : من الصعق بمعنى الإماتة .

لمّا أنذر سبحانه المكذّبين لدعوته بعذاب واقع لاريب فيه ثمّ ردّ جميع ماتعلّل به أو يفرض أن يتعلّل به اُولئك المكذّبون ، وذكر أنهم في الإصرارعلى الباطل بحيث لو عاينوا أوضح آية للحقّ أوّلوه و ردّوه ، أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يتركهم وشأنهم ، و هو تهديد كنائيّ بشمول العذاب لهم و حالهم هذه الحال .

والمراد باليوم الّذي فيه يصعقون يوم نفخ الصورالّذي يصعق فيه من في السماوات

والأرض و هو من أشراط الساعة قال تعالى : « و نفخ في الصور فصعق من في السماوات و من في الأرض » الزمر : ٦٨ .

و يؤيّد هذا المعنى قوله في الآية التالية : « يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون » فإنّ انتفاء إغناء الكيدوالنصر من خواصّ يوم القيامة الّذي يسقط فيهعامّة الأسباب والأمر يومئذ لله .

و استشكل بأنّه لايصعق يوم النفخ إلّا من كان حيّا و هؤلاء ليسوا بأحياء يومئذ والجواب أنّه يصعق فيه جميع من في الدنيا من الأحياء و من في البرزخ من الأموات و هؤلاء إن لم يكونوا في الدنيا ففي البرزخ .

على أنّه يمكن أن يكون ضمير « يصعقون » راجعاً إلى الأحياء يومئذ،والتهديد إنّما هو بالعذاب الواقع في هذا اليوم لا بالصعقة الّتي فيه .

و قيل : المراد به يوم بدر و هو بعيد ، و قيل : المراد به يوم الموت ، و فيه أنّه لا يلائم السياق الظاهر في التهديد بما وقع في أوّل السورة و هو عذاب يوم القيامة لا عذاب يوم الموت .

**قوله تعالى** : « و إنّ للّذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكنّ أكثرهم لايعلمون» لا يبعد أن يكون المراد به عذاب القبر ، و قوله : « ولكنّ أكثرهم لا يعلمون » مشعر بأنّ فيهم من يعلم ذلك لكنّه يصرّ على كفره و تكذيبه عناداً و قيل : المراد به يوم بدر لكنّ ذيل الآية لا يلائمه تلك الملاءمة .

**قوله تعالى** : « فاصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا » عطف على قوله : «فذرهم» و ظاهر السياق أنّ المراد بالحكم حكمه تعالى في المكذّبين بالإمهال والإملاء والطبع على قلوبهم ، و في النبيّ ﷺ أن يدعو إلى الحقّ بما فيه من الأذى في جنب الله فالمراد بقوله : « فإنّك بأعيننا » أنّك بمرئى منّا نراك بحيث لا يخفى علينا شيء من حالك ولانغفل عنك ففي تعليل الصبر بهذه الجملة تأكيد للأمر بالصبر و تشديد للخطاب.

و قيل : المراد بقوله : « فإنّك بأعيننا » أنّك في حفظنا و حراستنا فالعين مجاز عن الحفظ ، و لعلّ المعنى المتقدّم أنسب للسياق .

**قوله تعالى** : « و سبّح بحمد ربّك حين تقوم و من اللّيل فسبّحه وإدبار النجوم» الباء في « بحمد » للمصاحبة أي سبّح ربّك و نزّهه حال كونه مقارنا لحمده .

والمراد بقوله : « حين تقوم » قيل هو القيام من النوم ، و قيل : هو القيام من القائلة ، فهو صلاة الظهر ، وقيل هو القيام من المجلس ، وقيل : هو كلّ قيام ، و قيل : هو القيام إلى الفريضة وقيل : هو القيام إلى كلّ صلاة ، و قيل : هو الركعتان قبل فريضة الصبح سبعة أقوال كما ذكره الطبرسيّ .

و قوله : « و من اللّيل فسبّحه » أي من اللّيل فسبّح ربّك فيه ، والمراد به صلاة الليل ، و قيل : المراد صلاتا المغرب والعشاء الآخرة .

و قوله : « و إدبار النجوم » قيل : المراد به وقت إدبار النجوم و هو اختفاؤها بضوء الصبح ، و هو الركعتان قبل فريضة الصبح ، و قيل : المراد فريضة الصبح ، وقيل : المراد تسبيحه تعالى صباحاً و مساءً من غير غفلة عن ذكره .

## ﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمّي في قوله تعالى : « و سبّح بحمد ربّك حين تقوم » قال : لصلاة اللّيل « فسبّحه » قال : صلاة اللّيل .

**اقول** : و روى هذا المعنى في مجمع البيان عن زرارة و حمران و محمّد بن مسلم عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام .

و فيه بإسناده عن الرضا عليه السلام قال : ادبار السجود أربع ركعات بعد المغرب و إدبار النجوم ركعتان قبل صلاة الصبح .

**اقول** : و روى ذيله في المجمع عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، والقمّي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام .

و قد ورد من طرق أهل السنّة في عدّة من الروايات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا قام من مجلسه سبّح الله و حمده ويقول : إنّه كفّارة المجلس لكنّها غير ظاهرة في كونها تفسيراً للآية .

﴿ سورة النجم مكّيّة و هي اثنان و ستّون آية ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ اِذٰا هَوٰى (١) مٰاضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَ مٰا غَوٰى (٢) وَ مٰا يَنطِقُ عَنِ الْهَوٰى (٣) اِنْ هُوَ اِلّٰا وَحْيٌ يُوحٰى (۴) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوٰى (۵) ذُومِرَّةٍ فَاسْتَوٰى (۶) وَ هُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى (٧) ثُمَّ دَنٰى فَتَدَلّٰى (٨) فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنٰى (٩) فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهِ مٰا أَوْحٰى (١٠) مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰارَآىٰ (١١) أَفَتُمٰارُونَهُ عَلٰى مٰا يَرٰى (١٢) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً اُخْرٰى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى (١۴) عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوٰى (١۵) اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشٰى (١۶) مٰازٰاغَ الْبَصَرُ وَمٰاطَغٰى (١٧) لَقَدْ رَآىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى (١٨) .

## ﴿ بيان ﴾

غرض السورة تذكير الاُصول الثلاثة وحدانيّته تعالى في ربوبيّته والمعاد والنبوّة فتبدء بالنبوّة فتصدّق الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و تصفه ثمّ تتعرّض للوحدانيّة فتنفي الأوثان والشركاء أبلغ النفي ثمّ تصف انتهاء الخلق والتدبير إليه تعالى من إحياء وإماتة و إضحاك و إبكاء و إغناء و إقناء و إهلاك و تعذيب و دعوة و إنذار ، و تختم الكلام بالإشارة إلى المعاد والأمر بالسجدة والعبادة .

والسورة مكّيّة بشهادة سياق آياتها ولا يصغى إلى قول بعضهم بكون بعض آياتها أو كلّها مدنيّة ، وقد قيل : إنّها أوّل سورة أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله بقراءتها فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعا .

و ما أوردناه من الآيات هي الفصل الأوّل من فصول السورة الثلاثة وهي الآيات اللاّتي تصدّق الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وتصفه لكن هناك روايات مستفيضة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ناصّة على أنّ المراد بالآيات ليس بيان صفة كلّ وحي بل بيان وحي المشافهة الّذي أوحاه الله سبحانه إلى نبيّه صلى الله عليه وآله ليلة المعراج فالآيات متضمّنة لقصّة المعراج و ظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات و هو المستفاد أيضاً من أقوال بعض الصحابة كابن عبّاس و أنس وأبي سعيد الخدريّ و غيرهم على ماروي عنهم و على ذلك جرى كلام المفسّرين و إن اشتدّ الخلاف بينهم في تفسير مفرداتها و جملها .

**قوله تعالى** : « والنجم إذاهوى » ظاهر الآية أنّ المراد بالنجم هومطلق الجرم السماويّ المضيء وقدأقسم الله في كتابه بكثيرمن خلقه ومنهاعدّة من الأجرام السماويّة كالشمس والقمر و سائر السيّارات ، و على هذا فالمراد بهويّ النجم سقوطه للغروب .

و قيل : المراد بالنجم القرآن لنزوله نجوما ، و قيل : الثريّا ، و قيل: الشعرى و قيل : الشهاب الّذى يرمى به شياطين الجنّ لأنّ العرب تسمّيه نجما ، وللهويّ ما يناسب لكلّ من هذه الأقوال من المعنى ، لكن لفظ الآية لا يساعد على شيء من هذه المعاني.

**قوله تعالى** : « ما ضلّ صاحبكم و ماغوى » الضلال الخروج والانحراف عن الصراط المستقيم ، و الغيّ خلاف الرشد الّذي هوإصابة الواقع قال الراغب الغيّ جهل من اعتقاد فاسد ، و ذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحاً ولا فاسداً ، و قد يكون من اعتقاد شيء فاسد ، و هذا النحو الثاني يقال له غيّ قال تعالى : « ماضلّ صاحبكم وماغوى » . انتهى ، والمراد بالصاحب هو النبيّ صلى الله عليه وآله .

والمعنى ما خرج صاحبكم عن الطريق الموصل إلى الغاية المطلوبة ولا أخطأ في اعتقاده و رأيه فيها ، و يرجع المعنى إلى أنّه لم يخطيء لا في الغاية المطلوبة الّتي هي السعادة الإنسانية و هو عبوديّته تعالى ، ولا في طريقها الّتي تنتهي إليها .

**قوله تعالى** : « وماينطق عن الهوى إن هوإلاّ وحي يوحى» المراد بالهوى هوى النفس و رأيها ، والنطق و إن كان مطلقاً ورد عليه النفي و كان مقتضاه نفي الهوى عن

مطلق نطقه صلى الله عليه وآله وسلم لكنّه لمّا كان خطابا للمشركين وهم يرمونه في دعوته و ما يتلو عليهم من القرآن بأنّه كاذب متقوّل مفتر على الله سبحانه كان المراد بقرينة المقام أنّه صلى الله عليه وآله ما ينطق فيما يدعوكم إلى الله أو فيما يتلوه عليكم من القرآن عن هوى نفسه ورأيه بل ليس ذلك إلّا وحياً يوحى إليه من الله سبحانه .

**قوله تعالى** : « علّمه شديد القوى » : ضمير « علّمه » للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن بما هو وحي أو لمطلق الوحي والمفعول الآخر لعلّمه محذوف على أيّ حال والتقدير علّم النبيّ الوحي أو علّم القرآن أو الوحي إيّاه .

والمراد بشديد القوى ـ على ما قالوا ـ جبريل و قد وصفه الله بالقوّة في قوله : « ذي قوّة عند ذي العرش مكين » التكوير : ٢٠ ، و قيل : المراد به هو الله سبحانه .

**قوله تعالى** : « ذو مرّة فاستوى » المرّة بكسر الميم الشدّة ، و حصافة العقل والرأي ، و بناء نوع من المرور و قد فسّرت المرّة في الآية بكلّ من المعاني الثلاثة مع القول بأنّ المراد بذي مرّة جبريل ، والمعنى هو أي جبريل ذو شدّة في جنب الله أو هو ذو حصافة في عقله ورأيه ، أو هو ذو نوع من المرور بالنبيّ صلى الله عليه وآله و هو في الهواء .

و قيل : المراد بذو مرّة النبيّ صلى الله عليه وآله فهو ذو شدّة في جنب الله أو ذو حصافة في عقله و رأيه أو ذو نوع من المرور عرج فيه إلى السماوات .

و قوله : « فاستوى » بمعنى استقام أو استولى و ضمير الفاعل راجع إلى جبريل والمعنى فاستقام جبريل على صورته الأصليّة الّتي خلق عليها على ما روي أنّ جبريل كان ينزل على النبيّ صلى الله عليه وآله في صور مختلفة ، و إنّما ظهر له في صورته الأصليّة مرّتين أو المعنى فاستولى جبريل بقوّته على ما جعل له من الأمر .

و إن كان الضمير للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى فاستقام و استقرّ .

**قوله تعالى** : « وهو بالاُفق الأعلى » الاُفق الناحية قيل: المراد بالاُفق الأعلى ناحية الشرق من السماء لأنّ اُفق المشرق فوق المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء و هو كما ترى والظاهر أنّ المراد به اُفق أعلى من السماء من غير اعتبار كونه اُفقا شرقيّا .

و ضمير هوفي الآية راجع إلى جبريل أوإلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والجملة حال من ضمير « استوى » .

**قوله تعالى** : « ثمّ دنا فتدلّى » الدنوّ القرب، والتدلّي التعلّق بالشيء ويكنّى به عن شدّة القرب ، و قيل : الامتداد إلى جهة السفل مأخوذ من الدلو .

والمعنى على تقدير رجوع الضميرين لجبريل : ثمّ قرب جبريل فتعلّق بالنبيّ صلّى الله عليه وآله ليعرج به إلىالسماوات ، وقيل : ثمّ تدلّى جبريل من الاُفق الأعلى فدنا من النبيّ صلى الله عليه وآله ليعرج به .

والمعنى على تقدير رجوع الضميرين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله : ثمّ قرب النبيّ من الله سبحانه و زاد في القرب .

**قوله تعالى** : «فكان قاب قوسين أوأدنى» قال في المجمع : القاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء انتهى ، والقوس معروفة و هي آلة الرمي ، و يقال قوس على الذراع في لغة أهل الحجاز على ما قيل .

والمعنى فكان البعد قدر قوسين أوقدر ذراعين أو أقرب من ذلك .

و قيل : القاب ما بين مقبض القوس و سيتها ففي الكلام قلب والمعنى فكان قابي قوس ، واعترض عليه بأنّ قابي قوس و قاب قوسين واحد فلا موجب للقلب .

**قوله تعالى** : « فأوحى إلىعبده ماأوحى » ضمير أوحىفيالموضعين لجبريل على تقدير رجوع الضمائر السابقة إلى جبريل ، و المعنى فأوحى جبريل إلى عبدالله و هو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى ، قيل : ولاضير في رجوع الضمير إليهتعالى من عدم سبق الذكر لكونه فيغاية الوضوح . أوالضمائرالثلاث لله والمعنىفأوحىالله بتوسّط جبريلإلىعبده ما أوحى أوالضميرالأوّل لجبريل والثاني والثالث لله والمعنى فأوحى جبريل ما أوحى الله إليه إلى عبدالله .

والضمائر الثلاث كلّها لله على تقدير رجوع الضمائر السابقة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله والمعنى فأوحى الله إلى عبده ماأوحى ، وهذا المعنى أقرب إلى الذهن من المعنىالسابق الّذي لا يرتضيه الذوق السليم و إن كان صحيحا .

**قوله تعالى** : « ما كذب الفؤاد ما رآى » الكذب خلاف الصدق يقال : كذب فلان في حديثه ، ويقال : كذبه الحديث بالتعدّي إلى مفعولين أي حدّثه كذباً ، والكذب كما يطلق على القول والحديث الّذي يلفظه اللسان كذلك يطلق على خطاء القوّة المدركة يقال : كذبته عينه أي أخطأت في رؤيتها .

ونفي الكذب عن الفؤاد إنّما هو بهذا المعنى سواء اُخذ الكذب لازماً والتقدير ما كذب الفؤاد فيما رآى أو متعدّياً إلى مفعولين ، و التقدير ماكذب الفؤاد ـ فؤاد النبيّ ـ النبيّ ما رآه أي إنّ رؤية فؤاده فيما رآه رؤية صادقة .

و على هذا فالمراد بالفؤادفؤاد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وضمير الفاعل في «ما رآى» راجع إلى الفؤاد و الرؤية رؤيته .

ولا بدع في نسبة الرؤية وهي مشاهدة العيان إلى الفؤاد فإنّ للإنسان نوعاً من الإدراك الشهوديّ وراء الإدراك بإحدى الحواسّ الظاهرة والتخيّل و التفكّر بالقوى الباطنة كما أنّنا نشاهد من أنفسنا أنّنا نرى وليست هذه المشاهدة العيانيّة إبصاراً بالبصر ولا معلوماً بفكر ، وكذا نرى من أنفسنا أنّنا نسمع ونشمّ ونذوق ونلمس ونشاهد أنّنا نتخيّل و نتفكّر وليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء من الحواسّ الظاهرة أو الباطنة فإنّا كما نشاهد مدركات كلّ واحدة من هذه القوى بنفس تلك القوّة كذلك نشاهد إدراك كلّ منها لمدركها و ليس هذه المشاهدة بنفس تلك القوّة بل بأنفسنا المعبّر عنها بالفؤاد .

وليس في الآية مايدلّ على أنّ متعلّق الرؤية هوالله سبحانه وأنّه المرئي له صلى الله عليه وآله وسلم بل المرئيّ هو الاُفق الأعلى والدنوّ و التدلّي وأنّه اُوحي إليه فهذه هي المذكورة في الآيات السابقة وهي آيات له تعالى ، ويؤيّد ذلك ماذكره تعالى في النزلة الاُخرى من قوله : « ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربّه الكبرى » .

على أنّها لو دلّت على تعلّق الرؤية به تعالى لم يكن به بأس فإنّها رؤية القلب ورؤية القلب غير رؤية البصر الحسّيّة الّتي تتعلّق بالأجسام و يستحيل تعلّقها به تعالى وقد قدّمنا كلاماً في رؤية القلب في تفسير سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

وما قيل : إنّ ضمير «مارآى» للنبيّ ﷺ والمعنى ماقال فؤاده ﷺ لما رآه ببصره لم أعرفك ولوقال ذلك لكان كاذباً لأنّه عرفه بقلبه كما رآه ببصره ، و محصّله أنّ فؤاده صدّق بصره فيما رآه .

وكذا ما قيل : إنّ المعنى أنّ فؤاده لم يكذّب بصره فيما رآه بل صدّقهواعتقد به ، ويؤيّده قراءة من قرء « ماكذّب » بتشديد الذال .

ففيه أنّ الّذي يعطيه سياق الآيات تأييده تعالى صدق النبيّ ﷺ فيما يدّعيه من الوحي ورؤية آيات الله الكبرى ، ولوكان ضمير «مارآى » للنبيّ ﷺ كان محصّل معنى الآية الاحتجاج على صدق رؤيته باعتقاده ذلك بفؤاده وهو بعيد من دأب القرآن و هذا بخلاف ما لو رجع ضمير « مارآى» إلى الفؤاد فانّ محصّل معناه تصديقه تعالى لفؤاده فيما رآه و يجري الكلام على السياق السابق الآخذ من قوله : « ماضلّ صاحبكم وما غوى إن هو إلّا وحي يوحى » الخ .

**فان قلت** : إنّه تعالى يحتجّ في الآية التالية « أفتمارونه على ما يرى » برؤيته صلّى الله عليه وآله على صدقه فيمايدّعيه فليكن مثله الاحتجاج باعتقاد فؤاده بمايراه بعينه .

**قلت** : ليس قوله : « أفتمارونه على مايرى » مسوقاً للاحتجاج برؤيته على صدقه بل توبيخ على مماراتهم إيّاه ﷺ على أمر يراه ويبصره ومجادلتهم إياه فيه ، والمماراة والمجادلة إنّما تصحّ ـ لوصحّت ـ في الآراء النظريّة والاعتقادات الفكريّة وأمّا فيما يرى و يشاهد عيانا فلا معنى للمماراة والمجادلة فيه ، و هو ﷺ إنّما كان يخبرهم بما يشاهده عياناً لا عن فكر و تعقّل .

**قوله تعالى** : « أفتمارونه على ما يرى » الاستفهام للتوبيخ والخطاب للمشركين والضمير للنبيّ ﷺ ، والمماراة الإصرار على المجادلة ، والمعنى أفتصرّون في جدالكم على النبيّ ﷺ أن يذعن بخلاف ما يدّعيه ويخبركم به وهو يشاهد ذلك عيانا .

**قوله تعالى** : « و لقد رآه نزلة اُخرى » النزلة بناء مرّة من النزول فمعناه

نزول واحد ، وتدلّ الآية على أنّ هذه قصّة رؤية في نزول آخر والآيات السابقة تقصّ نزولا آخر غيره .

و قد قالوا : إنّ ضمير الفاعل المستكنّ في قوله « رآه » للنبيّ ﷺ ، و ضمير المفعول لجبريل ، و على هذا فالنزلة نزول جبريل عليه ﷺ ليعرج به إلى السماوات و قوله : « عند سدرة المنتهى » ظرف للرؤية لا للنزلة ، والمراد برؤيته رؤيته و هو في صورته الأصليّة .

والمعنى أنّه نزل عليه ﷺ نزلة اُخرى و عرج به إلى السماوات و تراآى له صلّى الله عليه و آله عند سدرة المنتهى و هو في صورته الأصليّة .

و قد ظهر ممّا تقدّم صحّة إرجاع ضمير المفعول إليه تعالى والمراد بالرؤية رؤية القلب والمراد بنزلة اُخرى نزلة النبيّ ﷺ عند سدرة المنتهى في عروجه إلى السماوات فالمفاد أنّه ﷺ نزل نزلة اُخرى أثناء معراجه عند سدرة المنتهى فرآه بقلبه كمارآه في النزلة الاُولى .

**قوله تعالى** : « عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى » السدر شجر معروف والتاء للوحدة ، والمنتهى ـ كأنّه ـ اسم مكان و لعلّ المراد به منتهى السماوات بدليل كون الجنّة عندها والجنّة في السماء قال تعالى : و في السماء رزقكم و ما توعدون » الذاريات : ٢٢ .

ولا يوجد في كلامه تعالى ما يفسّر هذه الشجرة ، وكأنّ البناء على الإبهام كما يؤيّده قوله بعد : « إذ يغشى السدرة ما يغشى » وقد فسّر في الروايات أيضا بأنّها شجرة فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم و ستمرّ ببعض هذه الروايات .

و قوله : « عندها جنّة المأوى » أي الجنّة الّتي يأوى إليها المؤمنون وهي جنّة الآخرة فإنّ جنّة البرزخ جنّة معجّلة محدودة بالبعث قال تعالى : « فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون » السجدة ١٩ ، و قوله : « فإذا جاءت الطامّة الكبرى ـ إلى أن قال ـ فإنّ الجنّة هي المأوى » النازعات : ٤١ و هي في السماء على ما يدلّ

عليه قوله تعالى : « و في السماء رزقكم و ما توعدون » الذاريات : ٢٢ ، وقيل: المراد بها جنّة البرزخ .

و قوله : « إذ يغشى السدرة ما يغشى » غشيان الشيء الإحاطة به ، و « ما » « موصولة » والمعنى إذ يحيط بالسدرة ما يحيط بها ، و قد أبهم تعالى هذا الّذي يغشى السدرة ولم يبيّن ما هو كما تقدّمت الإشارة إليه .

**قوله تعالى** : « مازاغ البصر و ماطغى » الزيغ الميل عن الاستقامة ، والطغيان تجاوز الحدّ في العمل ، و زيغ البصر إدراكه المبصر على غير ما هو عليه ، و طغيانه إدراكه ما لا حقيقة له ، والمراد بالبصر بصر النبيّ صلى الله عليه وآله .

والمعنى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يبصرما أبصره على غيرصفته الحقيقيّة ولاأبصرمالاحقيقة له بل أبصر غير خاطىء في إبصاره .

والمراد بالإبصار رؤيته صلى الله عليه وآله بقلبه لا بجارحة العين فإنّ المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله : « و لقد رآه نزلة اُخرى » المشير إلى مماثلة هذه الرؤية لرؤية النزلة الاُولى الّتي يشير إليها بقوله : « ما كذب الفؤاد ما رآى أفتمارونه على ما يرى » فافهم ولا تغفل .

**قوله تعالى** : « لقد رآى من آيات ربّه الكبرى » « من » للتبعيض ، والمعنى اُقسم لقدشاهدبعضالآيات الكبرىلربّه، وبذلك تمّ مشاهدة ربّه بقلبه فإنّمشاهدته تعالى بالقلب إنّما هي بمشاهدة آياته بما هي آياته فإنّ الآية بما هي آية لا تحكي إلّا ذا الآية ولا تحكي عن نفسه شيأ و إلّا لم تكن من تلك الجهة آية .

وأمّا مشاهدة ذاته المتعالية من غيرتوسّط آية وتخلّل حجاب فمن المستحيلذلك قال تعالى : « ولا يحيطون به علماً » طه : ١١٠ .

## ﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي في قوله تعالى: « والنجم إذا هوى » قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله « إذا هوى » لما اُسري به إلى السماء و هو في الهوي .

**اقول** : و روى تسميته صلى الله عليه وآله وسلم بالنجم باسناده عن أبيه عن الحسين بن خالدعن الرضا عليه السلام ، و هو من البطن .

و في الكافي عن القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عز وجل : « والليل إذا يغشى » « والنجم إذا هوى » وما أشبه ذلك ؟ قال : إن لله عز وجل أن يقسم من خلقه بما شاء ، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به .

**اقول** : و في الفقيه عن علي بن مهزيار عن أبي جعفر الثاني مثله .

و في المجمع و روت العامة عن جعفر الصادق أنه قال : إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نزل من السماء السابعة ليلة المعراج و لما نزلت السورة اُخبر بذلك عتبة بن أبي لهب فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلق ابنته و تفل في وجهه و قال : كفرت بالنجم و رب النجم فدعا صلى الله عليه و آله عليه و قال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك .

فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق وألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه أنيموني بينكم ليلاً ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس .

**اقول** : ثم أورد الطبرسي شعر حسان في ذلك ، و روى في الدر المنثور القصة بطرق مختلفة .

و في الكافي باسناده إلى هشام و حماد و غيره قالوا : سمعنا أباعبدالله عليه السلام يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله و حديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عز وجل .

و في تفسير القمي بإسناده إلى ابن سنان في حديث : قال أبو عبدالله عليه السلام : و ذلك أنه يعني النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى و كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اُسري به إلى السماء : تقدم يا محمد فقد وطأت موطئا لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولو لا أن روحه و نفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، وكان من الله عز وجل كما قال الله عز وجل : « قاب قوسين أو أدنى » أي بل أدنى .

و في الاحتجاج عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل : أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى .

**اقول** : وقد ورد هذا المعنى في كثير من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام .

و في الدر المنثور أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما اُسري بالنبي صلى الله عليه وآله اقترب من ربه فكان قاب قوسين أو أدنى . قال : ألم تر إلى القوس ما أقربها من الوتر .

و فيه أخرج ابن أبي حاتم والطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : « ثم دنا فتدلى » قال : هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم دنا فتدلى إلى ربه عز و جل .

و في المجمع و روي مرفوعاً عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :«فكان قاب قوسين أوأدنى » قال : قدر ذراعين أوأدنى من ذراعين .

و في تفسير القمي في قوله تعالى : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » قال : وحي مشافهة .

و في التوحيد بإسناده إلى محمد بن الفضيل قال : سألت أبا الحسن عليه السلام هل رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل ؟ فقال : نعم بقلبه رآه أماسمعت الله عز وجل ؟ يقول: « ما كذب الفؤاد ما رآى » لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد .

و في الدر المنثور أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قال : قالوا : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : لم أره بعيني و رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا« ثم دنافتدلى» .

**اقول** : و روى هذا المعنى النسائيّ عن أبي ذرّ ـ على ما في الدرّ المنثور ـ و لفظه رآى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ربّه بقلبه ولم يره ببصره .

و عن صحيح مسلم والترمذيّ و ابن مردويه عن أبي ذرّ قال : سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هل رأيت ربّك ؟ فقال : نورانيّ أراه .

**اقول** : « نورانيّ » منسوب إلى النور على خلاف القياس كجسمانيّ في النسبة إلى جسم ، و قرىء « نور إنّي أراه » بتنوين الراء وكسر الهمزة و تشديد النون ثمّ ياء المتكلّم ، والظاهر أنّه تصحيف و إن اُيّد برواية اُخرى عن مسلم في صحيحه و ابن مردويه عن أبي ذرّ أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل رأيت ربّك ؟ فقال : رأيت نورا .

و كيف كان فالمراد بالرؤية رؤية القلب فلا الرؤية رؤية حسية ولا النور نور حسّيّ .

وفي الكافي بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبوقرّة المحدّث أن اُدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام . إلى قوله : قال أبو قرّة : فإنه يقول : « ولقد رآه نزلة اُخرى » فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رآى حيث قال : « ماكذب الفؤاد ما رآى » يقول : ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه ثمّ أخبر بمارآى فقال : «لقد رآى من آيات ربّه الكبرى » و آيات الله غير الله .

**اقول** : الظاهر أنّ كلامه عليه السلام مسوق لإلزام أبي قرّة حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسّيّة فألزمه بأنّ الرؤية إنّما تعلّقت بالآيات وآيات الله غيرالله ولا ينافي ذلك كون رؤيه الآيات بما هي آياته رؤيته و إن كانت آياته غيره ، و هذه الرؤية إنّما كانت بالقلب كما مرّت عدّة من الروايات في هذا المعنى .

و في تفسير القمّي حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انتهيت إلى سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظلّ اُمة من الاُمم فكنت من ربّي كقاب قوسين أوأدنى .

و في الدرّ المنثور أخرج أحمد و ابن جرير عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

انتهيت إلى السدرة فإذا نبقها مثل الجراد ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فلمّا غشيها من أمر الله ما غشيها تحوّلت ياقوتاً و زمرّداً و نحو ذلك .

و في تفسير القمّي بإسناده إلى إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه‌السلام في حديث طويل : فلمّا انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : في هذا الموضع تخذلني ؟ فقال : تقدّم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك فرأيت من نور ربّي و حال بيني و بينه السبحة .

قلت : و ما السبحة جعلت فداك ؟ فأومى بوجهه إلى الأرض و أومأ بيده إلى السماء و هو يقول : جلال ربّي جلال ربّي ثلاث مرّات .

**اقول** : السبحة الجلال كما فسّر في الرواية والسبحة مايدلّ على تنزّهه تعالى من خلقه و مرجعه إلى المعنى الأوّل و محصّل ذيل الرواية أنّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رآى ربّه برؤية آياته .

و فيه في قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة اُخرى عند سدرة المنتهى » قال : في السماء السابعة .

و فيه في قوله تعالى : « إذ يغشى السدرة ما يغشى » قال : لمّا رفع الحجاب بينه و بين رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله غشي نور السدرة .

**اقول** : و في المعاني السابقة روايات اُخرى و قد تقدّم في أوّل تفسير سورة الإسراء روايات جامعة لقصّة معراجه صلى‌الله‌عليه‌وآله .

و قد نقلنا هناك في ذيل الروايات الاختلاف في كيفيّة معراجه صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه كان في المنام أو في اليقظة و على الثاني بجسمه و روحه معاً أوبروحه فحسب ، و نقلنا عن صاحب المناقب أنّ الإماميّة ترى أنّ إسراءه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان بالروح و الجسم معاً على ما تدل عليه آية الاسراء ، و أما من المسجد الأقصي إلى السماوات فقد قال قوم بكونه بالروح و الجسم معاً أيضاً ووافقهم كثير من الشيعة ومال بعضهم إلى كونه بالروح و مال إليه بعض المتأخّرين .

ولا ضير في القول به لو أيّدته القرائن الحافّة بالآيات والروايات غير أنّ من

الواجب حينئذ أن يحمل قوله تعالى : « عندها جنّة المأوى » على جنّة البرزخ ليحمل كونها عندها على نحو من التعلّق كماورد أنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أوحفرة من حفر النار ، أو توجّه الآية بما لا ينافي كون العروج في السماوات روحيّاً .

وأمّا كون الإسراء في المنام فقد تقدّم في تفسير آية الإسراء أنّه ممّا لا ينبغي أن يلتفت إليه .

و أمّا تطبيق الإسراء إلى السماوات على تسييره صلّى الله عليه وآله ليلاً في الكواكب الاُخرى غير الأرض من منظومتنا الشمسيّة أو في منظومات اُخرى غير منظومتنا أو في مجرّات اُخرى غير مجرّتنا فممّا لا يلائمه الأخبار الواردة في تفصيل القصّة البتّة بل ولا محصّل مضامين الآيات المتقدّمة .



☆ ☆ ☆

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ( ١٩ ) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ( ٢٣ ) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ(٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ ( ٢٧ ) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ( ٢٨ ) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ( ٣٠ ) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ( ٣٢ ) .

## ﴿ بيان ﴾

شطرمن آيات الفصل الثاني من الفصول الثلاثة في السورة تتعرّض لأمر الأوثان و عبادتها بدعوى أنّها ستشفع لهم والردّ عليهم أبلغ الردّ ، و فيها إشارة إلى أمر المعاد و هو مقصد الفصل الثالث .

**قوله تعالى** : « أفرأيتم اللاّت والعزّى و مناة الثالثة الاُخرى » لمّا سجّل في الآيات السابقة صدق النبيّ صلى الله عليه وآله و أنّه وحي يوحى إليه وترتّب عليه حقيّة النبوّة المبنيّة على التوحيد و نفي الشركاء، فرّع عليه الكلام في الأوثان : اللاّت والعزّى ومناة وهي عند المشركين تماثيل للملائكة بدعوى أنّهم إناث أو بعضها للملائكة و بعضها للإنسان كما قاله بعضهم و نفي ربوبيّتها و اُلوهيّتها و استقلال الملئكة الّذين هم أرباب الأصنام في الشفاعة و اُنوثيّتهم وأشار إلى حقائق اُخرى تنتج المعاد وجزاء الأعمال .

واللاّت والعزّي ومناة أصنام ثلاث كانت معبودة لعرب الجاهليّة ، وقد اختلفوا في وصف صورها ، وفي موضعها الّذي كانت منصوبة عليه ، وفي من يعبدها من العرب ، وفي الأسباب الّتي أوجبت عبادتهم لها ، و هي أقوال متدافعة لا سبيل إلى الاعتماد على شيء منها ، والمتيقّن منها ما أوردناه .

والمعنى إذا كان الأمر على ما ذكرناه من حقّيّة الدعوة و صدق النبيّ صلى الله عليه وآله في دعوى الوحي والرسالة من عندالله سبحانه فأخبروني عن اللاّت والعزّى و مناة الّتي هي ثالثة الصنمين و غيرهما ـ و هي الّتي تدّعون أنّها أصنام الملئكة الّذين هم بنات الله على زعمكم ـ .

**قوله تعالى** : « ألكم الذكر وله الاُنثى تلك إذا قسمة ضيزى » استفهام إنكاريّ مشوب بالاستهزاء ، و قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة .

والمعنى إذا كان كذلك و كانت أرباب هذه الأصنام من الملائكة بنات الله ، وأنتم لا ترضون لأنفسكم إلاّ الذكر من الأولاد فهل لكم الذكر و لله سبحانه الاُنثى من الأولاد تلك القسمة إذاً قسمة جائرة غير عادلة ـ استهزاء ـ .

**قوله تعالى** : «إن هي إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الخ ضمير هي للّات والعزّى ومناة أولها بما هي أصنام ، وضمير « سمّيتموها » للأسماء و تسمية الأسماء جعلها أسماء ، والمراد بالسلطان البرهان .

والمعنى ليست هذه الأصنام الآلهة إلّا أسماء جعلتموها اسماء لها أنتم و آباؤكم ليست لهذه الأسماء وراءها مصاديق و مسمّيات ما أنزل الله معها برهاناً يستدلّ به على ربوبيّتها و اُلوهيّتها .

و محصّل الآية الردّ على المشركين بعدم الدليل على اُلوهيّة آلهتهم .

و قوله : « إن يتّبعون إلّا الظنّ و ما تهوى الأنفس » « ما » موصولة والضمير العائد إليها محذوف أي الّذي تهواه النفس ، و قيل : مصدريّة و التقدير هوى النفس و الهوى الميل الشهوانيّ للنفس و الجملة مسوقة لذمّهم في اتّباع الباطل و تأكيد لما تقدّم من أنّه لا برهان لهم على ذلك .

و يؤكّده قوله : « و لقد جاءهم من ربّهم الهدى » والجملة حاليّة .

والمعنى إن يتّبع هؤلاء المشركون في أمر آلهتهم إلّا الظنّ و ما يميل إليه أنفسهم شهوة يتّبعون ذلك والحال أنّه قد جاءهم من الله وهو ربّهم الهدى و هي الدعوة الحقّة أو القرآن الّذي يهديهم إلى الحقّ .

والالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة للإشعار بأنّهم أحطّ فهماً من أن يخاطبوا بهذا الكلام على أنّهم غير مستعدّين لأن يخاطبوا بكلام برهانيّ وهم أتباع الظنّ والهوى .

**قوله تعالى** : «أم للإنسان ما تمنّى» «أم» منقطعة والاستفهام إنكاريّ ، والكلام مسوق لنفي أن يملك الإنسان ما يتمنّاه بمجرّد أنّه يتمنّاه أي ليس يملك الإنسان ما يتمنّاه بمجرّد أنّه يتمنّاه حتّى يملك المشركون ما يتمنّونه بهوى أنفسهم من شفاعة الملائكة الّذين هم أرباب أصنامهم و بنات لله بزعمهم أو يملكوا اُلوهيّة آلهتهم بمجرّد التمنّي .

و في الكلام تلويح إلى أنّهم ليس لهم للدلالة على صحّة اُلوهيّة آلهتهم أو -

شفاعتهم إلّا التمنّي ، ولا يملك شيء بالتمني .

**قوله تعالى** : « فللّه الآخرة والاُولى » تفريعه على سابقه من تفريع العلّة للمعلول للدلالة على التعلّق والارتباط ففيه تعليل للجملة السابقة ، والمعنى ليس يملك الإنسان ما تمنّاه بمجرّد التمنّي لأنّ الآخرة و الاُولى لله سبحانه ولا شريك له في ملكه .

**قوله تعالى** : « وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيأ إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى » الفرق بين الإذن والرضا أنّ الإذن إعلام ارتفاع المانع من قبل الآذن ، والرضا ملاءمة نفس الراضي للشيء وعدم امتناعها فربّما تحقّق الإذن بشيء مع عدم الرضا و لا يتحقّق رضاً إلّا مع الإذن بالفعل أو بالقوّة .

والآية مسوقة لنفي أن يملك الملائكة من اُنفسهم الشفاعة مستغنين في ذلك عن الله سبحانه كما يروم إليه عبدة الأصنام فإنّ الأمر مطلقا إلى الله تعالى فإنّما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى في الشفاعة و رضاه بها .

و على هذا فالمراد بقوله : « لمن يشاء » الملائكة ومعنى الآية وكثير من الملائكة في السماوات لا تؤثّر شفاعتهم أثراً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء منهم أي من الملائكة ويرضى بشفاعته .

و قيل : المراد بمن يشاء و يرضى الإنسان والمعنى إلّا من بعد أن يأذن الله في شفاعة من يشاء أن يشفع له من الإنسان و يرضى وكيف يأذن و يرضى بشفاعة من كفر به و عبد غيره ؟

والآية تثبت الشفاعة للملائكة في الجملة : وتقيّد شفاعتهم بالإذن والرضا من الله سبحانه .

**قوله تعالى** : «إنّ الّذين لايؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الاُنثى» ردّ لقولهم باُنوثيّة الملائكة بعد ردّ قولهم بشفاعتهم .

والمراد بتسميتهم الملائكة تسمية الاُنثى قولهم : إنّ الملائكة بنات الله فالمراد بالاُنثى الجنس أعمّ من الواحد والكثير .

و قيل : إنّ الملائكة في معنى استغراق المفرد فيكون التقدير ليسمّون كلّ كلّ واحد من الملائكة تسمية الاُنثى أي يسمّونه بنتا فالكلام على وزان «كسانا الأمير حلّة » أي كسا كلّ واحد منّا حلّة .

قال بعضهم : في تعليق التسمية بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنّها في الشناعة والفظاعة و استتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترىء عليها إلّا من لا يؤمن بها رأسا . انتهى .

**قوله تعالى** : « و مالهم به من علم إن يتّبعون إلّا الظنّ و إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيأ » العلم هو التصديق المانع من النقيض ، والظنّ هو التصديق الراجح و يسمّى المرجوح وهما ، و قولهم باُنوثيّة الملائكة كما لم يكن معلوماً لهم كذلك لم يكن مظنونا إذ لا سبيل إلى ترجيح القول به على خلافه لكنّه لمّا كان عن هوى أنفسهم أثبته الهوى في أنفسهم و زيّنه لهم فلم يلتفتوا إلى خلافه ، و كلّما لاح لهم لائح خلافه أعرضوا عنه و تعلّقوا بما يهوونه ، و بهذه العناية سمّي ظنّا و هو في الحقيقة تصوّر فقط .

و بهذا يظهر استقامة قول من قال : إنّ الظنّ في هذه الآية و في قوله السابق : « إن يتّبعون إلّا الظنّ و ماتهوى الأنفس » بمعنى التوهّم دون الاعتقاد الراجح واُيّد بما يظهر من كلام الراغب : إنّ الظنّ ربّما يطلق على التوهّم .

و قوله : « إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيأ » الحقّ ما هو عليه الشيء و ظاهر أنّه لا يدرك إلّا بالعلم الّذي هو الاعتقاد المانع من النقيض لا غير و أمّا غير العلم ممّا فيه احتمال الخلاف فلا يتعيّن فيه المدرك على ما هو عليه في الواقع فلا مجوّز لأن يعتمد عليه في الحقائق قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » أسرى : ٣٦ .

و أمّا العمل بالظنّ في الأحكام العمليّة فإنّما هو لقيام دليل عليه يقيّد به إطلاق الآية ، و تبقى الاُمور الاعتقاديّة تحت إطلاق الآية .

قال بعضهم : وضع الظاهر موضع المضمر في قوله : « إنّ الظنّ لايغني » ليجري

الكلام مجرى المثل .

**قوله تعالى** : « فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا» تفريع على اتّباعهم الظنّ و هوى الأنفس فقوله : « فأعرض عمّن » الخ أمر بالإعراض عنهم و إنّما لم يقل : فأعرض عنهم ، ووضع قوله : « من تولّى عن ذكرنا » الخ موضع الضمير للدلالة على علّة الأمر بالإعراض كأنّه قيل: إنّ هؤلاء يتركون العلم و يتّبعون الظنّ و ما تهوى الأنفس و إنّما فعلوا ذلك لأنّهم تولّوا عن الذكر و أرادوا الحياة الدنيا فلا همّ لهم إلّا الدنيا فهي مبلغهم من العلم ، و إذا كان كذلك فأعرض عنهم لأنّهم في ضلال .

والمراد بالذكر إمّا القرآن الّذى يهدي متبّعيه إلى الحقّ الصريح ويرشدهم إلى سعادة الدار الآخرة الّتى وراء الدنيا بالحجج القاطعة و البراهين الساطعة الّتي لاتبقى معها وصمة شكّ .

و إمّا ذكر الله بالمعنى المقابل للغفلة فإنّ ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعالية من الأسماء والصفات يهدي إلى سائر الحقائق العلميّة في المبدء والمعاد هداية علميّة لا ريب معها .

**قوله تعالى** : « ذلك مبلغهم من العلم إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى » الإشارة بذلك إلى أمر الدنيا و هو معلوم من الآية السابقة وكونه مبلغ علمهم من قبيل الاستعارة كأنّ العلم يسير إلى المعلوم و ينتهى إليه. وعلمهم انتهى في مسيره إلى الدنيا و بلغها و وقف عندها ولم يتجاوزها ، و لازم ذلك أن تكون الدنيا متعلّق إرادتهم و طلبهم ، و موطن همّهم ، و غاية آمالهم لا يطمئنّون إلى غيرها ولا يقبلون إلّا عليها .

و قوله : « إنّ ربّك هو أعلم » الخ تأكيد لمضمون الجملة السابقة و شهادة منه تعالى عليه .

**قوله تعالى** : « و لله ما في السماوات و ما في الأرض ليجزي الّذين أساؤا بما عملوا و يجزي الّذين أحسنوا بالحسنى » يمكن أن يكون صدر الآية حالا من فاعل

« أعلم » في الآية السابقة والواو للحال والمعنى إنّ ربّك هو أعلم بالفريقين الضالّين والمهتدين والحال أنّه يملك ما في السماوات و ما في الأرض فكيف يمكن أن لا يعلم بهم و هو مالكهم .

و على هذا فالظاهر تعلّق قوله : « ليجزي » الخ بقوله السابق : « فأعرض عمّن تولّى » الخ والمعنى أعرض عنهم و كل أمرهم إلى الله ليجزيهم كذا و كذا و يجزيك و يجزي المحسنين كذا و كذا .

و يمكن أن يكون قوله : « و لله ما في السماوات » الخ كلاماً مستأنفاً للدلالة على أنّ الأمر بالإعراض عنهم لا لإهمالهم و تركهم سدى بل الله سبحانه يجزي كلّاً بعمله إن سيّأ و إن حسناً ، و وضع اسم الجلالة وهو ظاهر موضع الضمير للدلالة على كمال العظمة .

و قوله : « لله ما في السماوات و ما في الأرض » إشارة إلى ملكه تعالى للكلّ و معناه قيام الأشياء به تعالى لكونه خالقهم الموجد لهم فالملك ناش من الخلق و هو مع ذلك منشأ للتدبير فالجملة دالّة على الخلق و التدبير كأنّه قيل : و لله الخلق و التدبير .

و بهذا المعنى يتعلّق قوله : « ليجزي » الخ واللّام للغاية ، والمعنى له الخلق والتدبير وغاية ذلك والغرض منه أن يجزي الّذين أساؤا ، الخ والمراد بالجزاء مايخبر عنه الكتاب منشؤن يوم القيامة ، والمراد بالإساءة والإحسان المعصية والطاعة،والمراد بما عملوا جزاء ما عملوا أونفس ما عملوا ، و بالحسنى المثوبة الحسنى .

والمعنى ليجزي الله الّذين عصموا بمعصيتهم أو بجزاء معصيتهم و يجزي الّذين أطاعوا بالمثوبة الحسنى ، وقد أوردوا في الآية احتمالات اُخرى وما قدّمناه هو أظهرها .

**قوله تعالى** : « الّذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلّا اللّمم إنّ ربّك واسع المغفرة » الخ الإثم هو الذنب و أصله - كما ذكره الراغب - الفعل المبطيء عن

الثواب والخير ، و كبائر الإثم المعاصي الكبيرة و هو على ما في الرواية [1] ما أوعدالله عليه النار ، و قد تقدّم البحث عنها في تفسير قوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم» الآية النساء : ٣١ .

والفواحش الذنوب الشنيعة الفظيعة ، و قد عدّ تعالى في كلامه الزنا و اللواط من الفواحش ولا يبعد أن يستظهر من الآية اتّحادها مع الكبائر .

وأمّا اللّمم فقد اختلفوا في معناه فقيل : هوالصغيرة من المعاصي ، وعليهفالاستثناء منقطع ، و قيل : هو أن يلمّ بالمعصية و يقصدها ولا يفعل والاستثناء أيضاً منقطعوقيل: هو المعصية حيناً بعد حين من غير عادة أي المعصية على سبيل الاتّفاق فيكون أعمّ من الصغيرة والكبيرة وينطبق مضمون الآية علىمعنىقوله تعالى في وصف المتّقينالمحسنين « والّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون » آل عمران : ١٣٥ .

و قد فسرّ في روايات أئمّة أهل البيتعليهم السلام بثالث المعاني [2] .

والآية تفسّر ما في الآية السابقة من قوله : « الّذين أحسنوا » فهم الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش و من الجائز أن يقع منهم لمم .

و في قوله : « إنّ ربّك واسع المغفرة» تطميعهم فيالتوبة رجاء المغفرة .

و قوله : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض » قال الراغب : النشء والنشأة إحداث الشيء و تربيته انتهى فإنشاؤهم من الأرض ماجرى عليهم في بدء خلقهم طوراً بعد طور من أخذهم من الموادّ العنصريّة إلى أن يتكوّنوا في صورة المنيّ و يردوا الأرحام .

---

(١) رواها فى ثواب الاعمال عن عباد بن كثير النوا عن ابى جعفر عليه السلام .

(٢) ففى اصول الكافى عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام : اللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه ، و فيه باسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال : هو الذنب يلم به الرجل فيمكث ما شاء الله ثم يلم به بعد ، و فيه باسناده عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام قال: اللمام العبد الذى يلم بالذنب بعد الذنب ليس من سليقته اى من طبعه .

و قوله : « و إذ أنتم أجنّة في بطون اُمّهاتكم » الأجنّة جمع جنين ، والكلام معطوف على « إذ » السابق أي و هو أعلم بكم إذكنتم أجنّة في أرحام اُمّهاتكم يعلم ما حقيقتكم و ما أنتم عليه من الحال و ما في سرّكم و إلى ما يؤل أمركم .

و قوله : « فلا تزكّوا أنفسكم » تفريع على العلم أي إذاكان الله أعلم من أوّل أمر فلا تزكّوا أنفسكم بنسبتها إلى الطهارة هو أعلم بمن اتّقى .



۞ ۞ ۞

أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلّٰى (٣٣) وَ اَعْطٰى قَلِيلاً وَ اَكْدٰى (٣٤) اَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرٰى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسٰى (٣٦) وَاِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفّٰى (٣٧) اَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى (٣٨) وَ اَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى (٣٩) وَ اَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى (٤٠) ثُمَّ يُجْزٰيهُ الْجَزَاءَ الْاَوْفٰى (٤١) وَ اَنَّ اِلٰى رَبِّكَ الْمُنْتَهٰى (٤٢) وَ اَنَّهُ هُوَ اَضْحَكَ وَاَبْكٰى (٤٣) وَ اَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ اَحْيَا (٤٤) وَ اَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ اِذَا تُمْنٰى (٤٦) وَ اَنَّ عَلَيْهِ النَّشْاَةَ الْاُخْرٰى (٤٧) وَ اَنَّهُ هُوَ اَغْنٰى وَ اَقْنٰى (٤٨) وَ اَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرٰى (٤٩) وَ اَنَّهُ اَهْلَكَ عَاداً الْاُولٰى (٥٠) وَ ثَمُودَ فَمَا اَبْقٰى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ اِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ اَظْلَمَ وَ اَطْغٰى (٥٢) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ اَهْوٰى (٥٣) فَغَشّٰيهَا مَا غَشّٰى (٥٤) فَبِاَىِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارٰى (٥٥) هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْاُولٰى (٥٦) اَزِفَتِ الْاٰزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) اَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَ تَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَ اَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَ اعْبُدُوا (٦٢) .

## ﴿ بيان ﴾

سياق التسع آيات الواقعة في صدر هذا الفصل يصدّق ما ورد في أسباب النزول أنّ رجلاً من المسلمين كان ينفق من ماله في سبيل الله فلامه بعض الناس على كثرة الإنفاق و حذّره و خوّفه بنفاد المال والفقر و ضمن حمل خطاياه و ذنوبه فأمسك عن الإنفاق فنزلت الآيات .

أشار سبحانه بالتعرّض لهذه القصّة ونقل مانقل من صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام إلى بيان وجه الحقّ فيها ، و إلى ما هو الحقّ الصريح فيما تعرّض له الفصل السابق من أباطيل المشركين من أنّهم إنّما يعبدون الأصنام لأنّها تماثيل الملائكة الّذين هم بنات الله يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله سبحانه و قد أبطلتها الآيات السابقة أوضح الإبطال .

و قد أوضحت هذه الآيات ما هو وجه الحقّ في الربوبيّة والاُلوهيّة و هو أنّ الخلق والتدبيرلله سبحانه ، إليه ينتهي كلّ ذلك ، و أنّه خلق ما خلق و دبّر ما دبّر خلقاً و تدبيراً يستعقب نشأة اُخرى فيها جزاء الكافر والمؤمن والمجرم والمتّقي و من لوازمه تشريع الدين و توجيه التكاليف و قد فعل ، و من شواهده إهلاك من أهلك من الاُمم الدارجة الطاغية كقوم نوح و عاد و ثمود والمؤتفكة .

ثمّ عقّب سبحانه هذا الّذي نقله عن صحف النبيّين الكريمين بالتنبيه على أنّ هذا النذير من النذر الاُولى الخالية و أنّ الساعة قريبة ، و خاطبهم بالأمر بالسجود لله والعبادة ، و بذلك تختتم السورة .

والسورة مكّيّة بشهادة سياق آياتها ، ومن غرر الآيات فيها قوله : «وإنّ إلى ربّك المنتهى » و قوله : « و أن ليس للإنسان إلّا ما سعى » .

**قوله تعالى** : «أفرأيت الّذي تولّى وأعطى قليلا وأكدى » التولّي هوالإعراض والمراد به بقرينة الآية التالية الإعراض عن الإنفاق في سبيل الله ، والإعطاء الإنفاق والإكداء قطع العطاء ، والتفريع الّذي في قوله : « أفرأيت » مبنيّ على ما قدّمنا من

تفرّع مضمون هذه الآيات على ما قبلها .

والمعنى فأخبرني عمّن أعرض عن الإنفاق و أعطى قليلاً من المال و أمسك بعد ذلك أشدّ الإمساك .

**قوله تعالى** : «أعنده علم الغيب فهو يرى» الضمائر لمن تولّى والاستفهام للإنكار والمعنى أيعلم الغيب فيترتّب عليه أن يعلم أنّ صاحبه يتحمّل عنه ذنوبه و يعذّب مكانه يوم القيامة لو استحقّ العذاب . كذا فسّروا .

والظاهر أنّ المراد نفي علمه بما غاب عنه من مستقبل حاله في الدنيا والمعنى أيعلم الغيب فهو يعلم أنّه لو أنفق ودام على الإنفاق نفد ماله و ابتلي بالفقر وأمّا تحمّل الذنوب والعذاب فالمتعرّض له قوله الآتي : «أن لا تزر وازرة وزر اُخرى» .

**قوله تعالى** : «أم لم ينبّأ بما في صحف موسى و إبراهيم الّذي وفّى» صحف موسى التوراة ، وصحف إبراهيم ما نزل عليه من الكتاب و الجمع للإشارة إلى كثرته بكثرة أجزائه .

والتوفية تأدية الحقّ بتمامه و كماله ، و توفيته عليه‌السلام تأديته ما عليه من الحقّ في العبوديّة أتمّ التأدية وأبلغها قال تعالى : «وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ» البقرة : ١٢٤ .

و ما نقله الله سبحانه في الآيات التالية من صحف إبراهيم و موسى عليهما‌السلام و إن لم يذكر في القرآن بعنوان أنّه من صحفهما قبل هذه الآيات لكنّه مذكور بعنوان الحكم والمواعظ والقصص والعبر فمعنى الآيتين : أم لم ينبّأ بهذه الاُمور و هي في صحف إبراهيم و موسى .

**قوله تعالى** : «ألّا تزر وازرة وزر اُخرى» الوزر الثقل و كثر استعماله في الإثم ، والوازرة النفس الّتي من شأنها أن تحمل الإثم ، والآية بيان ما في صحف إبراهيم و موسى عليهما‌السلام ، و كذا سائر الآيات المصدّرة بأن و أنّ إلى تمام سبع عشرة آية .

والمعنى ما في صحفهما هو أنّه لا تحمل نفس إثم نفس اُخرى أي لا تتأثّم نفس بما لنفس اُخرى من الإثم فلا تؤاخذ نفس بإثم نفس اُخرى .

**قوله تعالى** : « و أن ليس للإنسان إلّا ما سعى » قال الراغب : السعي المشي السريع و هو دون العدو ، و يستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أو شرّاً قال تعالى : « و سعى في خرابها » . انتهى و استعماله في الجدّ في الفعل استعمال استعاريّ .

و معنى اللّام في قوله : « للإنسان » الملك الحقيقيّ الّذي يقوم بصاحبه قياماً باقياً ببقائه يلازمه ولايفارقه بالطبع وهو الّذي يكتسبه الإنسان بصالح العمل أوطالحه من خير أو شرّ ، و أمّا ما يراه الإنسان مملوكاً لنفسه و هو في ظرف الاجتماع من مال و بنين وجاه و غير ذلك من زخارف الحياة الدنيا وزينتها فكلّ ذلك من الملك الاعتباريّ الوهميّ الّذي يصاحب الإنسان مادام في دار الغرور و يودّعه عند ما أراد الانتقال إلى دار الخلود و عالم الآخرة .

فالمعنى و أنّه لا يملك الإنسان ملكاً يعود إليه أثره من خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ حقيقة إلّا ما جدّ فيه من عمل فله ما قام بفعله بنفسه و أمّا ما قام به غيره من عمل فلا يلحق بالإنسان أثره خيراً أو شرّاً .

و أمّا الانتفاع من شفاعة الشفعاء يوم القيامة لأهل الكبائر فلهم في ذلك سعي جميل حيث دخلوا في حضيرة الإيمان بالله و آياته ، و كذا استفادة المؤمن بعد موته من استغفار المؤمنين له ، والأعمال الصالحة الّتي تهدى إليه مثوباتها هي مرتبطة بسعيه في الدخول في زمرة المؤمنين و تكثير سوادهم و تأييد إيمانهم الّذي من آثاره ما يأتون به من الأعمال الصالحة .

و كذا من سنّ سنّة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها ، و من سنّ سنّة سيّئة كان له وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإنّ له سعياً في عملهم حيث سنّ السنّة وتوسّل بها إلى أعمالهم كما تقدّم في تفسير قوله تعالى : « و نكتب ما قدّموا و آثارهم » يس : ١٢ ، و قد تقدّم في تفسير قوله : « وليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّة

ضعافاً خافوا عليهم » النساء : ٩ ، و تفسير قوله : « ليميز الله الخبيث من الطيّب » الأنفال : ٣٧ كلام نافع في هذا المقام ·

**قوله تعالى** : « و أنّ سعيه سوف يرى » المراد بالسعي ما سعى فيه من العمل و بالرؤية المشاهدة ، و ظرف المشاهدة يوم القيامة بدليل تعقيبه بالجزاء فالآية قريبة المعنى من قوله تعالى : « يوم تجدكلّ نفس ما عملت من خير محضراً وماعملت من سوء» آل عمران : ٣٠ ، و قوله : « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّا يره » الزلزال : ٨ .

و إتيان قوله : « سوف يرى » مبنيّا للمفعول لا يخلو من إشعار بأنّ هناك من يشاهد العمل غير عامله .

**قوله تعالى** : «ثمّ يجزاهالجزاء الأوفى» الوفاء بمعنىالتمام لأنّ الشيءالتامّ يفي بجميع ما يطلب من صفاته ، والجزاء الأوفى الجزاء الأتمّ .

و ضمير « يجزاه » للسعي الّذي هو العمل والمعنى ثمّ يجزى الإنسان عمله أي بعمله أتمّ الجزاء .

**قوله تعالى** : « و أنّ إلى ربّك المنتهى » المنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء و قد اُطلق إطلاقا فيفيد مطلق الانتهاء ،فما في الوجود من شيء موجود إلّا و ينتهي في وجوده و آثار وجوده إلى الله سبحانه بلا واسطة أومع الواسطة ، ولافيه أمر من التدبير والنظام الجاري جزئيّا أو كلّيّا إلّا و ينتهي إليه سبحانه إذ ليس التدبير الجاري بين الأشياء إلّا الروابط الجارية بينها القائمة بها و موجد الأشياء هو الموجد لروابطها المجري لها بينها فالمنتهى المطلق لكلّ شيء هو الله سبحانه .

قال تعالى : «الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض » الزمر : ٦٣ ، و قال : « ألاله الخلق والأمر » الأعراف : ٥٤ .

والآية تثبت الربوبيّة المطلقة لله سبحانه بإنهاء كلّ تدبير و كلّ التدبير إليه و تشمل انتهاء الأشياء إليه من حيث البدء وهو الفطر ، و انتهاءها إليه من حيثالعود والرجوع و هو الحشر .

و ممّا تقدّم يظهر ضعف ما قيل في تفسير الآية إنّ المراد بذلك رجوع الخلق إليه سبحانه يوم القيامة ، و كذا ما قيل : إنّ المعنى أنّ إلى ثواب ربّك وعقابه آخر الأمر ، و كذا ما قيل : المعنى أنّ إلى حساب ربّك منتهاهم ، و كذا ما قيل : إليه سبحانه ينتهي الأفكار و تقف دونه ، ففي جميع هذه التفاسير تقييد الآية من غير مقيّد .

**قوله تعالى** : « و أنّه هو أضحك و أبكى » الآية و ما يتلوها إلى تمام اثنتي عشرة آية بيان لموارد من انتهاء الخلق والتدبير إلى الله سبحانه .

والسياق في جميع هذه الآيات سياق الحصر ، و تفيد انحصار الربوبيّة فيه تعالى و انتفاء الشريك ، ولا ينافي ما في هذه الموارد من الحصر توسّط أسباب اُخر طبيعيّة أو غير طبيعيّة فيها كتوسّط السرور والحزن و أعضاء الضحك والبكاء من الإنسان في تحقّق الضحك والبكاء ، و كذا توسّط الأسباب المناسبة الطبيعيّة و غير الطبيعيّة في الإحياء والإماتة وخلق الزوجين والغنى والقنى و إهلاك الاُمم الهالكة و ذلك أنّها لمّا كانت مسخّرة لأمر الله غير مستقلّة في نفسها ولا منقطعة عمّا فوقها كانت وجوداتها و آثار وجوداتها و ما يترتّب عليها لله وحده لا يشاركه في ذلك أحد .

فمعنى قوله : « وأنّه هو أضحك و أبكى » أنّه تعالى هو أوجد الضحك في الضاحك و أوجد البكاء في الباكي لا غيره تعالى .

ولا منافاة بين انتهاء الضحك والبكاء في وجودهما إلى الله سبحانه و بين انتسابهما إلى الإنسان و تلبّسه بهما لأنّ نسبة الفعل إلى الإنسان بقيامه به و نسبة الفعل إليه تعالى بالإيجاد و كم بينهما من فرق .

ولا أنّ تعلّق الإرادة الإلهيّة بضحك الإنسان مثلا يوجب بطلان إرادة الإنسان للضحك و سقوطها عن التأثير لأنّ الإرادة الإلهيّة لم تتعلّق بمطلق الضحك كيفما كان و إنّما تعلّقت بالضحك الإراديّ الاختياريّ من حيث إنّه صادر عن إرادة الإنسان واختياره فإرادة الإنسان سبب لضحكه في طول إرادة الله سبحانه لا في عرضها حتّى تتزاحما ولا تجتمعا معاً فنضطرّ إلى القول بأنّ أفعال الإنسان الاختياريّة مخلوقة لله ولا صنع

للإنسان فيها كما يقوله الجبري أوأنّها مخلوقة للإنسان ولا صنع لله سبحانه فيها كما يقوله المعتزلي .

و ممّا تقدّم يظهر فساد قول بعضهم : إنّ معنى الآية أنّه خلق قوّتي الضحك والبكاء ، و قول آخرين : إنّ المعنى أنّه خلق السرور والحزن ، وقول آخرين : إنّ المعنى أنّه أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر و قول آخرين : إنّ المعنى أنّه أضحك أهل الجنّة و أبكى أهل النار .

**قوله تعالى** : « و أنّه هو أمات و أحيا » الكلام في انتساب الموت والحياة إلى أسباب اُخر طبيعيّة و غير طبيعيّة كالملائكة كالكلام في انتساب الضحك والبكاء إلى غيره تعالى مع انحصار الإيجاد فيه تعالى ، و كذا الكلام في الاُمور المذكورة في الآيات التالية .

**قوله تعالى** : « و أنّه خلق الزوجين الذكروالاُنثى من نطفة إذا تمنى» النطفة ماء الرجل والمرءة الّذي يخلق منه الولد ، و أمنى الرجل أي صبّ المنيّ ، و قيل : معناه التقدير ، و قوله : « الذكر والاُنثى» بيان للزوجين .

قيل : لم يذكر الضمير في الآية على طرز ما تقدّم ـ أنّه هو ـ لأنّه لا يتصوّر نسبة خلق الزوجين إلى غيره تعالى .

**قوله تعالى** : « و أنّ عليه النشأة الاُخرى » النشأة الاُخرى الخلقة الاُخرى الثانية و هي الدار الآخرة الّتي فيها جزاء ، و كون ذلك عليه تعالى قضاؤه قضاء حتم و قد وعد به و وصف نفسه بأنّه لا يخلف الميعاد .

**قوله تعالى** : « وأنّه هوأغنى وأقنى » أي أعطى الغنى و أعطى القنية ،والقنية ما يدوم من الأموال و يبقى ببقاء نفسه كالدار والبستان والحيوان ، و على هذا فذكر « أقنى » بعد « أغنى » من التعرّض للخاص بعد العامّ لنفاسته و شرفه .

و قيل : الإغناء التمويل والإقناء الإرضاء بذلك ، و قال بعضهم : معنى الآية أنّه هو أغنى و أفقر .

**قوله تعالى** : « و أنّه هوربّ الشعرى »كأنّ المراد بالشعرى الشعرى اليمانيّة

و هي كوكبة مضيئة من الثوابت شرقيّ صورة الجبّار في السماء .

قيل : كانت الخزاعة و حمير تعبد هذه الكوكبة ، و ممّن كان يعبده أبوكبشة أحد أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جهة اُمّه ، و كان المشركون يسمّونه صلى الله عليه وآله ابن أبي كبشة لمخالفته إيّاهم في الدين كما خالف أبو كبشة قومه في عبادة الشعرى .

**قوله تعالى** : « و أنّه أهلك عاداً الاُولى » وهم قوم هود النبيّ عليه السلام ووصفوا بالاُولى لأنّ هناك عاداً ثانية هم بعد عاد الاُولى .

**قوله تعالى** : «وثمود فما أبقى » وهم قوم صالح النبيّ عليه السلام أهلك الله الكفّار منهم عن آخرهم ، و هو المراد من قوله : « فما أبقى » و إلّا فهو سبحانه نجّى المؤمنين منهم من الهلاك كما قال : « و نجّينا الّذين آمنوا و كانوا يتّقون » فصّلت : ١٨ .

**قوله تعالى** : « و قوم نوح من قبل إنّهم كانواهم أظلم و أطغى » عطف كسابقه على قوله : « عاداً » والإصرار بالتأكيد على كونهم أظلم و أطغى ، أي من القومين عاد و ثمود على ما يعطيه السياق لأنّهم لم يجيبوا دعوة نوح عليه السلام ولم يتّعظوا بموعظته فيما يقرب من ألف سنة ولم يؤمن منهم معه إلّا أقلّ قليل .

**قوله تعالى** : « و المؤتفكة أهوى فغشّاها ما غشّى » قيل : إنّ المؤتفكة قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها أي انقلبت والائتفاك الانقلاب ، والإهواء الإسقاط .

والمعنى و أسقط القرى المؤتفكة إلى الأرض بقلبها و خسفها فشملها و أحاط بها من العذاب ما شملها و أحاط بها .

و احتمل أن يكون المراد بالمؤتفكة ما هو أعمّ من قرى قوم لوط و هي كلّ قرية نزل عليها العذاب فباد أهلها فبقيت خربة دائرة معالمها خاوية على عروشها .

**قوله تعالى** : « فبأيّ آلاء ربّك تتمارى » الآلاء جمع إلى بمعنى النعمة ، والتماري التشكّك ، والجملة متفرّعة على ما تقدّم ذكره ممّا ينسب إليه تعالى من الأفعال .

والمعنى إذا كان الله سبحانه هوالّذي نظم هذا النظام البديع من صنع و تدبير

بالإضحاك والإبكاء والاماتة والإحياء والخلق والإهلاك إلى آخر ما قيل فبأيّ نعم ربّك تتشكّك و في أيّها تريب .

و عدّ مثل الإبكاء والإماتة و إهلاك الاُمم الطاغية نعماً لله سبحانه لما فيها من الدخل في تكوّن النظام الأتمّ الّذي يجري في العالم و تنساق به الاُمور في مرحلة استكمال الخلق و رجوع الكلّ إلى الله سبحانه .

والخطاب في الآية للّذي تولّى و أعطى قليلا و أكدى أو للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من باب إيّاك أعني و اسمعي ياجارة ، والاستفهام للإنكار .

**قوله تعالى** : « هذا نذير من النذر الاُولى » قيل : النذير يأتي مصدراً بمعنى الإنذار و وصفا بمعنى المنذر ويجمع على النذر بضمّتين على كلا المعنيين والإشارة بهذا إلى القرآن أو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

**قوله تعالى** : « أزفت الآزفة » أي قربت القيامة والآزفة من أسماء القيامة قال تعالى : « و أنذرهم يوم الآزفة » المؤمن : ٨ .

**قوله تعالى** : « ليس لها من دون الله كاشفة » أي نفس كاشفة والمراد بالكشف إزالة ما فيها من الشدائد والأهوال ، والمعنى ليس نفس تقدر على إزالة ما فيها من الشدائد والأهوال إلّا أن يكشفها الله سبحانه .

**قوله تعالى** :«أفمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» الإشارة بهذا الحديث إلى ما تقدّم من البيان والسمود اللّهو ، والآية متفرّعة على ما تقدّم من البيان ، والاستفهام للتوبيخ .

والمعنى إذا كان الله هو ربّكم الّذي ينتهي إليه كلّ أمر و عليه النشأة الاُخرى و كانت القيامة قريبة و ليس لها من دون الله كاشفة كان عليكم أن تبكوا لمّا فرّطتم في جنب الله ، و تعرّضتم للشقاء الدائم أفمن هذا البيان الّذي يدعوكم إلى النجاة تعجبون إنكاراً و تضحكون استهزاء ولا تبكون ؟

**قوله تعالى** : « فاسجدوا لله و اعبدوا » تفريع آخر على ما تقدّم من البيان

والمعنى إذا كان كذلك فعليكم أن تسجدوا لله و تعبدوه ليكشف عنكم ما ليس له من دونه كاشفة .

## ﴾ بحث روائى ﴿

في الكشّاف في قوله تعالى : « أفرأيت الّذى تولّى » الخ روي أنّ عثمان كان يعطي ماله في الخير فقال له عبدالله بن سعد بن أبي سرح و هو أخوه من الرضاعة : يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان : إنّ لي ذنوبا وخطايا ، و إنّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجوعفوه فقال عبد الله : أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها فأعطاه و أشهدعليه و أمسك عن العطاء فنزلت ، و معنى « تولّى » ترك المركز يوم اُحد فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك و أجمل .

**اقول** : و أورد القصّة في مجمع البيان و نسبها إلى ابن عبّاس والسدّي والكلبيّ و جماعة من المفسّرين ، و في انطباق « تولّى » على تركه المركز يوم اُحد نظر والآيات مكّيّة .

و في الدرّ المنثور أخرج الفاريابيّ و عبدبن حميد و ابن جرير وابن المنذروابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : « أفرأيت الّذي تولّى » قال : الوليد بن المغيرة كان يأتي النبيّ ﷺ و أبابكر فسمع ما يقولان و ذلك ما أعطى من نفسه ، أعطى الاستماع « و أكدى » قال : انقطع عطاؤه نزل في ذلك « أعنده علم الغيب » قال : الغيب القرآن أرأى فيه باطلاً أنفذه ببصره إذ كان يختلف إلى النبيّ ﷺ و أبي بكر .

**اقول** : و أنت خبير بأنّ الآيات بظاهرها لا تنطبق على ما ذكره .

و روي أنّها نزلت في العاص بن وائل ، و روي أنّها نزلت في رجل لم يذكر اسمه .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « و إبراهيم الّذى وفّى » قال : وفّى بما أمره

الله به من الأمر والنهي و ذبح ابنه .

و في الكافي بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي إبراهيم عليه‌السلام قال : سألته عن الرجل يحجّ فيجعل حجّته و عمرته أو بعض طوافه لبعض أهله و هو عنه غائب في بلد آخر ؟ قال : قلت : فينتقص ذلك من أجره ؟ قال : هي له و لصاحبه وله أجر سوى ذلك بما وصل . قلت : و هو ميّت أيدخل ذلك عليه ؟ قال : نعم حتّى يكون مسخوطاً عليه فيغفر له أو يكون مضيّقا عليه فيوسّع له . قلت : فيعلم هو في مكانه أنّه عمل ذلك لحقه؟ قال : نعم . قلت : و إن كان ناصبا ينفعه ذلك ؟ قال : نعم يخفّف عنه .

**أقول** : مورد الرواية إهداء ثواب العمل دون العمل نيابة عن الميّت .

و فيه بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يقول الله عزّ وجلّ للملك الموكّل بالمؤمن إذا مرض : اكتب له ما كنت تكتب له في صحّته فإنّي أنا الّذي صيّرته في حبالي [1] .

و في الخصال عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال : صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة صدقة موقوفة لا تورث ، و سنّة هدى سنّها و كان يعمل بها و عمل بها من بعده غيره ، و ولد صالح يستغفر له .

**اقول** : و هذه الروايات الثلاث ـ و في معناها روايات كثيرة جدّاً عن أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام ـ توسّع معنى السعي في قوله تعالى : « و أن ليس للإنسان إلّا ما سعى » و قد تقدّمت إشارة إليها .

و في اُصول الكافي بإسناده إلى سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه‌السلام : إنّ الله يقول : « و إنّ إلى ربّك المنتهى » فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا .

**اقول** : و هو من التوسعة في معنى الانتهاء .

---

(١) الحبالة الوثاق .

و فيه بإسناده إلى أبي عبيدة الحذّاء قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إيّاك والخصومات فإنّها تورث الشكّ ، و تحبط العمل ، وتردي صاحبها ، و عسى أن يتكلّم بالشيء فلا يغفر له . إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكّلوا به ، و طلبوا علم ما كفّوه حتّى انتهى كلامهم إلى الله فتحيّروا حتّى كان الرجل يدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ، و يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه : قال : و في رواية اُخرى : حتّى تاهوا في الأرض .

و في الدرّ المنثور أخرج أبو الشيخ عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تفكّروا في خلق الله ولا تفكّروا في الله فتهلكوا .

**أقول** : و في النهي عن التفكّر في الله سبحانه روايات كثيرة اُخر مودعة في جوامع الفريقين ، والنهي إرشادىّ متعلّق بمن لا يحسن الورود في المسائل العقليّة العميقة فيكون خوضه فيها تعرّضاً للهلاك الدائم .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « و أنّه هو أضحك و أبكى » قال : السماء بالمطر ، و أضحك الأرض بالنبات .

**أقول** : هو من التوسعة في معنى الإبكاء والإضحاك .

و في المعاني بإسناده إلى السكونيّ عن جعفر بن محمّد عن آبائهم عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « و أنّه هو أغنى و أقنى » قال : أغنى كلّ إنسان بمعيشته ، و أرضاه بكسب يده .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « وأنّه هو ربّ الشعرى » قال : النجم في السماء يسمّى الشعرى كانت قريش و قوم من العرب يعبدونه ، و هو نجم يطلع في آخر الليل .

**اقول** : الظاهر أنّ قوله : « و هو نجم يطلع في آخر الليل » تعريف له بحسب زمان صدور الحديث و كان في الصيف و إلّا فهو يستوفي في مجموع السنة جميع ساعات الليل والنهار .

و فيه في قوله تعالى : « أزفت الآزفة » قال : قربت القيامة .

و في المجمع في قوله تعالى : « أفمن هذا الحديث تعجبون » يعني بالحديث ما تقدّم من الأخبار .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال : لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله « أفمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون ولا تبكون » فما رؤي النبيّ بعدها ضاحكا حتّى ذهب من الدنيا .



﴿ سورة القمر مكيّة وهي خمس و خمسون آية ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَ اِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْاَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ اِلٰى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعاً أَبْصٰارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدٰاثِ كَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ اِلَى الدّٰاعِ يَقُولُ الْكٰافِرُونَ هٰذٰا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) .

## ﴿ بيان ﴾

سورة ممحضّة في الإنذار والتخويف إلّا آيتين من آخرها تبشّران المتّقين بالجنّة والحضور عند ربّهم .

تبدء السورة بالإشارة إلى آية شقّ القمر الّتي أتى بها رسول الله صلّى الله عليه وآله عن اقتراح من قومه ، و تذكر رميهم له بالسحر و تكذيبهم به و اتّباعهم الأهواء مع ما جاءهم أنباء زاجرة من أنباء يوم القيامة و أنباء الاُمم الماضين الهالكين ثمّ يعيد تعالى عليهم نبذة من تلك الأنباء إعادة ساخط معاتب فيذكر سيّىء حالهم يوم القيامة عند خروجهم من الأجداث و حضورهم للحساب .

ثمّ تشير إلى قصص قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون وما نزل بهم من أليم العذاب إثر تكذيبهم بالنذر وليس قوم النبيّ صلّى الله عليه وآله بأعزّ عند الله منهم وماهم

بمعجزين ، و تختتم السورة ببشرى للمتّقين .

والسورة مكّيّة بشهادة سياق آياتها ، ولا يعبأ بما قيل : إنّها نزلت ببدر، وكذا بما قيل : إنّ بعض آياتها مدنيّة ، و من غرر آياتها ما في آخرها من آيات القدر .

**قوله تعالى** : «اقتربت الساعة و انشقّ القمر » الاقتراب زيادة في القرب فقوله: « اقتربت الساعة » أي قربت جدّاً ، والساعة هي الظرف الّذي تقوم فيه القيامة .

و قوله : « و انشقّ القمر » أي انفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقّتين تشير الآية إلى آية شقّ القمر الّتي أجراها الله تعالى على يد النبيّ ﷺ بمكّة قبل الهجرة إثر سؤال المشركين من أهل مكّة ، وقد استفاضت الروايات على ذلك ، و اتّفق أهل الحديث والمفسّرون على قبولها كما قيل . ولم يخالف فيه منهم إلّا الحسن و عطاء و البلخيّ حيث قالوا : معنى قوله : «انشقّ القمر » سينشقّ القمر عند قيام الساعة وإنّما عبّر بلفظ الماضي لتحقّق الوقوع .

و هو مزيّف مدفوع بدلالة الآية التالية « وإن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمرّ » فإنّ سياقها أوضح شاهد على أنّ قوله « آية » مطلق شامل لانشاق القمر فعند وقوعه إعراضهم و قولهم : سحر مستمرّ ومن المعلوم أنّ يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق و يلجؤن فيه إلى المعرفة ، ولا معنى حينئذٍ لقولهم في آية ظاهرة : إنّها سحر مستمرّ فليس إلّا أنّها آية قد وقعت للدلالة على الحقّ و الصدق و تأتّى لهم أن يرموها عناداً بأنّها سحر .

و مثله في السقوط ما قيل : إنّ الآية إشارة إلى ما ذهب إليه الرياضيّون أخيرا أنّ القمر قطعة من الأرض كما أنّ الأرض جزء منفصل من الشمس فقوله: «وانشقّ القمر» إشارة حقيقة علميّة لم ينكشف يوم النزول بعد .

و ذلك أنّ هذه النظريّة على تقدير صحّتها لا يلائمها قوله : « و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمرّ » إذ لم ينقل عن أحد أنّه قال للقمر : هو سحر مستمرّ . على أنّ انفصال القمر عن الأرض اشتقاق والّذى في الآية الكريمة انشقاق ، ولا

يطلق الانشقاق إلّا على تقطّع الشيء في نفسه قطعتين دون انفصاله من شيء بعد ما كان جزء منه .

و مثله في السقوط ما قيل : إنّ معنى انشقاق القمر انكشاف الظلمة عند طلوعه و كذا ما قيل : إنّ انشقاق القمر كناية عن ظهور الأمر ووضوح الحقّ .

والآية لا تخلو من إشعار بأنّ انشقاق القمر من لوازم اقتراب الساعة .

**قوله تعالى** : « و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمرّ » الاستمرار من الشيّ مرور منه بعد مرور مرّة بعد مرّة ، و لذا يطلق على الدوام والاطّراد فقولهم: سحر مستمرّ أي سحر بعد سحر مداوماً .

وقوله : «آية» نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، والمعنى وكلّ آية يشاهدونها يقولون فيها إنّها سحر بعد سحر ، و فسّر بعضهم المستمرّ بالمحكم الموثّق ، و بعضهم بالذاهب الزائل ، وبعضهم بالمستبشع المنفور ، و هي معان بعيدة .

**قوله تعالى** : « وكذّبوا واتّبعوا أهواءهم وكلّ أمر مستقرّ » متعلّق التكذيب بقرينة ذيل الآية هو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و ما أتى به من الآيات أي وكذّبوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و ما أتى به من الآيات والحال أنّ كلّ أمر مستقرّ سيستقرّ في مستقرّه فيعلم أنه حقّ أو باطل و صدق أو كذب فسيعلمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صادق أو كاذب ، على الحقّ أولا فقوله : « و كلّ أمر مستقرّ » في معنى قوله : « و لتعلمنّ نبأه بعد حين » ص : ٨٨ .

و قيل متعلّق التكذيب انشقاق القمر والمعنى و كذّبوا بانشقاق القمر و اتّبعوا أهواءهم ، و جملة « و كلّ أمر مستقرّ » لا تلائمه تلك الملاءمة .

**قوله تعالى** : « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » المزدجر مصدر ميميّ و هو الاتّعاظ ، و قوله : « من الأنباء » بيان لما فيه مزدجر ، والمراد بالأنباء أخبار الاُمم الدارجة الهالكة أوأخبار يوم القيامة وقد احتمل كلّ منهما ، والظاهر من تعقيب الآية بأنباء يوم القيامة ثمّ بأنباء عدّة من الاُمم الهالكة أنّ المراد بالأنباء الّتي فيها مزدجر جميع ذلك .

**قوله تعالى** : « حكمة بالغة فما تغن النذر » الحكمة كلمة الحقّ الّتي ينتفع

بها ، والبلوغ وصول الشيء إلى ما تنتهي إليه المسافة ويكنّى به عن تمام الشيء وكماله فالحكمة البالغة هي الحكمة التامّة الكاملة الّتي لا نقص فيها من حيث نفسها و من حيث أثرها .

و قوله : « فما تغن النذر » الفاء فيه فصيحة تفصح عن جملة مقدّرة تترتّب عليها الكلام ، والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو بمعنى الإنذار والكلّ صحيح و إن كان الأوّل أقرب إلى الفهم .

والمعنى هذا القرآن أو الّذي يدعون إليه حكمة بالغة كذّبوا بها و اتّبعوا أهواءهم فما تغني المنذرون أو الإنذارات ؟

**قوله تعالى** : « فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر » التولّي الإعراض والفاء في « فتولّ » لتفريع الأمر بالتولّي على ما تقدّمه من وصف حالهم أي إذا كانوا مكذّبين بك متبّعين أهواءهم لا يغني فيهم النذر ولا تؤثّر فيهم الزواجر فتولّ عنهم ولا تلحّ عليهم بالدعوة .

و قوله : « يوم يدع الداع إلى شيء نكر » قال الراغب : الإنكار ضدّ العرفان يقال : أنكرت كذا و نكرت ، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوّره ، و ذلك ضرب من الجهل قال تعالى : « فلمّا رآى أيديهم لاتصل إليه نكرهم » . قال : والنكر الدهاء والأمر الصعب الّذي لا يعرف . انتهى .

وقد تمّ الكلام في قوله : « فتولّ عنهم » ببيان حالهم تجاه الحكمة البالغة الّتي اُلقيت إليهم والزواجر الّتي ذكّروا بها على سبيل الإنذار ، ثمّ أعاد سبحانه نبذة من تلك الزواجر الّتي هي أنباء من حالهم يوم القيامة ومن عاقبة حال الاُمم المكذّبين من الماضين في لحن العتاب والتوبيخ الشديد الّذي تهزّ قلوبهم للانتباه و تقطع منابت أعذارهم في الإعراض .

فقوله : « يوم يدع الداع » الخ كلام مفصول عمّا قبله لذكر الزواجر الّتي اُشير إليها سابقاً في مقام الجواب عن سؤال مقدّر كأنّه لمّا قال : « فتولّ عنهم » سئل فقيل: « فإلام يؤل أمرهم ؟ فقيل : « يوم يدع » الخ أي هذه حال آخرتهم و تلك عاقبة دنيا

أشياعهم و أمثالهم من قوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم ، و ليسوا خيراً منهم .

وعلى هذا فالظرف في«يوم يدع» متعلّق بما سيأتي من قوله: « يخرجون»والمعنى يخرجون من الأجداث يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر ، الخ ، و إمّا متعلّق بمحذوف والتقدير اذكر يوم يدعو الداعي ، والمحصّل اذكر ذاك اليوم و حالهم فيه ، والآية في معنى قوله : « هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الساعة » الزخرف : ۶۶ ، وقوله : « فهل ينتظرون إلّا مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم » يونس : ۱۰۲ .

و لم يسمّ سبحانه هذا الداعي من هو ؟ و قد نسب الدعوة في موضع من كلامه إلى نفسه فقال : « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده » أسرى : ۵۲ .

و إنّما أورد من أنباء القيامة نبأ دعوتهم للخروج من الأجداث والحضور لفصل القضاء و خروجهم منها خشّعاً أبصارهم مهطعين إلى الداعي ليحاذي به دعوتهم في الدنيا إلى الإيمان بالآيات و إعراضهم و قولهم : سحر مستمرّ .

ومعنى الآية اذكر يوم يدعو الداعي إلى أمر صعب عليهم و هو القضاء والجزاء.

**قوله تعالى** : « خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر » الخشّع جمع خاشع والخشوع نوع من الذلّة و نسب إلى الأبصار لأنّ ظهوره فيها أتمّ .

والأجداث جمع جدث و هو القبر ، والجراد حيوان معروف ، و تشبيههم في الخروج من القبور بالجراد المنتشر من حيث أنّ الجراد في انتشاره يدخل البعض منه في البعض و يختلط البعض بالبعض في جهات مختلفة فكذلك هؤلاء في خروجهم من القبور قال تعالى : « يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم» المعارج : ۴۴ .

**قوله تعالى** : « مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » أي حال كونهم مسرعين إلى الداعي مطيعين مستجيبين دعوته يقول الكافرون : هذا يوم عسر أي صعب شديد .

## ﴿بحث روائی﴾

في تفسير القمي « اقتربت الساعة » قال : اقتربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا القيامة وقد انقضت النبوّة والرسالة .

و قوله : « وانشق القمر » فإنّ قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية فدعا الله فانشقّ القمر نصفين حتّى نظروا إليه ثمّ التأم فقالوا : هذا سحر مستمرّ أي صحيح.

وفي أمالي الشيخ بإسناده عن عبيد الله بن علي عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال : انشقّ القمر بمكّة فلقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اشهدوا اشهدوا .

**اقول** : ورد انشقاق القمر لرسول الله صلى الله عليه وآله في روايات الشيعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام كثيراً و قد تسلّمه محدّثوهم والعلماء من غير توقّف .

و في الدرّ المنثور أخرج عبد الرزّاق و أحمد و عبد بن حميد و مسلم و ابن جرير و ابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس قال : سأل أهل مكّة النبيّ صلى الله عليه وآله آية فانشقّ القمر بمكّة فرقتين فنزلت « اقتربت الساعة و انشقّ القمر » إلى قوله : « سحر مستمرّ » أي ذاهب .

و فيه أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال : انشقّ القمر على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله فقال قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة فقالوا : انتظروا ما يأتيكم به السفار فإنّ محمّداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم فجاء السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه فأنزل الله « اقتربت الساعة و انشقّ القمر » .

و فيه أخرج مسلم والترمذي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه والحاكم والبيهقي و أبو نعيم في الدلائل من طريق مجاهد عن ابن عمر في قوله : « اقتربت الساعة و انشقّ القمر » قال : كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انشقّ فرقتين : فرقة من دون الجبل و فرقة خلفه فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : اللّهمّ اشهد .

و فيه أخرج أحمد و عبد بن حميد والترمذيّ و ابن جرير والحاكم و أبو نعيم والبيهقيّ عن جبير بن مطعم في قوله : « و انشقّ القمر » قال : انشقّ القمر و نحن بمكّة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى صار فرقتين : فرقة على هذا الجبل و فرقة على هذا الجبل فقال الناس : سحرنا محمّد فقال رجل : إن كان سحركم فإنّه لا يستطيع أن أن يسحر الناس كلّهم .

و فيه أخرج ابن جرير و ابن مردويه و أبو نعيم في الدلائل عن ابن عبّاس في قوله : « اقتربت الساعة و انشقّ القمر » قال : قد مضى ذلك قبل الهجرة انشقّ القمر حتّى رأوا شقّيه .

و فيه أخرج ابن أبي شيبة و عبد بن حميد وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير و ابن مردويه و أبونعيم عن أبي عبد الرحمان السلميّ قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله و أثنى عليه . ثمّ قال : اقتربت الساعة و انشقّ القمر ألا و إنّ الساعة قد اقتربت . ألا و إنّ القمر قد انشقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله . ألا و إنّ الدنيا قد آذنت بفراق . ألا و إنّ اليوم المضمار و غداً السباق .

**اقول** : وقد روي انشقاق القمر بدعاء النبيّ صلى الله عليه وآله بطرق مختلفة كثيرة عن هؤلاء النفر من الصحابة وهم أنس ، و عبد الله بن مسعود ، و ابن عمر ، وجبير بن مطعم، وابن عبّاس وحذيفة بن اليمان ، و عدّ في روح المعاني ممّن روي عنه الحديث من الصحابة عليّاً عليه السلام ثمّ نقل عن السيّد الشريف في شرح المواقف وعن ابن السبكيّ في شرح المختصر أنّ الحديث متواتر لايمترى في تواتره . هذه حال الحديث عندأهل السنّة وقد عرفت حاله عند الشيعة .

# ﴿ كلام فيه اجمال القول في شق القمر ﴾

آية شقّ القمر بيد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكّة قبل الهجرة باقتراح من المشركين ممّا تسلّمها المسلمون بلا ارتياب منهم .

و يدلّ عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهرة قوله تعالى : « اقتربت الساعة و انشقّ القمر و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمرّ » القمر : ٢ فالآية الثانية تأبى إلّا أن يكون مدلول قوله : « و انشقّ القمر » آية واقعة قريبة من زمان النزول أعرض عنها المشركون كسائر الآيات الّتي أعرضوا عنها و قالوا : سحر مستمرّ .

و يدلّ عليها من الحديث روايات مستفيضة متكاثرة رواها الفريقان و تسلّمها المحدّثون ، و قد تقدّمت نماذج منها في البحث الروائيّ .

فالكتاب والسنّة يدلّان عليها و انشقاق كرة من الكرات الجوّيّة ممكن في نفسه لا دليل على استحالته العقليّة ، و وقوع الحوادث الخارقة للعادة ـ و منها الآيات المعجزات ـ جائز وقد قدّمنا في الجزء الأوّل من الكتاب تفصيل الكلام فيها إمكاناً ووقوعاً و من أوضح الشواهد عليه القرآن الكريم فمن الواجب قبول هذه الآية و إن لم يكن من ضروريّات الدين .

و اعترض عليها بأنّ صدور الآية المعجزة منه صلى الله عليه وآله وسلم باقتراح من الناس ينافي قوله تعالى : « و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلّا أن كذّب بها الأوّلون و آتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها و ما نرسل بالآيات إلّا تخويفا » أسرى : ٥٩ فإنّ مفاد الآية إمّا أنّا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمّة لأنّ الاُمم السابقة كذّبوا بها و هؤلاء يماثلونهم في طباعهم فيكذّبون بها ، ولا فائدة في الارسال مع عدم ترتّب أثر عليه أو المفاد أنّا لا نرسل بها لأنّا أرسلنا إلى أوّليهم فكذبوا بها فعذّبوا و اُهلكوا و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذّبوا بها و عذّبوا عذاب الاستئصال لكنّا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب ، و على أيّ حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الاُمّة كما كانت ترسل إلى الاُمم الدارجة .

نعم هذا في الآيات المرسلة باقتراح من الناس دون الآيات الّتي تؤيّد بها الرسالة

كالقرآن المؤيّد لرسالة النبيّ ﷺ و كآيتي العصا واليد لموسى عليه السلام و آية إحياء الموتى و غيرها لعيسى عليه السلام ، و كذا الآيات النازلة لطفاً منه سبحانه كالخوارق الصادرة عن النبيّ ﷺ لا عن اقتراح منهم .

و مثل الآية السابقة قوله تعالى : « و قالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ـ إلى أن قال ـ قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولاً » أسرى:٩٣ و غير ذلك من الآيات .

والجواب عن هذا الاعتراض يحتاج إلى تقديم مقدّمة هي أنّ النبيّ ﷺ بعث رسولاً إلى أهل الدنيا كافّة بنبوّة خاتمة كما يدلّ عليه قوله تعالى : « قل يا أيّها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا » الأعراف : ١٥٨ ، و قوله : « و اُوحي إليّ هذا القرآن لاُنذركم به و من بلغ » الأنعام : ١٩ ، و قوله : « و لكن رسول الله و خاتم النبيّين » الأحزاب : ٤٠ إلى غير ذلك من الآيات .

و قد بدء ﷺ و هو بمكّة بدعوة قومه من أهل مكّة و حواليها فقابلوه بما استطاعوا من الشقاق والإيذاء والاستهزاء وهمّوا بإخراجه أو إثباته أو قتله حتّى أمره ربّه بالهجرة غير أنّه آمن به و هو بمكّة جمع كثير منهم وإن كانت عامّتهم على الكفر والمؤمنون و إن كانوا قليلين بالنسبة إلى المشركين مضطهدين مفتّنين لكنّهم كانوا في أنفسهم جمعاً ذا عدد كما يدلّ عليه قوله تعالى : « ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديكم و أقيموا الصلاة » النساء: ٧٧. فقد استجازوا النبيّ ﷺ أن يقاتلوا المشركين فلم يأذن الله لهم في ذلك على ما روي في سبب نزول الآية ، و هذا يدلّ على أنّهم كانوا ذوي عدّة و عدّة في الجملة ولم يزالوا يزيدون جمعا .

ثمّ هاجر ﷺ إلى المدينة و بسط هنالك الدعوة ونشر الإسلام فيها وفي حواليها و في القبائل و في اليمن و سائر أقطار الجزيرة ما عدا مكّة و حواليها ثمّ بسط الدعوة على غير الجزيرة فكاتب الملوك والعظماء من فارس والروم و مصر سنة ستّ من الهجرة ثمّ فتح مكّة سنة ثمان من الهجرة و قد أسلم ما بين الهجرة و الفتح جمع من أهلها و حواليها .

ثمّ ارتحل صلى الله عليه وآله و كان من انتشار الإسلام ما كان ، ولم يزل الإسلام يزيد جمعاً و ينتشر صيتاً إلى يومنا هذا وقد بلغوا خمس أهل الأرض عددا .

إذا تمهّد هذا فنقول : كانت آية انشقاق القمر آية اقتراحيّة تستعقب العذاب لو كذّبوا بها و قد كذّبوا و قالوا : سحر مستمرّ وماكان الله ليهلك بهاجميع من اُرسل إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله و هم أهل الأرض جميعاً لعدم تمام الحجّة عليهم يومئذ و قد كان الانشقاق سنة خمس قبل الهجرة ، و قد قال تعالى : « ليهلك من هلك عن بيّنة » الأنفال : ٤٢ .

و ما كان الله ليهلك جميع أهل مكّة و حواليها خاصّة و بينهم جمع من المسلمين كما قال تعالى : « و لو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذّبنا الّذين كفروا منهم عذابا أليما » الفتح : ٢٥ .

و ما كان الله سبحانه لينجّي المؤمنين و يهلك كفّارهم و قد آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة خمس قبل الهجرة وسنة ثمان بعد الهجرة عام فتح مكّة ثمّ آمنت عامّتهم يوم الفتح والإسلام كان يكتفي منهم بظاهر الشهادتين .

و لم تكن عامّة أهل مكّة و حواليها أهل عناد و جحود و إنّما كان أهل الجحود والعناد عظماؤهم و صناديدهم المستهزئين بالنبيّ صلى الله عليه وآله المعذّبين للمؤمنين، المقترحين عليه بالآيات و هم الّذين يقول تعالى فيهم : « إنّ الّذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » البقرة : ٦ و قد أوعدالله هؤلاء الجاحدين المقترحين بتحريم الإيمان والهلاك في مواضع من كلامه فلم يؤمنوا و أهلكهم الله يوم بدر و تمّت كلمة الربّ صدقاً و عدلاً .

و أمّا التمسّك لنفي إرسال الآيات مطلقا بقوله تعالى : « و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلّا أن كذّب بها الأوّلون » فالآية لا تشمل قطعا الآيات المؤيّدة للرسالة كالقرآن المؤيّد لرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله ، و كذا الآيات النازلة لطفاً كالخوارق الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الإخبار بالمغيبات و شفاء المرضى بدعائه وغير ذلك .

فلو كانت مطلقة فإنّما تشمل الآيات الاقتراحيّة وتفيد أنّ الله سبحانه لم يرسل الآيات الّتي اقترحتها قريش ـ أولم [1] يرسل النبيّ ﷺ بالآيات الّتي اقترحوها ـ لأنّ الاُمم السابقة كذّبوا بها و طباع هؤلاء المقترحين طباعهم يكذّبون بها ولازمها نزول العذاب والله لا يريد أن يعذّبهم عاجلا .

و قد أوضح سبحانه سبب عدم معاجلتهم بالعذاب بقوله : « و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذّبهم و هم يستغفرون » الأنفال : ٣٣ و استبان بذلك أنّ المانع من عذابهم وجود الرسول فيهم كما يفيده أيضاً قوله تعالى : « وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها و إذاً لا يلبثون خلافك إلّا قليلا » أسرى : ٧٦ .

ثمّ قال تعالى : « و مالهم ألّا يعذّبهم الله و هم يصدّون عن المسجد الحرام و ما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلّا المتّقون و لكنّ أكثرهم لا يعلمون و ما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً و تصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » الأنفال: ٣٥ والآيات نزلت عقيب غزوة بدر .

والآيات تبيّن أنّه لم يكن من قبلهم مانع من نزول العذاب غير وجود النبيّ صلّى الله عليه و آله بينهم فإذا زال المانع بخروجه من بينهم فليذوقوا العذاب و هو ما أصابهم في وقعة بدر من القتل الذريع .

و بالجملة كان المانع من إرسال الآيات تكذيب الأوّلين ومماثلتهم لهم في خصيصة التكذيب ووجود النبيّ ﷺ بينهم المانع من معاجلة العذاب فإذا وجد مقتض للعذاب كالصدّ والمكاء والتصدية وزال أحد ركني المانع وهو كونه ﷺ فيهم فلا مانع من العذاب ولا مانع من نزول الآية و إرسالها ليحقّ عليهم القول فيعذّبوا بسبب تكذيبهم لها و بسبب مقتضيات اُخر كالصدّ ونحوه .

فتحصّل أنّ قوله تعالى : « و ما منعنا أن نرسل بالآيات » الخ إنّما يفيد

(١) اول شقى الترديد مبنى على كون الباء فى قوله : « نرسل بالايات » زائدة والايات مفعول نرسل ، والثانى مبنى على كونها بمعنى المصاحبة والمفعول محذوفا .

الإمساك عن إرسال الآيات مادام النبيّ صلّى الله عليه وآله فيهم و أمّا إرسالها و تأخير العذاب إلى خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه و قد صرّح سبحانه بأنّ وقعة بدر كانت آية و ما أصابهم فيها كان عذابا ، و كذا لو كان مفاد الآية هو الامتناع عن الإرسال لكونه لغواً بسبب كونهم مجبولين على التكذيب فإنّ إرسالها مع تأخير العذاب والنكال إلى خروج النبيّ صلّى الله عليه وآله من بينهم من الفائدة ليحقّ الله الحقّ و يبطل الباطل فلتكن آية انشقاق القمر من الآيات النازلة الّتي من فائدتها نزول العذاب عليهم بعد خروج النبيّ صلّى الله عليه وآله من بينهم .

و أمّا قوله تعالى : « قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولا » فليس مدلوله نفي تأييد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالآيات المعجزة و إنكار نزولها من أصلها كيف ؟ و هو ينفيها عن نفسه بما أنّه بشر رسول ، ولوكان المراد ذلك لأفاد إنكار معجزات الأنبياء جميعاً لكون كلّ منهم بشراً رسولا ، و صريح القرآن فيما حدّث من قصص الأنبياء و أخبر عن آياتهم يناقض ذلك ، و أوضح من الجميع في مناقضة ذلك نفس الآية الّتي هي من القرآن المتحدّي بالإعجاز .

بل مدلوله أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله بشر رسول غير قادر من حيث نفسه على شيء من الآيات الّتي يقترحون عليه ، و إنّما الأمر إلى الله سبحانه إن شاء أنزلها و إن لم يشأ لم يفعل قال تعالى : « و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها قل إنّما الآيات عند الله و ما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون » الأنعام : ١٠٩ ، و قال حاكياً عن قوم نوح : « قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنّما يأتيكم به الله إن شاء » هود : ٣٣ ، و قال : « و ما كان لرسول أن يأتي بآية إلّا بإذن الله » المؤمن : ٧٨ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

و من الاعتراض على آية الانشقاق ما قيل : إنّ القمر لو انشقّ كما يقال لرآه جميع الناس ، ولضبطه أهل الأرصاد في الشرق والغرب لكونه من أعجب الآيات السماويّة ولم يعهد فيما بلغ إلينا من التاريخ والكتب الباحثة عن الأوضاع السماويّة له نظير والدواعي متوفّرة على استماعه و نقله .

و اُجيب بما حاصله أنّ من الممكن أوّلا أن يغفل عنه فلا دليل على كون كلّ حادث أرضيّ أو سماويّ معلوماً للناس محفوظاً عندهم يرثه خلف عن سلف .

و ثانيا : أنّ الحجاز و ما حولها من البلاد العربيّة وغيرها لم يكن بها مرصد للأوضاع السماويّة ، و إنّما كان ماكان من المراصد بالهند والمغرب من الروم ويونان و غيرهما و لم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت ـ و هو على ما في بعض الروايات أوّل الليلة الرابعة عشرة من ذي الحجّة سنة خمس قبل الهجرة ـ .

على أنّ بلاد الغرب الّتي كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكّة من اختلاف الاُفق ما يوجب فصلاً زمانيّا معتداً به و قد كان القمر ـ على ما في بعض الروايات ـ بدراً وانشقّ في حوالي غروب الشمس حين طلوعه ولم يبق على الانشقاق إلّا زماناً يسيراً ثمّ التأم فيقع طلوعه على بلاد الغرب وهو ملتئم ثانيا .

على أنّا نتّهم غير المسلمين من أتباع الكنيسة والوثنيّة في الاُمور الدينيّة الّتي لها مساس نفع بالإسلام .

و من الاعتراض عليها ما قيل : إنّ الانشقاق لايقع إلّا ببطلان التجاذب بين الشقّتين و حينئذ يستحيل الالتيام فلو كان منشقّاً لم يلتئم أبدا .

والجواب عنه أنّ الاستحالة العقليّة ممنوعة ، والاستحالة العاديّة بمعنى اختراق العادة لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق لمنعت أوّلاً عن الانشقاق بعد الالتيام ولم تمنع و أصل الكلام مبنيّ على جواز خرق العادة .



☆ ☆ ☆

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ (٢٤) ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ (٢٧) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠) وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢).

## (بيان)

إشارة إلى بعض ما فيه مزدجر من أنباء الأمم الدارجة خصّ بالذكر من بينهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون فذكّرهم بأنبائهم و أعاد عليهم إجمال ما قصّ عليهم سابقاً من قصصهم و ما آل إليه تكذيبهم بآيات الله و رسله من أليم العذاب و هائل العقاب تقريراً لقوله : « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » .

و لتوكيد التقرير و تمثيل ما في هذه القصص الزاجرة من الزجر القارع للقلوب عقّب كلّ واحدة من القصص بقوله خطاباً لهم : « فكيف كان عذابي و نذر » ثمّ ثنّاه بذكر الغرض من الإنذار والتخويف فقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » .

**قوله تعالى** : « كذّبت قبلهم قوم نوح فكذّبوا عبدنا و قالوا مجنون وازدجر» التكذيب الأوّل منزّل منزلة اللازم أي فعلت التكذيب ، و قوله : « فكذّبوا عبدنا» الخ تفسيره كما في قوله : « و نادى نوح ربّه فقال » الخ هود : ٤٥ .

وقيل : المراد بالتكذيب الأوّل التكذيب المطلق وهو تكذيبهم بالرسل، وبالثاني التكذيب بنوح خاصّة كقوله في سورة الشعراء : «كذّبت قوم نوح المرسلين » الشعراء ١٠٥ ، والمعنى كذّبت قوم نوح المرسلين فترتّب عليه تكذيبهم لنوح . وهو وجه حسن.

و قيل : المراد بتفريع التكذيب على التكذيب الإشارة إلى كونه تكذيباً إثر تكذيب بطول زمان دعوته فكلّما انقرض قرن منهم مكذّب جاء بعدهم قرن آخر مكذّب و هو معنى بعيد .

و مثله قول بعضهم : إنّ المراد بالتكذيب الأوّل قصده و بالثاني فعله .

و قوله : « فكذّبوا عبدنا » في التعبير عن نوح عليه السلام بقوله : « عبدنا » في مثل المقام تجليل لمقامه و تعظيم لأمره وإشارة إلى أنّ تكذيبهم له يرجع إليه تعالى لأنّه عبد لا يملك شيأ و ماله فهو لله .

وقوله : « و قالوا مجنون وازدجر » المراد بالازدجار زجر الجنّ له إثر الجنون والمعنى ولم يقتصروا على مجرّد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون و ازدجره الجن فلا يتكلّم إلّا عن زجر وليس كلامه من الوحي السماويّ في شيء .

و قيل : الفاعل المحذوف للازدجار هو القوم والمعنى و ازدجره القوم عن الدعوة والتبليغ بأنواع الإيذاء والتخويف ، و لعلّ المعنى الأوّل أظهر .

**قوله تعالى** : « فدعا ربّه أنّي مغلوب فانتصر» الانتصار الانتقام ، و قوله: «إنّي مغلوب » أي بالقهر والتحكّم دون الحجّة ، وهذا الدعاء تلخيص لتفصيل دعائه، وتفصيل دعائه مذكور في سورة نوح وتفصيل حججه في سورة هود و غيرها .

**قوله تعالى** : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » قال في المجمع : الهمر صبّ الدمع والماء بشدّة ، والانهمار الانصباب انتهى ، و فتح أبواب السماء و هي الجوّ بماء منصبّ استعارة تمثيليّة عن شدّة انصباب الماء وجريان المطر متوالياً كأنّه مدّخر وراء

باب مسدود يمنع عن انصبابه ففتح الباب فانصب أشد ما يكون .

**قوله تعالى** : « و فجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » قال في المجمع : التفجير تشقيق الأرض عن الماء ، والعيون جمع عين الماء و هو ما يفور من الأرض مستديراً كاستدارة عين الحيوان . انتهى .

والمعنى جعلنا الأرض عيوناً منفجرة عن الماء تجري جرياناً متوافقاً متتابعاً .

وقوله : «فالتقى الماء على أمرقدقدر» أي فالتقى الماءان ماء السماء وماءالأرض مستقراً على أمر قدره الله تعالى أي حسب ما قدر من غير نقيصة ولا زيادة ولا عجل ولا مهل .

فالماء اسم جنس اُريد به ماء السماء و ماء الأرض و لذلك لم يثن ، والمراد بأمر قد قدر الصفة الّتي قدرها الله لهذا الطوفان .

**قوله تعالى** : « و حملناه على ذات ألواح و دسر » المراد بذات الألواح والدسر السفينة ، والألواح جمع لوح و هو الخشبة الّتي يركّب بعضها على بعض في السفينة والدسر جمع دسار و دسر و هو المسمار الّذي تشد بها الألواح في السفينة ، وقيل فيه معان اُخر لا تلائم الآية تلك الملاءمة .

**قوله تعالى** : « تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر » أي تجري السفينة على الماء المحيط بالأرض بأنواع من مراقبتنا و حفظنا و حراستنا ، و قيل : المراد تجري بأعين أوليائنا و من وكّلناه بها من الملائكة .

و قوله : « جزاء لمن كان كفر » أي جريان السفينة كذلك و فيه نجاة من فيها من الهلاك ليكون جزاء لمن كان كفر به و هو نوح عليه‌السلام كفر به و بدعوته قومه فالآية في معنى قوله : « و نجيناه و أهله من الكرب العظيم - إلى أن قال - إنا كذلك نجزي المحسنين » الصافات : ٨٠ .

**قوله تعالى** : « و لقد تركناها آية فهل من مدكر» ضمير « تركناها » للسفينة على ما يفيده السياق واللام للقسم ، والمعنى اُقسم لقد أبقينا تلك السفينة الّتي نجينا بها نوحا و الذين معه ، وجعلناها آية يعتبر بها من اعتبر فهل من متذكّر يتذكّر بها وحدانيته

تعالى و أنّ دعوة أنبيائه حقّ ، وأنّ أخذه أليم شديد ، ولازم هذا المعنى بقاء السفينة إلى حين نزول هذه الآيات علامة دالّة على واقعة الطوفان مذكّرة لها ، وقد قال بعضهم في تفسير الآية على ما نقل : أبقى الله سفينة نوح على الجودي حتّى أدركها أوائل هذه الاُمّة[1] انتهى و قد أوردنا في تفسير سورة هود في آخر الأبحاث حول قصّة نوح خبر أنّهم عثروا في بعض قلل جبل آراراط و هو الجودي قطعات أخشاب من سفينة متلاشية وقعت هناك فراجع .

و قيل : ضمير « تركناها » لمّا مرّ من القصّة بما أنّها فعله .

**قوله تعالى** : « فكيف كان عذابي و نذر » النذر جمع نذير بمعنى الإنذار و قيل : مصدر بمعنى الإنذار . والظاهر أنّ «كان» ناقصة واسمها «عذابي» ، و خبرها « فكيف » و يمكن أن تكون تامّة فاعلها قوله : « عذابي » و قوله : « فكيف » حالاً منه .

و كيف كان فالاستفهام للتهويل يسجّل به شدّة العذاب و صدق الإنذار .

**قوله تعالى** : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » :التيسير التسهيل و تيسير القرآن للذكر هو إلقاؤه على نحو يسهل فهم مقاصده للعامّي والخاصّي والأفهام البسيطة والمتعمّقة كلّ على مقدار فهمه .

و يمكن أن يراد به تنزيل حقائقه العالية و مقاصده المرتفعة عن اُفق الأفهام العاديّة إلى مرحلة التكليم العربيّ تناله عامّة الأفهام كما يستفاد من قوله تعالى : «إنّا جعلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون و إنّه في اُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم » الزخرف : ٤ .

والمراد بالذكر ذكره تعالى بأسمائه أو صفاته أو أفعاله قال في المفردات : الذكر تارة يقال و يراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره و تاره

---

(١) رواه في الدر المنثور عن عبدالرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن قتادة .

يقال لحضور الشيء القلب أو القول ، و لذلك قيل الذكر ذكران : ذكر بالقلب و ذكر باللسان و كلّ واحد منهما ضربان : ذكر عن نسيان و ذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ ، و كلّ قول يقال له ذكر . انتهى .

و معنى الآية و اُقسم لقد سهّلنا القرآن لأن يتذكّر به ، فيذكر الله تعالى و شؤونه فهل من متذكّر يتذكّر به فيؤمن بالله ويدين بما يدعو إليه من الدين الحقّ ؟ فالآية دعوة عامّة إلى التذكّر بالقرآن بعد تسجيل صدق الإنذار و شدّة العذاب الّذي اُنذر به .

**قوله تعالى** : « كذّبت عاد فكيف كان عذابي و نذر » شروع في قصّة اُخرى من القصص الّتي فيها الازدجار ولم يعطف على ما قبلها - ومثلها القصص الآتية - لأنّ كلّ واحدة من هذه القصص مستقلّة كافية في الزجر والردع والعظمة لو اتّعظوا بها .

و قوله : « فكيف كان عذابي و نذر » مسوق لتوجيه قلوب السامعين إلى ما يلقى إليهم من كيفيّة العذاب الهائل بقوله : إنّا أرسلنا » الخ وليس مسوقاً للتهويل وتسجيل شدّة العذاب و صدق الإنذار كسابقه و إلّا لتكرّر قوله بعد : « فكيف كان » الخ كذا قيل و هو وجه حسن .

**قوله تعالى** : « إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ » بيان لما استفهم عنه في قوله : « فكيف كان عذابي » والصرصر - على ما في المجمع - الريح الشديدة الهبوب، والنحس بالفتح فالسكون مصدر كالنحوسة بمعنى الشؤم ، و «مستمرّ» صفة لنحس ، و معنى إرسال الريح في يوم نحس مستمرّ إرسالها في يوم متلبّس بالنحوسة والشأمة بالنسبة إليهم المستمرّة عليهم لا يرجى فيه خير لهم ولا نجاة .

والمراد باليوم قطعة من الزمان لا اليوم الّذي يساوي سبع الاُسبوع لقوله تعالى في موضع آخر من كلامه : «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نحسات» حم السجدة ١٦ و في موضع آخر : « سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيّام حسوماً » الحاقّة : ٧ .

و فسّر بعضهم النحس بالبرد .

**قوله تعالي** : « تنزع الناس كأنّهم أعجاز نخل منقعر » فاعل « تنزع » ضمير

راجع إلى الريح أي تنزع الريح الناس من الأرض ، وأعجاز النخل أسافله ، والمنقعر المقلوع من أصله ، والمعنى ظاهر ، و في الآية إشعار ببسطة القوم أجساما .

**قوله تعالى** : « فكيف كان عذابي ـ إلى قوله ـ مدّكر » تقدّم تفسير الآيتين.

## ﴿كلام في سعادة الايام و نحوستها و الطيرة والفأل﴾

### في فصول

**١ ـ في سعادة الايام و نحوستها** : نحوسة اليوم أوأيّ مقدار من الزمان أن لا يعقّب الحوادث الواقعة فيه إلّا الشرّ ولا يكون الأعمال أو نوع خاصّ من الأعمال فيه مباركة لعاملها ، و سعادته خلافه .

ولا سبيل لنا إلى إقامة البرهان على سعادة يوم من الأيّام أو زمان من الأزمنة ولا نحوسته وطبيعة الزمان المقداريّة متشابهة الأجزاء والأبعاض ، ولا إحاطة لنا بالعلل والأسباب الفاعلة المؤثّرة في حدوث الحوادث و كينونة الأعمال حتّى يظهر لنا دوران اليوم أو القطعة من الزمان مع علل و أسباب تقتضي سعادته أو نحوسته ، و لذلك كانت التجربة الكافية غير متأتيّة لتوقّفها على تجرّد الموضوع لأثره حتّى يعلم أنّ الأثر أثره و هو غير معلوم في المقام .

و لما مرّ بعينه لم يكن سبيل إلى إقامة البرهان على نفي السعادة و النحوسة كما لم يكن سبيل إلى الإثبات و إن كان الثبوت بعيداً فالبعد غير الاستحالة . هذا بحسب النظر العقليّ .

و أمّا بحسب النظر الشرعيّ ففي الكتاب ذكر من النحوسة وما يقابلها قال تعالى « إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ » القمر : ١٩ ، و قال: «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا في أيّام نحسات » حم السجدة : ١٦ لكن لا يظهر من سياق القصّة و دلالة الآيتين أزيد من كون النحوسة والشؤم خاصّة بنفس الزمان الّذي كانت تهبّ عليهم فيه الريح عذابا و هو سبع ليال و ثمانية أيّام متوالية يستمرّ عليهم فيها العذاب

من غير أن تدور بدوران الأسابيع وهو ظاهر وإلا كان جميع الزمان نحسا ، ولا بدوران الشهور والسنين .

وقال تعالى : « والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » الدخان : ٣ والمراد بها ليلة القدر الّتي يصفها الله تعالى بقوله : « ليلة القدر خير من ألف شهر » القدر:٤ و ظاهر أنّ مباركة هذه الليلة و سعادتها إنّما هي بمقارنتها نوعاً من المقارنة لأمور عظام من الإفاضات الباطنيّة الإلهيّة وأفاعيل معنويّة كإبرام القضاء و نزول الملائكة والروح و كونها سلاماً قال تعالى : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم » الدخان : ٤، وقال: « تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر سلام هي حتّى مطلع الفجر » القدر : ٥ .

و يؤل معنى مباركتها و سعادتها إلى فضل العبادة والنسك فيها و غزارة ثوابها و قرب العناية الإلهيّة فيها من المتوجّهين إلى ساحة العزّة والكبرياء .

و أمّا السنّة فهناك روايات كثيرة جدّاً في السعد والنحس من أيّام الأسبوع و من أيّام الشهور العربيّة و من أيّام شهور الفرس و من أيّام الشهور الروميّة،وهي روايات بالغة في الكثرة مودعة في جوامع الحديث [1] أكثرها ضعاف من مراسيل و مرفوعات و إن كان فيها ما لا يخلو من اعتبار من حيث أسنادها .

أمّا الروايات العادّة للأيّام النحسة كيوم الأربعاء والأربعاء لا تدور [1] وسبعة أيّام من كلّ شهر عربيّ و يومين من كلّ شهر روميّ و نحو ذلك ففي كثير منها وخاصّة فيما يتعرّض لنحوسة أيّام الأسبوع و أيّام الشهور العربيّة تعليل نحوسة اليوم بوقوع حوادث مرّة غير مطلوبة بحسب المذاق الدينيّ كرحلة النبيّ ﷺ وشهادة الحسين عليه‌السلام و إلقاء إبراهيم عليه‌السلام في النار ونزول العذاب بأمّة كذا و خلق النار و غير ذلك .

و معلوم أنّ في عدّها نحسة مشومة و تجنّب اقتراب الأمور المطلوبة و طلب الحوائج الّتي يلتذّ الإنسان بالحصول عليها فيها تحكيما للتقوى و تقوية للروح الدينيّة

(١) أوردت منها في الجزء الرابع عشر من كتاب البحار أحاديث جمة .

(١) اربعاء لا تدور هي آخر اربعاء في الشهر .

و في عدم الاعتناء والاهتمام بها والاسترسال في الاشتغال بالسعي في كلّ ما تهواه النفس في أيّ وقت كان إضراباً عن الحقّ و هتكاً لحرمة الدين و إزراء لأوليائه، فتؤل نحوسة هذه الأيّام إلى جهات من الشقاء المعنويّ منبعثة عن علل و أسباب اعتباريّة مرتبطة نوعا من الارتباط بهذه الأيّام تفيد نوعاً من الشقاء الدينيّ على من لا يعتني بأمرها.

و أيضاً قد ورد في عدّة من هذه الروايات الاعتصام بالله بصدقة أوصوم أو دعاء أوقراءة شيء من القرآن أو غير ذلك لدفع نحوسة هذه الأيّام كما عن مجالس ابن الشيخ بإسناده عن سهل بن يعقوب الملقّب بأبي نواس عن العسكريّ عليه السلام في حديث قلت: ياسيدي في أكثرهذه الأيّام قواطع عن المقاصد لما ذكرفيها من النحس والمخاوف فتدلّني على الاحتراز من المخاوف فيها فإنّماتدعوني الضرورة إلى التوجّه في الحوائج فيها؟ فقال لي: ياسهل إنّ لشيعتنا بولايتنا لعصمة لوسلكوا بها في لجّة البحار الغامرة وسباسب[1] البيداء الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجنّ والإنس لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا فثق بالله عزّ و جلّ و أخلص في الولاء لأئمّتك الطاهرين و توجّه حيث شئت واقصد ما شئت. الحديث.

ثمّ أمره عليه السلام بشيء من القرآن والدعاء أن يقرأه و يدفع به النحوسة والشأمة و يقصد ما شاء.

و في الخصال بإسناده عن محمّد بن رياح الفلّاح قال: رأيت أبا إبراهيم عليه السلام يحتجم يوم الجمعة فقلت: جعلت فداك تحتجم يوم الجمعة؟ قال: أقرء آية الكرسيّ فإذاهاج بك الدم ليلاً كان أو نهارا فاقرء آية الكرسيّ و احتجم.

و في الخصال أيضا بإسناده عن محمّد بن أحمد الدقّاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام أسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا تدور. فكتب عليه السلام: من خرج يوم الأربعاء لا تدور خلافاً على أهل الطيرة وُقي من كلّ آفة و عوفي من كلّ عاهة وقضى الله له حاجته، و كتب إليه مرّة اُخرى يسأله عن الحجامة يوم الأربعاء لا تدور.

(١) السباب جمع سبسب: المفازة.

فكتب عليه السلام : من احتجم في يوم الأربعاء لا تدور خلافاً على أهل الطيرة عوفي من كل آفة ، و وقي من كل عاهة ، ولم (١) تخضر محاجمه .

و في معناها ما في تحف العقول : قال الحسين بن مسعود : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام و قد نكبت اصبعي و تلقاني راكب و صدم كتفي ، و دخلت في زحمة فخرقوا علي بعض ثيابي فقلت : كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك . فقال عليه السلام لي : يا حسن هذا و أنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له ؟

قال الحسن : فأثاب إلي عقلي و تبينت خطاي فقلت : يامولاي أستغفر الله. فقال: يا حسن ماذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟ قال الحسن: أنا أستغفر الله ابدا ، وهي توبتي يا بن رسول الله .

قال : ما ينفعكم و لكن الله يعاقبكم بذمها على ما لاذم عليها فيه . أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلا و آجلا ؟ قلت : بلى يا مولاي . قال : لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله . قال الحسن : بلى يامولاي.

والروايات السابقة - ولها نظائر في معناها - يستفاد منها أن الملاك في نحوسة هذه الأيام النحسات هو تطير عامة الناس بها و للتطير تأثير نفساني كما سيأتي، وهذه الروايات تعالج نحوستها التي تأتيها من قبل الطيرة بصرف النفس عن الطيرة إن قوي الإنسان على ذلك ، وبالالتجاء إلى الله سبحانه والاعتصام به بقرآن يتلوه أو دعاء يدعو به إن لم يقو عليه بنفسه .

و حمل بعضهم هذه الروايات المسلمة لنحوسة بعض الأيام على التقية ، وليس بذاك البعيد فان التشأم والتفأل بالأزمنة والأمكنة والأوضاع والأحوال من خصائص العامة يوجد منه عندهم شيء كثير عند الأمم والطوائف المختلفة على تشتتهم وتفرقهم منذ القديم إلى يومنا و كان بين الناس حتى خواصهم في الصدر الأول في ذلك روايات دائرة يسندونها إلى النبي صلى الله عليه وآله لا يسع لأحد أن يردها كما في كتاب المسلسلات

(١) هذه الجملة اشارة الى نفى مافى عدة من الروايات ان من احتجم فى يوم الاربعاء أو يوم الاربعاء لا تدور اخضرت محاجمه ، و في بعضها خيف عليه ان تخضر محاجمه .

بإسناده عن الفضل بن الربيع قال : كنت يوماً مع مولاي المأمون فأردنا الخروج يوم الأربعاء فقال المأمون : يوم مكروه سمعت أبي الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول : سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول : سمعت أبي عليّا يقول : سمعت أبي عبد الله بن عبّاس يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ آخر الأربعاء في الشهر يوم نحس مستمرّ .

و أمّا الروايات الدالّة على الأيّام السعيدة من الاُسبوع وغيرها فالوجه فيها نظير ما تقدّمت إليه الإشارة في الأخبار الدالّة على نحوستها من الوجه الأوّل فإنّ في هذه الأخبار تعليل بركة ما عدّه من الأيّام السعيدة بوقوع حوادث متبرّكة عظيمة في نظر الدين كولادة النبيّ صلى الله عليه وآله و بعثته و كما ورد أنّه صلى الله عليه وآله دعا فقال : اللّهمّ بارك لاُمّتي في بكورها يوم سبتها و خميسها ، و ما ورد أنّ الله ألان الحديد لداود عليه السلام يوم الثلاثا ، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخرج للسفر يوم الجمعة، وأنّ الأحد من أسماء الله تعالى .

فتبيّن ممّا تقدّم على طوله أنّ الأخبار الواردة في سعادة الأيّام و نحوستها لا تدلّ على أزيد من ابتنائهما على حوادث مرتبطة بالدين توجب حسنا و قبحا بحسب الذوق الدينيّ أو بحسب تأثير النفوس ، و أمّا اتّصاف اليوم أو أيّ قطعة من الزمان بصفة الميمنة أو المشأمة و اختصاصه بخواصّ تكوينيّة عن علل وأسباب طبيعيّة تكوينيّة فلا ، و ما كان من الأخبار ظاهراً في خلاف ذلك فإمّا محمول على التقيّة أو لا اعتماد عليه .

**٢ ـ في سعادة الكواكب و نحوستها** وتأثير الأوضاع السماويّة في الحوادث الأرضيّة سعادة و نحوسة . الكلام في ذلك من حيث النظر العقليّ كالكلام في سعادة الأيّام ونحوستها فلا سبيل إلى إقامة البرهان على شيء من ذلك كسعادة الشمس والمشتري و قران السعدين و نحوسة المرّيخ و قران النحسين والقمر في العقرب .

نعم كان القدماء من منجّمي هند يرون للحوادث الأرضيّة ارتباطا بالأوضاع السماويّة مطلقا أعمّ من أوضاع الثوابت والسيّارات ، و غيرهم يرى ذلك بين الحوادث

و بين أوضاع السيّارات السبع دون الثوابت و أوردوا لأوضاعها المختلفة خواصّ و آثاراً تسمّى بأحكام النجوم يرون عند تحقّق كلّ وضع أنّه يعقّب وقوع آثاره .

والقوم بين قائل بأنّ الأجرام الكوكبيّة موجودات ذوات نفوس حيّة مريدة تفعل أفاعيلها بالعلّيّة الفاعليّة ، و قائل بأنّها أجرام غير ذات نفس تؤثّر أثرها بالعلّيّة الفاعليّة ، أو هي معدّات لفعله تعالى وهو الفاعل للحوادث أو أنّ الكواكب و أوضاعها علامات للحوادث من غير فاعليّة ولا إعداد ، أو أنّه لا شيء من هذه الارتباطات بينها و بين الحوادث حتّى على نحو العلاميّة و إنّما جرت عادة الله على أن يحدث حادثة كذا عند وضع سماويّ كذا .

و شيء من هذه الأحكام ليس بدائميّ مطّرد بحيث يلزم حكم كذا وضعا كذا فربّما تصدق وربّما تكذب لكنّ الّذي بلغنا من عجائب القصص والحكايات في استخراجاتهم يعطي أنّ بين الأوضاع السماويّة والحوادث الأرضيّة ارتباطاً ما إلّا أنّه في الجملة لا بالجملة كما أنّ بعض الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام يصدّق ذلك كذلك.

و على هذا لا يمكن الحكم البتّي بكون كوكب كذا أو وضع كذا سعداً أو نحساً و أمّا أصل ارتباط الحوادث والأوضاع السماويّة والأرضيّة بعضها ببعض فليس في وسع الباحث الناقد إنكار ذلك .

و أمّا القول بكون الكواكب أو الأوضاع السماويّة ذوات تأثير فيما دونها سواء قيل بكونها ذوات نفوس ناطقة أو لم يقل فليس ممّا يخالف شيأ من ضروريّات الدين إلّا أن يقال بكونها خالقة موجدة لما دونها من غير أن ينتهي ذلك إليه تعالى فيكون شركاً لكنّه لاقائل به حتّى من وثنيّة الصابئة الّتي تعبد الكواكب ، أو أن يقال بكونها مدبّرة للنظام الكونيّ مستقلّة في التدبير فيكون ربوبيّة تستعقب المعبوديّة فيكون شركاً كما عليه الصابئة عبدة الكواكب .

و أمّا الروايات الواردة في تأثير النجوم سعداً و نحساً و تصديقا و تكذيبا فهي كثيرة جدّاً على أقسام :

منها ما يدلّ بظاهره على تسليم السعادة والنحوسة فيها كما في الرسالة الذهبيّة

عن الرضا عليه السلام : اعلم أنّ جماعهنّ والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل و خير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر .

و في البحار عن النوادر بإسناده عن حمران عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى الخبر ، و في كتاب النجوم لابن طاووس عن عليّ عليه السلام : يكره أن يسافر الرجل في محاق الشهر و إذا كان القمر في العقرب .

ويمكن حمل أمثال هذه الروايات على التقيّة على ما قيل ، أو على مقارنة الطيرة العامّة كما ربّما يشعر به ما في عدّة من الروايات من الأمر بالصدقة لدفع النحوسة كما في نوادر الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه في حديث: إذا أصبحت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم ، و إذا أمسيت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة الخبر ، ويمكن أن يكون ذلك لارتباط خاصّ بين الوضع السماويّ والحادثة الأرضيّة بنحو الاقتضاء .

و منها ما يدلّ على تكذيب تأثيرات النجوم في الحوادث والنهي الشديد عن الاعتقاد بها والاشتغال بعلمها كما في نهج البلاغة : المنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار . و يظهر من أخبار اُخر تصدّقها و تجوّز النظر فيها أنّ النهي عن الاشتغال بها والبناء عليها إنّما هو فيما اعتقد لها استقلال في التأثير لتأديته إلى الشرك كما تقدّم .

و منها ما يدلّ على كونه حقّا في نفسه غير أنّ قليله لا ينفع و كثيره لا يدرك كما في الكافي بإسناده عن عبد الرحمان بن سيابة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك إنّ الناس يقولون : إنّ النجوم لا يحلّ النظر فيها و هو يعجبني فإن كانت تضرّ بديني فلاحاجة لي في شيء يضرّ بديني ، و إن كانت لاتضرّ بديني فوالله إنّي لأشتهيها و أشتهي النظر فيها . فقال : ليس كما يقولون لا يضرّ بدينك ثمّ قال : إنّكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك و قليله لا ينتفع به . الخبر .

و في البحار عن كتاب النجوم لابن طاوس عن معاوية بن حكيم عن محمّد بن زياد عن محمّد بن يحيى الخثعميّ قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن النجوم حقّ هي ؟ قال لي:

نعم . فقلت له : و في الأرض من يعلمها ؟ قال: نعم و في الأرض من يعلمها ، وفي عدّة من الروايات : ما يعلمها إلاّ أهل بيت من الهند و أهل بيت من العرب و في بعضها : من قريش .

و هذه الروايات تؤيّد ما قدّمناه من أنّ بين الأوضاع والأحكام ارتباطاً مّا في الجملة .

نعم ورد في بعض هذه الروايات أنّ الله أنزل المشتري على الأرض في صورة رجل فلقي رجلا من العجم فعلّمه النجوم حتّى ظنّ أنّه بلغ ثمّ قال له : انظر أين المشتري ؟ فقال : ما أراه في الفلك و ما أدري أين هو ؟ فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلّمه حتّى ظنّ أنّه قد بلغ و قال : انظر إلى المشتري أين هو ؟ فقال : إنّ حسابي ليدلّ على أنّك أنت المشتري قال : فشهق شهقة فمات و ورث علمه أهله فالعلم هناك . الخبر ، و هو أشبه بالموضوع .

٣ - **في التفأل والتطير** وهما الاستدلال بحادث من الحوادث على الخير و ترقّبه و هو التفأل أو على الشرّ و هو التطيّر و كثيرا مّا يؤثّران ويقع ما يترقّب منهما من خير أو شرّ و خاصّة في الشرّ و ذلك تأثير نفسانيّ .

و قد فرّق الإسلام بين التفأل و التطيّر فأمر بالتفأل و نهى عن التطيّر ، و في ذلك تصديق لكون ما فيهما من التأثير تأثيراً نفسانيّاً .

أمّا التفأل ففيما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : تفألوا بالخير تجدوه ، و كان صلّى الله عليه وآله وسلّم كثير التفأل نقل عنه ذلك في كثير من مواقفه(١) .

و أمّا التطيّر فقد ورد في مواضع من الكتاب نقله عن اُمم الأنبياء في دعوتهم لهم حيث كانوا يظهرون لأنبيائهم أنّهم اطّيّروا بهم فلا يؤمنون ، وأجاب عن ذلك أنبياؤهم

(١) كما ورد في قصة الحديبية : جاء سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه و آله : قد سهل عليكم أمركم . و كما في قصة كتابه الى خسرو پرويز يدعوه الى الاسلام فمزق كتابه و أرسل اليه قبضة من تراب فتفأل صلى الله عليه و آله منه أن المؤمنين سيملكون أرضهم .

بما حاصله أنّ التطيّر لا يقلّب الحقّ باطلاً ولا الباطل حقّاً ، وأنّ الأمر إلى الله سبحانه لا إلى الطائر الّذي لا يملك لنفسه شيأ فضلاً عن أن يملك لغيره الخير والشرّ والسعادة والشقاء قال تعالى : «قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسّنّكم منّا عذاب أليم قالوا طائركم معكم » يس : ١٩ أي ما يجرّ إليكم الشرّ هو معكم لا معنا ، و قال : « قالوا اطّيّرنا بك وبمن معك قال طائركم عندالله » النمل : ٤٧ أي الّذي يأتيكم به الخير أو الشرّ عندالله فهو الّذي يقدّر فيكم ما يقدّر لا أنا و من معي فليس لنا من الأمر شيء .

وقد وردت أخبار كثيرة في النهي عن الطّيرة وفي دفع شؤمها بعدم الاعتناء أو بالتوكّل والدعاء ، و هي يؤيّد ما قدّمناه من أنّ تأثيرها من التأثيرات النفسانيّة ففي الكافي بإسناده عن عمرو بن حريث قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : الطّيرة على ما تجعلها إن هوّنتها تهوّنت ، وإن شدّدتها تشدّدت ،وإن لم تجعلها شيأ لم تكن شيأ . ودلالة الحديث على كون تأثيرها من التأثيرات النفسانيّة ظاهرة ، و مثله الحديث المرويّ من طرق أهل السنّة : ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيّرة والحسد والظنّ . قيل : فما نصنع؟ قال: إذا تطيّرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقّق .

و في معناه ما في الكافي عن القمّي عن أبيه عن النوفليّ عن السكونيّ عن أبي ـ عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كفّارة الطيرة التوكّل . الخبر و ذلك أنّ في التوكّل إرجاع أمر التأثير إلى الله تعالى ، فلا يبقى للشيء أثر حتّى يتضرّر به ، و في معناه ما ورد من طرق أهل السنّة على ما في نهاية ابن الأثير : الطيرة شرك وما منّا إلّا و لكنّ الله يذهبه بالتوكّل .

و في المعنى السابق ما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال : الشؤم للمسافر في طريقه سبعة أشياء : الغراب الناعق عن يمينه ، والكلب الناشر لذنبه ، والذئب العادي الّذي يعوي في وجه الرجل و هو مقع على ذنبه ثمّ يرتفع ثمّ ينخفض ثلاثا ، والظبي السانح عن يمين إلى شمال ، والبومة الصارخة ، والمرأة الشمطاء تلقى فرجها ، و الاتان العضباء يعني الجدعاء فمن أوجس في نفسه منهنّ شيأ فليقل : اعتصمت بك يا ربّ

من شرّ ما أجد في نفسي فيعصم من ذلك [١] .

و يلحق بهذا البحث الكلام في نحوسة سائر الاُمور المعدودة عند العامّة مشؤمة نحسة كالعطاس مرّة واحدة عند العزم على أمر و غير ذلك و قد وردت في النهي عن التطيّر بها والتوكّل عند ذلك روايات في أبواب متفرّقة ، وفي النبويّ المرويّ من طرق الفريقين : لا عدوى [٢] ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا شؤم ، ولا صفر ، ولا رضاع بعد فصال ولا تعرّب بعد هجرة ، ولا صمت يوماً إلى الليل ، ولا طلاق قبل نكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يتم بعد إدراك .

✩ ✩ ✩

**قوله تعالى** : « كذّبت ثمود بالنذر » النذر إمّا مصدر كما قيل والمعنى كذّبت ثمود بإنذار نبيّهم صالح عليه السلام ، و إمّا جمع نذير بمعنى المنذر والمعنى كذّبت ثمود بالأنبياء لأنّ تكذيبهم بالواحد منهم تكذيب منهم بالجميع لأنّ رسالتهم واحدة لا اختلاف فيها فيكون في معنى قوله : « كذّبت ثمود المرسلين » الشعراء : ١۴١ ، و إمّا جمع نذير بمعنى الإنذار و مرجعه إلى أحد المعنيين السابقين .

**قوله تعالى** : « فقالوا أبشراً منّا واحداً نتّبعه إنّا إذاً لفي ضلال و سعر » تفريع على التكذيب و السعر جمع سعير بمعنى النار المشتعلة ، و احتمل أن يكون بمعنى الجنون وهوأنسب للسياق ، والظاهر أنّ المراد بالواحد الواحد العدديّ والمعنى كذّبوا به فقالوا : أبشراً من نوعنا و هو شخص واحد لا عدّة له ولا جموع معه نتّبعه

---

(١) الخبر على مافي البحار مذكور في الكافي والخصال والمحاسن والفقيه ومافي المتن مطابق لبعض نسخ الفقيه .

(٢) العدوى مصدر كالاعداء بمعنى تجاوز مرض المريض منه الى غيره كما يقال في الجرب والوباء والجدري و غيرها والمراد بنفي العدوى كما يفيده مورد الرواية أن يكون العدوى مقتضى المرض من غير انتساب الى مشية الله تعالى ، والهامة ما كان أهل الجاهلية يزعمون أن روح القتيل تصير طائرا يأوي الى قبره و يصيح ويشتكي العطش حتى يؤخذ بثاره والصفر هو التصفير عند سقاية الحيوان و غيره .

إنّا إذاً مستقرّون في ضلال عجيب وجنون .

فيكون هذا القول توجيهاً منهم لعدم اتّباعهم لصالح لفقده العدّة والقوّة و هم قد اعتادوا على اتّباع من عنده ذلك كالملوك والعظماء و قد كان صالح عليه السلام يدعوهم إلى طاعة نفسه و رفض طاعة عظمائهم كما يحكيه الله سبحانه عنه بقوله : « فاتّقوا الله و أطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين » الشعراء : ١٥١ .

و لو اُخذ الواحد واحداً نوعيّاً كان المعنى أبشراً هوواحد منّا أي هومثلنا ومن نوعنا نتّبعه ؟ و كانت الآية التالية مفسّرة لها .

**قوله تعالى** : « ءاُلقي الذكرعليه من بيننا بل هوكذّاب أشر » الاستفهام كسابقه للإنكار والمعنىء اُنزل الوحي عليه واختصّ به من بيننا ولا فضل له علينا ؟ لا يكون ذلك أبدا ، والتعبير بالإلقاء دون الإنزال و نحوه للإشعار بالعجلة كما قيل .

و من المحتمل أن يكون المراد نفي أن يختصّ بإلقاء الذكر من بينهم وهو بشر مثلهم فلوكان الوحي حقّا وجاز أن ينزل على البشر لنزل على البشر كلّهم فما باله اختصّ بما من شأنه أن يرزقه الجميع ؟ فتكون الآية في معنى قولهم له كما في سورة الشعراء: « ماأنت إلّا بشر مثلنا » الشعراء : ١٥٤ .

و قوله : « بل هو كذّاب أشر » أي شديد البطر متكبّر يريد أن يتعظّم علينا بهذا الطريق .

**قوله تعالى** : « سيعلمون غداً من الكذّاب الأشر » حكاية قوله سبحانه لصالح عليه السلام كالآيتين بعدها .

والمراد بالغد العاقبة من قولهم : إنّ مع اليوم غدا ، يشير سبحانه به إلى ما سينزل عليهم من العذاب فيعلمون عند ذلك علم عيان من هو الكذّاب الأشر صالح أو هم ؟

**قوله تعالى** : « إنّا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم و اصطبر » في مقام التعليل لما أخبر من أنّهم سينزل عليهم العذاب والمفاد أنّهم سينزل عليهم العذاب لأنّا فاعلون كذا وكذا ، والفتنة الامتحان والابتلاء، والمعنى إنّا مرسلون ـ على طريق الإعجاز ـ

الناقة الّتي يسألونها امتحاناً لهم فانتظرهم و اصبر على أذاهم .

**قوله تعالى** : « و نبّئهم أنّ الماء قسمة بينهم كلّ شرب محتضر » ضمير الجمع الأوّل للقوم والثاني للقوم والناقة على سبيل التغليب ، والقسمة بمعنى المقسوم ، والشرب النصيب من شرب الماء ، والمعنى وخبّرهم بعد إرسال الناقة أنّ الماء مقسوم بين القوم و بين الناقة كلّ نصيب من الشرب يحضر عنده صاحبه فيحضر القوم عند شربهم والناقة عند شربها قال تعالى : « قال هذه ناقة لها شرب و لكم شرب يوم معلوم » الشعراء : ١٥٥ .

**قوله تعالى** : «فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر» المراد بصاحبهم عاقر الناقة ، والتعاطي التناول والمعنى فنادى القوم عاقر الناقة لعقرها فتناول عقرها فعقرها و قتلها .

**قوله تعالى** : « فكيف كان عذابي و نذر إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » المحتظر صاحب الحظيرة وهي كالحائط يعمل ليجعل فيه الماشية ، وهشيم المحتظر الشجر اليابس و نحوه يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته ، والمعنى ظاهر .

**قوله تعالى** : « ولقد يسّرنا » الخ تقدّم تفسيره .

**قوله تعالى** : « كذّبت قوم لوط بالنذر » تقدّم تفسيره في نظيره .

**قوله تعالى** : « إنّا أرسلنا عليهم حاصباً إلّا آل لوط نجّيناهم بسحر » الحاصب الريح الّتي تأتي بالحجارة والحصباء ، والمراد بها الريح الّتي اُرسلت فرمتهم بسجّيل منضود .

و قال في مجمع البيان : سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يقال : رأيت زيداً سحراً من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت : أتيته بسحر - بالفتح - و أتيته سحر - من غير تنوين - انتهى والمعنى ظاهر .

**قوله تعالى** : « نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر » « نعمة » مفعول له من « نجّيناهم » أي نجّيناهم ليكون نعمة من عندنا نخصّهم بها لأنّهم كانوا شاكرين لنا و جزاء الشكر لنا النجاة .

**قوله تعالى** : « ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر» ضمير الفاعل في «أنذرهم» للوط عليه السلام ، والبطشة الأخذة الشديدة بالعذاب ، والتماري الإصرار على الجدال

وإلقاء الشكّ ، و النذر الانذار ، والمعنى وأُقسم لقد خوّفهم لوط أخذنا الشديد فجادلوا في إنذاره و تخويفه .

**قوله تعالى** : « ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي و نذر » مراودته عن ضيفه طلبهم منه أن يسلّم إليهم أضيافه وهم الملائكة ، وطمس أعينهم محوها و قوله : « فذوقوا عذابي و نذر » التفات إلى خطابهم تشديدا و تقريعاً ، والنذر مصدر اُريد به ما يتعلّق به الانذار و هو العذاب ، والمعنى ظاهر .

**قوله تعالى** : «ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقرّ» قال في مجمع البيان : و قوله: « بكرة» ظرف زمان فإذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول : أتيته بكرة و غدوة لم تصرّفهما فبكرة هنا ـ و قد نوّن ـ نكرة ، والمراد باستقرار العذاب حلوله بهم و عدم تخلّفه عنهم .

**قوله تعالى** : « فكيف كان عذابي ـ إلى قوله ـ من مدّكر تقدّم تفسيره .

**قوله تعالى** : « و لقد جاء آل فرعون النذر كذّبوا بآياتنا فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » المراد بالنذر الانذار ، و قوله : كذّبوا بآياتنا » مفصول من غير عطف لكونه جواباً لسؤال مقدّر كأنّه لمّا قيل : « ولقد جاء آل فرعون النذر » قيل : فما فعلوا ؟ فاُجيب بقوله : « كذّبوا بآياتنا ، و فرّع عليه قوله : « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر».

## ﴿ بحث روائي ﴾

في روح المعاني في قوله تعالى : « و لقد يسّرنا القرآن للذكر » أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس : لولا أنّ الله يسّره على لسان الآدميّين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلّم بكلام الله تعالى .

قال : و أخرج الديلميّ مرفوعاً عن أنس مثله . ثمّ قال : و لعلّ خبر أنس إن صحّ ليس تفسيراً للآية .

**أقول** : وليس من البعيد أن يكون المراد المعنى الثاني الّذي قدّمناه في تفسير الآية .

و في تفسير القمي في قوله : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » قال : صب بلا قطر « و فجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء » قال : ماء السماء و ماء الأرض « على أمر قد قدر و حملناه » يعني نوحاً « على ذات ألواح و دسر » قال : الألواح السفينة والدسر المسامير .

و فيه في قوله تعالى : « فنادوا صاحبهم » قال : قدار الّذي عقر الناقة ، وقوله : « كهشيم » قال : الحشيش والنبات .

و في الكافي باسناده عن أبي يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث يذكر فيه قصة قوم لوط قال : فكابروه يعني لوطا حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل فقال : يا لوط دعهم فلما دخلوا أهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله عز وجل « فطمسنا على أعينهم » .



☆ ☆ ☆

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهٰى وَ أَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلٰى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) .

## ﴿بيان﴾

الآيات في معنى أخذ النتيجة ممّا اُعيد ذكره من الأنباء الّتي فيها مزدجروهي نبأ الساعة المذكور أوّلاً ثمّ أنباء الاُمم الهالكة المذكورة ثانياً فهي تنعطف أوّلاً على أنباء الاُمم الهالكة فتخاطب قوم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ كفّاركم ليسوا خيراً من اُولئك الاُمم الطاغية الجبّارة وقد أهلكهم الله على أذلّ وجه وأهونه ولا لكم براءة مكتوبة من عذاب الله ، ولا أنّ جمعكم ينفعكم في الذبّ عن العقاب . ثمّ تنعطف إلى ما مرّ من نبإ الساعة بأنّها موعدهم الصعب إن أجرموا و كذّبوا والساعة أدهى و أمرّ ثمّ تشير إلى موطن المتّقين يومئذ و عند ذاك تختتم السورة .

**قوله تعالى:** « أكفّار كم خير من اُولئكم أم لكم براءة في الزبر » الظاهر أنّه خطاب لقوم النبيّ صلى الله عليه وآله من مسلم و كافر على ما تشعر به الإضافة في « كفّاركم » والخيريّة هي الخيريّة في زينة الدنيا وزخارف حياتها كالمال والبنين أو من جهة الأخلاق العامّة في مجتمعهم كالسخاء والشجاعة والشفقة على الضعفاء ، والإشارة باُولئكم إلى الأقوام المذكورة أنباؤهم : قوم نوح و عاد و ثمود وقوم لوط و آل فرعون ، والاستفهام للإنكار .

والمعنى ليس الّذين كفروا منكم خيراً من اُولئكم الاُمم المهلكين المعذّبين حتّى يشملهم العذاب دونكم .

و يمكن أن يكون خطاب «أكفّاركم» لخصوص الكفّار بعناية أنّهم قوم النبيّ صلّى الله عليه وآله و فيهم كفّار و هم هم .

و قوله : « أم لكم براءة في الزبر » ظاهره أيضاً عموم الخطاب ، والزبر جمع زبور و هو الكتاب ، و قد ذكروا أنّ المراد بالزبر الكتب السماويّة المنزلة على الأنبياء والمعنى بل ألكم براءة في الكتب السماويّة الّتي نزلت من عندالله أنّكم في أمن من العذاب والمؤاخذة و إن كفرتم و أجرمتم و اقترفتم ما شئتم من الذنوب .

**قوله تعالى:** « أم يقولون نحن جميع منتصر » الجميع المجموع والمراد به وحدة مجتمعهم من حيث الإرادة والعمل ، والانتصار الانتقام أو التناصر كما في خطابات يوم القيامة : « مالكم لا تناصرون » الصافّات : ٢٥ والمعنى بل أيقولون أي الكفّار نحن قوم مجتمعون متّحدون ننتقم ممّن أرادنا بسوء أو ينصر بعضنا بعضاً فلا ننهزم .

**قوله تعالى:** «سيهزم الجمع و يولّون الدبر» اللاّم في «الجمع» للعهد الذكريّ و في « الدبر » للجنس ، و تولّي الدبر الإدبار ، والمعنى سيهزم الجمع الّذي يتبجّحون به و يولّون الأدبار و يفرّون .

و في الآية إخبار عن مغلوبيّة و انهزام لجمعهم ، ودلالة على أنّ هذه المغلوبيّة انهزام منهم في حرب سيقدمون عليها ، و قد وقع ذلك في غزاة بدر ، و هذا من ملاحم القرآن الكريم .

**قوله تعالى** : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى و أمرّ » « أدهى » اسم تفضيل من الدهاء و هو عظم البليّة المنكرة الّتي ليس إلى التخلّص منها سبيل ، و « أمرّ » اسم تفضيل من المرارة ضدّ الحلاوة ، و في الآية إضراب عن إيعادهم بالانهزام والعذاب الدنيويّ إلى إيعادهم بماسيجري عليهم في الساعة وقد اُشير إلى نبإها في أوّل الأنباء الزاجرة ، والكلام يفيد الترقّي .

والمعنى و ليس الإنهزام والعذاب الدنيويّ تمام عقوبتهم بل الساعة الّتي أشرنا إلى نبإها هي موعدهم والساعة أدهى من كلّ داهية و أمرّ من كلّ مرّ .

**قوله تعالى** : « إنّ المجرمين في ضلال وسعر » جمع سعير و هي النار المسعّرة و في الآية تعليل لما قبلها من قوله : « والساعة أدهى وأمرّ » والمعنى إنّما كانت الساعة أدهى و أمرّ لهم لأنّهم مجرمون والمجرمون في ضلال عن موطن السعادة و هو الجنّة و نيران مسعّرة .

**قوله تعالى** : « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر » السحب جرّ الإنسان على وجهه ، و « يوم » ظرف لقوله : « في ضلال وسعر » ، و « سقر » من أسماء جهنّم و مسّها هو إصابتها لهم بحرّها و عذابها .

والمعنى كونهم في ضلال وسعر في يوم يجرّون في النار وجوههم يقال لهم : ذوقوا ما تصيبكم جهنّم بحرّها و عذابها .

**قوله تعالى** : « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » « كلّ شيء » منصوب بفعل مقدّر يدلّ عليه « خلقناه » والتقدير خلقنا كلّ شيء خلقناه ، و « بقدر » متعلّق بقوله : « خلقناه » والباء للمصاحبة والمعنى إنّا خلقنا كلّ شيء مصاحبا لقدر .

وقدر الشيء هوالمقدار الّذي لايتعدّاه والحدّ والهندسة الّتي لايتجاوزه في شيء من جانبي الزيادة والنقيصة قال تعالى : « وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم » الحجر : ٢١ فلكلّ شيء حدّ محدود في خلقه لا يتعدّاه و صراط ممدود في وجوده يسلكه ولا يتخطّاه .

والآية في مقام التعليل لما في الآيتين السابقتين من عذاب المجرمين يوم القيامة

كأنّه قيل : لما ذا جوزي المجرمون بالضلال والسعر يوم القيامة و اُذيقوا مسّ سقر ؟ فاُجيب بقوله : «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » ومحصّله أنّ لكلّ شيء قدرا ومن القدر في الإنسان أنّ الله سبحانه خلقه نوعا متكاثر الأفراد بالتناسل اجتماعيّا في حياته الدنيا يتزوّد من حياته الدنيا الداثرة لحياته الآخرة الباقية ، و قدّر أن يرسل إليهم رسولا يدعوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة فمن استجاب الدعوة فاز بالسعادة و دخل الجنّة و جاور ربّه ، و من ردّها و أجرم فهو في ضلال وسعر .

ومن الخطاء أن يقال: إنّ الجواب عن السؤال بهذا النحو من المصادرة الممنوعة في الاحتجاج فإنّ السؤال عن مجازاته تعالى إيّاهم بالنار لإجرامهم في معنى السؤال عن تقديره ذلك فمعنى السؤال لم قدّر الله للمجرمين المجازاة بالنار ؟ و معنى الجواب أنّ الله قدّر للمجرمين المجازاة بالنار ، أو معنى السؤال لم يدخلهم الله النار ؟ و معنى الجواب أنّ الله يدخلهم النار و ذلك مصادرة بيّنة .

وذلك لأنّ بين فعلنا و بين فعله تعالى فرقاً فإنّا نتّبع في أفعالنا القوانين والاُصول الكلّيّة المأخوذة من الكون الخارجيّ والوجود العينيّ ، و هي الحاكمة علينا في إرادتنا و أفعالنا فإذا أكلنا لجوع أو شربنا لعطش فإنّما نريد بذلك الشبع والريّ لما حصّلنا من الكون الخارجيّ أنّ الأكل يفيد الشبع والشرب يفيد الريّ وهو الجواب لو سئلنا عن الفعل .

و بالجملة أفعالنا تابعة للقواعد الكلّيّة والضوابط العامّة المنتزعة عن الوجود العينيّ المتفرّعة عليه ، و أمّا فعله تعالى فهو نفس الوجود العينيّ ، والاُصول العقليّة الكلّيّة مأخوذة منه متأخّرة عنه محكومة له فلا تكون حاكمة فيه متقدّمة عليه قال تعالى : « لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون » الأنبياء : ٢٣ ، و قال : « إنّ الله يفعل ما يشاء » الحجّ : ١٨ ، و قال : « الحقّ من ربّك » آل عمران : ٦٠ .

فلا سؤال عن فعله تعالى بلم بمعنى السؤال عن السبب الخارجيّ إذ لا سبب دونه يعينه في فعله ، ولا بمعنى السؤال عن الأصل الكلّيّ العقليّ الّذي يصحّح فعله إذ الاُصول العقليّة منتزعة عن فعله متأخّرة عنه .

نعم وقع في كلامه سبحانه تعليل الفعل بأحد ثلاثة أوجه :

أحدها تعليل الفعل بما يترتّب عليه من الغايات والفوائد العائدة إلى الخلق لا إليه ، لكنّه تعليل للفعل لا لكونه فعلا له سبحانه بل لكونه أمراً واقعاً في صفّ الأسباب والمسبّبات كما في قوله تعالى : « و لتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين و رهبانا و أنّهم لا يستكبرون » المائدة :٨٢ و قال : « و ضربت عليهم الذلّة والمسكنة ـ إلى أن قال ـ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون » البقرة : ٦١ .

الثاني تعليل فعله تعالى بشيء من أسمائه و صفاته المناسبة له كتعليله تعالى مضامين كثير من الآيات في كلامه بمثل قوله : « إنّ الله غفور رحيم » « و هو العزيز الحكيم » « و هو اللطيف الخبير » إلى غير ذلك و هو شايع في القرآن الكريم ، و إذا أجدت التأمّل في موارده وجدتها من تعليل الفعل بما له من صفة خاصّة بصفة عامّة لفعله تعالى فإنّ أسماءه تعالى الفعليّة منتزعة عن فعله العامّ فتعليل فعل خاصّ بصفة من صفاته و اسم من أسمائه تعليل الوجه الخاصّ في الفعل بالوجه العامّ فيه كقوله تعالى : « و كأيّن من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها و إيّاكم و هو السميع العليم » العنكبوت : ٦٠ يعلّل قضاء حاجة الدوابّ والإنسان إلى الرزق المسؤل بلسان حاجتها بأنّه سميع عليم أي إنّه خلق كلّ شيء والحال أنّ مسائلهم مسموعة له وأحوالهم معلومة عنده و هما صفتا فعله العامّ ، و قوله : « فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم » البقرة: ٣٧ يعلّل توبته على آدم بأنّه توّاب رحيم أي صفة فعله هي التوبة والرحمة .

الثالث تعليل فعله الخاصّ بفعله العامّ و مرجعه في الحقيقة إلى الوجه الثاني كقوله : « إنّ المجرمين في ضلال وسعر ـ إلى أن قال ـ إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » فإنّ القدر و هو كون الشيء محدوداً لا يتخطّى حدّه في مسير وجوده فعل عامّ له تعالى لا يخلو عنه شيء من الخلق فتعليل العذاب بالقدر من تعليل فعله الخاصّ بفعله العامّ و بيان أنّه مصداق من مصاديق القدر إذ كان من المقدّر في الإنسان أن لو أجرم

برد دعوة النبوة عذب و دخل النار يوم القيامة ، وكقوله : « و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » مريم :٧١ يعلل الورود بالقضاء وهو فعل له عام والورود خاص بالنسبة إليه .

فتبين أن ما في كلامه من تعليل فعل من أفعاله إنما هو من تعليل الفعل الخاص بصفته العامة والعلة علة للإثبات لا للثبوت ، وليس من المصادرة في شيء .

**قوله تعالى** : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » قال في المجمع : اللمح النظر بالعجلة و هو خطف البصر انتهى .

والمراد بالأمر ما يقابل النهي لكنه الأمر التكويني بإرادة وجود الشيء قال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢ فهو كلمة كن و لعله لكونه كلمة اعتبر الخبر مؤنثا فقيل : « إلا واحدة » .

والذي يفيده السياق أن المراد بكون الأمر واحدة أنه لا يحتاج في مضيه و تحقق متعلقه إلى تعدد و تكرار بل أمر واحد بإلقاء كلمة كن يتحقق به المتعلق المراد كلمح بالبصر من غير تأن و مهل حتى يحتاج إلى الأمر ثانياً و ثالثاً .

و تشبيه الأمر من حيث تحقق متعلقه بلمح بالبصر لا لإفادة أن زمان تأثيره قصير كزمان تحقق اللمح بالبصر بل لإفادة أنه لا يحتاج في تأثيره إلى مضي زمان ولو كان قصيراً فإن التشبيه باللمح بالبصر في الكلام يكنى به عن ذلك ، فأمره تعالى و هو إيجاده و إرادة وجوده لا يحتاج في تحققه إلى زمان ولا مكان ولا حركة كيف لا؟ و نفس الزمان والمكان والحركة إنما تحققت بأمره تعالى .

والآية و إن كانت بحسب مؤداها في نفسها تعطي حقيقة عامة في خلق الأشياء و أن وجودها من حيث إنه فعل الله سبحانه كلمح بالصبر وإن كان من حيث إنه وجود اشيء كذا تدريجيا حاصلا شيأ فشيأ .

إلا أنها بحسب وقوعها في سياق إيعاد الكفار بعذاب يوم القيامة ناظرة إلى إتيان الساعة وأن أمراً واحداً منه تعالى يكفي في قيام الساعة وتجديد الخلق بالبعث والنشور فتكون متممة لما اُقيم من الحجة بقوله : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » .

فيكون مفاد الآية الاُولى أنّ عذابهم بالنار على وفق الحكمة ولا محيص عنه بحسب الإرادة الإلهيّة لأنّه من القدر ، و مفاد هذه الآية أنّ تحقّق الساعة الّتي يعذّبون فيها بمضيّ هذه الإرادة وتحقّق متعلّقها لا مؤنة فيه عليه سبحانه لأنّه يكفي فيه أمر واحد منه تعالى كلمح بالبصر .

**قوله تعالى** : « و لقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكر » الأشياع جمع شيعة والمراد ـ كما قيل ـ الأشباه والأمثال في الكفر وتكذيب الأنبياء من الاُمم الماضية.

والمراد بالآية والآيتين بعدها تأكيد الحجّة السابقة الّتي اُقيمت على شمول العذاب لهم لا محالة .

ومحصّل المعنى أن ليس ماأنذرناكم به من عذاب الدنيا و عذاب الساعة مجرّد خبر أخبرناكم به ولاقول ألقيناه إليكم فهذه أشياعكم من الاُمم الماضية شرع فيهم بذلك فقد أهلكناهم و هو عذابهم في الدنيا و سيلقون عذاب الآخرة فإنّ أعمالهم مكتوبة مضبوطة في كتب محفوظة عندنا سنحاسبهم بها و نجازيهم بما عملوا .

**قوله تعالى** : « و كلّ شيء فعلوه في الزبر و كلّ صغير و كبير مستطر » الزبر كتب الأعمال و تفسيره باللوح المحفوظ سخيف ، والمراد بالصغير والكبير صغير الأعمال و كبيرها على ما يفيده السياق .

**قوله تعالى** : « إنّ المتّقين في جنّات و نهر » أي في جنّات عظيمة الشأن بالغة الوصف و نهر كذلك ، قيل : المراد بالنهر الجنس ، وقيل : النهر بمعنى السعة.

**قوله تعالى** : « في مقعد صدق عندمليك مقتدر » المقعد المجلس ، والمليك صيغة مبالغة للملك على ما قيل ، وليس من إشباع كسر لام الملك ، والمقتدر القادر العظيم القدرة و هو الله سبحانه .

والمراد بالصدق صدق المتّقين في إيمانهم و عملهم اُضيف إليه المقعد لملابسة مّا و يمكن أن يراد به كون مقامهم و مالهم فيه صدقاً لا يشوبه كذب فلهم حضور لا غيبة معه ، و قرب لا بعد معه ، ونعمة لا نقمة معها ، وسرور لا غمّ معه ، و بقاء لا فناء معه.

و يمكن أن يراد به صدق هذا الخبر من حيث إنّه تبشير و وعد جميل للمتقين

و على هذا ففيه نوع مقابلة بين وصف عاقبة المتّقين والمجرمين حيث اُوعد المجرمون بالعذاب والضلال و قرّر ذلك بأنّه من القدر ولن يتخلّف ، و وعد المتّقون بالثواب والحضور عند ربّهم المليك المقتدر و قرّر ذلك بأنّه صدق لا كذب فيه .

## ﴿ بحث روائي ﴾

في كمال الدين بإسناده إلى عليّ بن سالم عن أبي‌عبد الله عليه‌السلام قال : سألته عن الرقى أتدفع من القدر شيأ ؟ فقال : هي من القدر .

و قال : إنّ القدريّة مجوس هذه الاُمّة و هم الّذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه و فيهم نزلت هذه الآية : « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوامسّ سقر إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » .

**أقول** : المراد بالقدريّة النافون للقدر وهم المعتزلة القائلون بالتفويض، وقوله: إنّهم مجوس هذه الاُمّة ذلك لقولهم : إنّ خالق الأفعال الاختياريّة هو الإنسان والله خالق لما وراء ذلك فأثبتوا إلهين اثنين كما أثبتت المجوس إلهين اثنين خالق الخير و خالق الشرّ .

و قوله : أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه » و ذلك أنّهم قالوا بخلق الانسان لأفعاله فراراً عن القول بالجبر المنافي للعدل فأخرجوا الله من سلطانه على أعمال عباده بقطع نسبتها عنه تعالى .

و قوله : « وفيهم نزلت هذه الآية » الخ المراد به جري الآيات فيهم دون كونهم سببا للنزول و مورداً له لما عرفت في تفسير الآيات من كونها عامّة بحسب السياق و في نزول الآيات فيهم روايات اُخرى مرويّة عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما‌السلام ، و من طرق أهل السنّة أيضا روايات في هذا المعنى عن ابن عبّاس وابن عمر و محمّد بن كعب و غيرهم .

و في الدرّ المنثور أخرج أحمد عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله

إنّ لكلّ اُمّة مجوسا و إنّ مجوس هذه الاُمّة الّذين يقولون : لا قدر . الخبر .

**اقول** : و رواه في ثواب الأعمال بإسناده عن الصادق عن آبائه عن عليّ عليه‌السلام و لفظه لكلّ اُمّة مجوس و مجوس هذه الاُمة الّذين يقولون : لا قدر .

و فيه أخرج ابن مردويه بسند واه عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم النهر الفضاء والسعة ليس بنهر جار .

و فيه أخرج أبو نعيم عن جابر قال : بينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوما في مسجد المدينة فذكر بعض أصحابه الجنّة فقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : يا أبا دجانة أما علمت أنّ من أحبّنا و ابتلي بمحبّتنا أسكنه الله تعالى معنا ؟ ثمّ تلا « في مقعد صدق عند مليك مقتدر».

و في روح المعاني في قوله : « في مقعد صدق » الآية و قال جعفر الصادق رضي الله عنه : مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلّا أهل الصدق .

## ( كلام فى القدر )

القدر و هو هندسة الشيء وحدّ وجوده ممّا تكرّر ذكره في كلامه تعالى فيما تكلّم فيه في أمر الخلقة قال تعالى : « و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم » الحجر : ٢١ و ظاهره أنّ القدر ملازم للإنزال من الخزائن الموجودة عنده تعالى ، و أمّا نفس الخزائن و هي من إبداعه تعالى لا محالة فهي غير مقدّرة بهذا القدر الّذي يلازم الإنزال ، والإنزال إصداره إلى هذا العالم المشهود كما يفيده قوله: « و أنزلنا الحديد » الحديد : ٢٥ و قوله : « و أنزل لكم من الاُنعام ثمانية أزواج» الزمر : ٦ .

و يؤيّد ذلك ما ورد من تفسير القدر بمثل العرض والطول و سائر الحدود والخصوصيّات الطبيعيّة الجسمانيّة كما في المحاسن عن أبيه عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه‌السلام قال : لا يكون إلّا ما شاء الله و أراد و قدّر و قضى . قلت : فما معنى شاء؟ قال : ابتدء الفعل . قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه . قلت : فما معنى قدّر؟

قال : تقدير الشيء من طوله وعرضه . قلت : فما معنى قضى ؟ قال إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لا مردّ له .

و روى هذا المعنى عن أبيه عن ابن أبي‌عمير عن محمّد بن إسحاق عن الرضا عليه السلام في خبر مفصّل و فيه : فقال : أوتدري ما قدر ؟ قال : لا، قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء الخبر .

و من هنا يظهر أنّ المراد بكلّ شيء في قوله : « و خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا » الفرقان : ١ ، و قوله : « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩ و قوله : « و كلّ شيء عنده بمقدار » الرعد: ٨ وقوله : « الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠ الأشياء الواقعة في عالمنا المشهود، من الطبيعيّات الواقعة تحت الخلق والتركيب أو أنّ للتقدير مرتبتين : مرتبة تعمّ جميع ماسوى الله وهي تحديد أصل الوجود بالإمكان والحاجة و هذا يعمّ جميع الموجودات ما خلا الله سبحانه قال تعالى : « و كان الله بكلّ شيء محيطا » النساء : ١٢٦ .

و مرتبة تخصّ عالمنا المشهود وهي تحديد وجود الأشياء الموجودة فيه من حيث وجودها وآثار وجودها و خصوصيّات كونها بما أنّها متعلّقة الوجود والآثار بأمور خارجة من العلل و الشرائط فيختلف وجودها و أحوالها باختلاف عللها و شرائطها فهي مقلوبة بقوالب من داخل و خارج تعيّن لها من العرض و الطول و الشكل و الهيئة و سائر الأحوال والأفعال ما يناسبها .

فالتقدير يهدي هذا النوع من الموجودات إلى ما قدّر لها في مسير وجودها قال تعالى : « الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى » الأعلى : ٣ أي هدى ماخلقه إلى ما قدّر له ، ثمّ أتمّ ذلك بإمضاء القضاء ، و في معناه قوله في الإنسان : « من نطفة خلقه فقدّره ثمّ السبيل يسّره » عبس : ٢٠ و يشير بقوله : « ثمّ السبيل يسّره » إلى أنّ التقدير لا ينافي اختياريّة أفعاله الاختياريّة .

و هذا النوع من القدر في نفسه غير القضاء الّذي هو الحكم البتّي منه تعالى بوجوده « والله يحكم لا معقّب لحكمه » الرعد : ٤١ فربّما قدّر ولم يعقّبه القضاء

كالقدر الّذي يقتضيه بعض العلل والشرائط الخارجة ثمّ يبطل لمانع أو باستخلاف سبب آخر قال تعالى : « يمحو الله ما يشاء و يثبت » الرعد : ٣٩ ، و قال : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » البقرة :١٠٦ وربّما قدّر وتبعه القضاء كما إذا قدّر من جميع الجهات باجتماع جميع علله و شرائطه و ارتفاع موانعه .

و إلى ذلك يشير قوله عليه‌السلام في خبر المحاسن السابق : « إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لا مردّ له » و قريب منه ما في عدّة من أخبار القضاء والقدر ما معناه أنّ القدر يمكن أن يتخلّف و أمّا القضاء فلا يردّ .

و عن عليّ عليه‌السلام بطرق مختلفة كما في التوحيد بإسناده عن ابن نباتة أنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له : يا أمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله ؟ قال : أفرّ من قضاء الله إلى قدرالله عزّ وجلّ .

و أمّا النوع الأوّل من الموجودات الّذي قدره حدّ وجوده من إمكانه و حاجته فحسب فالقدر والقضاء فيه واحد ولا يتخلّف القدر فيه عن التحقّق البتة .

والبحث العقليّ يؤيّد ما تقدّم فإنّ الاُمور الّتي لها علل مركبة من فاعل و مادّة و شرائط ومعدّات و موانع فإنّ لكلّ منها تأثيراً في الشيء بما يسانخه فهو كالقالب الّذي يقلب به الشيء فيأخذ لنفسه هيئة قالبه و خصوصيّته و هذا هو قدره ثمّ العلّة التامّة إذا اجتمعت أجزاؤه أعطته ضرورة الوجود ، و هذه هي القضاء الّذي لا مردّ له ، وقد تقدّم في تفسير أوّل سورة الإسراء كلام في القضاء لا يخلو من نفع في هذا البحث فليرجع إليه .



☆ ☆ ☆

﴿ سورة الرحمن مكية أو مدنية وهي ثمان و سبعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها و وضع الميزان (٧) الا تطغوا في الميزان (٨) و اقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان (٩) والارض وضعها للانام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٣) خلق الانسان من صلصال كالفخار (١٤) و خلق الجان من مارج من نار (١٥) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين و رب المغربين (١٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٣) و له الجوار المنشآت في البحر كالاعلام (٢٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٥) كل من عليها فان (٢٦) و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٨) يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان (٢٩) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٠) .

## ﴿بيان﴾

تتضمّن السورة الإشارة إلى خلقه تعالى العالم بأجزائه من سماء و أرض و برّ و بحر و إنس و جنّ و نظم أجزائه نظماً ينتفع به الثقلان الإنس والجنّ في حياتهما و ينقسم بذلك العالم إلى نشأتين نشأة دنيا ستفنى بفناء أهلها ، و نشأة اُخرى باقية تتميّز فيها السعادة من الشقاء والنعمة من النقمة .

و بذلك يظهر أنّ دار الوجود من دنياها و آخرتها ذات نظام واحد مؤتلف الأجزاء مرتبط الأبعاض قويم الأركان يصلح بعضه ببعض و يتمّ شطر منه بشطر .

فمافيه منعين وأثر ، من نعمه تعالى وآلائه ، ولذا يستفهمهم مرّة بعد مرّة استفهاماً مشوباً بعتاب بقوله : « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » فقد كرّرت الآية في السورة إحدى و ثلاثين مرّة .

ولذلك افتتحت السورة بذكره تعالى بصفة رحمته العامّة الشاملة للمؤمن والكافر والدنيا والآخرة واختتمت بالثناء عليه بقوله : « تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام » .

والسورة يحتمل كونها مكّيّة أو مدنيّة و إن كان سياقها بالسياق المكّيّ أشبه و هي السورة الوحيدة في القرآن افتتحت بعد البسملة باسم من أسماء الله عزّ اسمه، وفي المجمع عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لكلّ شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جلّ ذكره ، ورواه في الدر المنثور عن البيهقي عن عليّ عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

**قوله تعالى** : « الرحمن علّم القرآن » الرحمان كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة صيغة مبالغة تدلّ على كثرة الرحمة ببذل النعم و لذلك ناسب أن يعمّ ما يناله المؤمن والكافر من نعم الدنيا و ما يناله المؤمن من نعم الآخرة ، و لعمومه ناسب أن يصدّر به الكلام لاشتمال الكلام في السورة على أنواع النعم الدنيويّة والاُخرويّة الّتى ينتظم بها عالم الثقلين الإنس والجنّ .

ذكروا أن الرحمان من الأسماء الخاصة به تعالى لا يسمى به غيره بخلاف مثل الرحيم والراحم .

و قوله : « علم القرآن » شروع في عد النعم الإلهية ، ولما كان القرآن أعظم النعم قدراً وشأناً وأرفعها مكاناً - لأنه كلام الله الذي يخط صراطه المستقيم ويتضمن بيان نهج السعادة التي هي غاية ما يأمله آمل ونهاية ما يسأله سائل - قدم ذكر تعليمه على سائر النعم حتى على خلق الإنس والجن اللذين نزل القرآن لأجل تعليمهما .

وحذف مفعول «علم» الأول وهو الإنسان أو الإنس والجن والتقدير علم الانسان القرآن أو علم الإنس والجن القرآن ، وهذا الاحتمال الثاني وإن لم يتعرضوا له لكنه أقرب الاحتمالين لأن السورة تخاطب في تضاعيف آياتها الجن كالإنس و لولا شمول التعليم في قوله : «علم القرآن» لهم لم يتم ذلك .

وقيل : المفعول المحذوف محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو جبرئيل والأنسب للسياق ما تقدم .

**قوله تعالى** : «خلق الإنسان علمه البيان» ذكر خلق الإنسان وسيذكر خصوصية خلقه بقوله : «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» ، والإنسان من أعجب مخلوقات الله تعالى أو هو أعجبها يظهر ذلك بقياس وجوده إلى وجود غيره من المخلوقات والتأمل فيما خط له من طريق الكمال في ظاهره و باطنه و دنياه و آخرته قال تعالى : «ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات» التين : ٦ .

وقوله : «علمه البيان» البيان الكشف عن الشيء والمراد به الكلام الكاشف عما في الضمير ، و هو من أعجب النعم و تعليمه للإنسان من عظيم العناية الإلهية المتعلقة به فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرية وقصبتها والحلقوم ولا ما يحصل من التنوع في الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده على مخارج الحروف المختلفة في الفم .

بل يجعل الإنسان بإلهام باطني من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المعتمدة على مخرج من مخارج الفم المسمى حرفاً أو المركب من عدة من الحروف علامة مشيرة إلى

مفهوم من المفاهيم يمثّل به ما يغيب عن حسّ السامع وإدراكه فيقدر به على إحضار أيّ وضع من أوضاع العالم المشهود وإن جلّ ما جلّ أودقّ ما دقّ من موجود أو معدوم ماض أو مستقبل ، ثمّ على إحضار أيّ وضع من أوضاع المعاني غير المحسوسة الّتي ينالها الانسان بفكره ولا سبيل للحسّ إليها يحضرها جميعا لسامعه ويمثّلها لحسّه كانّه يشخّصها له بأعيانها .

ولا يتمّ للانسان اجتماعه المدني ولا تقدّم في حياته هذا التقدّم الباهر إلّا بتنبّهه لوضع وفتحه بذلك باب التفهيم و التفهّم ولولا ذلك لكان هو والحيوان العجم سواء في جمود الحياة و ركودها .

ومن أقوى الدليل على أنّ اهتداء الانسان إلى البيان بالهام إلهيّ له أصل في التكوين اختلاف اللغات باختلاف الاُمم و الطوائف في الخصائص الروحيّة والأخلاق النفسانيّة وبحسب اختلاف المناطق الطبيعية الّتي يعيشون فيها قال تعالى : «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» الروم : ٢٢ .

وليس المراد بقوله: «علّمه البيان» أنّ الله سبحانه وضع اللغات ثمّ علّمها الانسان بالوحي إلى نبيّ من الأنبياء أو بالالهام فانّ الانسان بوقوعه في ظرف الاجتماع مندفع بالطبع إلى اعتبار التفهيم والتفهّم بالاشارات والأصوات و هو التكلّم والنطق لا يتمّ له الاجتماع المدنيّ دون ذلك .

على أنّ فعله تعالى هو التكوين والايجاد و الرابطة بين اللفظ و معناه اللغويّ وضعيّة اعتباريّة لا حقيقيّة خارجيّة بل الله سبحانه خلق الانسان و فطره فطرة تؤدّيه إلى الاجتماع المدنيّ ثمّ إلى وضع اللغة بجعل اللفظ علامة للمعنى بحيث إذا ألقى اللفظ إلى سامعه فكأنّما يلقي إليه المعنى ثمّ إلى وضع الخطّ بجعل الاشكال المخصوصة علائم للألفاظ فالخطّ مكمّل لغرض الكلام ، و هو يمثّل الكلام كما أنّ الكلام يمثّل المعنى .

و بالجملة البيان من أعظم النعم و الآلاء الربّانيّة الّتي تحفظ لنوع الانسان موقفه الانسانيّ و تهديه إلى كلّ خير .

هذا ما هو الظاهر المتبادر من الآيتين ، ولهم في معناهما أقوال : فقيل : الانسان هو آدم عليه السلام والبيان الأسماء التي علمه الله إياها ، وقيل : الانسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبيان القرآن أو تعليمه المؤمنين القرآن ، و قيل : البيان الخير والشر علمهما الإنسان و قيل : سبيل الهدى و سبيل الضلال إلى غير ذلك وهى أقوال بعيدة عن الفهم .

**قوله تعالى** : «الشمس والقمر بحسبان» الحسبان مصدر بمعنى الحساب، والشمس مبتدء و القمر معطوف عليه ، وبحسبان خبره ، والجملة خبر بعد خبر لقوله : «الرحمان» والتقدير الشمس والقمر يجريان بحساب منه على ماقدر لهما من نوع الجري .

**قوله تعالى** : «والنجم والشجر يسجدان» قالوا : المراد بالنجم ما ينجم من النبات ويطلع من الأرض ولاساق له ، والشجر ماله ساق من النبات ، وهو معنى حسن يؤيده الجمع و القرن بين النجم والشجر وإن كان ربما أوهم سبق ذكر الشمس والقمر كون المراد بالنجم هو الكواكب .

وسجود النجم و الشجر انقيادهما للأمر الالهي بالنشوء و النمو على حسب ما قدر لهما كما قيل ، وأدق منه أنهما يضربان في التراب باصولهما و أعراقهما لجذب ما يحتاجان إليه من المواد العنصرية التي يغتذيان بها وهذا السقوط على الأرض إظهاراً للحاجة إلى المبدء الذي يقضي حاجتهما و هـو في الحقيقة الله الذي يربيهما كذلك - سجود منهما له تعالى .

والكلام في إعراب قوله : «والنجم والشجر يسجدان» و هو معطوف على الاية السابقة كالكلام في قوله : «الشمس والقمر بحسبان» والتقدير والنجم والشجر يسجدان له.

قال في الكشاف : فإن قلت : كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمان يعني قوله: «الشمس والقمر -إلى قوله - يسجدان»؟ قلت : استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره .

وقال في وجه إخلاء الآيات السابقة - خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان - عن العاطف ما محصله أن هذه الجمل الاُول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تفريع الذين أنكروا الرحمان و آلاءه كمـا يبكت

منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فيقال : زيد أغناك بعد فقر ، أعزّك بعد ذلّ ، كثّرك بعد قلّة ، فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه ؟

ثمّ ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فقيل : والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها » الخ انتهى .

**قوله تعالى** : «والسماء رفعها ووضع الميزان» المراد بالسماء إن كان جهة العلو فرفعها خلقها مرفوعة لارفعها بعد خلقها وإن كان ما في جهة العلو من الأجرام فرفعها تقدير محالّها بحيث تكون مرفوعة بالنسبة إلى الأرض بالفتق بعد الرتق كما قال تعالى: «أولم يرالّذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما» الأنبياء :٣٠ . والرفع على أيّ حال رفع حسّيّ .

و إن كان المراد ما يشمل منازل الملائكة الكرام ومصادر الأمر الالهيّ والوحي فالرفع معنويّ أو ما يشمل الحسّي والمعنويّ

وقوله : «ووضع الميزان» المراد بالميزان كلّ ما يوزن أي يقدّر به الشيء أعمّ من أن يكون عقيدة أو قولا أو فعلا و من مصاديقه الميزان الّذي يوزن به الاثقال قال تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» الحديد : ٢٥ .

فظاهره مطلق ما يميّز به الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والعدل من الظلم والفضيلة من الرذيلة على ما هو شأن الرسول أن يأتي به من عند ربّه .

وقيل : المراد بالميزان العدل أي وضع الله العدل بينكم لتسوّوا به بين الأشياء باعطاء كلّ ذي حقّ حقّه .

وقيل : المراد الميزان الّذي يوزن به الأثقال والمعنى الأوّل أوسع وأشمل .

**قوله تعالى** : «ألّا تطغوا في الميزان و أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» الظاهر أن المراد بالميزان الميزان المعروف و هو ميزان الاثقال فقوله : « ألّا تطغوا » الخ على تقدير أن يراد بالميزان في الآية السابقة أيضاً ميزان الأثقال ، هو بيان وضع

الميزان ، والمعنى أنّ معنى وضعنا الميزان بينكم هو أن اعدلوا في وزن الأثقال ولا تطغوا فيه .

و على تقدير أن يراد به مطلق التقدير الحقّ أو العدل هو استخراج حكم جزئيّ من حكم كلّي و المعنى أنّ لازم ما وضعناه من التقدير الحقّ أو العدل بينكم هو أن تزنوا الأثقال بالقسط ولا تطغوا فيه .

وعلى أيّ حال الظاهر أنّ «أن» في قوله : أن لاتطغوا» تفسيريّة ، و « لاتطغوا» نهي عن الطغيان في الميزان و «أقيموا الوزن بالقسط» أمر معطوف عليه ، والقسط العدل و«لاتخسروا الميزان» نهي آخر مبيّن لقوله : «لاتطغوا» الخ ومؤكّد له . والاخسار في الميزان التطفيف فيه بزيادة أو نقيصة بحيث يخسر البائع أوالمشتري .

وأمّا جعل «أن» ناصبة و«لا تطغوا» نفيا ، والتقدير : لئلاّ تطغوا » فيحتاج إلى تكلّف توجيه في عطف الإنشاء على الإخبار في قوله : «وأقيموا الوزن» الخ .

**قوله تعالى** : «والأرض وضعها للأنام» الأنام الناس وقيل : الإنس والجنّ ، وقيل : كلّ ما يدبّ على الأرض ، وفي التعبير في الأرض بالوضع قبال التعبير في السماء بالرفع لطف ظاهر .

**قوله تعالى** : «فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام» المراد بالفاكهة الثمرة غير التمر ، والاكمام جمع كمّ بضمّ الكاف وكسرها وعاء التمر وهوالطلع ، و امّا كمّ القميص فهو مضموم الكاف لاغير كما قيل .

**قوله تعالى** : «والحبّ ذوالعصف والريحان» معطوف على قوله : «فاكهة» أي و فيها الحبّ والريحان ، والحبّ مايقتات به كالحنطة والشعير والاُرز ، و العصف ما هو كالغلاف للحبّ وهو قشره ، و فسّر بورق الزرع مطلقاً و بورق الزرع اليابس ، و الريحان النبات الطيّب الرائحة .

**قوله تعالى** : «فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان » الآلاء جمع إلى بمعنى النعمة .

والخطاب في الآية لعامّة الثقلين :الجنّ والإنس و يدلّ على ذلك توجيه الخطاب إليهما صريحاً فيما سيأتي من قوله : «سنفرغ لكم أيّها الثقلان» و قوله : «يا معشر

الجنّ والإنس» الخ ،وقوله : «يرسل عليكما شواظ» الخ فلا يصغى إلى قول من قال : إنّ الخطاب في الآية للذكر والأنثى من بني آدم ، ولا إلى قول من قال : إنّه من خطاب الواحد بخطاب الاثنين و يفيد تكرّر الخطاب نحو يا شرطيّ إضربا عنقه أي اضرب عنقه اضرب عنقه .

وتوجيه الخطاب إلى عالمي الجنّ والإنس هو المصحّح لعدّ ما سنذكره من شدائد يوم القيامة و عقوبات المجرمين من أهل النار من آلائه ونعمه تعالى فانّ سوق المسيئين و أهل الشقوة في نظام الكون إلى ما تقتضيه شقوتهم ومجازاتهم بتبعات أعمالهم من لوازم صلاح النظام العامّ الجاري في الكلّ الحاكم على الجميع فذلك نعمة بالقياس إلى الكلّ و إن كان نقمة بالنسبة إلى طائفة خاصّة منهم و هم المجرمون و هذا نظير ما نجده في السنن والقوانين الجارية في المجتمعات فانّ التشديد على أهل البغي والفساد ممّا يتوقّف عليه حياة المجتمع وبقاؤه وليس يتنعّم به أهل الصلاح خاصّة كما أنّ إثابة أهل الصلاح بالثناء الجميل والأجر الحسن كذلك .

فما في النار من عذاب و عقاب لأهلها و ما في الجنّة من كرامة وثواب آلاء و نعم على معشر الجنّ والإنس كما أنّ الشمس والقمر والسماء المرفوعة والأرض الموضوعة والنجم والشجر وغيرها آلاء و نعم على أهل الدنيا .

و يظهر من الآية أنّ للجنّ تنعّماً في الجملة بهذه النعم المعدودة في خلال الآيات كما للإنس وإلّا لم يصحّ إشراكهم مع الإنس في التوبيخ .

**قوله تعالى : «خلق الإنسان من صلصال كالفخّار»** الصلصال الطين اليابس الّذي يتردّد منه الصوت إذا وطيء ، والفخّار الخزف .

والمراد بالإنسان نوعه والمراد بخلقه من صلصال كالفخّار انتهاء خلقه إليه ، و قيل : المراد بالإنسان آدم عليه السلام .

**قوله تعالى : « و خلق الجانّ من مارج من نار »** المارج هو اللهب الخالص من النار ، و قيل : اللهب المختلط بسواد ، و الكلام في الجانّ كالكلام في الإنسان فالمراد به نوع الجنّ ، وعدّهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقتهم إليها ، و قيل : المراد

بالجانّ أبوالجنّ .

**قوله تعالى:** «ربّ المشرقين و ربّ المغربين » المراد بالمشرقين مشرق الصيف و مشرق الشتاء ، وبذلك تحصل الفصول الأربعة وتنتظم الأرزاق و قيل : المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرباهما .

**قوله تعالى:** «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» المرج الخلط و المرج الإرسال يقال : مرجه أي خلطه و مرجه أي أرسله و المعنى الأوّل أظهر ، و الظاهر أنّ المراد بالبحرين العذب الفرات و الملح الاُجاج قال تعالى : « و ما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اُجاج و من كلّ تأكلون لحماً طريّاً و تستخرجون حلية تلبسونها» فاطر : ١٢

و أمثل ما قيل في الآيتين أنّ المراد بالبحرين جنس البحر المالح الّذي يغمر قريبا من ثلاثة أرباع الكرة الأرضيّة من البحار المحيطة و غير المحيطة ، والبحر العذب المدّخر في مخازن الأرض الّتي تنفجر الأرض عنها فتجري العيون و الأنهار الكبيرة فتصبّ في البحر المالح ، و لا يزالان يلتقيان ، و بينهما حاجز و هو نفس المخازن الأرضيّة و المجاري يحجز البحر المالح أن يبغي على البحر العذب فيغشيه و يبدّله بحراً مالحاً وتبطل بذلك الحياة ، ويحجز البحر العذب أن يزيد في الانصباب على البحر المالح فيبدّله ماءً عذباً فتبطل بذلك مصلحة ملوحته من تطهير الهواء وغيره .

و لا يزال البحر المالح يمدّ البحر العذب بالأمطار الّتي تأخذها منه السحب فتمطر على الأرض و تدّخرها المخازن الأرضيّة و البحر العذب يمدّ البحر المالح بالانصباب عليه .

فمعنى الآيتين ـ و الله أعلم ـ خلط البحرين العذب الفرات و الملح الاُجاج حال كونهما مستمرّين في تلاقيهما بينهما حاجز لا يطغيان بأن يغمر أحدهما الآخر فيذهب بصفته من العذوبة والملوحة فيختلّ نظام الحياة والبقاء .

**قوله تعالى:** «يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان» أي من البحرين العذب والمالح جميعا و ذلك من فوائدهما الّتي ينتفع بها الإنسان ، وقد تقدّم فيه الكلام في تفسير قوله

تعالى : «وما يستوي البحران» الآية الفاطر : ١٢ .

**قوله تعالى:** «وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام» الجواري جمع جارية و هي السفينة ، والمنشآت اسم مفعول من الإنشاء وهو إحداث الشيء وتربيته ، والأعلام جمع علم بفتحتين وهو الجبل .

و عدّ الجواري مملوكة له تعالى مع كونها من صنع الإنسان لأنّ الأسباب العاملة في إنشائها من خشب و حديد و سائر أجزائها الّتي تتركّب منها و الإنسان الّذي يركّبها و شعوره و فكره و إرادته كلّ ذلك مخلوق له و مملوك فما ينتجه عملها من ملكه .

فهو تعالى المنعم بها للإنسان ألهمه طريق صنعها و المنافع المترتّبة عليها وسبيل الانتفاع بمنافعها الجمّة .

**قوله تعالى :** «كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذوالجلال والإكرام» ضمير «عليها» للأرض أي كلّ ذي شعور و عقل على الأرض سيفنى و فيه تسجيل الزوال و الدثور على الثقلين .

و إنّما أتى باللفظ الدالّ على اُولي العقل ـ كلّ من عليها ـ و لم يقل : كلّ ما عليها كذلك لأنّ الكلام مسرود في السورة لتعداد نعمه و آلائه تعالى للثقلين في نشأتيهم الدنيا والآخرة .

و ظهور قوله : «فان» في الاستقبال كما يستفاد أيضاً من السياق يعطي أنّ قوله: «كلّ من عليها فان» يشير إلى انقطاع أمد النشأة الدنيا و ارتفاع حكمها بفناء من عليها وهم الثقلان وطلوع النشأة الاُخرى عليهم، و كلاهما أعني فناء من عليها و طلوع نشأة الجزاء عليهم من النعم والآلاء لأنّ الحياة الدنيا حياة مقدّميّة لغرض الآخرة والانتقال من المقدّمة إلى الغرض و الغاية نعمة .

و بذلك يندفع قول من قال : أيّ نعمة في الفناء حتّى يجعل من النعم و يعدّ من الآلاء .

ومحصّل الجواب أنّ حقيقة هذا الفناء الرجوع إلى الله بالانتقال من الدنيا كما

تفسّره آيات كثيرة في كلامه تعالى وليس هوالفناء المطلق .

وقوله : «ويبقى وجه ربّك» وجه الشيء ما يستقبل به غيره و يقصده به غيره ، وهو فيه سبحانه صفاته الكريمة الّتي تتوسّط بينه و بين خلقه فتنزل بها عليهم البركات من خلق و تدبير كالعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والمغفرة و الرزق و قد تقدّم في تفسير سورة الأعراف كلام مبسوط في كون أسمائه و صفاته تعالى وسائط بينه و بين خلقه .

و قوله : « ذو الجلال و الإكرام » في الجلال شيء من معنى الاعتلاء و الترفّع المعنويّ على الغير فيناسب من الصفات ما فيه شائبة الدفع والمنع كالعلوّ و التعالي و العظمة والكبرياء والتكبّر والإحاطة والعزّة والغلبة .

ويبقى للإكرام من المعنى ما فيه نعت البهاء والحسن الّذي يجذب الغير ويُولّهه كالعلم و القدرة و الحياة والرحمة و الجود والجمال و الحسن ونحوها و تسمّى صفات الجمال كما تسمّى القسم الأوّل صفات الجلال وتسمّى الأسماء أيضا على حسب مافيها من صفات الجمال أو الجلال بأسماء الجمال أو الجلال .

فذو الجلال و الإكرام اسم من الأسماء الحسنى جامع بمفهومه بين أسماء الجمال وأسماء الجلال جميعا .

و المسمّى به بالحقيقة هو الذات المقدّسة كما في قوله في آخر السورة : «تبارك اسم ربّك ذي الجلال و الإكرام» لكن اُجري في هذه الآية ـ ويبقى وجه ربّك ذو ـ الجلال والإكرام ـ على الوجه ، و هو إمّا لكونه وصفاً مقطوعاً عن الوصفيّة للمدح ، و التقدير هو ذو الجلال و الإكرام ، و إمّا لأنّ المراد بالوجه كما تقدّم هو صفته الكريمة و اسمه المقدّس و إجراء الاسم على الاسم مآله إلى إجراء الاسم على الذات .

و معنى الآية على تقدير أن يراد بالوجه ما يستقبل به الشيء غيره وهو الاسم ـ و من المعلوم أنّ بقاء الاسم [1] فرع بقاء المسمّى ـ : و يبقى ربّك عزّ اسمه بماله من

(١) المراد بالاسم ما يحكى عنه الاسم اللفظي دون اللفظ الحاكي .

الجلال و الإكرام من غير أن يؤثّر فناؤهم فيه أثراً أو يُغيّر منه شيأ .

و على تقدير أن يراد بالوجه ما يقصده به غيره و مصداقه كلّ ما ينتسب إليه تعالى فيكون مقصودا بنحو للمتوجّه إليه كأنبيائه و أوليائه و دينه و ثوابه و قربه و سائر ماهو من هذا القبيل فالمعنى : و يبقى بعد فناء أهل الدنيا ما هو عنده تعالى وهو من صقعه و ناحيته كأنواع الجزاء والثواب و القرب منه قال تعالى : « ما عندكم ينفد وما عندالله باق» النحل : ٩٦ .

وقد تقدّم في تفسير قوله تعالى : « كلّ شيء هالك إلّا وجهه» القصص : ٨٨ من الكلام بعض مالايخلو من نفع في المقام .

**قوله تعالى:** «يسأله من في السماوات و الأرض كلّ يوم هو في شأن » سؤالهم سؤال حاجة فهم في حاجة من جميع جهاتهم إليه تعالى متعلّقوا الوجودات به متمسّكون بذيل غناه وجوده قال تعالى : «أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ» فاطر : ١٥ ، وقال في هذا المعنى من السؤال : « و آتاكم من كلّ ما سألتموه» إبراهيم : ٣۴ .

و قوله : « كلّ يوم هو في شأن» تنكير «شأن» للدلالة على التفرّق و الاختلاف فالمعنى كلّ يوم هو تعالى في شأن غير مافي سابقه ولاحقه من الشأن فلا يتكرّر فعل من أفعاله مرّتين ولا يماثل شأن من شؤونه شأناً آخر من جميع الجهات و إنّما يفعل على غير مثال سابق و هو الإبداع قال تعالى : «بديع السماوات و الأرض» البقرة : ١١٧ .

و معنى ظرفيّة اليوم إحاطته تعالى في مقام الفعل على الأشياء فهو سبحانه في كلّ زمان و ليس في زمان و في كلّ مكان و ليس في مكان ومع كلّ شيء ولايداني شيأ .

# ﴿ بحث روائي ﴾

في الكافي روى محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال : لمّا قرء رسول الله صلى الله عليه وآله الرحمان على الناس سكتوا فلم يقولوا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الجنّ كانوا أحسن جواباً منكم لمّا قرأت عليهم «فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان» قالوا : لا ولا بشييء من آلاء ربّنا نكذّب .

**اقول:** و روى هذا المعنى في الدّر المنثور عن عدّة من أصحاب الجوامع ـ وصحّحه ـ عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي العيون بإسناده عن الرضا عليه السلام فيما سأل الشامي عليا عليه السلام ، و فيه : سأله عن اسم أبي الجنّ فقال : شومان وهو الّذي خلق من مارج من نار .

و في الاحتجاج عن علي عليه السلام في حديث و أمّا قوله : « ربّ المشرقين و ربّ المغربين » فإنّ مشرق الشتاء على حدة و مشرق الصيف على حدة . أمّا تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها ؟

**اقول:** و روى هذا المعنى القمي في تفسيره مرسلاً مضمراً .

وفي الدّر المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله : « مرج البحرين يلتقيان» قال : علي وفاطمة «بينهما برزخ لا يبغيان» قال : النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال : الحسن والحسين .

**اقول** : ورواه أيضاً عن ابن مردويه عن أنس بن مالك مثله ، ورواه في مجمع البيان عن سلمان الفارسيّ وسعيد بن جبير وسفيان الثوريّ . وهو من البطن .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى : «كلّ من عليها فان» قال : من على وجه الأرض «و يبقى وجه ربّك» قال : دين ربّك ، وقال علي بن الحسين عليه السلام : نحن الوجه الّذي يؤتى الله منه .

وفي مناقب ابن شهر آشوب قوله : «ويبقى وجه ربّك» قال الصادق عليه السلام : نحن وجه الله .

**اقول** : وفي معنى هاتين الروايتين غيرهما ، وقد تقدّم ما يوجّه به تفسير الوجه بالدين و بالإمام .

وفي الكافي في خطبة لعلي عليه‌السلام : الحمدلله الّذي لا يموت ولا ينقضي عجائبه لأنّه كلّ يوم هو في شأن من إحداث بديع لم يكن .

وفي تفسير القمّي في الآية قال : يحيي و يميت ويزيد و ينقص .

وفي المجمع عن أبي الدرداء عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في قوله : « **كلّ يوم هو في شأن** » قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين .

**اقول** : ورواه عنه في الدرّ المنثور ، و روى ما في معناه عن ابن عمر عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله ولفظه يغفر ذنباً و يفرّج كرباً .



☆ ☆ ☆

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ( ٣١ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٣٢ ) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ اِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوا لَاتَنْفُذُونَ اِلَّا بِسُلْطَانٍ ( ٣٣ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٣٤ ) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ( ٣٥ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٣٦ ) فَاِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ( ٣٧ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٨)فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ اِنْسٌ وَلَاجَانٌّ(٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٤٠ ) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰيهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْاَقْدَامِ ( ٤١ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٤٢ ) هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ( ٤٣ ) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ( ٤٤ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٤٥ ) وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ( ٤٦ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٤٧ ) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ( ٤٨ ) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ( ٥٢ ) فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٥٣ ) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ( ٥٤ ) فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ( ٥٥ ) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ

وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) .

## ﴿ بيان ﴾

هذا هو الفصل الثاني من آيات السورة يصف نشأة الثقلين الثانية وهي نشأة الرجوع إلى الله و جزاء الأعمال و يعدّ آلاء الله تعالى عليهم كما كانت الآيات السابقة فصلاً أولاً يصف النشأة الأولى ويعدّ آلاء الله فيها عليهم .

**قوله تعالى:** « سنفرغ لكم أيّها الثقلان» يقال : فرغ فلان لأمر كذا إذا كان مشتغلاً قبلاً بأمور ثمّ تركها وقصر الاشتغال بذاك الأمر اهتماماً به .

فمعنى «سنفرغ لكم» سنطوي بساط النشأة الأولى و نشتغل بكم ، وتبيّن الآيات

التالية أنّ المراد بالاشتغال بهم بعثهم و حسابهم ومجازاتهم بأعمالهم خيراً أو شرّاً فالفراغ لهم استعارة بالكناية عن تبدّل النشأة .

ولا ينافي الفراغ لهم كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن فإنّ الفراغ المذكور ناظر إلى تبدّل النشأة و كونه لا يشغله شأن عن شأن ناظر إلى إطلاق القدرة وسعتها كما لا ينافي كونه تعالى كلّ يوم هو في شأن الناظر إلى اختلاف الشؤن كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن .

والثقلان الجنّ و الإنس ، و إرجاع ضمير الجمع في «لكم» و «إن استطعتم» و غيرهما إليهما لكونهما جمعاً ذا أفراد .

**قوله تعالى**: «يا معشر الجنّ و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا» الخ الخطاب ـ على ما يفيده السياق ـ من خطابات يوم القيامة وهو خطاب تعجيزي .

والمراد بالاستطاعة القدرة ، و بالنفوذ من الأقطار الفرار ، و الأقطار جمع قطر وهو الناحية .

والمعنى يا معشر الجنّ و الإنس ـ وقدّم الجنّ لأنّهم على الحركات السريعة أقدر ـ إن قدرتم أن تفرّوا بالنفوذ من نواحي السماوات و الأرض و الخروج من ملك الله والتخلّص من مؤاخذته ففرّوا وانفذوا .

وقوله : «لا تنفذون إلّا بسلطان» أي لا تقدرون على النفوذ إلّا بنوع من السلطة على ذلك وليس لكم والسلطان القدرة الوجوديّة ، والسلطان البرهان أو مطلق الحجّة، والسلطان الملك.

و قيل : المراد بالنفوذ المنفيّ في الآية النفوذ العلميّ في السموات و الأرض من أقطارهما ، وقد عرفت أنّ السياق لا يلائمه .

**قوله تعالى** : « يرسل عليكما شواظ من نار و نحاس فلا تنتصران » الشواظ ـ على ما ذكره الراغب ـ اللهب الّذي لا دخان فيه ، و يقرب منه ما في المجمع أنّه اللهب

الأخضر المنقطع من النار ، والنحاس الدخان و قال الراغب : هو اللهب بلا دخان و المعنى ظاهر .

وقوله :«فلاتنتصران» أي لاتتناصران بأن ينصر بعضكم بعضاً لرفع البلاء والتخلّص عن العناء لسقوط تأثير الأسباب ولاعاصم اليوم من الله .

**قوله تعالى** : «فإذاانشقّت السماء فكانت وردةكالدهان» أي كانت حمراء كالدهان و هوالأديم الأحمر .

**قوله تعالى** : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولاجانّ» الآية و ما يتلوها من الآيات إلى آخر السورة تصف الحساب و الجزاء تصف حال المجرمين و الخائفين مقام ربّهم و ما ينتهي إليه .

ثمّ الآية تصف سرعة الحساب و قد قال تعالى:«والله سريع الحساب» النور:٣٩.

والمراد بيومئذ يوم القيامة ، والسؤال المنفيّ هو النحو المألوف من السؤال ، و لا ينافي نفي السؤال في هذه الآية إثباته في قوله : « وقفوهم إنّهم مسؤلون » الصافّات: ٢٤ ، وقوله : «فو ربّك لنسألنّهم أجمعين » الحجر : ٩٢ لأنّ اليوم ذو مواقف مختلفة يسأل في بعضها ، و يختم على الأفواه في بعضها و تكلّم الأعضاء ، و يعرف بالسيماء في بعضها .

**قوله تعالى** : «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام » في مقام الجواب عن سؤال مقدّر كأنّه قيل : فإذا لم يسألوا عن ذنبهم فما يصنع بهم ؟ فاُجيب بأنّه يعرف المجرمون بسيماهم الخ و لذا فصلت الجملة و لم يعطف ، و المراد بسيماهم علامتهم البارزة في وجوههم .

وقوله : « فيؤخذ بالنواصي والأقدام » الكلام متفرّع على المعرفة المذكورة ، والنواصي جمع ناصية و هي شعر مقدّم الرأس،والأقدام جمع قدم ، و قوله : «بالنواصي» نائب فاعل يؤخذ .

والمعنى ـ لايسأل أحدعن ذنبه ـ يعرف المجرمون بعلامتهم الظاهرة في وجوههم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام من المجرمين فيلقون في النار .

**قوله تعالى** : «هذه جهنّم الّتي يكذّب بها المجرمون - إلى قوله ـ آن» مقول قول مقدّر أي يقال يومئذ هذه جهنّم الّتي يكذّب بها المجرمون و قال الطبرسيّ : و يمكن أنّه لمّا أخبرالله سبحانه أنّهم يؤخذون بالنواصي والأقدام قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله : هذه جهنّم الّتي يكذّب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم انتهى.

والحميم الماء الحارّ ـ والآني الّذي انتهت حرارته والباقي ظاهر .

**قوله تعالى** : « ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» شروع فيوصف حال السعداء من الخائفين مقام ربّهم ، و المقام مصدر ميميّ بمعنى القيام مضاف إلى فاعله ، و المراد قيامه تعالى عليه بعمله وهو إحاطته تعالى و علمه بما عمله و حفظه لهوجزاؤه عليه قال تعالى : «أفمن هو قائم على كلّ نفس بماكسبت» الرعد : ٣٣ .

و يمكن أن يكون المقام اسم مكان و الإضافة لاميّة و المراد به مقامه و موقفه تعالى من عبده وهو أنّه تعالى ربّه الّذي يدبّر أمره و من تدبير أمره أنّه دعاه بلسان رسله إلى الإيمان والعمل الصالح و قضى أن يجازيه على ما عمل خيراً أو شرّاً هذا و هو محيط به وهو معه سميع بما يقول بصير بما يعمل لطيف خبير .

والخوف من الله تعالى ربّما كان خوفاً من عقابه تعالى على الكفر به و معصيته، و لازمه أن يكون عبادة من يعبده خوفاً بهذا المعنى يراد بها التخلّص من العقاب لا ـ لوجهالله محضاً وهوعبادة العبيد يعبدون مواليهم خوفاً من السياسة كما أنّ عبادة من يعبده طمعاً في الثواب غايتها الفوز بما تشتهيه النفس دون وجهه الكريم وهي عبادة التجّار كما في الروايات وقد تقدّم شطر منها .

و الخوف المذكور في الآية ـ و لمن خاف مقام ربّه ـ ظاهره غير هذا الخوف فإنّ هذا خوف من العقاب و هو غير الخوف من قيامه تعالى على عبده بما عمل أو الخوف من مقامه تعالى من عبده فهو تأثّر خاصّ ممّن ليس له إلّا الصغار و الحقارة تجاه ساحة العظمة و الكبرياء ، و ظهور أثر المذلّة و الهوان و الاندكاك قبال العزّة و الجبروت المطلقين .

وعبادته تعالى خوفا منه بهذا المعنى من الخوف خضوع له تعالى لأنّه اللهذو ـ

الجلال و الإكرام لا لخوف من عقابه و لا طمعاً في ثوابه بل فيه إخلاص العمل لوجهه الكريم ، وهذا المعنى من الخوف هو الّذي وصف الله به المكرمين من ملائكته و هم معصومون آمنون من عقاب المخالفة و تبعة المعصية قال تعالى : «يخافون ربّهم من فوقهم» النحل : ٥٠ .

فتبيّن ممّا تقدّم أنّ الّذين أشار إليهم بقوله : « و لمن خاف » أهل الإخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له لأنّه الله عزّ اسمه لاخوفاً من عقابه و لا طمعاً في ثوابه ، ولا يبعد أن يكونوا هم الّذين سمّوا سابقين في قوله : «و كنتم أزواجا ثلاثة ـ إلى أن قال ـ والسابقون السابقون اُولئك المقرّبون» الواقعة : ١١ .

و قوله : «جنّتان» قيل : إحداهما منزله و محلّ زيارة أحبابه له و الاُخرى منزل أزواجه وخدمه ، وقيل : بستانان بستان داخل قصره و بستان خارجه ، و قيل : منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر ليكمل به التذاذه ، وقيل : جنّة لعقيدته وجنّة لعمله ، وقيل : جنّة لفعل الطاعات وجنّة لترك المعاصي ، وقيل : جنّة جسمانيّة وجنّة روحانيّة وهذه الأقوال ـ كما ترى ـ لادليل على شيء منها .

و قيل : جنّة يثاب بها و جنّة يتفضّل بها عليه ، ويمكن أن يستشعر ذلك من قوله تعالى : « لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد » ق : ٣٥ على ما مرّ في تفسيره .

**قوله تعالى :** « ذواتا أفنان » ذواتا تثنية ذات ، و « أفنان » إمّا جمع فنّ بمعنى النوع والمعنى ذواتا أنواع من الثمار ونحوها ، وإمّا جمع فنن بمعنى الغصن الرطب اللّين والمعنى ذواتا أغصان ليّنة أشجارهما .

**قوله تعالى :** « فيهما عينان تجريان » و قد اُبهمت العينان و فيه دلالة على فخامة أمرهما .

**قوله تعالى :** « فيهما من كلّ فاكهة زوجان » أي صنفان قيل : صنف معروف لهم شاهدوه في الدنيا و صنف غير معروف لم يروه في الدنيا ، وقيل : غير ذلك ، ولادلالة في الكلام على شيء من ذلك .

**قوله تعالى :** «متّكئين على فرش بطائنها من استبرق» الخ الفرش جمع فراش ، و

البطائن جمع بطانة و هي داخل الشيء و جوفه مقابل الظهائر جمع ظهارة ، و الاستبرق الحرير الغليظ قال في المجمع : ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأنّ البطانة تدلّ على أنّ لها ظهارة و البطانة دون الظهارة فدلّ على أنّ الظهارة فوق الإستبرق انتهى .

وقوله : «وجنا الجنّتين دان» الجنا الثمر المجتنى و «دان»اسم فاعل من الدنوّ بمعنى القرب أي ما يجتنى من ثمار الجنّتين قريب .

**قوله تعالى** : « فيهنّ قاصرات الطرف» إلي آخر الآية ضمير « فيهنّ» للفرش و جوّز أن يرجع إلى الجنان فإنّها جنان لكلّ واحد من أولياء الله منها جنّتان ،و الطرف جفن العين ، والمراد بقصور الطرف اكتفاؤهنّ بأزواجهنّ فلا يردن غيرهم .

وقوله : «لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لاجانّ» الطمث الافتضاض والنكاح بالتدمية، والمعنى لم يمسسهنّ بالنكاح إنس ولاجانّ قبل أزواجهنّ .

**قوله تعالى** : « كأنّهنّ الياقوت و المرجان » أي في صفاء اللون و البهاء و التلألؤ .

**قوله تعالى** : «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان»استفهام إنكاريّ فيمقامالتعليل لما ذكر من إحسانه تعالى عليهم بالجنّتين و ما فيهما من أنواع النعم و الآلاء فيفيد أنّه تعالى يحسن إليهم هذا الإحسان جزاء لإحسانهم بالخوف من مقام ربّهم .

و تفيد الآية أنّ ما اُوتوه من الجنّة و نعيمها جزاء لأعمالهم و أمّا ما يستفاد من بعض الآيات أنّهميعطون فضلاً وراء جزاءأعمالهم فلا تعرّض في هذه الآياتلذلك إلّا أن يقال : الإحسان إنّما يتمّ إذا كان يربو على ما أحسن به المحسن إليه فإطلاق الإحسان في قوله : «إلّا الإحسان» يفيد الزيادة .

**قوله تعالى** : «ومندونهما جنّتان» ضميرالتثنية للجنّتين الموصوفتين فيالآيات السابقة ، و معنى « من دونهما » أي أنزل درجة و أحطّ فضلاً و شرفاً منهما و إن كانتا شبيهتين بالجنّتين السابقتين في نعمهما و آلائهما ، و قد تقدّم أنّ الجنّتين السابقتين لأهل الإخلاص الخائفين مقام ربّهم فهاتان الجنّتان لمن دونهم من المؤمنين العابدين لله سبحانه خوفاً من النار أو طمعاً في الجنّة و هم أصحاب اليمين .

وقيل : معنى « من دونهما » بالقرب منهما ويستفاد من السياق حينئذ أنّ هاتين الجنّتين أيضا لأهل الجنّتين المذكورتين قبلا بل ادّعى بعضهم أنّ هاتين الجنّتين أفضل من السابقتين والصفات المذكورة فيهما أمدح .

و أنت بالتدبّر فيما قدّمناه في معنى لمن خاف مقام ربّه و ما يستفاد من كلامه تعالى أنّ أهل الجنّة صنفان : المقرّبون أهل الإخلاص و أصحاب اليمين تعرف قوّة الوجه السابق .

**قوله تعالى** : « مدهامّتان» الادهيمام من الدهمة اشتداد الخضرة بحيث تضرب إلى السواد و هو ابتهاج الشجرة .

**قوله تعالى** : « فيهما عينان نضّاختان » أي فوّارتان تخرجان من منبعهما بالدفع .

**قوله تعالى** : «فيهما فاكهة و نخل و رمّان» المراد بالفاكهة والرمّان شجرتهما بقرينة النخل .

**قوله تعالى** : «فيهنّ خيرات حسان» ضمير «فيهنّ» للجنان باعتبار أنّها جنّتان جنّتان من هاتين الجنّتين ، و قيل : مرجع الضمير الجنّات الأربع المذكورة في الآيات وقيل : الضمير للفاكهة والنخل والرمّان .

وأكثر ما يستعمل الخير في المعاني كما أنّ أكثر استعمال الحسن في الصور ، و على هذا فمعنى خيرات حسان أنّهن حسان في أخلاقهنّ حسان في وجوههنّ .

**قوله تعالى** : «حور مقصورات في الخيام» الخيام جمع خيمة و هي الفسطاط ، و كونهنّ مقصورات في الخيام أنّهنّ مصونات غير مبتذلات لا نصيب لغير أزواجهنّ فيهنّ .

**قوله تعالى** : «لم يطمثهنّ إنس قبلهم و لاجانّ» تقدّم معناه .

**قوله تعالى** : «متّكئين على رفرف خضر وعبقريّ حسان » في الصحاح : الرفرف ثياب خضر تتّخذ منها المجالس انتهى و قيل : هي الوسائد و قيل : غير ذلك و الخضر جمع أخضر صفة لرفرف ، و العبقريّ قيل : الزرابيّ ، وقيل : الطنافس ، و قيل :

الثياب الموشّاة ، و قيل : الديباج .

**قوله تعالى** : «تبارك اسم ربّك ذي الجلال و الإكرام» ثناء جميل له تعالى بما امتلأت النشأتان الدنيا و الآخرة بنعمه و آلائه و بركاته النازلة من عنده برحمته الواسعة ، و بذلك يظهر أنّ المراد باسمه المتبارك هو الرحمن المفتتحة به السورة ، و التبارك كثرة الخيرات والبركات الصادرة .

فقوله : « تبارك اسم ربّك » تبارك الله المسمّى بالرحمان بما أفاض هذه الآلاء .

و قوله : «ذي الجلال و الإكرام» إشارة إلى تسمّيه بأسمائه الحسنى و اتّصافه بما يدلّ عليه من المعاني الوصفيّة و نعوت الجلال و الجمال ، ولصفات الفاعل ظهور في أفعاله و أثر فيها يرتبط به الفعل بفاعله فهو تعالى خلق الخلق و نظم النظام لأنّه بديع خالق مبدىء فأتقن الفعل لأنّه عليم حكيم و جازى أهل الطاعة بالخير لأنّه ودود شكور غفور رحيم و أهل الفسق بالشرّ لأنّه منتقم شديد العقاب .

فتوصيف الربّ - الّذي أُثني على سعة رحمته - بذي الجلال و الإكرام للإشارة إلى أنّ لأسمائه الحسنى و صفاته العليا دخلاً في نزول البركات و الخيرات من عنده ، وأنّ نعمه وآلاءه عليها طابع أسمائه الحسنى وصفاته العليا تبارك و تعالى .

## ﴿بحث روائي﴾

في المجمع : وقد جاء في الخبر : يحاط على الخلق بالملائكة و بلسان من نار ثمّ ينادون « يا معشر الجنّ و الإنس إن استطعتم - إلى قوله - يرسل عليكما شواظ من نار » .

**اقول** : و روى هذا المعنى عن مسعدة بن صدقة عن كليب عن أبي عبدالله عليه السلام .

وفي الكافي بإسناده عن داود الرقّي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ : « و لمن خاف مقام ربّه جنّتان » قال : من علم أنّ الله يراه و يسمع ما يقول و يعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الّذي خاف

مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى .

و في الدّر المنثور أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و ابن منيع و الحكيم في نوادر الاُصول و النسائيّ و البزار و أبو يعلى و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن المنذر و الطبرانيّ و ابن مردويه عن أبي الدرداء أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قرء هذه الآية « ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» فقلت :وإن زنى و إن سرق يا رسول الله ؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله الثانية « و لمن خاف مقام ربّه جنّتان» فقلت : و إن زنى و إن سرق ؟ فقال الثالثة : « و لمن خاف مقام ربّه جنّتان » فقلت : و إن زنى و إن سرق ؟ فقال : نعم و إن رغم أنف أبي الدرداء .

**اقول** : الرواية لا تخلو من شيء فإنّ الخوف من مقامه تعالى لا يجامع هذه الكبائر الموبقة ، و قد روي عن أبي الدرداء نفسهمايدفع هذه الرواية ففي الدرالمنثور أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن يسار مولى لآل معاوية عن أبي الدرداء في قوله :«و لمن خاف مقام ربّه جنّتان» قال : قيل : يا أبا الدرداء و إن زنى وإن سرق ؟ قال :من خاف مقام ربّه لم يزن ولم يسرق .

و في تفسير القمّيّ في قوله تعالى : « قاصرات الطرف » قال : الحور العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها .

و في الدّر المنثور أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في قوله : «قاصرات الطرف» قال : لاينظرن إلّا إلى أزواجهنّ .

وفي المجمع في قوله تعالى : «كأنّهنّ الياقوت و المرجان » في الحديث أنّ المرأة من أهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير .

**اقول** : وهذا المعنى وارد في عدّة روايات .

و في تفسير العيّاشيّ بإسناده عن على بن سالم قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: آية في كتاب الله مسجّلة . قلت : و ما هي ؟ قال : قول الله عزّ و جلّ : « هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان » جرى في الكافر و المؤمن و البرّ و الفاجر ، و من صنع إليه معروف فعليه أن يكافىء به ، وليس المكافاة أن يصنع كما صنع حتّى يربي فإن صنعت

كما صنع كان له الفضل بالابتداء .

و في المجمع في قوله : « هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان » جاءت الرواية من أنس بن مالك قال : قرء رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله هذه الآية فقال : هل تدرون ما يقول ربّكم؟ قالوا : الله و رسوله أعلم. قال : فإنّ ربّكم يقول : هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلّا الجنّة ؟

و في تفسير القمّيّ في الآية قال : ما جزاء من أنعمت عليه بالمعرفة إلّا الجنّة .

**اقول** : الرواية مرويّة عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله و أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام و قد أسندها في التوحيد إلى جعفر بن محمّد عن آبائه عن عليّ عليه‌السلام عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ و لفظها ـ إنّ الله عزّ و جلّ قال : ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلّا الجنّة و أسندها في العلل إلى الحسن بن عليّ عليهما‌السلام عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ واللفظ ـ هل جزاء من قال : لا إله إلّا الله إلّا الجنّة ؟

و روى الرواية بألفاظها المختلفة في الدرّ المنثور بطرق مختلفة عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: و قوله : أنعمت عليه ، إشارة إلى أنّ إحسان العبد بالحقيقة إحسان من الله إليه .

و في المجمع في قوله تعالى : «ومن دونهما جنّتان» عن العلاء بن سيابة عن أبي عبدالله عليه‌السلام قلت له : إنّ الناس يتعجّبون منّا إذا قلنا : يخرج قوم من النار فيدخلون الجنّة فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله في الجنّة ؟ فقال يا عليّ إنّ الله يقول : « ومن دونهما جنّتان » ما يكونون مع أولياء الله .

وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي موسى عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في قوله : « و لمن خاف مقام ربّه جنّتان » و قوله : « و من دونهما جنّتان» قال : جنّتان من ذهب للمقرّبين و جنّتان من ورق لأصحاب اليمين .

**اقول** : والروايتان تؤيّدان ما قدّمناه في تفسير الآيتين .

و فيه أخرج الطبرانيّ وابن مردويه عن أبي أيّوب قال : سألت النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن قوله : «مدهامّتان» قال : خضراوان .

و في تفسير القمّيّ بإسناده إلى يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله

تعالى : «نضّاختان» قال : تفوران .

و فيه في قوله : «فيهنّ خيرات حسان» قال : جوار نابتات على شطّ الكوثر كلّما أخذت منها نبتت مكانها اُخرى .

و في المجمع في قوله : «خيرات حسان أي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه. روته اُم سلمة عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

وفي الفقيه قال الصادق عليه السلام : الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا و هنّ أجمل من الحور العين .

و في روضة الكافي بإسناده عن الحلبيّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ : «فيهنّ خيرات حسان» قال : هنّ صوالح المؤمنات العارفات .

**اقول** : وفي انطباق الآية بالنظر إلى سياقها على مورد الروايتين إبهام .



﴿سورة الواقعة مكّيّة وهي ستّ وتسعون آية﴾

**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ (٢) خافِضَةٌ رافِعَةٌ (٣) اذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً (٤) وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسّاً (٥) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثّاً (٦) وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلٰثَةً (٧) فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ (٩) وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ (١٠)**

﴿بيان﴾

تصف السورة القيامة الكبرى الّتي فيها بعث الناس و حسابهم و جزاؤهم فتذكر أوّلا شيأ من أهوالها ممّا يقرب من الإنسان و الأرض الّتي يسكنها فتذكر تقليبها للأوضاع و الأحوال بالخفض و الرفع و ارتجاج الأرض و انبثاث الجبال و تقسّم الناس إلى ثلاثة أزواج إجمالا ثمّ تذكر ما ينتهي إليه حال كلّ من الأزواج : السابقين أصحاب اليمين و أصحاب الشمال .

ثمّ تحتجّ على أصحاب الشمال المنكرين لربوبيّته و للبعث المكذّبين للقرآن الداعي إلى التوحيد و الإيمان بالبعث . ثمّ تختم الكلام بذكر الاحتضار بنزول الموت و انقسام الناس إلى ثلاثة أزواج .

والسورة مكّيّة بشهادة سياق آياتها .

**قوله تعالى** : « إذا وقعت الواقعة » وقوع الحادثة هو حدوثها ، و الواقعة صفة توصف بها كلّ حادثة ، و المراد بها ههنا واقعة القيامة و قد اُطلقت إطلاق الأعلام كأنّها لا تحتاج إلى موصوف مقدّر ولذا قيل : إنّها من أسماء القيامة في القرآن كالحاقّة

و القارعة و الغاشية .

و الجملة « إذا وقعت الواقعة » مضمّنة معنى الشرط و لم يذكر جزاء الشرط إعظاما له و تفخيما لأمره و هو على أيّ حال أمر مفهوم ممّا ستصفه السورة من حال الناس يوم القيامة ، والتقدير نحو من قولنا : فاز المؤمنون و خسر الكافرون .

**قوله تعالى** : «ليس لوقعتها كاذبة » قال في المجمع : الكاذبة مصدر كالعافية و العاقبة انتهى و عليه فالمعنى ليس في وقعتها وتحقّقها كذب ، وقيل : كاذبة صفة محذوفة الموصوف والتقدير ليس لوقعتها قضيّة كاذبة .

**قوله تعالى** : « خافضة رافعة » خبران مبتداهما الضمير الراجع إلى الواقعة و الخفض خلاف الرفع و كونها خافضة رافعة كناية عن تقليبها نظام الدنيا المشهود فتظهر السرائر و هي محجوبة اليوم و تحجب وتستر آثار الأسباب و روابطها وهي ظاهرة اليوم و تذلّ الأعزّة من أهل الكفر والفسق و تعزّ المتّقين .

**قوله تعالى** : «إذا رجّت الأرض رجّا » الرجّ تحريك الشيء تحريكا شديدا إشارة إلى زلزلة الساعة الّتي يعظّمها الله سبحانه في قوله : « إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم » الحجّ : ١ ، و قد عظّمها في هذه الآية حيث عبّر عنها برجّ الأرض ثمّ أكّد شدّتها بتنكير قوله : « رجّا » أي رجّاً لا يوصف شدّته . والجملة بدل أو بيان لقوله: «إذا وقعت الواقعة» .

**قوله تعالى** : « و بسّت الجبال بسّا فكانت هباء منبثّا » عطف على «رجّت» و البسّ الفتّ و هو عود الجسم بدقّ و نحوه أجزاء صغاراً متلاشية كالدقيق ، و قيل : البسّ هو التسيير فهو في معنى قوله : «وسيّرت الجبال» النبأ : ٢٠ .

و قوله : «فكانت هباء منبثّا» الهباء قيل : هو الغبار و قيل هو الذرّة من الغبار الظاهر في شعاع الشمس الداخل من كوّة ، والانبثاث التفرّق و المعنى ظاهر .

**قوله تعالى** : « و كنتم أزواجاً ثلاثة » الزوج بمعنى الصنف و الخطاب لعامّة البشر .

**قوله تعالى** : «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة» متفرّع على ما قبلها تفرّع

البيان على المبيّن فهذه الآية و الآيتان بعدها بيان للأزواج الثلاثة .

والميمنة من اليمن مقابل الشؤم فأصحاب الميمنة أصحاب السعادة واليمن مقابل أصحاب المشأمة أصحاب الشقاء و الشؤم ، و ما قيل : إنّ المراد بالميمنة اليمين ، أى ناحية اليمين لأنّهم يؤتون كتابهم بيمينهم و غيرهم يؤتونه بشمالهم يردّه مقابلة أصحاب الميمنة بأصحاب المشأمة ، ولو كان كما قيل لقيل أصحاب الشمال و هو ظاهر .

و ما في قوله : « ما أصحاب الميمنة » استفهامية و مبتدء خبره «أصحاب الميمنة» و المجموع خبر لقوله : « و أصحاب الميمنة » و في الاستفهام إعظام لأمرهم و تفخيم لشأنهم .

**قوله تعالى** : « و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » المشأمة مصدر كالشؤم مقابل اليمين ، والميمنة و المشأمة السعادة والشقاء .

**قوله تعالى** :«و السابقون السابقون» الّذي يصلح أن يفسّر به السابقون الأوّل قوله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله »فاطر: ٣٢ و قوله : « و لكلّ وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات » البقرة : ١٤٨ ، و قوله : «اُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» المؤمنون : ٦١ .

فالمراد بالسابقين - الأوّل - في الآية السابقون بالخيرات من الأعمال و إذا سبقوا بالخيرات سبقوا إلى المغفرة و الرحمة الّتي بإزائها كما قال تعالى : «سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة » الحديد : ٢١ ، فالسابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة و هو قوله : «والسابقون السابقون » .

و قيل : المراد بالسابقون الثاني هو الأوّل على حدّ قوله :

أنا أبو النجم وشعري شعري .

و قوله : « والسابقون السابقون» مبتدء و خبر ، و قيل : الأوّل مبتدء والثاني تأكيد ، و الخبر قوله : « اُولئك المقرّبون» .

ولهم في تفسير السابقين أقوال اُخر فقيل : هم المسارعون إلى كلّ مادعا الله إليه ، و قيل : هم الّذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة من غير توان ، و قيل : هم الأنبياء عليهم السلام

لأنّهم مقدّموا أهل الأديان ، و قيل : هم مؤمن آل فرعون و حبيب النجّار المذكور في سورة يس و عليّ عليه السلام السابق إلى الإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله و هو أفضلهم ، و قيل : هم السابقون إلى الهجرة ، وقيل : هم السابقون إلى الصلوات الخمس ، و قيل : هم الّذين صلّوا إلى القبلتين ، و قيل : هم السابقون إلى الجهاد ، وقيل غير ذلك .

و القولان الأوّلان راجعان إلى ما تقدّم من المعنى ، والثالث و الرابع ينبغي أن يحملا على التمثيل ، و الباقي كما ترى إلّا أن يحمل على نحو من التمثيل .

## ﴿بحث روائي﴾

في الخصال عن الزهريّ قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات ، والله ما الدنيا و الآخرة إلّا ككفّتي ميزان فأيّهما رجح ذهب بالآخر ثمّ تلا قوله عزّ و جلّ : « إذا وقعت الواقعة » يعني القيامة «ليس لوقعتها كاذبة خافضة» خفضت و الله بأعداء الله في النار « رافعة » رفعت والله أولياء الله إلى الجنّة .

و في تفسير القميّ « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة » قال : القيامة هي حقّ ، و قوله : « خافضة » قال : بأعداء الله « رافعة » لأولياء الله « إذا رجّت الأرض رجّا » قال : يدقّ بعضها على بعض « و بسّت الجبال بسّا » قال : قلعت الجبال قلعا «فكانت هباء منبثّا» قال : الهباء الّذي في الكوّة من شعاع الشمس .

و قوله : «و كنتم أزواجا ثلاثة» قال : يوم القيامة « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة و السابقون السابقون » الّذين سبقوا إلى الجنّة .

**أقول** : قوله : الّذين سبقوا إلى الجنّة تفسير للسابقون الثاني .

و في الدّر المنثور أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن عليّ بن - أبي طالب قال : الهباء المنبثّ[1] رهج الدرّات و الهباء المنثور غبار الشمس الّذي تراه

(١) الرهج بفتحتين و بفتح فسكون ما أثير من الغبار .

في شعاع الكوّة .

و فيه أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله : « و السابقون السابقون » قال: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون ، و حبيب النجّار الّذي ذكر في يس و عليّ بن أبي- طالب ، كلّ رجل منهم سابق اُمّته و عليّ أفضلهم سبقا .

و في المجمع عن أبي جعفر عليه السلام قال : السابقون أربعة : ابن آدم المقتول ، و سابق اُمّة موسى و هو مؤمن آل فرعون ، و سابق اُمّة عيسى و هو حبيب و السابق في اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

**أقول** : و روى هذا المعنى في روضة الواعظين عن الصادق عليه السلام.

و في أمالي الشيخ بإسناده إلى ابن عبّاس قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزّ و جلّ : « و السابقون السابقون اُولئك المقرّبون في جنّات النعيم » فقال : قال لي جبرئيل : ذلك عليّ وشيعته ، هم السابقون إلى الجنّة المقرّبون من الله بكرامته لهم .

و في كمال الدين بإسناده إلى خيثمة الجعفی عن أبي جعفر عليه السلام في حديث : و نحن السابقون السابقون و نحن الآخرون .

و في العيون في باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة بإسناده عن عليّ عليه السلام قال : «و السابقون السابقون اُولئك المقرّبون » فيّ نزلت .

و في المجمع في الآية : و قيل : إلى الصلوات الخمس . عن عليّ عليه السلام.

**أقول** : الوجه حمل جميع هذه الأخبار على التمثيل كما تقدّم .

☆ ☆ ☆

اُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ( ١١ ) فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ (١٣) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ ( ١٤ ) عَلٰى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ( ١٥ ) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ ( ١٦ ) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ ( ١٧ ) بِأَكْوٰابٍ وَ أَبٰارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ( ١٨ ) لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهٰا وَ لاٰ يُنْزِفُونَ ( ١٩ ) وَ فٰاكِهَةٍ مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ ( ٢٠ ) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ ( ٢١ ) وَ حُورٌ عِينٌ ( ٢٢ ) كَأَمْثٰالِ اللُّؤْلُوءِ الْمَكْنُونِ ( ٢٣ ) جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ ( ٢٤ ) لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِيماً ( ٢٥ ) اِلاّٰ قِيلاً سَلاٰماً سَلاٰماً ( ٢٦ ) وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ ( ٢٧ ) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ( ٢٨ ) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ ( ٢٩ ) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ ( ٣٠ ) وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ ( ٣١ ) وَ فٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ( ٣٢ ) لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ ( ٣٣ ) وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ( ٣٤ ) اِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ اِنْشٰاءً ( ٣٥ ) فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْكٰاراً ( ٣٦ ) عُرُباً أَتْرٰاباً ( ٣٧ ) لِأَصْحٰابِ الْيَمِينِ ( ٣٨ ) ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ ( ٣٩ ) وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ ( ٤٠ ) وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ ( ٤١ ) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ ( ٤٢ ) وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ( ٤٣ ) لاٰ بٰارِدٍ وَلاٰ كَرِيمٍ ( ٤٤ ) اِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ ( ٤٥ ) وَ كٰانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ( ٤٦ ) وَ كٰانُوا يَقُولُونَ أَئِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً ءَاِنّٰا

لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) .

## ﴿ بيان ﴾

الآيات تفصّل ما ينتهي إليه حال كلّ واحد من الأزواج الثلاثة يوم القيامة .

قوله تعالى : «أُولئك المقرّبون في جنّات النعيم» الإشارة بأُولئك إلى السابقين، و « أُولئك المقرّبون » مبتدء و خبر ، و الجملة استئنافيّة ، و قيل : خبر لقوله : « و السابقون » : و قيل : مبتدء خبره في جنّات النعيم ، و أوّل الوجوه الثلاثة أوجه بالنظر إلى سياق تقسيم الناس إلى ثلاثة أزواج أوّلاً ثمّ تفصيل ما ينتهي إليه أمر كلّ منهم .

و القرب و البعد معنيان متضائفان تتّصف بهما الأجسام بحسب النسبة المكانيّة ثمّ توسّع فيهما فاعتبرا في غير المكان من الزمان و نحوه يقال : الغد قريب من اليوم و الأربعة أقرب إلى الثلاثة من الخمسة ، و الخضرة أقرب إلى السواد من البياض ثمّ توسّع فيهما فاعتبرا في غير الأجسام والجسمانيّات من الحقائق .

و قد اعتبر القرب وصفاً له تعالى بما له من الإحاطة بكلّ شيء قال تعالى : «و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب» البقرة : ١٨٦ ، و قال : « و نحن أقرب إليه منكم» الواقعة ٨٥ ، و قال : « و نحن أقرب إليه من حبل الوريد » ق : ١٦ . و هذا المعنى أعني كونه تعالى أقرب إلى الشيء من نفسه أعجب ما يتصوّر من معنى القرب ، و قد أشرنا إلى تصويره في تفسير الآية .

و اعتبر القرب أيضا وصفاً للعباد في مرحلة العبوديّة ولمّا كان أمراً اكتسابيّاً يستعمل فيه لفظ التقرّب فالعبد يتقرّب بصالح العمل إلى الله سبحانه و هو وقوعه في معرض شمول الرحمة الإلهيّة بزوال أسباب الشقاء و الحرمان ، والله سبحانه يقرّب العبد بمعنى إنزاله منزلة يختصّ بنيل ما لاينال له من دونه من إكرامه تعالى و مغفرته و رحمته قال تعالى: «كتاب مرقوم يشهده المقرّبون» المطفّفين : ٢١ و قال : « و مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقرّبون» المطفّفين : ٢٨ .

فالمقرّبون هم النمط الأعلى من أهل السعادة كما يشير إليه قوله : «و السابقون السابقون اُولئك المقرّبون» ولا يتمّ ذلك إلّا بكمال العبوديّة كما قال : «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون » النساء : ١٧٢ و لا تكمل العبوديّة إلّا بأن يكون العبد تبعا محضاً في إرادته و عمله لمولاه لايريد و لايعمل إلّا ما يريده و هذا هو الدخول تحت ولاية الله فهؤلاء هم أولياء الله .

و قوله : «في جنّات النعيم» أي كلّ واحد منهم في جنّة النعيم فالكلّ في جنّات النعيم ، و يمكن أن يراد به أنّ كلّاً منهم في جنّات النعيم لكن يبعّده قوله في آخر السورة : «فأمّا إن كان من المقرّبين فروح و ريحان و جنّة نعيم» .

و قد تقدّم غير مرّة أنّ النعيم هي الولاية و أنّ جنّة النعيم هي جنّة الولاية و هو المناسب لما تقدّم آنفاً أنّ المقرّبين هم أهل ولاية الله .

**قوله تعالى** : « ثلّة من الأوّلين و قليل من الآخرين » الثلّة ـ على ما قيل ـ الجماعة الكثيرة ، والمراد بالأوّلين الاُمم الماضون للأنبياء السابقين و بالآخرين هذه الاُمّة على ما هو المعهود من كلامه تعالى في كلّ موضع ذكر فيه الأوّلين و الآخرين معا و منها ما سيأتي من قوله : « ءإنّا لمبعوثون أو آباؤنا الأوّلون قل إنّ الأوّلين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » فمعنى الآيتين : هم أي المقرّبون جماعة كثيرة من الاُمم الماضين و قليل من هذه الاُمّة .

و بما تقدّم يظهر أنّ قول بعضهم : إنّ المراد بالأوّلين والآخرين أوّلو هذه الاُمّة و آخروها غير سديد .

**قوله تعالى** : «على سرر موضونة متّكئين عليها متقابلين» الوضن النسج وقيل: نسج الدرع و إطلاقه على نسج السرر استعارة يراد بها إحكام نسجها .

وقوله : « متّكئين عليها» حال من الضمير العائد إلى المقرّبين و الضمير للسرر، و قوله : « متقابلين» حال آخر منه أو من ضمير « متّكئين » و تقابلهم كناية عن بلوغ اُنسهم و حسن عشرتهم و صفاء باطنهم فلا ينظرون في قفاء صاحبهم و لا يعيبونه و لا - يغتابونه .

والمعنى هم أي المقرّبون مستقرّون على سرر منسوجة حال كونهم متّكئين عليها حال كونهم متقابلين .

**قوله تعالى** : « يطوف عليهم ولدان مخلّدون » الولدان جمع ولد و هو الغلام ، و طوافهم عليهم كناية عن خدمتهم لهم : و المخلّدون من الخلود بمعنى الدوام أي باقون أبداً على هيئتهم من حداثة السنّ ، وقيل من الخلد بفتحتين وهو القرط ، والمراد أنّهم مقرّطون بالخلد .

**قوله تعالى** : « بأكواب و أباريق و كأس من معين » الأكواب جمع كوب وهو الإناء الّذي لاعروة له ولا خرطوم و الأباريق جمع إبريق و هو الإناء الّذي له خرطوم، و قيل : عروة و خرطوم معا ، و الكأس معروف قيل : أفرد الكأس لأنّها لاتسمّى كأسا إلّا إذا كانت ممتلئة ، والمراد بالمعين الخمر المعين وهو الظاهر للبصر الجاري .

**قوله تعالى** : « لايصدّعون عنها و لاينزفون » أي لا يأخذهم صداع لأجل خمار يحصل من الخمر كما في خمر الدنيا ولا يزول عقلهم بالسكر الحاصل منها .

**قوله تعالى** : « وفاكهة ممّا يتخيّرون و لحم طير ممّا يشتهون» الفاكهة والطير معطوفان على قوله : «بأكواب» و المعنى يطوف عليهم الولدان بفاكهة ممّا يختارون و طير ممّا يشتهون .

و لا يستشكل بما ورد في الروايات أنّ أهل الجنّة إذا اشتهوا فاكهة تدلّى إليهم غصن شجرتها بما لها من ثمرة فيتناولونها و إذا اشتهوا لحم طير وقع مقليّاً مشويّاً في أيديهم فيأكلون منها ما أرادوا ثمّ حيي وطار .

و ذلك لأنّ لهم ماشاؤا و من فنون التنعّم تناول ما يريدونه من أيدي خدمهم و خاصّة حال اجتماعهم و احتفالهم كما أنّ من فنونه تناولهم أنفسهم من غير توسيط خدمهم فيه .

**قوله تعالى** : « و حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » مبتدء محذوف الخبرعلى ما يفيده السياق و التقدير ولهم حور عين أو و فيهاحور عين والحور العين نساء الجنّة و قد تقدّم معنى الحور العين في تفسير سورة الدخان .

وقوله : «كأمثال اللؤلؤ المكنون»أي اللؤلؤالمصون المخزون في الصدف لم‌تمسّه الأيدي فهو منته في صفائه .

**قوله تعالى** : « جزاء بما كانوا يعملون » قيد لجميع ما تقدّم وهو مفعول له و المعنى فعلنا بهم ما فعلنا ليكون جزاء لهم قبال ما كانوا يستمرّون عليه من العمل الصالح .

**قوله تعالى** : « لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيما » اللغو من القول ما لا فائدة فيه ولا أثر يترتّب عليه ، و التأثيم النسبة إلى‌الاثم أي لايخاطب أحدهم صاحبه بمالافائدة فيه ولاينسبه إلى الاثم إذلا إثم هناك ، و فسّر بعضهم التأثيم بالكذب .

**قوله تعالى** : «إلّا قيلا سلاماسلاما» استثناء منقطع من اللغو و التأثيم ، والقيل مصدر كالقول ، و « سلاما» بيان لقوله : «قيلا » و تكراره يفيد تكرّر الوقوع والمعنى إلّا قولا هو السلام بعد السلام .

قيل : و يمكن أن يكون « سلاما » مصدرا بمعنى الوصف و صفة لقيلاً والمعنى إلّا قولا هو سالم .

**قوله تعالى** : « و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين» شروع في‌تفصيل ما انتهى إليه‌حال أصحاب‌الميمنة وفي تبديله من أصحاب‌اليمين يعلم أنّ أصحاب اليمين وأصحاب الميمنة واحد و هم الّذين يؤتون كتابهم بيمينهم . و الجملة استفهاميّة مسوقة لتفخيم أمرهم و التعجيب من حالهم وهي خبر لقوله : «و أصحاب اليمين» .

**قوله تعالى** : « في سدر مخضود » السدر شجرة النبق و المخضود ما قطع شوكه فلا شوك له .

**قوله تعالى** : « و طلح منضود » الطلح شجر الموز ، و قيل : ليس بالموز بل شجر له ظلّ بارد رطب ، و قيل : شجرة اُمّ غيلان لها أنوار طيّبة الرائحة ، و نضد الأشياء جعل بعضها على بعض ، و المعنى و في شجر موز منضود الثمر بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه .

**قوله تعالى** : « و ظلّ ممدود و ماء مسكوب » قيل : الممدود من الظلّ هو الدائم الّذي لا تنسخه شمس فهو باق لا يزول ، و الماء المسكوب هو المصبوب الجاري من غير انقطاع .

**قوله تعالى** : « و فاكهة كثيرة لا مقطوعة و لا ممنوعة » أي لا مقطوعة في بعض الأزمان كانقطاع الفواكه في شتاء و نحوه في الدنيا ، و لا ممنوعة التناول لمانع من قبل أنفسهم كسأمة أو شبع أو من خارج كبعد المكان أو شوكة تمنع القطف أو غير ذلك .

**قوله تعالى** : « و فرش مرفوعة » الفرش جمع فراش و هو البساط ، و المرفوعة العالية ، و قيل : المراد بالفرش المرفوعة النساء المرتفعات قدرا في عقولهنّ و جمالهنّ و كمالهنّ و المرأة تسمّى فراشا و يناسب هذا المعنى قوله بعد : « إنّا أنشأناهنّ إنشاء » الخ .

**قوله تعالى** : « إنّا أنشأناهنّ إنشاء فجعلناهنّ أبكارا عربا أترابا » أي إنّا أوجدناهنّ و أحدثناهنّ و ربّينا هنّ إحداثا و تربية خاصّة و فيه تلويح إلى أنّهنّ لا يختلف حالهنّ بالشباب و الشيب و صباحة المنظر و خلافها ، و قوله : « فجعلناهنّ أبكارا » أي خلقناهنّ عذارى كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا .

و قوله : « عرباً أترابا » العرب جمع عروب و هي المتحنّنة إلى زوجها أو الغنجة أو العاشقة لزوجها ، و الأتراب جمع ترب بالكسر فالسكون بمعنى المثل أي إنّهنّ أمثال أو أمثال في السنّ لأزواجهنّ .

**قوله تعالى** : « لأصحاب اليمين ثلّة من الأوّلين و ثلّة من الآخرين » يتّضح

معناه بما تقدّم، ويستفاد من الآيات أنّ أصحاب اليمين في الآخرين جمع كثير كالأوّلين لكنّ السابقين المقرّبين في الآخرين أقلّ جمعاً منهم في الأوّلين .

**قوله تعالى** : « و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال» مبتدء وخبر ، والاستفهام للتعجيب و التهويل ، و قد بدّل أصحاب المشأمة من أصحاب الشمال إشارة إلى أنّهم الّذين يؤتون كتابهم بشمالهم كما مرّ نظيره في أصحاب اليمين .

**قوله تعالى** : « في سموم و حميم و ظلّ من يحموم لا بارد ولا كريم » السموم ـ على ما في الكشّاف ـ حرّ نار ينفذ في المسامّ ، و الحميم الماء الشديد الحرارة ، و التنوين فيهما لتعظيم الأمر ، و اليحموم الدخان الأسود ، و قوله : «لا بارد ولا كريم» الظاهر أنّهما صفتان للظلّ لا ليحموم ، وذلك أنّ الظلّ هو الّذي يتوقّع منه أن يتبرّد بالاستظلال به ويستراح فيه دون الدخان .

**قوله تعالى** : « إنّهم كانوا قبل ذلك مترفين » تعليل لاستقرار أصحاب الشمال في العذاب ، والإشارة بذلك إلى ما ذكر من عذابهم يوم القيامة ، وإتراف النعمة الإنسان إبطارها و إطغاؤها له ، و ذلك إشغالها نفسه بحيث يغفل عمّا وراءها فكون الإنسان مترفاً تعلّقه بما عنده من نعم الدنيا و ما يطلبه منها سواء كانت كثيرة أو قليلة .

فلا يرد ما استشكل من أنّ كثيراً من أصحاب الشمال ليسوا من المترفين بمعنى المتوسّعين في التنعّم و ذلك أنّ الإنسان محفوف بنعم ربّه و ليست النعمة هي المال فحسب فاشتغاله بنعم ربّه عن ربّه ترفة منه ، والمعنى أنّا إنّما نعذّبهم بما ذكر لأنّهم كانوا قبل ذلك في الدنيا بطرين طاغين بالنعم .

**قوله تعالى** : « وكانوا يصرّون على الحنث العظيم » في المجمع : الحنث نقض العهد المؤكّد بالحلف ، و الإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه انتهى ، و لعلّ المستفاد من السياق أنّ إصرارهم على الحنث العظيم هو استكبارهم عن عبوديّة ربّهم الّتي عاهدوا الله عليها بحسب فطرتهم و اُخذ منهم الميثاق عليها في عالم الذّر فيطيعون غير ربّهم و هو الشرك المطلق .

و قيل : الحنث الذنب العظيم فتوصيفه بالعظيم مبالغة و الحنث العظيم الشرك

بالله ، و قيل : الحنث العظيم جنس المعاصي الكبيرة ، و قيل : هو القسم على إنكار البعث المشار إليه بقوله تعالى : «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت» النحل: ٣٨ و لفظ الآية مطلق .

**قوله تعالى** : « و كانوا يقولون ءإذا متنا وكنا ترابا و عظاماً ءإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأوّلون » قول منهم مبنيّ على الاستبعاد و لذا أكّدوا استبعاد بعث أنفسهم ببعث آبائهم لأنّ الاستبعاد في موردهم آكد ، و التقدير أو آباؤنا الأوّلون مبعوثون.

**قوله تعالى** : « قل إنّ الأوّلين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » أمر منه تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله أن يجيب عن استبعادهم البعث بتقريره ثمّ إخبارهم عمّا يعيشون به يوم البعث من طعام و شراب و هما الزقّوم والحميم .

و محصّل القول أنّ الأوّلين و الآخرين ـ من غير فرق بينهم لا كما فرّقوا فجعلوا بعث أنفسهم مستبعداً و بعث آبائهم الأوّلين أشدّ استبعاداً و آكد ـ لمجموعون محشورين إلى ميقات يوم معلوم .

والميقات ماوقّت به الشيء وهو وقته المعيّن والمراد بيوم معلوم يوم القيامة المعلوم عند الله فإضافة الميقات إلى يوم معلوم بيانيّة .

**قوله تعالى** : « ثمّ إنّكم أيّها الضالّون المكذّبون لآكلون من شجر من زقّوم فمالؤن منها البطون » من تمام كلام النبيّ صلى الله عليه وآله يخبرهم عمّا ينتهي إليه حالهم يوم القيامة و يعيشون به من طعام و شراب .

و في خطابهم بالضالّين المكذّبين إشارة إلى ملاك شقائهم و خسرانهم يوم البعث و هو ضلالهم عن طريق الحقّ و استقرار ذلك في نفوسهم باستمرارهم على تكذيبهم و إصرارهم على الحنث ، ولو كانوا ضالّين فحسب من غير تكذيب لكان من المرجوّ أن ينجوا و لا يهلكوا .

و « من » في قوله : « من شجر » للابتداء ، و في قوله : « من زقّوم » بيانيّة و يحتمل أن يكون «من زقّوم» بدلاً من « من شجر » ، و ضمير « منها » للشجر أو الثمر و كلّ منهما يؤنّث و يذكّر ولذا جيىء ههنا بضمير التأنيث وفي الآية التالية في قوله:

«فشاربون عليه» بضمير التذكير ، والباقي ظاهر .

**قوله تعالى** : « فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » كلمة « على» للاستعلاء و تفيد في المورد كون الشرب عقيب الأكل من غير ريث ، و الهيم جمع هيماء الإبل الّتي أصابها الهيام بضمّ الهاء و هوداء شبه الاستسقاء يصيب الإبل فتشرب الماء حتّى تموت أو تسقم سقماً شديدا ، و قيل : الهيم الرمال الّتي لاتروى بالماء .

والمعنى فشاربون عقيب ما أكلتم من الزقّوم من الماء الشديد الحرارة فشاربون كشرب الإبل الهيم أوكشرب الرمال الهيم و هذا آخر ما اُمر النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يقوله لهم.

**قوله تعالى** : « هذا نزلهم يوم الدين» أي يوم الجزاء و النزل ما يقدّم للضيف النازل من طعام و شراب إكراماً له ، والمعنى هذا الّذي ذكر من طعامهم و شرابهم هو نزل الضالّين المكذّبين ففي تسمية ما اُعدّ لهم بالنزل نوع تهكّم ، و الآية من كلامه تعالى خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وآله ، و لو كان من كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله خطاباً لهم لقيل : هذا نزلكم .

## ﴿بحث روائي﴾

في الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه و ابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبدالله قال : لمّا نزلت إذا وقعت الواقعة ذكر فيها « ثلّة من الأوّلين و قليل من الآخرين » قال عمر : يا رسول الله ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : تعال واستمع ماقد أنزل الله : « ثلّة من الأوّلين و ثلّة من الآخرين » .

ألا و إنّ من آدم إليّ ثلّة و اُمّتي ثلّة ولن نستكمل ثلّتنا حتّى نستعين بالسودان رعاة الإبل ممّن يشهد أن لا إله إلّاالله وحده لاشريك له . قال السيوطيّ : وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن عروة بن رويم مرسلا .

و فيه أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : لمّا نزلت « ثلّة من الأوّلين و قليل من الآخرين » حزن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله و قالوا : إذن لا يكون من اُمّة محمّد إلّا قليل فنزلت نصف النهار « ثلّة من الأوّلين و ثلّة من الآخرين » تقابلون الناس

فنسخت الآية «وقليل من الآخرين» .

**اقول** : قال في الكشّاف في تفسير الآية : فإن قلت : فقد روي أنّها لمّا نزلت شقّ ذلك على المسلمين فمازال رسول الله صلى الله عليه و آله يراجع ربّه حتّى نزلت «ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين» .

قلت : هذا لايصحّ لأمرين : أحدهما : أنّ هذه الآية واردة في السابقين وروداً ظاهراً و كذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين و وعدهم على السابقين و وعدهم ؟ الثاني أنّ النسخ في الأخبار غير جائز . انتهى .

واُجيب عنه بأنّه يمكن أن يحمل الحديث على أنّ الصحابة لمّا سمعوا الآية الاُولى حسبوا أنّ الأمر في هذه الاُمّة يذهب على هذا النهج فيكون أصحاب اليمين ثلّة من الأوّلين وقليلاً منهم فيكون الفائزون بالجنّة في هذه الاُمة أقلّ منهم في الاُمم السالفة فنزلت «ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين» فزال حزنهم ، و معنى نسخ الآية السابقة إزالة حسبانهم المذكور .

و أنت خبير بأنّه حمل على مالا دليل عليه من جهة اللفظ واللفظ يأباه و خاصّة حمل نسخ الآية على إزالة الحسبان ، و حال الرواية الاُولى و خاصّة من جهة ذيلها كحال هذه الرواية .

و في المجمع في قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلّدون » اختلف في هذه الولدان فقيل: إنّهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولاسيّآت فيعاقبوا عليها فاُنزلوا هذه المنزلة .

قال : وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه سئل عن أطفال المشركين ؟ فقال : هم خدم أهل الجنّة .

**اقول** : و رواه في الدرّ المنثور عن الحسن ، والرواية ضعيفة لاتعويل عليها.

و في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنّة والبزّار وابن مردويه و البيهقيّ في البعث عن عبدالله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله : إنّك لتنظر إلى الطير في الجنّة فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشويّا .

**اقول** : وفي هذا المعنى روايات كثيرة و في بعضها أنّ المؤمن يأكل ما يشتهيه ثمّ يعود الباقي إلى ما كان عليه ويحيى فيطير إلى مكانه و يباهي بذلك .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « لايسمعون فيها لغواً ولاتأثيما » قال : الفحش والكذب والغنا .

**أقول** : لعلّ المراد بالغنا مايكون منه لهوا او الغنا مصحّف الخنا .

و فيه في قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » قال : عليّ بن أبي‌طالب عليه‌السلام وأصحابه شيعته .

**اقول** : الرواية مبنيّة على ما ورد في ذيل قوله تعالى : « يوم ندعو كلّ اُناس بإمامهم فمن اُوتي كتابه بيمينه » أسرى : ٧١ أنّ اليمين هو الإمام الحقّ و معناها أنّ اليمين هو عليّ عليه‌السلام وأصحاب اليمين شيعته ، والرواية من الجري .

وفيه في قوله تعالى : « في سدر مخضود » شجر لايكون له ورق ولا شوك فيه ،و قرء أبوعبدالله عليه‌السلام ،«وطلع منضود» قال : بعضه على بعض .

وفي الدّرالمنثورأخرج الحاكم وصحّحه والبيهقيّ في البعث عن أبي أمامة قال : كان أصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقولون : إنّ الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم . أقبل أعرابي يوماً فقال : يارسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة موذية ، وماكنت أرى أنّ في الجنّة شجرة تؤذي صاحبها . فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : وما هي ؟ قال : السدر فإنّ لها شوكاً فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أليس يقول الله : « في سدر مخضود » يخضده الله من شوكه فيجعل مكان كلّ شوكة ثمرة إنّها تنبت ثمراً تفتق الثمر منها عن اثنين و سبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر .

و في المجمع : وروت العامّة عن عليّ عليه‌السلام أنّه قرء رجل عنده «و طلح منضود» فقال : ماشأن الطلح إنّما هو «و طلع » كقوله : « ونخل طلعها هضيم » فقيل له : ألا تغيّره ؟ قال : إنّ القرآن لايهاج اليوم ولا يحرّك ، رواه عنه ابنه الحسن عليه‌السلام وقيس بن سعد .

وفي الدرّ المنثور أخرج عبد الرزاق و الفاريابي وهنّاد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب في قوله : «و طلح منضود» قال : هو الموز .

و في المجمع ورد في الخبر أنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا إن شئتم « وظلّ ممدود» وروي أيضا أنّ أوقات الجنّة كغدوات الصيف لا يكون فيها حرّ ولا برد .

**أقول** : و روى الأوّل في الدرّ المنثور عن أبي سعيد و أنس و غيرهما عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وفي روضة الكافي باسناده عن عليّ بن إبراهيم عن ابن محبوب عن محمّد بن إسحاق المدنيّ عن أبي جعفر عليه السلام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث يصف فيه الجنّة و أهلها : و يزور بعضهم بعضا و يتنعّمون في جنّاتهم في ظلّ ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وأطيب من ذلك .

و في تفسير القمّي : و قوله : «إنّا أنشأناهنّ إنشاء» قال : الحور العين في الجنّة «فجعلناهنّ أبكاراً عربا» قال : لا يتكلّمون إلاّ بالعربيّة .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله : «عرباً» قال : كلامهنّ عربيّ .

**أقول** : و في روايات اُخر أنّ عرباً جمع عروب وهي الغنجة .

و فيه أخرج مسدّد في مسنده وابن المنذر و الطبراني وابن مردويه بسند حسن عن أبي بكرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى : «ثلّة من الأوّلين و ثلّة من الآخرين» قال : هما جميعا من هذه الاُمّة .

**أقول** : وهذا المعنى مرويّ في غير واحد من الروايات لكن ظاهر آيات السورة أنّ القسمة لكافّة البشر لا لهذه الاُمّة خاصّة ، ولعلّ المراد من هذه الروايات بيان بعض المصاديق وإن كان بعيدا ، وكذا المراد ممّا ورد أنّ أصحاب اليمين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وما ورد أنّ أصحاب الشمال أعداء آل محمّد عليهم السلام .

و في المحاسن بإسناده عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الشرب بنفس واحد فكرهه و قال : ذلك شرب الهيم . قلت : و ما الهيم ؟ قال : الإبل .

و فيه بإسناده عن الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يكره أن يتشبّه بالهيم. قلت : و ما الهيم ؟ قال : الرمل .

**أقول** : والمعنيان جميعا واردان في روايات اُخر .



☆ ☆ ☆

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ( ٥٧ ) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ( ٥٨ ) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ( ٥٩ ) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ( ٦٠ ) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ( ٦٢ ) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ( ٦٤ ) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ( ٦٥ ) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ( ٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ( ٦٧ ) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ( ٦٨ ) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ( ٦٩ ) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ( ٧٠ ) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ( ٧١ ) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ( ٧٢ ) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ( ٧٣ ) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ(٧٤) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ( ٧٥ ) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ( ٧٦ ) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ( ٧٧ ) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ( ٨٠ ) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ( ٨١ ) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ( ٨٢ ) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ( ٨٣ ) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤ ) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا -

تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦).

## ﴿ بيان ﴾

لمّا فصّل سبحانه القول فيما ينتهي إليه حال كلّ من الأزواج الثلاثة ففصّل حال أصحاب الشمال و أنّ الّذي ساقهم إلى ذلك نقضهم عهد العبوديّة و تكذيبهم للبعث و الجزاء و أمر نبيّه صلّى الله عليه و آله أن يردّ عليهم بتقرير البعث و الجزاء و بيان ما يجزون به يوم البعث .

و بخّهم على تكذيبهم بالمعاد مع أنّ الّذي يخبرهم به هو خالقهم الّذي يدبّر أمرهم و يقدّر لهم الموت ثمّ الإنشاء فهو يعلم ما يجري عليهم مدى وجودهم و ما ينتهي إليه حالهم و مع أنّ الكتاب الّذي ينبّؤهم بالمعاد هو قرآن كريم مصون من أن يلعب به أيدي الشياطين و أوليائهم المضلّين .

ثمّ يعيد الكلام إلى ما بدىء به من حال الأزواج الثلاثة و يذكر أنّ اختلاف أحوال الأقسام يأخذ من حين الموت و بذلك تختتم السورة .

**قوله تعالى** : « نحن خلقناكم فلولا تصدّقون » السياق سياق الكلام في البعث والجزاء وقد أنكروه و كذّبوا به فقوله : «فلولا تصدّقون» تحضيض على تصديق حديث

المعاد و ترك التكذيب به ، و قد علله بقوله : «نحن خلقناكم» كما يستفاد من التفريع الّذي في قوله : «فلولا تصدّقون» ،

و إيجاب خلقه تعالى لهم وجوب تصديقه فيما يخبر به من المعاد من وجهين : أحدهما أنّه تعالى خلقهم أوّل مرّة فهو قادر على إعادة خلقهم ثانيا كما قال : «قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة و هو بكلّ خلق عليم» يس : ٧٩ .

و ثانيهما أنّه تعالى لمّا كان هو خالقهم وهوالمدبّر لأمرهم المقدّر لهم خصوصيّات خلقهم و أمرهم فهو أعلم بما يفعل بهم و سيجري عليهم فإذا أنبأهم بأنّه سيبعثهم بعد موتهم و يجزيهم بما عملوا إن خيراً وإن شرّاً لم يكن بدّ من تصديقه فلاعذر لمن كذّب بما أخبر به كتابه من البعث و الجزاء قال تعالى : «ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير» الملك : ١٤ ، و قال : «كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» الأنبياء : ١٠٤ ، و قال : «وعد الله حقّا و من أصدق من الله قيلا» النساء : ١٢٢ .

فمحصّل الآية نحن خلقناكم ونعلم مافعلنا وما سنفعل بكم فنخبركم أنّا سنبعثكم و نجزيكم بما عملتم فهلاّ تصدّقون بما نخبركم به فيما أنزلناه من الكتاب .

و في الآية و ما يتلوها من الآيات التفات من الغيبة إلى الخطاب لأنّ السياق سياق التوبيخ والمعاتبة و ذلك بالخطاب أوقع وآكد .

**قوله تعالى** : «أفرأيتم ما تمنون» الإمناء قذف المنيّ وصبّه والمراد قذفه وصبّه في الأرحام ، والمعنى أفرأيتم المنيّ الّذي تصبّونه في أرحام النساء .

**قوله تعالى** : «ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» أي ءأنتم تخلقونه بشراً مثلكم أم نحن خالقوه بشرا .

**قوله تعالى** : «نحن قدّرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين» تدبير أمرالخلق بجميع شؤنه و خصوصيّاته من لوازم الخلق بمعنى إفاضة الوجود فوجود الإنسان المحدود بأوّل كينونته إلى آخر لحظة من حياته الدنيا بجميع خصوصيّاته الّتي تتحوّل عليه بتقدير من خالقه عزّ و جلّ . فموته ايضا كحياته بتقدير منه ، وليس يعتريه الموت لنقص

من قدرة خالقه أن يخلقه بحيث لا يعتريه الموت أو من جهة أسباب و عوامل تؤثّر فيه بالموت فتبطل الحياة الّتي أفاضها عليه خالقه تعالى فإنّ لازم ذلك أن تكون قدرته تعالى محدودة ناقصة و أن يعجزه بعض الأسباب و تغلب إرادته إرادته و هو محال كيف ؟ و القدرة مطلقة والإرادة غير مغلوبة .

و يتبيّن بذلك أنّ المراد بقوله : «نحن قدّرنا بينكم الموت» أنّ الموت حقّ مقدّر وليس أمراً يقتضيه و يستلزمه نحو وجود الحيّ بل هو تعالى قدّر له وجودا كذا ثمّ موتاً يعقّبه .

وأنّ المراد بقوله : «وما نحن بمسبوقين» ـ و السبق هو الغلبة والمسبوق المغلوب ـ و لسنا مغلوبين في عروض الموت عن الأسباب المقارنة له بأن نفيض عليكم حياة نريد أن يدوم ذلك عليكم فيسبقنا الأسباب و تغلبنا فتبطل بالموت الحياة الّتي كنّا نريد دوامها .

**قوله تعالى** : «على أن نبدّل أمثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون» «على» متعلّقة بقوله : «قدّرنا» وجملة الجارّ و المجرور في موضع الحال أي نحن قدّرنا بينكم الموت حال كونه على أساس تبديل الأمثال والإنشاء فيما لا تعلمون .

و الأمثال جمع مثل بالكسر فالسكون و مثل الشيء ما يتّحد معه في نوعه كالفرد من الإنسان بالنسبة إلى فرد آخر ، و المراد بقوله : « أن نبدّل أمثالكم » أن نبدّل أمثالكم من البشر منكم أو نبدّل أمثالكم مكانكم ، والمعنى على أيّ حال تبديل جماعة من اُخرى و جعل الأخلاف مكان الأسلاف.

و قوله : « و ننشئكم فيما لا تعلمون » «ما» موصولة و المراد به الخلق والجملة معطوفة على « نبدّل» والتقدير وعلى أن ننشئكم و نوجدكم في خلق آخر لا تعلمونه و هو الوجود الاُخرويّ غير الوجود الدنيويّ الفاني .

و محصّل معنى الآيتين أنّ الموت بينكم إنّما هو بتقدير منّا لا لنقص في قدرتنا بأن لا يتيسّر لنا إدامة حياتكم ولا لغلبة الأسباب المهلكة المبيدة وقهرها و تعجيزها لنا في حفظ حياتكم وإنّما قدّرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال و إذهاب قوم والإتيان

بآخرين و إنشاء خلق لكم يناسب الحياة الآخرة وراء الخلق الدنيوي الداثر فالموت انتقال من دار إلى دار و تبدل خلق إلى خلق آخر وليس بانعدام وفناء .

واحتمل بعضهم أن يكون الأمثال في الآية جمع مثل بفتحتين وهو الوصف فتكون الجملتان « على أن نبدل » الخ و «ننشئكم» الخ تفيدان معنى واحداً و المعنى على أن نغير أوصافكم و ننشئكم في وصف لا تعرفونه أو لا تعلمونه كحشركم في صفة الكلب أو الخنزير أوغيرهما من الحيوان بعد ماكنتم في الدنيا على صفة الإنسان ؛ والمعنى السابق أجمع وأكثر فائدة .

**قوله تعالى** : «و لقد علمتم النشأة الاُولى فلولا تذكّرون» المراد بالنشأة الاُولى نشأة الدنيا ، والعلم بها بخصوصيّاتها يستلزم الإذعان بنشأة اُخرى خالدة فيها الجزاء ، فإنّ من المعلوم من النظام الكوني أن لا لغو ولا باطل في الوجود فلهذه النشأة الفانية غاية باقية ، و أيضا من ضروريّات هذا النظام هداية كلّ شيء إلى سعادة نوعه و هداية الإنسان تحتاج إلى بعث الرسل و تشريع الشرائع و توجيه الأمر والنهي ، و الجزاء على خير الأعمال و شرّها و ليس في الدنيا فهو في دار اُخرى و هي النشأة الآخرة [(١)] .

على أنّهم شاهدوا النشأة الاُولى و عرفوها و علموا أنّ الّذي أوجدها عن كتم العدم هو الله سبحانه و إذ قدر عليها أوّلا فهو على إيجاد مثلها ثانيا قادر قال تعالى : « قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة » يس : ٧٩ و هذا برهان على الإمكان يرتفع به استبعادهم للبعث .

وبالجملة يحصل لهم بالعلم بالنشأة الاُولى علم بمبادي البرهان على إمكان البعث فيرتفع به استبعاد البعث فلا استبعاد مع الإمكان .

و هذا - كما ترى - برهان على إمكان حشر الأجساد محصّله أن البدن المحشور مثل البدن الدنيوي وإنجاز صنع البدن الدنيوي وإحياؤه فليجز صنع البدن الاُخروي وإحياؤه لأنّه مثله وحكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد .

فمن العجيب قول الزمخشري في الكشّاف في الآية : وفي هذا دليل على صحّة

---

(١) الاية ٢٧ و ٢٨ من سورة ص .

القياس حيث جهّلهم في ترك قياس النشأة الاُخرى بالاُولى . انتهى وذلك لأنّ الّذي في الآية قياس برهاني منطقي و الّذي يستدلّ بها عليه قياس فقهي مفيد للظنّ فأين أحدهما من الآخر .

و قال في روح المعاني في الآية : فهلاّ تتذكّرون أنّ من قدر عليها يعني على النشأة الاُولى فهو على النشأة الاُخرى أقدر و أقدر فإنّها أقلّ صنعا لحصول الموادّ و تخصيص الأجزاء وسبق المثال، وهذا على ما قالوا دليل على صحّة القياس لكن قيل : لا يدلّ إلاّ على قياس الأولى لأنّه الّذي في الآية . انتهى .

و فيه ما في سابقه . على أنّ الّذي في الآية ليس من قياس الأولى في شيء لأنّ الجامع بين النشأة الاُولى والاُخرى أنّهما مثلان ومبدء القياس أنّ حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد .

و أمّا قوله : « إنّ النشأة الاُخرى أقلّ صنعاً لحصول الموادّ و تخصيص الأجزاء» فهو ممنوع فإنّ الموادّ تحتاج إلى إفاضة الوجود بقاء كما تحتاج إليها في حدوثها و أوّل حصولها ، وكذا تخصّص الأجزاء يحتاج إليها بقاء كما تحتاج إليها فالصنع ثانياً كالصنع أوّلا .

و أمّا قوله : « و سبق المثال » فقد خلط بين المثل و المثال فالبدن الأخروي بالنظر إلى نفسه مثل البدن الدنيوي لا على مثاله و لو كان على مثاله كانت الآخرة دنيا لا آخرة .

**فان قلت:** لو كان البدن الاُخروى مثلا للبدن الدنيوي و مثل الشيء غيره كان الإنسان المعاد في الآخرة غير الإنسان المبتدء في الدنيا لأنّه مثله لا عينه .

**قلت :** قد تقدّم في المباحث السابقة غير مرّة أنّ شخصيّة الإنسان بروحه لا ـ ببدنه ، و الروح لا تنعدم بالموت و إنّما يفسد البدن و تتلاشى أجزاؤه ثمّ إذا سوّي ثانيا مثل ما كان في الدنيا ثمّ تعلّقت به الروح كان الإنسان عين الانسان الّذي في الدنيا كما كان زيد الشائب مثلاً عين زيد الشابّ لبقاء الروح على شخصيّتها مع تغيّر البدن لحظة بعد لحظة .

**قوله تعالى** : « أفرأيتم ما تحرثون - إلى قوله - محروهون » بعد ما ذكّرهم بكيفيّة خلق أنفسهم و تقدير الموت بينهم تمهيداً للبعث والجزاء و كلّ ذلك من لوازم ربوبيّته عدّ لهم اُموراً ثلاثة من أهمّ ما يعيشون به في الدنيا و هي الزرع الّذي يقتاتون به و الماء الّذي يشربونه والنار الّتي يصطلون بها و يتوسّلون بها إلى جمل من مآربهم، و تثبت بذلك ربوبيّته لهم فليست الربوبيّة إلّا التدبير عن ملك .

فقال : « أفرأيتم ما تحرثون » الحرث العمل في الأرض و إلقاء البذر عليها « ءأنتم تزرعونه » أي تنبتونه و تنمونه حتّى يبلغ الغاية ، و ضمير « تزرعونه » للبذر أو الحرث المعلوم من المقام « أم نحن الزارعون » المنبتون المنمون حتّى يكمل زرعا «لو نشاء لجعلناه حطاما» أي هشيما متكسّرا متفتّتا «فظلتم» أي فظللتم وصرتم «تفكّهون» أي تتعجّبون ممّا اُصيب به زرعكم وتتحدّثون بماجرى قائلين «إنّا لمغرمون» موقعون في الغرامة والخسارة ذهب مالنا وضاع وقتنا وخاب سعينا «بل نحن محرومون» ممنوعون من الرزق والخير .

و لا منافاة بين نفي الزرع عنهم و نسبته إليه تعالى وبين توسّط عوامل و أسباب طبيعيّة في نبات الزرع و نموّه فإنّ الكلام عائد في تأثير هذه الأسباب و صنعها ، و ليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعة عنه تعالى بل بجعله و وضعه و موهبته ، و كذا الكلام في أسباب هذه الأسباب ، و ينتهي الأمر إلى الله سبحانه و أنّ إلى ربّك المنتهى .

**قوله تعالى:** « أفرأيتم الماء الّذي تشربون - إلى قوله - فلولا تشكرون» المزن السحاب ، وقوله : « فلولا تشكرون » تحضيض على الشكر ، و شكره تعالى جميل ذكره تعالى على نعمه وهو إظهار عبوديّته قولا و عملا . والباقي ظاهر .

**قوله تعالى :** « أفرأيتم النار الّتي تورون - إلى قوله - و متاعاً للمقوين » قال في المجمع : الإيراء إظهار النار بالقدح يقال : أورى يوري قال : و يقال : قدح فأورى إذا أظهر فإذا لم يور يقال : قدح فأكبى و قال :والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد ، وأقوت الدار خلت من أهلها . انتهى والمعنى ظاهر .

**قوله تعالى :** «فسبّح باسم ربّك العظيم» خطاب للنبي ﷺ . لمّا ذكرسبحانه شواهد ربوبيّته لهم و أنّه الّذي يخلقهم و يدبّر أمرهم و من تدبيره أنّه سيبعثهم و يجزيهم بأعمالهم و هم مكذّبون بذلك أعرض عن خطابهم و التفت إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله إشعاراً بأنّهم لايفقهون القول فأمر النبيّ ﷺ أن ينزّهه تعالى عن إشراكهم به و إنكارهم البعث والجزاء .

فقوله : « فسبّح باسم » الخ الفاء لتفريع التسبيح على ما تقدّم من البيان ، والباء للاستعانة أو الملابسة والمعنى فإذا كان كذلك فسبّح مستعيناً بذكر اسم ربّك ، أو المراد بالاسم الذكر لأنّ إطلاق اسم الشيء ذكر له كما قيل أو الباء للتعدية لأنّ تنزيه اسم الشيءتنزيه له ، والمعني نزّه اسم ربّك من أن تذكر له شريكا أو تنفيعنه البعث والجزاء ، والعظيم صفة الربّ أو الاسم .

**قوله تعالى:** «فلا اُقسم بمواقع النجوم» «لا اُقسم» قسم وقيل : لازائدة واُقسم هوالقسم ، وقيل : لانافية واُقسم هوالقسم .

و «مواقع» جمع موقع وهو المحلّ والمعنى اُقسم بمحالّ النجوم من السماء ، و قيل : مواقع جمع موقع مصدر ميميّ بمعنى السقوط يشير به إلى سقوط الكواكب يوم القيامة أو وقوع الشهب على الشياطين، أو مساقط الكواكب في مغاربها ، و أوّل الوجوه هو السابق إلى الذهن .

**قوله تعالى :** « و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم » تعظيم لهذا القسم و تأكيد على تأكيد .

**قوله تعالى:** « إنّه لقرآن كريم ـ إلى قوله ـ من ربّ العالمين » لمّا كان إنكارهمحديث وحدانيّتهتعالى فيربوبيّته واُلوهيّته وكذا إنكارهم للبعث و الجزاءإنّما أبدوه بإنكار القرآن النازل علىالنبيّ ﷺ الّذي فيه نبأالتوحيد و البعث كانإنكارهم منشعبا إلى إنكار أصل التوحيد و البعث أصلا ، و إلى إنكار ذلك بما أنّ القرآن ينبّؤهم به ، فأورد تعالى أوّلاً بيانا لإثبات أصل الوحدانيّة والبعث بذكر شواهد من آياته تثبت ذلك وهو قوله : « نحن خلقناكم ـ إلى قوله ـ ومتاعاً للمقوين » ، و ثانيا

بيانا يؤكّد فيه كون القرآن الكريم كلامه المحفوظ عنده النازل منه و وصفه بأحسن أوصافه .

فقوله : « إنّه لقرآن كريم » جواب للقسم السابق ، الضمير للقرآن المعلوم من السياق السابق و يستفادمن توصيفه بالكريم من غير تقييد في مقام المدح أنّه كريم على الله عزيز عنده و كريم محمود الصفات وكريم بذّال نفّاع للناس لمافيه من اُصول المعارف الّتي فيها سعادة الدنيا والآخرة .

وقوله «في كتاب مكنون» وصف ثان للقرآن أي محفوظ مصون عن التغيير والتبديل، وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى : «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج : ٢٢.

و قوله : « لا يمسّه إلّا المطهّرون » صفة الكتاب المكنون و يمكن أن يكون وصفا ثالثا للقرآن و مآل الوجهين على تقدير كون لا نافية واحد .

و المعنى لا يمسّ الكتاب المكنون الّذي فيه القرآن إلّا المطهّرون أو لا يمسّ القرآن الّذي في الكتاب إلّا المطهّرون .

و الكلام على أيّ حال مسوق لتعظيم أمر القرآن و تجليله فمسّه هو العلم به وهو في الكتاب المكنون كما يشير إليه قوله : « إنّا جعلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون و أنّه في اُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» الزخرف : ٤ .

و المطهّرون - اسم مفعول من التطهير - هم الّذين طهّر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي و قذارات الذنوب أو ممّا هو أعظم من ذلك و أدقّ و هو تطهير قلوبهم من التعلّق بغيره تعالى ، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمسّ الّذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر .

فالمطهّرون هم الّذين أكرمهم الله بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام والّذين طهّرهم الله من البشر قال تعالى : «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا» الأحزاب : ٣٣ و لا وجه لتخصيص المطهّرين بالملائكة كما عن جلّ المفسّرين لكونه تقييداً من غير مقيّد .

و ربّما جعل «لا» في « لا يمسّه » ناهية ، و المراد بالمسّ على هذا مسّ كتابة

القرآن ، و بالطهارة الطهارة من الحدث أو الحدث و الخبث جميعا ـ و قرىء «المطّهّرون» بتشديد الطاء و الهاء و كسر الهاء أي المتطهّرون ـ و مدلول الآية تحريم مسّ كتابة القرآن على غير طهارة .

و يمكن حمل الآية على هذا المعنى على تقدير كون «لا» نافية بأن تكون الجملة إخباراً اُريد به الإنشاء وهو أبلغ من الإنشاء .

قال في الكشّاف : وإن جعلتها يعني جملة «لا يمسّه إلّا المطهّرون» صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسّه إلّا من هو على الطهارة من الناس يعني مسّ المكتوب منه ، انتهي و قد عرفت صحّة أن يراد بالمسّ العلم والاطّلاع على تقدير كونها صفة للقرآن كما يصحّ على تقدير كونها صفة لكتاب مكنون .

و قوله : « تنزيل من ربّ العالمين » وصف آخر للقرآن ، و المصدر بمعنى اسم المفعول أي منزّل من عند الله إليكم تفتهمونه و تعقلونه بعد ما كان في كتاب مكنون لا يمسّه إلّا المطهّرون .

و التعبير عنه تعالى بربّ العالمين للإشارة إلى أنّ ربوبيّته تعالى منبسطة على جميع العالمين و هم من جملتهم فهو تعالى ربّهم و إذا كان ربّهم كان عليهم أن يؤمنوا بكتابه و يصغوا لكلامه و يصدّقوه من غير تكذيب .

**قوله تعالى** : « أفبهذا الحديث أنتم مدهنون » الإشارة بهذا الحديث إلى القرآن ، و الإدهان به التهاون به و أصله التليين بالدهن استعير للتهاون ، و الاستفهام للتوبيخ يوبّخهم تعالى على عدّهم أمر القرآن هيّناً لا يعتنى به .

**قوله تعالى** : «و تجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون» قيل : المراد بالرزق حظّهم من الخير ، والمعنى و تجعلون حظّكم من الخير الّذي لكم أن تنالوه بالقرآن أنّكم تكذّبون به أي تضعونه موضعه ، وقيل : المراد بالرزق القرآن رزقهم الله إيّاه ، والمعنى تأخذون التكذيب مكان هذا الرزق الّذي رزقتموه ، و قيل : الكلام بحذف مضاف و التقدير : و تجعلون شكر رزقكم أنّكم تكذّبون أي وضعتم التكذيب موضع الشكر.

**قوله تعالى** : « فلولا إذا بلغت الحلقوم ـ إلى قوله ـ صادقين » رجوع إلى أوّل

الكلام بالتفريع على تكذيبهم بأنّكم إن كنتم صادقين في نفيكم للبعث مصيبين في تكذيبكم لهذا القرآن الّذي ينبّؤكم بالبعث رددتم نفس المحتضر الّتي بلغت الحلقوم إذ لو لم يكن الموت بتقدير من الله كان من الأمور الاتّفاقية الّتي ربّما أمكن الاحتيال لدفعها ، فإذ لم تقدروا على رجوعها وإعادة الحياة معها فاعلموا أنّ الموت حقّ مقدّر من الله لسوق النفوس إلى البعث والجزاء .

فقوله : « فلولا إذا بلغت الحلقوم » تفريع على تكذيبهم بالقرآن و بما أخبر به من البعث والجزاء ، ولولا للتحضيض تعجيزاً وتبكيتاً لهم ، وضمير «بلغت» للنفس ، وبلوغ النفس الحلقوم كناية عن الإشراف التامّ للموت .

و قوله : « و أنتم حينئذ تنظرون » أي تنظرون إلى المحتضر أي هو بمنظر منكم .

و قوله : « و نحن أقرب إليه منكم و لكن لا تبصرون » أي و الحال أنّا أقرب إليه منكم لإحاطتنا به وجودا ورسلنا القابضون لروحه أقرب إليه منكم و لكن لا تبصروننا و لا رسلنا .

قال تعالى : « الله يتوفّى الأنفس حين موتها » الزمر: ٤٢ و قال : «قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكّل بكم» السجدة : ١١ وقال : «حتّى إذا جاء أحدهم الموت توفّته رسلنا» الانعام : ٦١.

و قوله : « فلولا إن كنتم غير مدينين » تكرار «لولا» لتأكيد «لولا» السابقة ، و «مدينين» أي مجزيّين من دان يدين بمعنى جزى يجزي ، والمعنى إن كنتم غير مجزيّين ثواباً و عقاباً بالبعث .

و قوله : «ترجعونها إن كنتم صادقين» أي إن كنتم صادقين في دعواكم أن لا بعث و لا جزاء ، و قوله : « ترجعونها » مدخول لولا التحضيضيّة بحسب التقدير و ترتيب الآيات بحسب التقدير فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين .

**قوله تعالى** : « فأمّا إن كان من المقرّبين فروح و ريحان و جنّة نعيم » رجوع إلى بيان حال الأزواج الثلاثة المذكورة في أوّل السورة عند الموت و بعده وضمير «كان»

للمتوفّى المعلوم من السياق ، والمراد بالمقرّبين السابقون المقرّبون المذكورون سابقا ، والروح الراحة ، والريحان الرزق ، و قيل : هو الريحان المشموم من ريحان الجنّة يؤتى به إليه فيشمّه و يتوفّى .

والمعنى فأمّا إن كان المتوفّى من المقرّبين فله ـ أو فجزاؤه ـ راحة من كلّ همّ وغمّ وألم ورزق من رزق الجنّة و جنّة نعيم .

**قوله تعالى** : « وأمّا إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » يمكن أن يكون اللاّم للاختصاص الملكيّ و معنى « سلام لك » أنّك تختصّ بالسلام من أصحاب اليمين الّذين هم قرناؤك و رفقاؤك فلا ترى منهم إلّا خيراً و سلاما .

و قيل : لك بمعنى عليك أي يسلّم عليك أصحاب اليمين ، وقيل غير ذلك .

والالتفات من الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أنّه يخاطب بهذا الخطاب : سلام لك من أصحاب اليمين .

**قوله تعالى** : «وأمّا إن كان من المكذّبين الضالّين فنزل من حميم و تصلية جحيم» تصلية النار الإدخال فيها ، وقيل : مقاساة حرّها وعذابها .

والمعنى وأمّا إن كان من أهل التكذيب والضلال فلهم نزل من ماء شديد الحرارة ، ومقاساة حرّ نار جحيم .

و قد وصفهم الله بالمكذّبين الضالّين فقدّم التكذيب على الضلال لأنّ ما يلقونه من العذاب تبعة تكذيبهم و عنادهم للحقّ و لو كان ضلالا بلا تكذيب و عناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المنزلة و أمّا قوله سابقا : « ثمّ إنّكم أيّها الضالّون المكذّبون » فإن كان المقام هناك مقام الردّ لقولهم : ءإذا متنا و كنّا ترابا و عظاما ءإنّا لمبعوثون » الخ كان الأنسب توصيفهم أوّلا بالضلال ثمّ بالتكذيب .

**قوله تعالى**: « إنّ هذا لهو حقّ اليقين» الحقّ هو العلم من حيث إنّ الخارج الواقع يطابقه ، واليقين هو العلم الّذي لا لبس فيه و لاريب فإضافة الحقّ إلى اليقين نحو من الإضافة البيانيّة جيء بها للتأكيد .

والمعنى أنّ هذا الّذي ذكرناه من حال أزواج الناس الثلاثة هو الحقّ الّذي لا ـ

تردّد فيه والعلم الّذي لاشكّ يعتريه .

**قوله تعالى** : « فسبّح باسم ربّك العظيم» تقدّم تفسيره ، و هو تفريع على ما تقدّمه من صفة القرآن و بيان حال الأزواج الثلاثة بعد الموت وفى الحشر .

و المعنى فإذا كان القرآن على هذه الصفات وصادقاً فيما ينبّؤبه من حال الناس بعد الموت فنزّه ربّك العظيم مستعيناً أو ملابساً باسمه وانف ما يراه و يدّعيه هؤلاء المكذّبون الضالّون .

## ﴿بحث روائى﴾

في المجمع فيقوله تعالى : «ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» : وروي عنالنبيّ صلىالله عليه وآله قال : لايقولنّ أحدكم : زرعت وليقل : حرثت .

**اقول:** و رواه في الدّر المنثور عن عدّة من أصحاب الجوامع عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله .

و في تفسير القمّي : « ءأنتم أنزلتموه من المزن » قال : من السحاب « نحن جعلناها تذكرة » لنار يوم القيامة « و متاعاً للمقوين » قال : المحتاجين .

و في المجمع في قوله تعالى : «فسبّح باسم ربّك العظيم » : فقد صحّ عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذهالآية قال : اجعلوها في ركوعكم .

**اقول:** ورواه في الفقيه مرسلا ، ورواه في الدّر المنثور عن الجهنيّ عنه صلى الله عليه وآله.

و في الدّر المنثور أخرج النسائي وابن جرير و محمّد بن نصر والحاكم و صحّحه و ابن مردويه و البيهقيّ في شعب الإيمان عن ابن عبّاس قال : اُنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثمّ فرّق في السنين و في لفظ ثمّ نزّل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوما ثمّ قرء «فلا اُقسم بمواقع النجوم» .

**اقول** : و ظاهره تفسير مواقع النجوم بأوقات نزول نجوم القرآن .

وفيتفسيرالقمّي وقوله : «فلا اُقسم بمواقع النجوم» قال: معناه اُقسم بمواقع النجوم.

و في الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم « إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون » قال : عندالله في صُحف مطهّرة « لا يمسّه إلّا المطهّرون » قال : المقرّبون .

**اقول** : و تفسير المطهّرين بالمقرّبين يؤيّد ما أوردناه في البيان المتقدّم ، وقد أوردنا في ذيل قوله : «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ» الآية الجاثية : ٢٩ حديثا عن الصادق عليه السلام في الكتاب المكنون .

و في المجمع في قوله تعالى : «لا يمسّه إلّا المطهّرون » و قالوا : لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مسّ المصحف عن محمّد بن عليّ عليه السلام .

**اقول** : المراد بمسّ المصحف مسّ كتابته بدليل الروايات الاُخر .

وفي الكافي باسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن التعويذ يعلّق على الحائض قال : نعم لا بأس . و قال : تقرؤه و تكتبه ولا تصيبه يدها .

و في الدرّ المنثور أخرج عبدالرزّاق و ابن أبي داود وابن المنذر عن عبدالله بن أبي بكر عن أبيه قال : في كتاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمرو بن حزم : ولا تمسّ القرآن إلّا عن طهور .

**اقول** : والروايات فيه كثيرة من طرق الشيعة و أهل السنّة .

و فيه أخرج مسلم و ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عبّاس قال : مطر الناس على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : أصبح من الناس شاكر و منهم كافر قالوا : هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية «فلا اُقسم بمواقع النجوم» حتّى بلغ « و تجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون» .

**اقول** : وقد استفاضت الرواية من طرق أهل السنّة أنّ الآيات نزلت في الأنواء و ظاهرها أنّها مدنيّة لكنّها لا تلائم سياق آيات السورة كما عرفت .

وفي المجمع و قراءة عليّ عليه السلام وابن عبّاس و رويت عن النبيّ صلّى الله عليه وآله : وتجعلون شكركم .

**أقول** : و رواه في الدرّ المنثور عن النبيّ صلّى الله عليه وآله و عليّ عليه السلام .

و في تفسير القمي في قوله : «غير مدينين» قال : معناه فلو كنتم غير مجازين على أعمالكم « ترجعونها » يعني به الروح إذا بلغت الحلقوم تردونها في البدن « إن كنتم صادقين »:

و فيه بإسناده عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « فأما إن كان من المقربين فروح و ريحان» في قبره «و جنة نعيم» في الآخرة .

و في الدر المنثور أخرج القاسم بن منده في كتاب الأحوال و الإيمان بالسؤال عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : إن أول ما يبشر به المؤمن عند الوفاة بروح و ريحان و جنة نعيم و إن أول ما يبشر به المؤمن في قبره أن يقال : أبشر برضا الله تعالى و الجنة قدمت خير مقدم قد غفر الله لمن شيعك إلى قبرك ، و صدق من شهد لك ، و استجاب لمن استغفر لك .

و فيه أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباس في قوله : « فسلام لك من أصحاب اليمين » قال : تأتيه الملائكة بالسلام من قبل الله تسلم عليه و تخبره أنه من أصحاب اليمين .

**أقول** : و ما أورده من المعنى مبني على كون الآية حكاية خطاب الملائكة، و التقدير قالت الملائكة سلام لك حال كونك من أصحاب اليمين فهي سلام و بشارة .



﴿سورة الحديد مدنيّة و هي تسع و عشرون آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

﴿بيان﴾

غرض السورة حثّ المؤمنين و ترغيبهم في الإنفاق في سبيل الله كما يشعر به تأكيد الأمر به مرّة بعد مرّة في خلال آياتها «آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه» الآية «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» الآية «إنّ المصّدّقين و المصّدّقات و أقرضوا الله قرضاً حسناً» و قد سمّت إنفاقهم ذلك إقراضا منهم لله عزّ اسمه فالله سبحانه خير مطلوب و هو لا يخلف الميعاد و قد وعدهم إن أقرضوه أن يضاعفه لهم و أن يؤتيهم أجراً كريماً كثيرا .

و قد أشار إلى أنّ هذا الإنفاق من التقوى و الإيمان بالرسول و أنّه يستتبع مغفرة الذنوب و إتيان كفلين من الرحمة و لزوم النور بل و اللحوق بالصّدّيقين و الشهداء عند الله سبحانه .

وفي خلال آياتها معارف راجعة إلى المبدءوالمعاد ، ودعوة إلى التقوى وإخلاص الإيمان و الزهد و موعظة .

و السورة مدنيّة بشهادة سياق آياتها و قد ادّعى بعضهم إجماع المفسّرين على ذلك .

و لقد افتتحت السورة بتسبيحه و تنزيهه تعالى بعدّة من أسمائه الحسنى لما في غرض السورة و هو الحثّ على الإنفاق من شائبة توهّم الحاجة و النقص في ناحيته و نظيرتها في ذلك جميع السور المفتتحة بالتسبيح و هي سور الحشر والصفّ و الجمعة و التغابن المصدّرة بسبّح أو يسبّح .

**قوله تعالى** : «سبّح‌للهما في السماوات والأرض و هو العزيز الحكيم» التسبيح التنزيه و هو نفي ما يستدعي نقصاً أو حاجة ممّا لا يليق بساحة كماله تعالى ، و « ما» موصولة و المراد بها ما يعمّ العقلاء ممّا في السماوات و الأرض كالملائكة و الثقلين وغير العقلاء كالجمادات و الدليل عليه ما ذكر بعد من صفاته المتعلّقة بالعقلاء كالإحياء و العلم بذات الصدور .

فالمعنى نزّه الله سبحانه ما في السماوات و الأرض من شيء وهو جميع العالم .

و المراد بتسبيحها حقيقة معنى التسبيح دون المعنى المجازيّ الّذي هو دلالة وجود كلّ موجود في السماوات و الأرض على أنّ له موجداً منزّهاً من كلّ نقص متّصفاً بكلّ كمال ، و دون عموم المجاز و هو دلالة كلّ موجود على تنزّهه تعالى إمّا بلسان القال كالعقلاء وإمّا بلسان‌الحال كغير العقلاء من الموجودات و ذلك لقوله تعالى: «و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لاتفقهون تسبيحهم» أسرى : ٤٤ حيث‌استدرك أنّهم لايفقهون تسبيحهم و لو كان المراد بتسبيحهم دلالة وجودهم على وجوده و هي‌قيام الحجّة على الناس بوجودهم أو كان‌المراد تسبيحهم وتحميدهم بلسان الحال و ذلك ممّا يفقهه الناس لم يكن للاستدراك معنى .

فتسبيح ما في السماوات و الأرض تسبيح و نطق بالتنزيه بحقيقة معنى الكلمة و إن كنّا لانفقهه قال تعالى : «قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء» حم‌السجده : ٢٠.

و قوله : « و هو العزيز الحكيم » أي المنيع جانبه يغلب و لايغلب ، المتقن فعله لايعرض على فعله ما يفسده عليه ولايتعلّق به اعتراض معترض .

**قوله تعالى** : « له ملك السماوات و الأرض يحيي و يميت و هو على كلّ شيء قدير » الكلام موضوع على الحصر فهو المليك في السماوات و الأرض يحكم ما يشاء لأنّه الموجد لكلّ شيء فما في السماوات و الأرض يقوم به وجوده و آثار وجوده فلا حكم إلّا له فلاملك و لاسلطنة إلّا له .

و قوله : « يحيي و يميت » إشارة إلى اسميه المحيي و المميت ، وإطلاق « يحيي و يميت » يفيد شمولهما لكلّ إحياء و إماتة كإيجاده الملائكة أحياء من غير سبق موت ، و إحيائه الجنين في بطن اُمّه و إحيائه الموتى في البعث و إيجاده الجماد ميتاً من غير سبق حياة و إماتته الإنسان في الدنيا و إماتته ثانياً في البرزخ على ما يشير إليه قوله : « ربّنا أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين » المؤمن : ١١ ، و في « يحيي و يميت » دلالة على الاستمرار .

و قوله : « و هو على كلّ شيء قدير » فيه إشارة إلى صفة قدرته و أنّها مطلقة غير مقيّدة بشيء دون شيء ، و في تذييل الآية بالقدرة على كلّ شيء مناسبة مع ما تقدّمها من الإحياء و الإماتة لما ربّما يتوهّمه المتوهّم أن لاقدرة على إحياء الموتى و لاعين منهم و لا أثر .

**قوله تعالى** : « هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم » لمّا كان تعالى قديراً على كلّ شيء مفروض كان محيطا بقدرته على كلّ شيء من كلّ جهة فكلّ ما فرض أوّلاً فهو قبله فهو الأوّل دون الشيء المفروض أوّلا ، و كلّ ما فرض آخراً فهو بعده لإحاطة قدرته به من كلّ جهة فهو الآخر دون الشيء المفروض آخرا ، و كلّ شيء فرض ظاهرا فهو أظهر منه لإحاطة قدرته به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض ظاهرا ، و كلّ شيء فرض أنّه باطن فهو تعالى أبطن منه لإحاطته به من ورائه فهو الباطن دون المفروض باطنا فهو تعالى الأوّل والآخر و الظاهر و الباطن على الإطلاق و ما في غيره تعالى من هذه الصفات فهي إضافيّة نسبيّة .

و ليست أوّليّته تعالى و لا آخريّته ولاظهوره ولابطونه زمانيّة ولامكانيّة بمعنى مظروفيّته لهما و إلّا لم يتقدّمهما و لا تنزّه عنهما سبحانه بل هومحيط بالأشياء على أيّ نحو فرضت و كيفما تصوّرت .

فبان ممّا تقدّم أنّ هذه الأسماء الأربعة الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن من فروع اسمه المحيط و هو فرع إطلاق القدرة فقدرته محيطة بكلّ شيء و يمكن تفريع الأسماء الأربعة على إحاطة وجوده بكلّ شيء فإنّه تعالى ثابت قبل ثبوت كلّ شيء و ثابت بعد فناء كلّ شيء و أقرب من كلّ شيء ظاهر وأبطن من الأوهام و العقول من كلّ شيء خفيّ باطن .

و كذا للأسماء الأربعة نوع تفرّع على علمه تعالى وبمناسبه تذييل الآية بقوله: «و هو بكلّ شيء عليم» .

و فسّر بعضهم الأسماء الأربعة بأنّه الأوّل قبل كلّ شيء و الآخر بعد هلاك كلّ شيء الظاهر بالأدلّة الدالّة عليه و الباطن غير مدرك بالحواسّ .

و قيل : الأوّل قبل كلّ شيء بلا ابتداء ، والآخر بعد كلّ شيء بلا انتهاء ، و الظاهر الغالب العالي على كلّ شيء فكلّ شيء دونه ، و الباطن العالم بكلّ شيء فلا أحد أعلم منه .

و قيل : الأوّل بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء و الظاهر بلا اقتراب و الباطن بلا احتجاب .

و هناك أقوال اُخر في معناها غير جيّدة أغمضنا عن إيرادها .

**قوله تعالى :** «هو الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام» تقدّم تفسيره.

**قوله تعالى :** « ثمّ استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها» تقدّم تفصيل القول في معنى العرش في سورة الأعراف آية : ٥٤ .

وتقدّم أنّ الاستواء على العرش كناية عن الأخذ في تدبير الملك ولذا عقّبه بالعلم بجزئيّات الأحوال لأنّ العلم من لوازم التدبير .

و قوله : « يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها» الولوج ـ كما قال الراغب ـ الدخول في مضيق ، و العروج ذهاب في صعود و المعنى يعلم ما يدخل و ينفذ في الأرض كماء المطر و البذور و غيرهما و ما يخرج من الأرض كأنواع النبات و الحيوان و الماء وما ينزل من السماء كالأمطار و الأشعة و الملائكة و ما يعرج فيها و يصعد كالأبخرة والملائكة و أعمال العباد .

**قوله تعالى** : «و هو معكم أينما كنتم» لإحاطته بكم فلا تغيبون عنه أينما كنتم و في أيّ زمان عشتم و في أيّ حال فرضتم فذكر عموم الأمكنة في « أينما كنتم » لأنّ الأعرف في مفارقة شيء شيأ و غيبته عنه أن يتوسّل إلى ذلك بتغيير المكان و إلّا فنسبته تعالى إلى الأمكنة والأزمنة و الأحوال سواء .

و قيل : المعيّة مجاز مرسل عن الإحاطة العلميّة .

**قوله تعالى** : « و الله بما تعملون بصير» كالفرع المترتّب على ما قبله من كونه معهم أينما كانوا و كونه بكلّ شيء عليما فإنّ لازم حضوره عندهم من دون مفارقة ما و احتجاب و هو عليم أن يكون بصيراً بأعمالهم يبصر ظاهر عملهم ، وما في باطنهم من نيّة و قصد .

**قوله تعالى** : « له ملك السماوات و الأرض و إلى الله ترجع الأمور » كرّر قوله : «له ملك» الخ لابتناء رجوع الأشياء إليه على عموم الملك فصرّح به ليفيد الابتناء قال تعالى : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار » المؤمن : ١٦ .

و قوله : «و إلى الله ترجع الأمور » الأمور جمع محلّى باللام يفيد العموم كقوله : «ألا إلى الله تصير الأمور» : الشورى : ٥٣ فما من شيء إلّا و يرجع إلى الله ، ولا رادّ له إليه تعالى إلّا هو لاختصاص الملك به فله الأمر وله الحكم .

و في الآية وضع الظاهر موضع الضمير في « إلى الله » و كذا في الآية السابقة «و الله بما تعملون بصير» و لعلّ الوجه في ذلك أن تقرع الجملتان قلوبهم كما يقرع المثل السائر لما سيجيء من ذكر يوم القيامة و جزيل أجر المنفقين في سبيل الله فيه .

**قوله تعالى** : « يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و هو عليم بذات الصدور» إيلاج الليل في النهار و إيلاج النهار في الليل اختلاف الليل و النهار في الطول و القصر باختلاف فصول السنة في كلّ من البقاع الشماليّة و الجنوبيّة بعكس الاُخرى، و قد تقدّم في كلامه تعالى غير مرّة .

و المراد بذات الصدور الأفكار المضمرة و النيّات المكنونة الّتي تصاحب الصدور و تلازمها لما أنّها تنسب إلى القلوب و القلوب في الصدور ، و الجملة أعني قوله : « و هو عليم بذات الصدور» بيان لإحاطة علمه بما في الصدور بعد بيان إحاطة بصره بظواهر أعمالهم بقوله : «والله بما تعملون بصير» .

## ﴿ بحث روائى ﴾

في الدرّ المنثور أخرج أحمد و أبو داود و الترمذيّ و حسّنه و النسائيّ و ابن مردويه و البيهقيّ في شعب الإيمان عن عرباض بن سارية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرء المسبّحات قبل أن يرقد ، وقال : إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية .

**أقول** : و رواه أيضا عن ابن الضريس عن يحيي بن أبي كثير عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

و في الكافي بإسناده عن عاصم بن حميد قال : سئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال : إنّ الله عزّ و جلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالي : قل هو الله أحد والآيات من سورة الحديد إلى قوله : «عليم بذات الصدور» فمن رام وراء ذلك فقد هلك .

و في تفسير القمّيّ : « سبّح لله ما في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم » قال : هو قوله : اُوتيت جوامع الكلم و قوله : « هو الأوّل » قال : أي قبل كلّ شيء « و الآخر » قال : يبقى بعد كلّ شيء « و هو عليم بذات الصدور » قال : بالضمائر .

و في الكافي و روي أنّه يعني عليّاً عليه السلام سئل أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماء و أرضا ؟ قال : أين سؤال عن مكان و كان الله و لا مكان .

و في التوحيد خطبة للحسن بن عليّ عليه السلام و فيها : الحمد لله الّذي لم يكن فيه

أوّل معلوم، ولاآخر متناه ، ولاقبل مدرك ، ولابعد محدود ، فلاتدرك العقول وأوهامها و لاالفكر و خطراتها و لا الألباب وأذهانها صفته فتقول : متى و لابدىء ممّا ، ولاظاهر على ما ، ولا باطن فيما .

**اقول** : و قوله أوّل معلوم الخ أوصاف توضيحيّة أي ليس له أوّل و لو كان له أوّل كان من الجائز أن يتعلّق به علم و لا آخر و لو كان له آخر كان متناهيا ، ولاقبل و لوكان لكان جائز الإدراك ولابعد و إلّا لكان محدوداً .

و قوله : و لابدىء ممّا أي لم يبتدء من شيء حتّى يكون له أوّل ولا ظاهر على ما أي لم يتفوّق على شيء بالوقوع و الاستقرار عليه كالجسم على الجسم «و لاباطن فيما» أي لم يتبطّن في شيء بالدخول فيه والاستتار به .

و في نهج البلاغة : و كلّ ظاهر غيره غير باطن ، و كلّ باطن غيره غير ظاهر .

**اقول** : معناه أنّ حيثيّة الظهور في غيره تعالى غير حيثيّة البطون و بالعكس، و أمّا هو تعالى فلمّا كان أحديّ الذات لاتنقسم و لاتتجزّى إلى جهة و جهة كان ظاهرا من حيث هو باطن و باطنا من حيث هو ظاهر فهو باطن خفيّ من كمال ظهوره و ظاهر جليّ من كمال بطونه .

وفيه : الحمدلله الأوّل فلا شيء قبله ، والآخر فلاشيء بعده ، والظاهر فلاشيء فوقه ، و الباطن فلا شيء دونه .

**اقول** : المراد بالقبليّة والبعديّة ليس هوالقبليّة والبعديّةالزمانيّة بأن يفرض هناك امتداد زمانيّ غير متناهي الطرفين و قد حلّ العالم قطعة منه خالياً عنه طرفاه و يكون وجوده تعالى و تقدّس منطبقاً على الزمان كلّه غير خال عنه شيء من جانبيه و إن ذهبا إلى غير النهاية فيتقدّم وجوده تعالى على العالم زمانا و يتأخّر عنه زمانا ولو كان كذلك لكان تعالى متغيّراً في ذاته و أحواله بتغيّر الأزمنة المتجدّدة عليه ، و كان قبليّته و بعديّته بتبع الزمان و كان الزمان هو الأوّل والآخر بالأصالة .

وكذلك ليست ظاهريّته و باطنيّته بحسب المكان بنظير البيان بل هو تعالى سابق بنفس ذاته المتعالية على كلّ شيء مفروض و آخر بنفس ذاته عن كلّ أمر مفروض أنّه

آخر ، و ظاهر ، وباطن كذلك ، والزمان مخلوق له متأخّر عنه .

و في الدّر المنثور أخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر و أبي سعيد عن ـ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : لايزال الناس يسألون عن كلّ شيء حتّى يقولوا : هذا الله كان قبل كلّ شيء فماذا كان قبل الله فإن قالوا لكم ذلك فقولوا : هو الأوّل قبل كلّ شيء و هو الآخر فليس بعده شيء و هو الظاهر فوق كلّ شيء وهو الباطن دون كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم .

و في التوحيد بإسناده إلى أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لم يزل الله عزّ و جلّ ربّنا و العلم ذاته و لامعلوم فلمّا أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم .

**أقول** : ليس المراد بهذا العلم الصور الذهنيّة فيكون تعالى كباني دار يتصوّر للدار صورة و هيئة قبل بنائها ثمّ يبنيها على ما تصوّر فتنطبق الصورة الذهنيّة على البناء الخارجيّ ثمّ تنهدم الدار والصورة الذهنية على حالها ، وهذا هو المسمّى بالعلم الكلّيّ وهو مستحيل عليه تعالى بل ذاته تعالى عين العلم بمعلومه ثمّ المعلوم إذا تحقّق في الخارج كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به ، ويسمّى الأوّل العلم الذاتيّ والثاني العلم الفعليّ .

و فيه خطبة لعليّ عليه السلام و فيها : و علمها لا بأداة لايكون العلم إلّا بها ، و ليس بينه و بين معلومه علم غيره .

**أقول** : المراد به أنّ ذاته تعالى عين علمه ، وليست هناك صورة زائدة .



☆ ☆ ☆

آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين
آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير ( ٧ ) و ما لكم لا تؤمنون بالله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم و قد أخذ ميثاقكم ان كنتم
مؤمنين ( ٨ ) هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من
الظلمات الى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم (٩) و ما لكم الا تنفقوا
فى سبيل الله و لله ميراث السموات و الارض لايستوى منكم من
انفق من قبل الفتح و قاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد و قاتلوا وكلا وعد الله الحسنى و الله بما تعملون خبير ( ١٠ )
من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم ( ١١ )
يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم
بشريكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم ( ١٢ ) يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب ( ١٣ )
ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتم أنفسكم و تربصتم

وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَيكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلَيكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)

## ﴿ بيان ﴾

أمر مؤكّد بالإنفاق في سبيل الله و خاصّة الجهاد على ما يؤيّده قوله : «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل» الآية و يتأيّد بذلك ما قيل : إنّ قوله : «آمنوا بالله و رسوله وأنفقوا» الخ نزل في غزوة تبوك .

**قوله تعالى** : « آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه » الخ المستفاد من سياق الآيات أنّ الخطاب في الآية للمؤمنين بالله و رسوله لا للكفّار و لا للمؤمنين والكفّار جميعا كما قيل ، وأمر الّذين تلبّسوا بالإيمان بالله ورسوله بالإيمان معناه الأمر بتحقيق الإيمان بترتيب آثاره عليه إذ لو كانت صفة من الصفات كالسخاء و العفّة و الشجاعة ثابتة في نفس الإنسان حقّ ثبوتها لم يتخلّف عنها أثرها الخاصّ و من آثار الإيمان بالله و رسوله الطاعة فيما أمر الله ورسوله به .

و من هنا يظهر أوّلا أنّ أمر المؤمن بالإيمان في الحقيقة أمر للمتحقّق بمرتبة من الإيمان أن يتلبّس بمرتبة هي أعلى منها ، و هذا النوع من الأمر فيه إيماء إلى أنّ الّذي عند المأمور من المأمور به لا يرضي الآمر كلّ الإرضاء .

و ثانيا أنّ قوله : «آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا» أمر بالإنفاق مع التلويح إلى أنّه أثر صفة هم متلبّسون بها فعليهم أن ينفقوا لما اتّصفوا بها فيؤل إلى تعليل الإنفاق بإيمانهم .

و قوله : « وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه » استخلاف الإنسان جعله خليفة، و المراد به إمّا خلافتهم عن الله سبحانه يخلفونه في الأرض كما يشير إليه قوله : «إنّي جاعل في الأرض خليفة» البقرة : ٣٠ والتعبير عمّا بأيديهم من المال بهذا التعبير لبيان

الواقع ولترغيبهم في الإنفاق فإنّهم إذا أيقنوا أنّ المال لله وهم مستخلفون عليه وكلاء من ناحيته يتصرّفون فيه كما أذن لهم سهل عليهم إنفاقه و لم تتحرّج نفوسهم من ذلك .

و إمّا خلافتهم عمّن سبقهم من الأجيال كما يخلف كلّ جيل عن سابقه ، و في التعبير به أيضا ترغيب في الإنفاق فإنّهم إذا تذكّروا أنّ هذا المال كان لغيرهم فلم يدم عليهم علموا أنّه كذلك لايدوم لهم و سيتركونه لغيرهم وهان عليهم إنفاقه و سخت بذلك نفوسهم .

و قوله : «فالّذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » وعد للأجر على الإنفاق تأكيداً للترغيب ، والمراد بالإيمان الإيمان بالله و رسوله .

**قوله تعالى** : «و مالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم » الخ المراد بالإيمان الإيمان بحيث يترتّب عليه آثاره و منها الإنفاق في سبيل الله ـ و إن شئت فقل : المراد ترتيب آثار ما عندهم من الإيمان عليه ـ

و قوله : « والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم» عبّر بالربّ و أضافه إليهم تلويحا إلى علّة توجّه الدعوة والأمر كأنّه قيل: يدعوكم لتؤمنوا بالله لأنّه ربّكم يجب عليكم أن تؤمنوا به .

و قوله : « و قد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » تأكيد للتوبيخ المفهوم من أوّل الآية ، وضمير «أخذ» لله سبحانه أو للرسول و على أيّ حال المراد بالميثاق المأخوذ هو الّذي تدلّ عليه شهادتهم على وحدانيّة الله ورسالة رسوله يوم آمنوا به صلى الله عليه وآله من أنّهم على السمع والطاعة .

وقيل : المراد بالميثاق هو الميثاق المأخوذ منهم في الذرّ ، و على هذا فضمير «أخذ» لله سبحانه ، وفيه أنّه بعيد عن سياق الاحتجاج عليهم فإنّهم غافلون عنه ، على أنّ أخذ الميثاق في الذرّ لايختصّ بالمؤمنين بل يعمّ المنافقين والكفّار .

**قوله تعالى** : «هو الّذي ينزّل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم من الظلمات إلى النور » الخ المراد بالآيات البيّنات آيات القرآن الكريم المبيّنة لهم ما عليهم من فرائض الدين ، وفاعل «ليخرجكم» الضمير العائد إلى الله أو إلى رسوله صلى الله عليه وآله ومرجع الثاني

أيضا هوالأوّل فالميثاق ميثاقه وقد أخذه بواسطة رسوله أو بغير واسطته كما أنّ الإيمان به و برسوله إيمان به و لذلك قال في صدر الآية : « و ما لكم لاتؤمنون بالله » فذكر نفسه و لم يذكر رسوله إشارة إلى أنّ الإيمان برسوله إيمان به

و قوله : « وإنّ الله بكم لرؤف رحيم » في تذييل الآية برأفته تعالى و رحمته إشارة إلى أنّ الإيمان الّذي يدعوهم إليه رسوله خير لهم و أصلح وهم الّذين ينتفعون به دون الله و رسوله ، ففيه تأكيد ترغيبهم على الإيمان والإنفاق .

**قوله تعالى** : وما لكم أن لاتنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض» الميراث و التراث المال الّذي ينتقل من الميّت إلى من بقي بعده من ورّاثه ، و إضافة الميراث إلى السماوات والأرض بيانيّة فالسماوات و الأرض هي الميراث بما فيهما من الأشياء الّتي خلق منهما ممّا يتملّكه ذووا الشعور من سكنتهما فالسماوات و الأرض شاملة لما فيهما ممّا خلق منهما و يتصرّف فيها ذووا الشعور كالإنسان مثلا بتخصيص ما يتصرّفون فيه لأنفسهم وهو الملك الاعتباريّ الّذي هداهم الله سبحانه إلى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم الدنيا .

غيرأنّهم لا يبقون ولا يبقى لهم بل يذهبهم الموت المقدّر بينهم فينتقل ما في أيديهم إلى من بعدهم و هكذا حتّى يفنى الجميع ولا يبقى إلّا هو سبحانه .

فالأرض مثلاً و ما فيها و عليها من مال ميراث من جهة أنّ كلّ جيل من سكّانها يرثها ممّن قبله فكانت ميراثاً دائما دائرا بينهم خلفاً عن سلف ، وميراث من جهة أنّهم سيفنون جميعاً ولا يبقى لها إلّا الله الّذي استخلفهم عليها.

و لله سبحانه ميراث السماوات و الأرض بكلا المعنيين أمّا الأوّل فلأنّه الّذي يملّكهم المال و هوالمالك لما ملّكهم قال تعالى : «لله ما في السماوات و الأرض» لقمان: ٢٦ ، و قال : «و لله ملك السماوات والأرض» النور : ٤٢ ، و قال : « و آتوهم من مال الله الّذي آتاكم» النور : ٣٣ .

و أمّا الثاني فظاهر آيات القيامة كقوله تعالى : «كلّ من عليها فان » الرحمن : ٢٦ و غيره و الّذي يسبق إلى الذهن أنّ المراد بكونهما ميراثا هو المعنى الثاني .

و كيف كان ففي الآية توبيخ شديد لهم على عدم إنفاقهم في سبيل الله من المال الّذي لا يرثه بالحقيقة إلّا هو تعالى ولا يبقى لهم ولا لغيرهم ، والإظهار في موضع الإضمار في قوله : «ولله» لتشديد التوبيخ .

**قوله تعالى** : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل اُولئك أعظم درجة من الّذين أنفقوا من بعد و قاتلوا » الخ الاستواء بمعنى التساوي ، و قسيم قوله: «من أنفق من قبل الفتح و قاتل» محذوف إيجازا لدلالة قوله : «اُولئك أعظم درجة من الّذين أنفقوا من بعد و قاتلوا» عليه .

والمراد بالفتح ـ كما قيل ـ فتح مكة أو فتح الحديبيّة و عطف القتال على الإنفاق لا يخلو من إشعار بل دلالة على أنّ المراد بالإنفاق في سبيل الله المندوب إليه في الآيات هو الإنفاق في الجهاد .

وكأنّ الآية مسوقة لبيان أنّ الإنفاق في سبيل الله كلّما عجّل إليها كان أحبّ عند الله وأعظم درجة و منزلة و إلّا فظاهر أنّ هذه الآيات نزلت بعد الفتح و القتال الّذى بادروا إليه قبل الفتح و بعض المقاتل الّتي بعده .

و قوله : « و كلاّ وعد الله الحسنى» أي وعد الله المثوبة الحسنى كلّ من أنفق و قاتل قبل الفتح أو أنفق و قاتل بعده و إن كانت الطائفة الاُولى أعظم درجة من الثانية، وفيه تطييب لقلوب المتأخّرين إنفاقا وقتالاً أنّ لهم نيلا من رحمته وليسوا بمحرومين مطلقا فلا موجب لأن ييأسوا منها و إن تأخّروا .

و قوله : « و الله بما تعملون خبير » تذييل متعلّق بجميع ما تقدّم ففيه تشديد للتوبيخ وتقرير وتثبيت لقوله : «لا يستوي منكم» الخ و لقوله : «وكلاّ وعد الله الحسنى» و يمكن أن يتعلّق بالجملة الأخيرة لكن تعلّقه بالجميع أعمّ و أشمل.

**قوله تعالى** : « من ذا الّذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم » قال الراغب : و سمّي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضا . انتهى و قال في المجمع : و أصله القطع فهو قطعه عن مالكه باذنه على ضمان ردّ مثله . قال :و المضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله . انتهى ، وقال الراغب :الأجر والاُجرة ما يعود

من ثواب العمل دنيويّا كان أو اُخرويّا قال : ولا يقال إلّا في النفع دون الضرّ بخلاف الجزاء فإنّه يقال في النفع والضرّ . انتهى ملخّصا .

و ما يعطيه تعالى من الثواب على عمل العبد تفضّل منه من غير استحقاق من العبد فإنّ العبد و ما يأتيه من عمل ملك طلق له سبحانه ملكاً لا يقبل النقل والانتقال غير أنّه اعتبر اعتباراً تشريعيّا العبد مالكا و ملّكه عمله ، و هو المالك لما ملّكه و هو تفضّل آخر ثمّ اختار ما أحبّه من عمله فوعده ثوابا على عمله و سمّاه أجراً و جزاء و هو تفضّل آخر ، ولا ينتفع به في الدنيا والآخرة إلّا العبد قال تعالى : «للّذين أحسنوا منهم و اتّقوا أجر عظيم» آل عمران : ١٧٢ ، و قال : «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » حمٓ السجدة : ٨ ، و قال بعد وصف الجنّة و نعيمها : «إنّ هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا» الإنسان : ٢٢ ، وما وعده من الشكر و عدم المنّ عند إيتاء الثواب تمام التفضّل .

و في الآية حثّ بليغ على ما ندب إليه من الإنفاق في سبيل الله حيث استفهم عن الّذي ينفق منهم في سبيل الله و مثّل إنفاقه بأنّه قرض يقرضه الله سبحانه وعليه أن يردّه ثمّ قطع أنّه لا يردّ مثله إليه بل يضاعفه و لم يكتف بذلك بل أضاف إليه أجرا كريما في الآخرة و الأجر الكريم هو المرضيّ في نوعه و الأجر الاُخرويّ كذلك لأنّه غاية ما يتصوّر من النعمة عند غاية ما يتصوّر من الحاجة .

**قوله تعالى** : «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم» الخ اليوم ظرف لقوله : «له أجر كريم» و المراد به يوم القيامة ، والخطاب في «ترى» للنبيّ صلّى الله عليه وآله أو لكلّ سامع يصحّ خطابه ، والظاهر أنّ الباء في «بأيمانهم» بمعنى في .

والمعنى لمن أقرض الله قرضا حسنا أجر كريم يوم ترى أنت يارسول الله ـ أو كلّ من يصحّ منه الرؤية ـ المؤمنين بالله ورسوله والمؤمنات يسعى نورهم أمامهم و في أيمانهم واليمين هو الجهة الّتي منها سعادتهم .

و الآية مطلقة تشمل مؤمني جميع الاُمم و لا تختصّ بهذه الاُمّة ، و التعبير عن إشراق النور بالسعي يشعر بأنّهم ساعون إلى درجات الجنّة الّتي أعدّها الله سبحانه لهم

وتستنير لهم جهات السعادة ومقامات القرب واحدة بعد واحدة حتّى يتمّ لهم نورهم كما قال تعالى : «و سيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمرا » الزمر : ٧٣ ، و قال : «يوم نحشر المتّقين إلى الرحمان وفدا» مريم : ٨٥ ، و قال : «يوم لايخزي الله النبيّ والّذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا» التحريم:٨.

و للمفسّرين في تفسير مفردات الآية أقوال مختلفة أغمضنا عنها لعدم دليل من لفظ الآية عليها ، و سيوافيك ما في الروايات المأثورة في البحث الروائيّ الآتي إن شاء الله .

و قوله : « بشراكم اليوم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها » حكاية ما يقال للمؤمنين و المؤمنات يوم القيامة ، والقائل الملائكة بأمر من الله والتقدير يقال لهم : بشراكم الخ والمراد بالبشرى ما يبشّر به وهو الجنّة والباقي ظاهر .

و قوله : « ذلك هو الفوز العظيم » كلام الله سبحانه و الإشارة إلى ما ذكر من سعي النور و البشرى أو من تمام قول الملائكة والإشارة إلى الجنّات والخلود فيها.

**قوله تعالى** : «يوم يقول المنافقون والمنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم » إلى آخر الآية النظر إذا تعدّى بنفسه أفاد معنى الانتظار و الإمهال ، و إذا عدّي بإلى نحو نظر إليه كان بمعنى إلقاءالبصر نحو الشيء وإذا عدّي بفي كان بمعنى التأمّل ، والاقتباس أخذ قبس من النار .

و السياق يفيد أنّهم اليوم في ظلمة أحاطت بهم سرادقها و قد اُلجؤوا إلىالمسير نحودارهم الّتي يخلّدون فيها غير أنّ المؤمنين و المؤمنات يسيرون بنورهم الّذي يسعى بين أيديهم و بأيمانهم فيبصرون الطريق و يهتدون إلى مقاماتهم ، و أمّا المنافقون و المنافقات فهم مغشيّون بالظلمة لايهتدون سبيلا و هم مع المؤمنين كما كانوا في الدنيا معهم ومعدودين منهم فيسبق المؤمنون والمؤمنات إلى الجنّة و يتأخّر عنهم المنافقون والمنافقات فيظلمة تغشاهم فيسألون المؤمنين و المؤمنات أن ينتظروهم حتّى يلحقوا بهم ويأخذوا قبساً من نورهم ليستضيؤا به في طريقهم .

و قوله : « قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» القائل به إمّا الملائكة أوقوم من كمّل المؤمنين كأصحاب الأعراف.

و كيف كان فهو من الله وبإذنه ، والخطاب بقوله : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» قيل: إنّه خطاب مبنيّ على التهكّم والاستهزاء كما كانوا يستهزؤن في الدنيا بالمؤمنين، و الأظهر على هذا أن يكون المراد بالوراء الدنيا و محصّل المعنى ارجعوا إلى الدنيا الّتي تركتموها وراء ظهوركم و عملتم فيها ما عملتم على النفاق ، و التمسوا من تلك الأعمال نورا فإنّما النور نور الأعمال أو الإيمان و لا إيمان لكم ولاعمل .

و يمكن أن يجعل هذا وجهاً على حياله من غير معنى الاستهزاء بأن يكون قوله: «ارجعوا» أمراً بالرجوع إلى الدنيا و اكتساب النور بالإيمان و العمل الصالح وليسوا براجعين ولا يستطيعون فيكون الأمر بالرجوع كالأمر بالسجود المذكور في قوله تعالى: «يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون» القلم ٤٣ .

وقيل : المراد ارجعوا إلى المكان الّذي قسّم فيه النور والتمسوا من هناك فيرجعون فلا يجدون شيأً فينصرفون إليهم و قد ضرب بينهم بسور ، و هذا خدعة منه تعالى يخدعهم بها كما كانوا في الدنيا يخادعونه كما قال : « إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم» النساء : ١٤٢ .

**قوله تعالى** : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب » سور المدينة حائطها الحاجز بينها و بين الخارج منها ، والضمير في « فضرب بينهم بسور » راجع إلى المؤمنين والمنافقين جميعا أي ضرب بين المؤمنين و بين المنافقين بسور حاجز يحجز إحدى الطائفتين عن الاُخرى .

قيل : السور هو الأعراف و هو غير بعيد و قد تقدّمت إشارة إليه في تفسير قوله تعالى : «و بينهما حجاب و على الأعراف رجال» الآية الأعراف : ٢٦ ، و قيل :السور غير الأعراف .

و قوله : « له باب » أي للسور باب وهذا يشبه حال المنافقين في الدنيا فقد كانوا

فيها بين المؤمنين لهم اتّصال بهم وارتباط وهم مع ذلك محجوبون عنهم بحجاب . على أنّهم يرون أهل الجنّة ويزيد بذلك حسرتهم و ندامتهم .

و قوله : «باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب» «باطنه» مبتدء و جملة «فيه الرحمة» مبتدء و خبر هي خبر «باطنه» و كذا «ظاهره» مبتدء و جملة « من قبله العذاب» مبتدء و خبر هي خبره ، وضميرا «فيه و من قبله» للباطن والظاهر .

و يظهر من كون باطن السور فيه رحمة و ظاهره من قبله العذاب أنّ السور محيط بالمؤمنين و هم في داخله والمنافقون في الخارج منه .

و في اشتمال داخله الّذي يلي المؤمنين على الرحمة و ظاهره الّذي يلي المنافقين على العذاب مناسبة لحال الإيمان في الدنيا فإنّه نعمة لأهل الإخلاص من المؤمنين يبتهجون بها و يلتذّون و عذاب لأهل النفاق يتحرّجون من التلبّس به و يتألّمون منه .

**قوله تعالى** : «ينادونهم ألم نكن معكم» إلى آخر الآية استئناف في معنى جواب السؤال كأنّه قيل : فماذا يفعل المنافقون و المنافقات بعد ضرب السور و مشاهدة العذاب من ظاهره ؟ فقيل : ينادونهم الخ .

و المعنى ينادي المنافقون و المنافقات المؤمنين و المؤمنات بقولهم : « ألم نكن معكم » يريدون به كونهم في الدنيا مع المؤمنين و المؤمنات في ظاهر الدين .

و قوله : « قالوا بلى » إلى آخر الآية جواب المؤمنين و المؤمنات لهم و المعنى «قالوا» أي قال المؤمنون و المؤمنات جواباً لهم « بلى » كنتم في الدنيا معنا « و لكنّكم فتنتم » أي محنتم و أهلكتم « أنفسكم و تربّصتم » الدوائر بالدين و أهله « و ارتبتم » و شككتم في دينكم « و غرّتكم الأمانيّ » و منها اُمنيّتكم أنّ الدين سيطفأ نوره و يتركه أهله « حتّى جاء أمر الله » و هو الموت « و غرّكم بالله الغرور » بفتح الغين و هو الشيطان .

و الآية ـ كما ترى ـ تفيد أنّ المنافقين و المنافقات يستنصرون المؤمنين و

المؤمنات على ما هم فيه من الظلمة متوسّلين بأنّهم كانوا معهم في الدنيا ثمّ تفيد أنّ المؤمنين و المؤمنات يجيبون بأنّهم كانوا معهم لكن قلوبهم كانت لا توافق ظاهر حالهم حيث يفتنون أنفسهم و يتربّصون و يرتابون و تغرّهم الأماني و يغرّهم بالله الغرور، و هذه الصفات الخبيثة آفات القلوب فكانت القلوب غير سليمة و لا ينفع يوم القيامة إلّا القلب السليم قال تعالى : « يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم » الشعراء : ۸۹ .

**قوله تعالى** : « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية و لامن الّذين كفروا » تتمّة كلام المؤمنين و المؤمنات يخاطبون به المنافقين و المنافقات و يضيفون إليهم الكفّار و هم المعلنون لكفرهم أنّهم رهناء أعمالهم كما قال تعالى : « كلّ نفس بما كسبت رهينة » المدّثّر :۳۸ لا يؤخذ منهم فدية يخلّصون بها أنفسهم و الفدية أحد الأمرين الّذين بهما التخلّص من الرهانة و الآخر ناصر ينصر فينجّي و قد نفوه بقولهم : « مأواكم النار الخ .

فقوله : « مأواكم النار هي مولاكم و بئس المصير » ينفي أيّ ناصر ينصرهم و ينجّيهم من النار غير النار على ما يفيده قوله : «هي مولاكم» من الحصر ، والمولى هو الناصر والجملة مسوقة للتهكّم .

و يمكن أن يكون المولى بمعنى من يلي الأمر فإنّهم كانوا يدعون لحوائجهم من المأكل و المشرب و الملبس والمنكح و المسكن غير الله سبحانه و حقيقته النار فاليوم مولاهم النار وهي الّتي تعدّ لهم ذلك فمأكلهم من الزقّوم و مشربهم من الحميم وملبسهم من ثياب قطّعت من النار و قرناؤهم الشياطين ومأواهم النار على ما أخبرالله سبحانه به في آيات كثيرة من كلامه .

## ﴿ بحث روائی ﴾

في الدرّ المنثور أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم وابن مردويه و أبو نعيم في الدلائل من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدريّ قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عام الحديبيّة حتّى إذا كان بعسفان قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوشك أن يأتي قوم تحقّرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا : من هم يا رسول الله أقريش ؟ قال : لا و لكنّهم أهل اليمن هم أرقّ أفئدة و ألين قلوبا . قلنا : أهم خير منّا يا رسول الله ؟ قال : لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ماأدرك مدّ أحدكم و لا نصيفه ألا إنّ هذا فصل ما بيننا و بين الناس «لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل» الآية .

**أقول** : روي هذا المعنى بغيرواحد من الطرق بألفاظ متقاربة و هي مشتملة على الآية و يشكل بأنّ ظاهر سياق الآيات أنّها نزلت بعد الفتح و المراد به إمّا الحديبية أو فتح مكّة فلا تنطبق على ما قبل الفتح .

و فيه أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن عكرمة قال : لمّا نزلت هذه الآية «لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل» قال أبو الدحداح : والله لأُنفقنّ اليوم نفقة اُدرك بها من قبلي و لا يسبقني بها أحد بعدي فقال : ألّلهمّ كلّ شيء يملكه أبو الدحداح فإنّ نصفه لله حتّى بلغ فرد نعله ثمّ قال : وهذا .

وفي تفسير القمّي في قوله : «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم» قال : يقسّم النور بين الناس يوم القيامة على قدر إيمانهم يقسّم للمنافق فيكون نوره بين إبهام رجله اليسرى فينظر نوره ثمّ يقول للمؤمنين : مكانكم حتّى أقتبس من نوركم فيقول المؤمنون لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً و يضرب بينهم بسور له باب فينادون من وراء السور للمؤمنين : «ألم نكن معكم قالوا : بلى و لكنّكم فتنتم أنفسكم» قال : بالمعاصي «و تربّصتم وارتبتم» قال : أي شككتم و تربّصتم .

و قوله : «فاليوم لا يؤخذ منكم فدية» قال : و الله ما عنى بذلك اليهود و

النصارى و ما عنى به إلاّ أهل القبلة ثمّ قال : « مأواكم النار هي مولاكم » قال : هي أولى بكم .

**اقول:** يعني بأهل القبلة المنافقين منهم .

و في الكافي بإسناده عن أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : تجنّبوا المنى فإنّها تذهب بهجة ماخوّلتهم وتستصغرون بها مواهب الله جلّ و عزّ عندكم وتعقّبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم .



☆ ☆ ☆

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) انَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيوٰةُ الدُّنْيَا الَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا الَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ الَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا انَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٢٢)

لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيكُمْ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) .

## ﴿ بيان ﴾

جري على وفق مقصد الكلام السابق و هو الحثّ و الترغيب في الإيمان بالله و رسوله والإنفاق في سبيل الله و تتضمّن عتاب المؤمنين على ما يظهر من علائم قسوة القلوب منهم ، و تأكيد الحثّ على الإنفاق ببيان درجة المنفقين عند الله و الأمر بالمسابقة إلى المغفرة و الجنّة و ذمّ الدنيا و أهلها الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل .

وقد تغيّر السياق خلال الآيات إلى سياق عامّ يشمل المسلمين و أهل الكتاب بعد اختصاص السياق السابق بالمسلمين و سيجيء توضيحه .

**قوله تعالى** : « ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحقّ » إلى آخر الآية . يقال : أنى يأني انيّ و إناء أي جاء وقته ، و خشوع القلب تأثّره قبال العظمة و الكبرياء ، والمراد بذكر الله ما يذكر به الله ، و ما نزل من الحقّ هو القرآن النازل من عنده تعالى و « من الحقّ » بيان لما نزل ، و من شأن ذكر الله تعالى عند المؤمن أن يعقّب خشوعا كما أنّ من شأن الحقّ النازل من عنده تعالى أن يعقّب خشوعا ممّن آمن بالله و رسله .

وقيل : المراد بذكر الله وما نزل من الحقّ جميعاً القرآن و على هذا فذكر القرآن بوصفيه لكون كلّ من الوصفين مستدعياً لخشوع المؤمن فالقرآن لكونه ذكر الله يستدعي الخشوع كما أنّه لكونه حقّاً نازلا من عنده تعالى يستدعي الخشوع .

و في الآية عتاب للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوة و عدم خشوعها لذكر الله والحقّ النازل من عنده تعالى و تشبيه لحالهم بحال أهل الكتاب الّذين نزل عليهم

الكتاب و طال عليهم الأمد فقست قلوبهم .

و قوله : « ولا يكونوا كالّذين اُوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم» عطف على قوله : « تخشع » الخ و المعنى ألم يأن لهم أن تخشع قلوبهم و أن لا يكونوا » الخ و الأمد الزمان قال الراغب : الفرق بين الزمان و الأمد أنّ الأمد يقال باعتبار الغاية و الزمان عامّ في المبدء والغاية ولذلك قال بعضهم : إنّ المدى والأمد يتقاربان ، انتهى .

و قد أشار سبحانه بهذا الكلام إلى صيرورة قلوبهم كقلوب أهل الكتاب القاسية و القلب القاسي حيث يفقد الخشوع والتأثّر عن الحقّ ربّما خرج عن زيّ العبوديّة فلم يتأثّر عن المناهي و اقترف الإثم و الفسوق ، ولذا أردف قوله: «فقست قلوبهم» بقوله: «و كثير منهم فاسقون» .

**قوله تعالى :** «اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها» إلى آخر الآية في تعقيب عتاب المؤمنين على قسوة قلوبهم بهذا التمثيل تقوية لرجائهم و ترغيب لهم في الخشوع.

و يمكن أن يكون من تمام العتاب السابق و يكون تنبيها على أنّ الله لا يخلّي هذا الدين على ما هو عليه من الحال بل كلّما قست قلوب و حرموا الخشوع لأمر الله جاء بقلوب حيّة خاشعة له يعبد بها كما يريد .

فتكون الآية في معنى قوله : «ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل و من يبخل فإنّما يبخل عن نفسه و الله الغنيّ و أنتم الفقراء و إن تتولّوا يستبدل قوما غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم » سورة محمّد : ٣٨ .

و لذلك ذيّل الآية بقوله : «قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون» .

**قوله تعالى :** «إنّ المصّدّقين و المصّدّقات و أقرضوا الله قرضا حسناً يضاعف لهم و لهم أجر كريم» تكرار لحديث المضاعفة والأجر الكريم للترغيب في الإنفاق في سبيل الله و قد اُضيف إلى الّذين أقرضوا الله قرضا حسناً المصّدّقون والمصّدّقات.

و المصّدّقون و المصّدّقات بتشديد الصاد و الدال المتصدّقون و المتصدّقات ، و قوله : « و أقرضوا الله » عطف على مدخول اللاّم في « المصّدّقين » و المعنى أنّ الّذين

تصدّقوا و الّذين أقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ما أعطوه ولهم أجر كريم .

**قوله تعالى** : «و الّذين آمنوا بالله ورسله اُولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم» الخ لم يقل : «آمنوا بالله و رسوله كما قال في أوّل السورة : آمنوا بالله ورسوله و أنفقوا » و قال في آخرها : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله » لأنّه تعالى لمّا ذكر أهل الكتاب في الآية السابقة بقوله : «ولا تكونوا كالّذين اُتوا الكتاب من قبل » عدل عن السياق السابق إلى سياق عامّ يشمل المسلمين و أهل الكتاب جميعاً كما قال بعد : «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات» و أمّا الآيتان المذكورتان في أوّل السورة و آخرها فالخطاب فيهما لمؤمني هذه الاُمّة خاصّة ولذا جيىء فيهما بالرسول مفردا.

و المراد بالإيمان بالله و رسله محض الإيمان الّذي لا يفارق بطبعه الطاعة و الاتّباع كما مرّت الإشارة إليه في قوله : «آمنوا بالله و رسوله» الآية ، و المراد بقوله: «اُولئك هم الصدّيقون والشهداء» إلحاقهم بالصدّيقين والشهداء بقرينة قوله : «عند ربّهم» وقوله : «لهم أجرهم ونورهم» فهم ملحقون بالطائفتين يعامل معهم معاملة الصدّيقين و الشهداء فيعطون مثل أجرهم و نورهم .

و الظاهر أنّ المراد بالصدّيقين والشهداء هم المذكورون في قوله : « و من يطع الله و الرسول فاُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن اُولئك رفيقا » النساء : ٦٩ و قد تقدّم في تفسير الآية أنّ المراد بالصدّيقين هم الّذين سرى الصدق في قولهم و فعلهم فيفعلون ما يقولون و يقولون ما يفعلون ، و الشهداء هم شهداء الأعمال يوم القيامة دون الشهداء بمعنى المقتولين في سبيل الله .

فهؤلاء الّذين آمنوا بالله ورسله ملحقون بالصدّيقين والشهداء منزّلون منزلتهم عندالله أي بحكم منه لهم أجرهم ونورهم .

و قوله : «لهم أجرهم و نورهم» ضمير «لهم» للّذين آمنوا ، و ضميرا « أجرهم و نورهم » للصدّيقين و الشهداء أي للّذين آمنوا أجر من نوع أجر الصدّيقين و الشهداء

و نور من نوع نورهم ، و هذا معنى قول من قال : إنّ المعنى لهم أجر كأجرهم و نور كنورهم .

و ربّما قيل : إنّ الآية مسوقة لبيان أنّهم صدّيقون و شهداء على الحقيقة من غير إلحاق و تنزيل فهم هم لهم أجرهم و نورهم ، و لعلّ السياق لا يساعد عليه .

و ربّما قيل : إنّ قوله : «و الشهداء» ليس عطفا على قوله : «الصدّيقون» بل استئناف ، و «الشهداء» مبتدء خبره «عندالله» و خبره الآخر «لهم أجرهم» فقد قيل : و الّذين آمنوا بالله و رسله اُولئك هم الصدّيقون ، و قد تمّ الكلام ثمّ استؤنف و قيل : «والشهداء عندربّهم» كما قيل : «بل أحياء عندربّهم» آل عمران : ١٦٩ ، والمراد بالشهداء المقتولون في سبيل الله ، ثمّ تمّم الكلام بقوله : «لهم أجرهم و نورهم» .

وقوله : «والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اُولئك أصحاب الجحيم» أي لا يفارقونها و هم فيها دائمين .

و قد تعرّض سبحانه في الآية لشأن الملحقين بالصدّيقين و الشهداء و هم خيار الناس و الناجون قطعاً ، والكفّار المكذّبين لآياته وهم شرار الناس و الهالكون قطعا بقي فريق بين الفريقين و هم المؤمنون المقترفون للمعاصي و الذنوب على طبقاتهم في التمرّد على الله ورسوله ، وهذا دأب القرآن في كثير من موارد التعرّض لشأن الناس يوم القيامة .

وذلك ليكون بعثاً لقريحتي الخوف والرجاء في ذلك الفريق المتخلّل بين الخيار والشرار فيميلوا إلى السعادة ويختاروا النجاة على الهلاك .

ولذلك أعقب الآية بذمّ الحياة الدنيا الّتي تعلّق بها هؤلاء الممتنعون من الإنفاق في سبيل الله ثمّ بدعوتهم إلى المسابقة إلى المغفرة و الجنّة ثمّ بالإشارة إلى أنّ ما يصيبهم من المصيبة في أموالهم وأنفسهم مكتوبة في كتاب سابق وقضاء متقدّم فليس ينبغي لهم أن يخافوا الفقر في الإنفاق في سبيل الله فيبخلوا ويمسكوا أو يخافوا الموت في الجهاد في سبيل الله فيتخلّفوا و يقعدوا .

**قوله تعالى** : « اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و

تكاثر في الأموال و الأولاد » الخ اللعب عمل منظوم لغرض خيالي كلعب الأطفال ، و اللهو ما يشغل الإنسان عمّا يهمّه ، و الزينة بناء نوع و ربّما يراد به ما يتزيّن به و هي ضمّ شيء مرغوب فيه إلى شيء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال ، و التفاخر المباهاة بالأنساب و الأحساب ، والتكاثر في الأموال والأولاد .

والحياة الدنيا عرض زائل وسراب باطل لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكورة: اللعب و اللهو و الزينة و التفاخر و التكاثر وهي الّتي يتعلّق بها هوى النفس الإنسانية ببعضها أو بجميعها و هي اُمور وهميّة و أعراض زائلة لا تبقى للإنسان و ليست و لا واحدة منها تجلب للإنسان كمالاً نفسياً ولاخيراً حقيقيّاً .

و عن شيخنا البهائيّ رحمه الله أنّ الخصال الخمس المذكورة في الآية مترتّبة بحسب سني عمر الإنسان و مراحل حياته فيتولّع أوّلاً باللعب وهو طفل أو مراهق ثمّ إذا بلغ و اشتدّ عظمه تعلّق باللهو و الملاهي ثمّ إذا بلغ أشدّه اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة و المراكب البهيّة و المنازل العالية و توله للحسن و الجمال ثمّ إذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالأحساب و الأنساب ثمّ إذا شاب سعى في تكثير المال و الولد .

و قوله : « كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّا ثمّ يكون حطاما » مثل لزينة الحياة الدنيا الّتي يتعلّق بها الإنسان غروراً ثمّ لا يلبث دون أن يسلبها .

و الغيث المطر و الكفّار جمع كافر بمعنى الحارث ، و يهيج من الهيجان و هو الحركة ، والحطام الهشيم المتكسّر من يابس النبات .

و المعنى أنّ مثل الحياة الدنيا في بهجتها المعجبة ثمّ الزوال كمثل مطر أعجب الحرّاث نباته الحاصل بسببه ثمّ يتحرّك إلى غاية ما يمكنه من النموّ فتراه مصفرّ اللون ثمّ يكون هشيماً متكسّرا - متلاشياً تذروه الرياح - .

و قوله : «و في الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله و رضوان» سبق المغفرة على الرضوان لتطهير المحلّ ليحلّ به الرضوان ، وتوصيف المغفرة بكونه من الله دون العذاب

لا يخلو من إيماء إلى أنّ المطلوب بالقصد الأوّل هو المغفرة و أمّا العذاب فليس بمطلوب في نفسه و إنّما يتسبّب إليه الإنسان بخروجه عن زيّ العبوديّة كما قيل .

و قوله : «وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» أي متاع التمتّع منه هو الغرور به، و هذا للمتعلّق المغرور بها .

و الكلام أعني قوله : « و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان » إشارة إلى وجهي الحياة الآخرة ليأخذ السامع حذره فيختار المغفرة و الرضوان على العذاب ثمّ في قوله : «وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» تنبيه و إيقاظ لئلّا تغرّه الحياة الدنيا بخاصّة غروره .

**قوله تعالى** : « سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها كعرض السماء و الأرض» الخ المسابقة هي المغالبة في السبق للوصول إلى غرض بأن يريد كلّ من المسابقين جعل حركته أسرع من حركة صاحبه ففي معنى المسابقة ما يزيد على معنى المسارعة فإنّ المسارعة الجدّ في تسريع الحركة والمسابقة الجدّ في تسريعها بحيث تزيد في السرعة على حركة صاحبه .

و على هذا فقوله : «سابقوا إلى مغفرة» الخ يتضمّن من التكليف ما هو أزيد ممّا يتضمّنه قوله : «سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السماوات والأرض اُعدّت للمتّقين» آل عمران : ١٣٣ .

و يظهر به عدم استقامة ما قيل : إنّ آية آل عمران في السابقين المقرّبين و الآية الّتي نحن فيها في عامّة المؤمنين حيث لم يذكر فيها إلّا الإيمان بالله و رسله بخلاف آية آل عمران فإنّها مذيّلة بجملة الأعمال الصالحة ، ولذا أيضا وصف الجنّة الموعودة هناك بقوله : «عرضها السماوات والأرض » بخلاف ماهمنا حيث قيل : «عرضها كعرض السماء والأرض» فدلّ على أنّ جنّة اُولئك أوسع من جنّة هؤلاء .

وجه عدم الاستقامة ما عرفت أنّ المكلّف به في الآية المبحوث عنها معنى فوقما كلّف به في آية آل عمران . على أنّ اللام في «السماء» للجنس فتنطبق على «السماوات» في تلك الآية .

و تقديم المغفرة على الجنّة في الآية لأنّ الحياة في الجنّة حياة طاهرة في عالم الطهارة فيتوقّف التلبّس بها على زوال قذارات الذنوب و أوساخها .

و المراد بالعرض السعة دون العرض المقابل للطول وهو معنى شائع ، والكلام ـ كأنّه ـ مسوق للدلالة على انتهائها في السعة .

و قيل : المراد بالعرض ما يقابل الطول و الاقتصار على ذكر العرض أبلغ من ذكر الطول معه فإنّ العرض أقصر الامتدادين و إذا كان كعرض السماء و الأرض كان طولها أكثر من طولهما .

ولا يخلو الوجه من تحكّم إذ لا دليل على مساواة طول السماء والأرض لعرضهما ثمّ على زيادة طول الجنّة على عرضها حتّى يلزم زيادة طول الجنّة على طولهما و الطول قد يساوي العرض كما في المربّع و الدائرة و سطح الكرة و غيرها و قد يزيد عليه .

و قوله : « اُعدّت للّذين آمنوا بالله و رسله » قد عرفت في ذيل قوله : « آمنوا بالله و رسله » و قوله : «و الّذين آمنوا بالله و رسله» أنّ المراد بالإيمان بالله و رسله هو مرتبة عالية من الإيمان تلازم ترتّب آثاره عليه من الأعمال الصالحة و اجتناب الفسوق و الإثم .

و بذلك يظهر أنّ قول بعضهم : إنّ في الآية بشارة لعامّة المؤمنين حيث قال : « اُعدّت للّذين آمنوا بالله و رسله» ولم يقيّد الإيمان بشيء من العمل الصالح ونحوه غير سديد فإنّ خطاب الآية و إن كان بظاهر لفظه يعمّ الكافر والمؤمن الصالح والطالح لكنّ وجه الكلام إلى المؤمنين يدعوهم إلى الإيمان الّذي يصاحب العمل الصالح ، و لو كان المراد بالإيمان بالله و رسله مجرّد الإيمان و لو لم يصاحبه عمل صالح وكانت الجنّة معدّة لهم و الآية تدعو إلى السباق إلى المغفرة و الجنّة كان خطاب « سابقوا » متوجّهاً إلى الكفّار فإنّ المؤمنين قد سبقوا و سياق الآيات ياباه .

و قوله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » و قد شاء أن يؤتيه الّذين آمنوا بالله و رسله ، وقد تقدّم بيان أنّ ما يؤتيه الله من الأجر لعباده المؤمنين فضل منه تعالى من

غير أن يستحقّوه عليه .

و قوله : « و الله ذوالفضل العظيم» إشارة إلى عظمة فضله ، و أنّ ما يثيبهم به من المغفرة والجنّة من عظيم فضله .

**قوله تعالى** : «ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها» الخ المصيبة الواقعة الّتي تصيب الشيء مأخوذة من إصابة السهم الغرض و هي بحسب المفهوم أعمّ من الخير و الشرّ لكن غلب استعمالها في الشرّ فالمصيبة هي النائبة ، و المصيبة الّتي تصيب في الأرض كالجدب و عاهة الثمار و الزلزلة المخرّبة و نحوها ، و الّتي تصيب في الأنفس كالمرض و الجرح و الكسر و القتل و الموت ، والبرء والبروء الخلق من العدم ، وضمير «نبرأها» للمصيبة ، وقيل : للأنفس ، وقيل : للأرض، و قيل : للجميع من الأرض و الأنفس و المصيبة ، ويؤيّد الأوّل أنّ المقام مقام بيان ما في الدنيا من المصائب الموجبة لنقص الأموال و الأنفس الّتي تدعوهم إلى الإمساك عن الإنفاق و التخلّف عن الجهاد .

و المراد بالكتاب اللوح المكتوب فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة كما تدلّ عليه الآيات و الروايات و إنّما اقتصر على ذكر ما يصيب في الأرض و في أنفسهم من المصائب لكون الكلام فيها .

قيل : إنّما قيّد المصيبة بما في الأرض وفي الأنفس لأنّ مطلق المصائب غير مكتوبة في اللوح لأنّ اللوح متناه والحوادث غير متناهية ولا يكون المتناهي ظرفا لغير المتناهي .

و الكلام مبنيّ على أنّ المراد باللوح لوح فلزّي أو نحوه منصوب في ناحية من نواحي الجوّ مكتوب فيه الحوادث بلغة من لغاتنا بخطّ يشبه خطوطنا ، و قدمرّ كلام في معنى اللوح و القلم و سيجيء له تتمّة .

وقيل : المراد بالكتاب علمه تعالى وهو خلاف الظاهر إلّا أن يراد به أنّ الكتاب المكتوب فيه الحوادث من مراتب علمه الفعليّ .

و ختم الآية بقوله : «إنّ ذلك على الله يسير» للدلالة على أنّ تقدير الحوادث

قبل وقوعها و القضاء عليها بقضاء لايتغيّر لاصعوبة فيه عليه تعالى .

**قوله تعالى** : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » الخ تعليل راجع إلى الآية السابقة و هو تعليل للإخبار عن كتابة الحوادث قبل وقوعها لا لنفس الكتابة ، و الأسى الحزن ، والمراد بما فات و ما آتى النعمة الفائتة و النعمة المؤتاة.

والمعنى أخبرناكم بكتابة الحوادث قبل حدوثها و تحققّها لئلا تحزنوا بمافاتكم من النعم و لا تفرحوا بما أعطاكم الله منها لأنّ الإنسان إذا أيقن أنّ الّذي أصابه مقدّر كائن لامحالة لم يكن ليخطئه وأنّ ما اُوتيه من النعم وديعة عنده إلى أجل مسمّى لم يعظم حزنه إذا فاته ولا فرحه إذا اُوتيه .

قيل : إنّ اختلاف الإسناد في قوليه : «مافاتكم» و«ما آتاكم» حيث اُسندالفوت إلى نفس الأشياء و الإيتاء إلى الله سبحانه لأنّ الفوات و العدم ذاتيّ للأشياء فلو خلّيت و نفسها لم تبق بخلاف حصولها و بقائها فإنّه لابدّ من استنادهما إلى الله تعالى.

وقوله : «والله لايحبّ كلّ مختال فخور» المختال من أخذته الخيلاء و هي التكبّر عن تخيّل فضيلة تراءت له من نفسه - على ما ذكره الراغب - و الفخور الكثير الفخر و المباهاة ، و الاختيال والفخر ناشئان عن توهّم الإنسان أنّه يملك ما اُوتيه من النعم باستحقاق من نفسه ، و هو مخالف لما هو الحقّ من استناد ذلك إلى تقدير من الله لا لاستقلال من نفس الإنسان فهما من الرذائل والله لايحبّهما .

**قوله تعالى** : « الّذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل » وصف لكلّ مختال فخور يفيد تعليل عدم حبّه تعالى . والوجه في بخلهم الاحتفاظ للمال الّذي يعتمدعليه اختيالهم و فخرهم و الوجه في أمرهم الناس بالبخل أنّهم يحبّونه لأنفسهم فيحبّونه لغيرهم ، و لأنّ شيوع السخاء و الجود بين الناس و إقبالهم على الإنفاق في سبيل الله يوجب أن يعرفوا بالبخل المذموم .

و قوله : « و من يتول فإنّ الله هو الغنيّ الحميد» أي و من يعرض عن الإنفاق و لم يتّعظ بعظة الله و لا اطمأنّ قلبه بما بيّنه من صفة الدنيا و نعت الجنّة و تقدير الأمور فإنّ الله هو الغنيّ فلا حاجة له إلى إنفاقهم ، والمحمود في أفعاله .

والآيات الثلاث أعني قوله : «وما أصاب من مصيبة ـ إلى قوله ـ الغنيّ الحميد» كما ترى حثّ على الإنفاق و ردع عن البخل و الإمساك بتزهيدهم عن الأسى بما فاتهم و الفرح بما آتاهم لأنّ الاُمور مقدّرة مقضيّة مكتوبة في كتاب معيّنة قبل أن يبرأها الله سبحانه .

## ﴿بحث روائي﴾

في الدرّ المنثور في قوله تعالى : «ألم يأن» الآية : أخرج ابن المبارك و عبد الرزّاق و ابن المنذر عن الأعمش قال : لمّا قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنّهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت : «ألم يأن للّذين آمنوا» .

**أقول** : هذه أعدل الروايات في نزول السورة و هناك رواية عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا و بين أن عاتبنا الله بهذه «ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» إلّا أربع سنين ، و ظاهره كون السورة مكّيّة ، و في معناه ما ورد أنّ عمر آمن بعد نزول هذه السورة وقد عرفت أنّ سياق آيات السورة تأبى إلّا أن تكون مدنيّة، و يمكن حمل رواية ابن مسعود على كون آية «ألم يأن» الخ أو هي و الّتي تتلوها ممّا نزل بمكّة دون باقي آيات السورة .

و في رواية عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة من نزول القرآن فأنزل الله «ألم يأن» الآية ، و لازمه نزول السورة سنة أربع أو خمس من الهجرة ، و في رواية اُخرى عن ابن عبّاس قال : إنّ الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال : «ألم يأن» الخ و لازمه نزول السورة أيّام الهجرة ، والروايتان أيضا لا تلائمان سياق آياتها .

وفيه أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب سمعت رسول الله يقول : مؤمنوا اُمّتي شهداء ثمّ تلا النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم «والّذين آمنوا بالله ورسله اُولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم» .

و في تفسير العيّاشيّ بإسناده عن منهال القصّاب قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ادع الله أن يرزقني الشهادة فقال : إنّ المؤمن شهيد وقرء هذه الآية .

**أقول** : و في معناه روايات اُخرى و ظاهر بعضها كهذه الرواية تفسير الشهادة بالقتل في سبيل الله .

و في تفسير القمّيّ بإسناده عن حفص بن غياث قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك فما حدّ الزهد في الدنيا ؟ فقال : قد حدّه الله في كتابه فقال عزّ و جلّ : «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» .

و في نهج البلاغة قال عليه السلام : الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى : «لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم» و من لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه .

**أقول** : و الأساس الّذي يبتنيان عليه عدم تعلّق القلب بالدنيا و في الحديث المعروف : حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة .



✩ ✩ ✩

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ اِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَ اِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْاِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ اِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِاللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) .

## ﴿ بيان ﴾

ثمّ إنّه تعالى إثر ما أشار إلى قسوة قلوب المؤمنين و تثاقلهم و فتورهم في امتثال التكاليف الدينيّة وخاصّة في الإنفاق في سبيل الله ، الّذي به قوام أمر الجهاد و شبّههم بأهل الكتاب حيث قست قلوبهم لمّا طال عليهم الأمد .

ذكر أنّ الغرض الإلهيّ من إرسال الرسل و إنزال الكتاب و الميزان معهم أن يقوم الناس بالقسط ، و أن يعيشوا في مجتمع عادل ، و قد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح و بسط كلمة الحقّ في الأرض مضافاً إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها .

ثمّ ذكر أنّه أرسل نوحا و إبراهيم عليهما السلام و جعل في ذرّيّتهما النبوّة و الكتاب و أتبعهم بالرسول بعد الرسول فاستمرّ الأمر في كلّ من الاُمم على إيمان بعضهم و اهتدائه و كثير منهم فاسقون ثمّ ختم الكلام في السورة بدعوتهم إلى تكميل إيمانهم ليؤتوا كفلين من الرحمة .

**قوله تعالى** :«لقدأرسلنارسلنا بالبيّنات وأنزلنامعهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» الخ استئناف يتبيّن به معنى تشريع الدين بإرسال الرسل و إنزال الكتاب و الميزان و أنّ الغرض من ذلك قيام الناس بالقسط و امتحانهم بذلك و بإنزال الحديد ليتميّز من ينصر الله بالغيب و يتبيّن أن أمر الرسالة لم يزل مستمرّاً بين الناس و لم يزالوا يهتدي من كلّ اُمّة بعضهم و كثير منهم فاسقون .

فقوله : «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات» أي بالآيات البيّنات الّتي يتبيّن بها أنّهم مرسلون من جانب الله سبحانه من المعجزات الباهرة و البشارات الواضحة و الحجج القاطعة .

و قوله : « و أنزلنا معهم الكتاب » و هو الوحي الّذي يصلح أن يكتب فيصير كتابا ، المشتمل على معارف الدين من اعتقاد و عمل و هو خمسة : كتاب نوح و كتاب

إبراهيم و التوراة والإنجيل والقرآن .

و قوله : « و الميزان ليقوم الناس بالقسط » فسّروا الميزان بذي الكفّتين الّذي يوزن به الأثقال ، و أخذوا قوله : «ليقوم الناس بالقسط » غاية متعلّقة بإنزال الميزان والمعنى وأنزلنا الميزان ليقوم الناس بالعدل في معاملاتهم فلايخسروا باختلال الأوزان والنسب بين الأشياء فقوام حياة الإنسان بالاجتماع ، و قوام الاجتماع بالمعاملات الدائرة بينهم و المبادلات في الأمتعة و السلع ، وقوام المعاملات في ذوات الأوزان بحفظ النسب بينها و هو شأن الميزان .

و لايبعد ـ والله أعلم ـ أن يراد بالميزان الدين فإنّ الدين هو الّذي يوزن به عقائد أشخاص الإنسان و أعمالهم ، و هو الّذي به قوام حياة الناس السعيدة مجتمعين و منفردين ، و هذا المعنى أكثر ملائمة للسياق المتعرّض لحال الناس من حيث خشوعهم و قسوة قلوبهم و جدّهم و مساهلتهم في أمر الدين . و قيل : المراد بالميزان هنا العدل و قيل : العقل .

و قوله : «و أنزلنا الحديد» الظاهر أنّه كقوله تعالى : «و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » الزمر : ٦ ، و قد تقدّم في تفسير الآية أنّ تسمية الخلق في الأرض إنزالاً إنّما هو باعتبار أنّه تعالى يسمّي ظهور الأشياء في الكون بعد ما لم يكن إنزالاً لها من خزائنه الّتي عنده ومن الغيب إلى الشهادة قال تعالى : «و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّابقدر معلوم» الحجر : ٢١ .

و قوله : « فيه بأس شديد و منافع للناس » البأس هو الشدّة في التأثير و يغلب استعماله في الشدّة في الدفاع والقتال ، و لا تزال الحروب و المقاتلات و أنواع الدفاع ذات حاجة شديدة إلى الحديد و أقسام الأسلحة المعمولة منه منذ تنبّه البشر له و استخرجه .

وأمّا ما فيه من المنافع للناس فلايحتاج إلى البيان فله دخل في جميع شعب الحياة و ما يرتبط بها من الصنائع .

و قوله : « و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب » غاية معطوفة على محذوف و

التقدير و أنزلنا الحديد لكذا وليعلم الله من ينصره الخ و المراد بنصره و رسله الجهاد في سبيله دفاعاً عن مجتمع الدين و بسطاً لكلمة الحقّ ، و كون النصر بالغيب كونه في حال غيبته منهم أو غيبتهم منه ، و المراد بعلمه بمن ينصره و رسله تميّزهم ممّن لا ينصر .

و ختم الآية بقوله : «إنّ الله قويّ عزيز » و كأنّ وجهه الإشارة إلى أنّ أمره تعالى لهم بالجهاد إنّما هو ليتميّز الممتثل منهم من غيره لالحاجة منه تعالى إلى ناصر ينصره إنّه تعالى قوي ّلاسبيل للضعف إليه عزيز لاسبيل للذلّة إليه .

**قوله تعالى** : « و لقد أرسلنا نوحا و إبراهيم و جعلنا في ذرّيّتهما النبوّة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون» شروع في الإشارة إلى أنّ الاهتداء و الفسق جاريان في الاُمم الماضية حتّى اليوم فلم تصلح اُمّة من الاُمم بعامّة أفرادها بل لم يزل كثير منهم فاسقين .

و ضمير «فمنهم» و «منهم» للذرّيّة والباقي ظاهر .

**قوله تعالى** : «ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا و قفّينا بعيسى بن مريم و آتيناه الإنجيل» في المجمع : التقفية جعل الشيء في إثر شيء على الاستمرار فيه ، و لهذاقيل لمقاطع الشعر قواف إذكانت تتبع البيت على أثره مستمرّة في غيره على منهاجه . انتهى.

و ضمير «على آثارهم» لنوح و إبراهيم و السابقين من ذرّيّتهما ، و الدليل عليه أنّه لانبيّ بعد نوح إلّا من ذرّيّته لأنّ النسل بعده له . على أنّ عيسى من ذرّيّة إبراهيم قال تعالى في نوح : « و جعلنا ذرّيّته هم الباقين » الصافات : ٧٧ و قال : « و من ذرّيّته داود و سليمان ـ إلى أن قال ـ وعيسى » الأنعام : ٨٥ فالمراد بقوله :«ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا » الخ التقفية باللّاحقين منذرّيّتهما على آثارهما والسابقين من ذرّيّتهما .

و في قوله : «علي آثارهم» إشارة إلى أنّ الطريق المسلوك واحد يتبع فيه بعضهم أثر بعض .

و قوله : « و قفّينا بعيسى بن مريم و آتيناه الإنجيل و جعلنا في قلوب الّذين

اتّبعوه رأفة و رحمة » الرأفة و الرحمة ـ على ما قالوا ـ مترادفان ، و نقل عن بعضهم أنّ الرأفة يقال في درء الشرّ و الرحمة في جلب الخير .

والظاهر أنّ المراد بجعل الرأفة والرحمة في قلوب الّذين اتّبعوه توفيقهم للرأفة و الرحمة فيما بينهم فكانوا يعيشون على المعاضدة والمسالمة كما وصف الله سبحانه الّذين مع النبيّ صلى الله عليه وآله بالرحمة إذ قال :«رحماء بينهم» الفتح : ٢٩ ، وقيل : المراد بجعل الرأفة و الرحمة في قلوبهم الأمر بهما و الترغيب فيهما و وعد الثواب عليهما .

و قوله : « و رهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم» الرهبانيّة من الرهبة و هي الخشية ، ويطلق عرفا على انقطاع الإنسان من الناس لعبادة الله خشية منه ، والابتداع إتيان ما لم يسبق إليه في دين أو سنّة أو صنعة ، و قوله : « ما كتبناها عليهم» في معنى الجواب عن سؤال مقدّر كأنّه قيل : ما معنى ابتداعهم لها ؟ فقيل : ما كتبناها عليهم.

و المعنى أنّهم ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانيّة من غير أن نشرّعه نحن لهم .

و قوله : « إلّا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها » استثناء منقطع معناه ما فرضناها عليهم لكنّهم وضعوها من عند أنفسهم ابتغاء لرضوان الله و طلباً لمرضاته فما حافظوا عليها حقّ محافظتها بتعدّيهم حدودها .

و فيه إشارة إلى أنّها كانت مرضيّة عنده تعالى و إن لم يشرّعها بل كانوا هم المبتدعين لها .

و قوله : «فآتينا الّذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون » إشارة إلى أنّهم كالسابقين من اُمم الرسل منهم مؤمنون مأجورون على إيمانهم و كثير منهم فاسقون ، والغلبة للفسق .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » الخ أمرُ الّذين آمنوا بالتقوى والإيمان بالرسول مع أنّ الذين استجابوا الدعوة فآمنوا بالله آمنوا برسوله أيضا دليل على أنّ المراد بالإيمان بالرسول الاتّباع التامّ و الطاعة الكاملة لرسوله فيما يأمر به و ينهى عنه سواء كان ما يأمر به أو ينهى عنه حكماً من الأحكام الشرعيّة أو صادراً عنه بماله من ولاية اُمور الاُمّة كما قال

تعالى : «فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليما » النساء : ٦٥ .

فهذا إيمان بعد إيمان و مرتبة فوق مرتبة الإيمان الّذي ربّما يتخلّف عنه أثره فلا يترتّب عليه لضعفه ، و بهذا يناسب قوله : «يؤتكم كفلين من رحمته » و الكفل الحظّ و النصيب فله ثواب على ثواب كما أنّه إيمان على إيمان .

**و قيل** : المراد بإيتاء كفلين من الرحمة إيتاؤهم أجرين كمؤمني أهل الكتاب كأنّه قيل : يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجرين لأنّكم مثلهم في الإيمان بالرسل المتقدّمين و بخاتمهم عليه السلام لا تفرّقون بين أحد من رسله .

و قوله : «و يجعل لكم نوراً تمشون به» قيل : يعني يوم القيامة وهو النور الّذي اُشير إليه بقوله : «يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم ».

و فيه أنّه تقييد من غير دليل بل لهم نورهم في الدنيا و هو المدلول عليه بقوله تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » الأنعام : ١٢٢ ، و نورهم في الآخرة و هو المدلول عليه بقوله : « يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم » الآية ١٢ من السورة و غيره .

ثمّ كمّل تعالى وعده بإيتائهم كفلين من رحمته وجعل نور يمشون به بالمغفرة فقال: «و يغفر لكم والله غفور رحيم» .

**قوله تعالى** : «لئلّا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله» ظاهر السياق أنّ في الآية التفاتا من خطاب المؤمنين إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله، والمراد بالعلم مطلق الاعتقاد كالزعم ، و «أن» مخفّفة من الثقيلة ، و ضمير «يقدرون» للمؤمنين ، وفي الكلام تعليل لمضمون الآية السابقة .

و المعنى إنّما أمرناهم بالإيمان بعد الإيمان و وعدناهم كفلين من الرحمة و جعل النور و المغفرة لئلا يعتقد أهل الكتاب أنّ المؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجرهم مرّتين أن آمنوا .

و قيل : إنّ « لا » في « لئلاّ يعلم » زائدة وضمير « يقدرون » لأهل الكتاب ، و المعنى إنّما وعدنا المؤمنين بما وعدنا لأن يعلم أهل الكتاب القائلون : إنّ من آمن منّا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن فله أجر واحد لإيمانه بكتابنا ، أنّهم لا يقدرون على شيء من فضل الله إن لم يؤمنوا ، هذا و لا يخفى عليك ما فيه من التكلّف .

و قوله : « و أنّ الفضل بيد الله و الله ذو الفضل العظيم » معطوف على « أن لا يعلم » و المعنى إنّما وعدنا بما وعدنا لأنّ كذا كذا و لأنّ الفضل بيد الله و الله ذو ـ الفضل العظيم .

و في الآية أقوال و احتمالات اُخر لاجدوى في إيرادها و البحث عنها.

## ( بحث روائي )

عن جوامع الجامع روي أنّ جبرئيل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به .

في الاحتجاج عن عليّ عليه السلام في حديث وقال : «و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد» فإنزاله ذلك خلقه إيّاه .

و في المجمع عن ابن مسعود قال : كنت رديف رسول الله على الحمار فقال : يابن اُمّ عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيّة ؟ فقلت : الله و رسوله أعلم. فقال : ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرّات فلم يبق منهم إلاّ القليل.

فقالوا : إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا و لم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث الله النبيّ الّذي وعدنا به عيسى يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله فتفرّقوا في غيران [1] الجبال و أحدثوا رهبانيّة فمنهم من تمسّك بدينه ، و منهم من كفر . ثمّ تلا هذه الآية «ورهبانيّة ابتدعوها ماكتبناها عليهم» إلى آخرها .

ثمّ قال : يابن اُمّ عبد أتدري ما رهبانيّة اُمّتي ؟ قلت : الله و رسوله أعلم .قال

---

(١) جمع غار .

الهجرة والجهاد والصلاة و الصوم و الحجّ والعمرة .

و في الكافي بإسناده عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : لقد آتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً . قال : و ما ذاك ؟ قلت : قول الله عزّ وجلّ : « الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ـ إلى قوله ـ اُولئك يؤتون أجرهم مرّتين بماصبروا» قال : فقال : آتاكم الله كما آتاهم ثمّ تلا «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به» يعني إماماً تأتمّون به .

و في المجمع عن سعيد بن جبير بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه و دعاه فاستجاب له و آمن به فلمّا كان عند انصرافه قال ناس ممّن آمن به من أهل مملكته و هم أربعون رجلا : ائذن لنا فنأتي هذا النبيّ فنسلم به .

فقدموا مع جعفر فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا : يا نبيّ الله إنّ لنا أموالاً و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم : «الّذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون ـ إلى قوله ـ و ممّا رزقناهم ينفقون» فكانت النفقة الّتي واسوا بها المسلمين .

فلمّا سمع أهل الكتاب ممّن لم يؤمن به قوله : « اُولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا» فخروا على المسلمين فقالوا : يا معشر المسلمين أمّا من آمن منّا بكتابنا و كتابكم فله أجران ، ومن آمن منّا بكتابنا فله أجر كاُجوركم فما فضلكم علينا ؟ فنزل قوله : «ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله» الآية فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة ثمّ قال : «لئلاّ يعلم أهل الكتاب» .

﴿سورة المجادلة مدنيّة وهي اثنتان وعشرون آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَ تَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَ اللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَ الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللهُ وَ نَسُوهُ وَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)

﴿بيان﴾

تتعرّض السورة لمعان متنوّعة من حكم وأدب وصفة فشطر منها في حكم الظهار و النجوى و أدب الجلوس في المجالس و شطر منها يصف حال الّذين يحادّون الله و رسوله ، والّذين يوادّون أعداء الدين ويصف الّذين يتحرّزون من موادّتهم من المؤمنين

و يعدهم جميلاً في الدنيا و الاخرة .

و السورة مدنية بشهاده سياق آياتها .

**قوله تعالى** : «قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما» الخ قال في المجمع : الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه ، والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه . قال : و التحاور التراجع و هي المحاورة يقال : حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاورا . انتهى .

الآيات الأربع أو الستّ نزلت في الظهار وكان من أقسام الطلاق عند العرب الجاهلي كان الرجل يقول لامرأته : أنت منّي كظهر اُمّي فتنفصل عنه و تحرم عليه مؤبّدة و قد ظاهر بعض الأنصار من امرأته ثمّ ندم عليه فجاءت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تسائله فيه لعلّها تجد طريقا إلى رجوعه إليها و تجادله صلى الله عليه وآله في ذلك وتشتكي إلى الله فنزلت الآيات .

و المراد بالسمع في قوله : «قد سمع الله» استجابة الدعوة و قضاء الحاجة من باب الكناية و هو شائع ، و الدليل عليه قوله : «تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله» الظاهر في أنّها كانت تتوخّى طريقا إلى أن لا تنفصل عن زوجها ، و أمّا قوله : «والله يسمع تحاوركما» فالسمع فيه بمعناه المعروف .

و المعنى قد استجاب الله للمرأة الّتي تجادلك في زوجها - و قد ظاهر منها - و تشتكي غمّها و ما حلّ بها من سوء الحال إلى الله و الله يسمع تراجعكما في الكلام إنّ الله سميع للأصوات بصير للمبصرات .

**قوله تعالى** : «الّذين يظاهرون من نسائهم ماهنّ اُمّهاتهم إن اُمّهاتهم إلّا اللائي ولدنهم» الخ نفي لحكم الظهار المعروف عندهم و إلغاء لتأثيره بالطلاق و التحريم الأبدي بنفي اُمومة الزوجة للزوج بالظهار فإنّ سنّة الجاهليّة كانت تلحق الزوجة بالاُمّ بسبب الظهار فتحرم على زوجها حرمة الاُمّ على ولدها حرمة مؤبّدة .

فقوله : «ماهنّ اُمّهاتهم» أي بحسب اعتبار الشرع بأن يلحقن شرعاً بهنّ بسبب الظهار فيحرمن عليهم أبدا ثمّ أكّده بقوله : «إن اُمّهاتهم إلّا اللائي ولدنهم» أي ليس

اُمّهات أزواجهن إلّا النساء اللاّتي ولدنهم .

ثمّ أكّد ذلك ثانيا بقوله : «و إنّهم ليقولون منكراً من القول و زورا» بمافيه من سياق التأكيد أي وإنّ هؤلاء الأزواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكراً من القول ينكره الشرع حيث لم يعتبره و لم يسنّه ، و كذبا باعتبار أنّه لا يوافق الشرع كمالا يطابق الخارج الواقع في الكون فأفادت الآية أنّ الظهار لا يفيد طلاقا و هذا لا ينافي وجوب الكفّارة عليه لو أراد المواقعة بعد الظهار فالزوجيّة على حالها و إن حرمت المواقعة قبل الكفّارة .

و قوله : «و إنّ الله لعفوّ غفور» لايخلو من دلالة على كونه ذنباً مغفوراً لكن ذكر الكفّارة في الآية التالية مع تذييلها بقوله : «و تلك حدود الله و للكافرين عذاب أليم» ربّما دلّ على أنّ المغفرة مشروطة بالكفّارة .

**قوله تعالى** : « والّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا » الخ الكلام في معنى الشرط و لذلك دخلت الفاء في الخبر لأنّه في معنى الجزاء و المحصّل أن الّذين ظاهروا منهنّ ثمّ أرادوا العود لما قالوا فعليهم تحرير رقبة .

و في قوله : « من قبل أن يتماسّا» دلالة على أنّ الحكم في الآية لمن ظاهر ثمّ أراد الرجوع إلى ما كان عليه قبل الظهار وهو قرينة على أنّ المراد بقوله : « يعودون لما قالوا» إرادة العود إلى نقض ما أبرموه بالظهار .

و المعنى و الّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يريدون أن يعودوا إلى ما تكلّموا به من كلمة الظهار فينقضوها بالمواقعة فعليهم تحرير رقبة من قبل أن يتماسّا .

و قيل : المراد بعودهم لما قالوا ندمهم على الظهار ، و فيه أنّ الندم عليه يصلح أن يكون محصّل المعنى لا أن يكون معنى الكلمة «يعودون لما قالوا» .

و قيل : المراد بعودهم لما قالوا رجوعهم إلى ما تلفّظوا به من كلمة الظهار بأن يتلفّظوا بها ثانيا و فيه أنّ لازمه ترتّب الكفّارة دائما على الظهار الثاني دون الأوّل والآية لاتفيد ذلك و السنّة إنّما اعتبرت تحقّق الظهار دون تعدّده .

ثمّ ذيّل الآية بقوله : «ذلكم توعظون به و الله بما تعملون خبير » إيذاناً بأنّ ما أمر به من الكفّارة توصية منه بها عن خبرة بعملهم ذاك ، فالكفّارة هي الّتي يرتفع بها ما لحقهم من تبعة العمل .

**قوله تعالى** : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا » إلى آخر الآية خصلة ثانية من الكفّارة مترتبّة على الخصلة الاُولى لمن لا يتمكّن منها و هي صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا ، وقيّد ثانيا بقوله : «من قبل أن يتماسّا» لدفع توهّم اختصاص القيد بالخصلة الاُولى .

و قوله : « فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكينا » بيان للخصلة الثالثة فمن لم يطق صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستّين مسكينا و تفصيل الكلام في ذلك كلّه في الفقه .

و قوله : « ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله » أي ما جعلناه من الحكم و افترضناه من الكفّارة فأبقينا علقة الزوجيّة و وضعنا الكفّارة لمن أراد أن يرجع إلى المواقعة جزاء بما أتى بسنّة من سنن الجاهليّة كلّ ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله و ترفضوا أباطيل السنن .

و قوله : « وتلك حدود الله و للكافرين عذاب أليم » حدّ الشيء ما ينتهي إليه و لا يتعدّاه و أصله المنع ، و المراد أنّ ما افترضناه من الخصال أو ما نضعها من الأحكام حدود الله فلا تتعدّوها بالمخالفة و للكافرين بما حكمنا به في الظهار أو بما شرعناه من الأحكام بالمخالفة و المحادّة عذاب أليم .

و الظاهر أنّ المراد بالكفر ردّ الحكم و الأخذ بالظهار بما أنّه سنّة مؤثرة مقبولة ، و يؤيّده قوله : «ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله » أي تذعنوا بأنّ حكم الله حقّ و أنّ رسوله صادق أمين في تبليغه ، و قد أكّده بقوله : «و تلك حدود الله» الخ ، ويمكن أن يكون المراد بالكفر الكفر في مقام العمل وهو العصيان .

**قوله تعالى** : «إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله كبتوا كما كبت الّذين من قبلهم» الخ المحادّة الممانعة و المخالفة ، والكبت الإذلال والإخزاء .

و الآية والّتي تتلوها و إن أمكن أن تكونا استئنافا يبيّن أمر محادّة الله و رسوله من حيث تبعتها و أثرها لكن ظاهر السياق أن تكونا مسوقتين لتعليل ذيل الآية السابقة الّذي معناه النهي عن محادّة الله و رسوله و المعنى إنّما أمرناكم بالإيمان بالله و رسوله و نهيناكم عن تعدّي حدود الله و الكفر بها لأنّ الّذين يحادّون الله ورسوله بالمخالفة اُذلّوا و اُخزوا كما اُذلّ و اُخزي الّذين من قبلهم .

ثمّ أكّده بقوله : « وقد بيّنّا آيات بيّنات و للكافرين عذاب مهين » أي لاريب في كونها منّا و في أنّ رسولنا صادق أمين في تبليغها ، وللكافرين بها الرادّين لهاعذاب مهين مخز .

**قوله تعالى** : « يوم يبعثهم الله فينبّئهم بما عملوا » ظرف لقوله : « وللكافرين عذاب أليم » أي لهم أليم العذاب في يوم يبعثهم الله و هو يوم الحساب و الجزاء فيخبرهم بحقيقة جميع ما عملوا في الدنيا .

و قوله : « أحصاه الله و نسوه » الإحصاء الإحاطة بعدد الشيء من غير أن يفوت منه شيء قال الراغب : الإحصاء التحصيل بالعدد يقال : أحصيت كذا ، و ذلك من لفظ الحصا ، و استعمال ذلك فيه من حيث إنّهم كانوا يعتمدونه في العدّ كاعتمادنا فيه على الأصابع . انتهى .

و قوله : « إنّ الله على كلّ شيء شهيد » تعليل لقوله : « أحصاه الله » و قدمرّ تفسير شهادة الله على كلّ شيء في آخر سورة حمٓ السجدة .

## ﴿بحث روائي﴾

في الدرّ المنثور أخرج ابن ماجه و ابن أبي حاتم و الحاكم و صحّحه و ابن مردويه و البيهقيّ عن عائشة قالت : تبارك الّذي وسع سمعه كلّ شيء إنّي لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة و يخفى عليّ بعضه و هي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و هي تقول : يا رسول الله أكل شبابي و نثرت له بطني حتّى إذا كبر سنّي و انقطع ولدي ظاهر منّي اللّهمّ إنّي أشكو إليك فما برحت حتّى نزل جبرئيل بهذه الآيات « قدسمع

الله قول الّتي تجادلك في زوجها» وهو أوس بن الصامت .

**اقول** : و الروايات من طرق أهل السنّة في هذا المعنى كثيرة جدّاً ، واختلفت في اسم المرأة و اسم أبيها و اسم زوجها و اسم أبيه و الأعرف أنّ اسمها خولة بنت ثعلبة و اسم زوجها أوس بن الصامت الأنصاريّ و أورد القمّيّ إجمال القصّة في رواية ، و له رواية اُخرى ستوافيك .

وفي المجمع في قوله تعالى : «و الّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا» فأمّا ما ذهب إليه أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام فهو أنّ المراد بالعود إرادة الوطء و نقض القول الّذي قاله فإنّ الوطء لا يجوز له إلّا بعد الكفّارة ، و لا يبطل حكم قوله الأوّل إلّا بعد الكفّارة .

و في تفسير القمّيّ حدّثنا عليّ بن الحسين قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله عن الحسن بن محبوب عن أبي ولّاد عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ امرأة من المسلمات أتت النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت : يا رسول الله إنّ فلاناً زوجي وقد نثرت له بطني و أعنته على دنياه و آخرته لم ترمنّي مكروهاً أشكوه إليك . قال : فيم تشكونيه ؟ قالت: إنّه قال : أنت عليّ حرام كظهر اُمّي و قد أخرجني من منزلي فانظر في أمري . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أنزل الله تبارك و تعالى كتاباً أقضي فيه بينك و بين زوجك و أنا أكره أن أكون من المتكلّفين فجعلت تبكي و تشتكي ما بها إلى الله عزّ و جلّ وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وانصرفت .

قال : فسمع الله تبارك و تعالى مجادلتها لرسول الله صلى الله عليه وآله في زوجها و ما شكت إليه ، و أنزل الله في ذلك قرآناً بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها ـ إلى قوله ـ وإنّ الله لعفوّ غفور .

قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المرأة فأتته فقال لها : جيئي بزوجك فأتته فقال له : أقلت لامرأتك هذه : أنت حرام عليّ كظهر اُمّي ؟ فقال : قد قلت لها ذلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : قد أنزل الله تبارك و تعالى فيك و في امرأتك قرآناً و قرء : بسم ـ الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول الّتي تجادلك ـ إلى قوله ـ إنّ الله لعفوّ غفور »

فضمّ إليك امرأتك فانّك قد قلت منكراً من القول و زورا ، و قد عفى الله عنك و غفر لك و لاتعد .

قال : فانصرف الرجل و هو نادم على ما قال لامرأته و كره الله عزّ و جلّ ذلك للمؤمنين بعد و أنزل الله : «الّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا» يعني لما قال الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر اُمّي .

قال : فمن قالها بعد ما عفى الله و غفر للرجل الأوّل فإنّ عليه « تحرير رقبة من قبل أن يتماسّا» يعني مجامعتها « ذلكم توعظون به و الله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكينا» قال : فجعل الله عقوبة من ظاهر بعد النهي هذا . ثمّ قال : «ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله و تلك حدود الله» قال : هذا حدّ الظهار . الحديث .

**اقول** : الآية بما لها من السياق و خاصّة ما في آخرها من ذكر العفو و المغفرة أقرب انطباقا على ما سيق من القصّة في هذه الرواية ، و لا بأس بها من حيث السند أيضا غير أنّها لا تلائم ظاهر ما في الآية من قوله : « الّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا» .



☆ ☆ ☆

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنٰى
مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ
النَّجْوٰى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰنِ وَ
مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَ يَقُولُونَ
فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ
الْمَصِيرُ (٨) يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَ
الْعُدْوٰنِ وَ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَ تَنٰجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوٰى وَ اتَّقُوا اللهَ
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوٰى مِنَ الشَّيْطٰنِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)
يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجٰلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
اللهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰتٍ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا نٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ

لكم و أطهر فان لم تجدوا فانّ الله غفور رحيم (١٢) ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فأقيموا الصلوة و آتوا الزكوة و أطيعوا الله و رسوله و الله خبير بما تعملون (١٣) .

## ﴿ بيان ﴾

آيات في النجوي و بعض آداب المجالسة .

**قوله تعالى** : « ألم تر أنّ الله يعلم ما في السماوات و ما في الأرض » الاستفهام إنكاريّ ، و المراد بالرؤية العلم اليقيني على سبيل الاستعارة ، و الجملة تقدمة يعلّل بها ما يتلوها من كونه تعالى مع أهل النجوى مشاركاً لهم في نجواهم .

**قوله تعالى** : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم و لا خمسة إلّا هو سادسهم » إلى آخر الآية النجوى مصدر بمعنى التناجي و هو المسارّة ، و ضمائر الإفراد لله سبحانه ، والمراد بقوله : «رابعهم» و «سادسهم» جاعل الثلاثة أربعة وجاعل الخمسة ستّة بمشاركته لهم في العلم بما يتناجون فيه و معيّته لهم في الاطّلاع على ما يسارّون فيه كما يشهد به ما احتفّ بالكلام من قوله في أوّل الآية : « ألم تر أنّ الله يعلم» الخ ، وفي آخرها من قوله : «إنّ الله بكلّ شيء عليم».

و قوله : «و لا أدنى من ذلك ولا أكثر» أي ولا أقلّ ممّا ذكر من العدد و لا أكثر ممّا ذكر ، و بهاتين الكلمتين يشمل الكلام عدد أهل النجوى أيّاماً كان أمّا الأدنى من ذلك فالأدنى من الثلاثة الاثنان والأدنى من الخمسة الأربعة ، و أمّا الأكثر فالأكثر من خمسة الستّة فما فوقها .

و من لطف سياق الآية ترتّب ما اُشير إليه من مراتب العدد : الثلاثة و الأربعة و الخمسة والستّة من غير تكرار فلم يقل : من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا أربعة إلّا

هو خامسهم وهكذا .

و قوله : «إلّا هو معهم أينما كانوا» المراد به المعيّة من حيث العلم بما يتناجون به والمشاركة لهم فيه .

و بذلك يظهر أنّ المراد بكونه تعالى رابع الثلاثة المتناجين و سادس الخمسة المتناجين معيّته لهم في العلم و مشاركته لهم في الاطّلاع على ما يسارّون لا مماثلته لهم في تتميم العدد فإنّ كلاً منهم شخص واحد جسمانيّ يكوّن بانضمامه إلى مثله عدد الاثنين و إلى مثليه الثلاثة و الله سبحانه منزّه عن الجسميّة بريء من المادّيّة.

و ذلك أنّ مقتضى السياق أنّ المستثنى من قوله : « ما يكون من نجوى » الخ معنى واحد و هو أنّ الله لا يخفى عليه نجوى فقوله : «إلّا هو رابعهم» «إلّا هو سادسهم» في معنى قوله : «إلّا هو معهم» و هو المعيّة العلميّة أي أنّه يشاركهم في العلم و يقارنهم فيه أو المعيّة الوجوديّة بمعنى أنّه كلّما فرض قوم يتناجون فالله سبحانه هناك سميع عليم .

و في قوله : « أينما كانوا» تعميم من حيث المكان إذ لمّا كانت معيّته تعالى لهم من حيث العلم لا بالاقتران الجسمانيّ لم يتفاوت الحال ولم يختلف باختلاف الأمكنة بالقرب والبعد فالله سبحانه لا يخلومنه مكان وليس في مكان .

و بما تقدّم يظهر أيضا أنّ - ما تفيده الآية من معيّته تعالى لأصحاب النجوى و كونه رابع الثلاثة منهم و سادس الخمسة منهم لا ينافي ما تقدّم تفصيلا في ذيل قوله تعالى : «لقد كفر الّذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة » المائدة : ٧٣ من أنّ وحدته تعالى ليست وحدة عدديّة بل وحدة أحديّة يستحيل معها فرض غير معه يكون ثانيا له فالمراد بكونه معهم و رابعا للثلاثة منهم وسادسا للخمسة منهم أنّه عالم بما يتناجون به وظاهر مكشوف له ما يخفونه من غيرهم لا أنّ له وجوداً محدوداً يقبل العدّ يمكن أن يفرض له ثان و ثالث وهكذا .

و قوله : «ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة» أي يخبرهم بحقيقة ما عملوا من عمل و منه نجواهم و مسارّتهم .

و قوله : «إنّ الله بكلّ شيء عليم» تعليل لقوله : « ثمّ ينبّئهم » الخ و تأكيد لما تقدّم من علمه بما في السماوات و ما في الأرض، وكونه مع أصحاب النجوى .

و الآية تصلح أن تكون توطئة و تمهيداً لمضمون الآيات التالية ولا يخلو ذيلها من لحن شديد يرتبط بما في الآيات التالية من الذمّ و التهديد .

**قوله تعالى** : «ألم تر إلى الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه» إلى آخر الآية سياق الآيات يدلّ على أنّ قوماً من المنافقين و الّذين في قلوبهم مرض من المؤمنين كانوا قد أشاعوا بينهم النجوى محادّة للنبيّ صلى الله عليه وآله و المؤمنين يتناجون بينهم بالإثم و العدوان و معصية الرسول و ليؤذوا بذلك المؤمنين و يحزنون و كانوا يصرّون على ذلك من غير أن ينتهوا بنهي فنزلت الآيات .

فقوله : « ألم تر إلى الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه » ذمّ و توبيخ غيابيّ لهم ، وقد خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يخاطبهم أنفسهم مبالغة في تحقير أمرهم وإبعاداً لهم عن شرف المخاطبة .

و المعنى ألم تنظر إلى الّذين نهوا عن التناجي بينهم بما يغمّ المؤمنين و يحزنهم ثمّ يعودون إلى التناجي الّذي نهوا عنه عودة بعد عودة ، وفي التعبير بقوله : « يعودون » دلالة على الاستمرار ، و في العدول عن ضمير النجوى إلى الموصول و الصلة حيث قيل : «يعودون لما نهوا عنه» ولم يقل : يعودون إليها دلالة على سبب الذمّ و التوبيخ و مساءة العود لأنّها أمر منهيّ عنه.

و قوله : « يتناجون بالإثم و العدوان و معصية الرسول » المقابلة بين الاُمور الثلاثة : الإثم و العدوان ومعصية الرسول تفيد أنّ المراد بالإثم هو العمل الّذي له أثر سيّىء لا يتعدّى نفس عامله كشرب الخمر والميسر و ترك الصلاة ممّا يتعلّق من المعاصي بحقوق الله ، و العدوان هو العمل الّذي فيه تجاوز إلى الغير ممّا يتضرّر به الناس و يتأذّون ممّا يتعلّق من المعاصي بحقوق الناس ، و القسمان أعني الإثم و العدوان جميعاً من معصية الله ، و معصية الرسول مخالفته في الاُمور الّتي هي جائزة في نفسها لا أمر ولا نهي من الله فيها لكن الرسول أمر بها أو نهى عنها لمصلحة الاُمّة بما له ولاية اُمورهم

و النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما نهاهم عن النجوى و إن لم يشتمل على من معصية .

كان ما تقدّم من قوله : «الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه» ذمّاً وتوبيخاً لهم على نفس نجواهم بما أنّها منهيّ عنها مع الغضّ عن كونها بمعصية أوغيرها : و هذا الفصل أعني قوله : «ويتناجون بالإثم و العدوان و معصية الرسول» ذمّ و توبيخ لهم بما يشتمل عليه تناجيهم من المعصية بأنواعها و هؤلاء القوم هم المنافقون و مرضى القلوب كانوا يكثرون من النجوى بينهم ليغتمّ بها المؤمنون ويحزنوا ويتأذّوا.

وقيل : المنافقون واليهود كان يناجي بعضهم بعضا ليحزنوا المؤمنين و يلقوا بينهم الوحشة و الفزع و يوهنوا عزمهم لكن في شمول قوله : « الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه» لليهود خفاء .

و قوله : « وإذا جاؤك حيّوك بما لم يحيّك به الله » فإنّ الله حيّاه بالتسليم و شرع له ذلك تحيّة من عندالله مباركة طيّبة وهم كانوا يحيّونه بغيره . قالوا : هؤلاءهم اليهود كانوا إذاأتوا النبيّ صلّى الله عليه وآله قالوا:السام عليك ــ و السام هو الموت ــ وهم يوهمون أنّهم يقولون : السلام عليك ، و لا يخلو من شيء فإنّ الضمير في « جاؤك » و « حيّوك » للموصول في قوله : « الّذين نهوا عن النجوى » و قد عرفت أنّ في شموله لليهود خفاء .

و قوله : « ويقولون في أنفسهم لو لا يعذّبنا الله بما نقول» معطوف على«حيّوك» أو حال وظاهره أنّ ذلك منهم من حديث النفس مضمرين ذلك في قلوبهم ، وهو تحضيض بداعي الطعن و التهكّم فيكون من المنافقين إنكاراً لرسالة النبيّ صلّى الله عليه وآله على طريق الكناية و المعنى أنّهم يحيّونك بما لم يحيّك به الله و هم يحدّثون أنفسهم بدلالة قولهم ذلك ــ و لولا يعذّبهم الله به ــ على أنّك لست برسول من الله و لو كنت رسوله لعذّبهم بقولهم .

و قيل : المراد بقوله : «و يقولون في أنفسهم» يقولون فيما بينهم بتحديث بعض منهم لبعض ولا يخلو من بعد .

و قد ردّ الله عليهم احتجاجهم بقولهم : « لو لا يعذّبنا الله بما نقول » بقوله : «حسبهم جهنّم يصلونها و بئس المصير» أي إنّهم مخطؤن في نفيهم العذاب فهم معذّبون بما اُعدّ لهم من العذاب و هو جهنّم الّتى يدخلونها و يقاسون حرّها و كفى بها عذابا لهم .

و كأنّ المنافقين و من يلحق بهم لمّا لم ينتهوا بهذه المناهي و التشديدات نزل قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون و الّذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلّا قليلاملعونين أين ما ثقفوا اُخذوا وقتّلوا تقتيلا» الآيات الأحزاب : ٦١ .

**قوله تعالى** : «يا أيّها الّذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم و العدوان و معصية الرسول » الخ لا يخلو سياق الآيات من دلالة على أنّ الآية نزلت في رفع الخطر وقد خوطب فيها المؤمنون فاُجيز لهم النجوى و اشترط عليهم أن لا يكون تناجيا بالإثم و العدوان و معصية الرسول و أن يكون تناجياً بالبرّ و التقوى و البرّ و هو التوسّع في فعل الخير يقابل العدوان ، و التقوى مقابل الإثم ثمّ أكّد الكلام بالأمر بمطلق التقوى بإنذارهم بالحشر بقوله : «و اتّقوا الله الّذي إليه تحشرون» .

**قوله تعالى** : «إنّما النجوى من الشيطان ليحزن الّذين آمنوا و ليس بضارّهم شيأ إلّا بإذن الله» الخ المراد بالنجوى ـ على ما يفيده السياق ـ هو النجوى الدائرة في تلك الأيّام بين المنافقين و مرضى القلوب و هي من الشيطان فإنّه الّذي يزيّنها في قلوبهم ليتوسّل بها إلى حزنهم و يشوّش قلوبهم ليوهمهم أنّها في نائبة حلّت بهم و بليّة أصابتهم .

ثمّ طيّب الله سبحانه قلوب المؤمنين بتذكيرهم أنّ الأمر إلى الله سبحانه و أنّ الشيطان أو التناجي لا يضرّهم شيأ إلّا بإذن الله فليتوكّلوا عليه و لا يخافوا ضرّه و قد نصّ سبحانه في قوله : « و من يتوكّل على الله فهو حسبه » الطلاق : ٣ أنّه يكفي من توكّل عليه ، و استنهضهم على التوكّل بأنّه من لوازم إيمان المؤمن فإن يكونوا مؤمنين

فليتوكّلوا عليه فهو يكفيهم . و هذامعنى قوله : «وليس بضارّهم شيأ إلّا بإذن الله وعلى الله فليتوكّل المؤمنون» .

**قوله تعالى** : «ياأيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » الخ التفسّح الاتّساع و كذا الفسح ، و المجالس جمع مجلس اسم مكان ، والاتّساع في المجلس أن يتّسع الجالس ليسع المكان غيره و فسح الله له أن يوسّع له في الجنّة .

و الآية تتضمّن أدباً من آداب المعاشرة ، ويستفاد من سياقها أنّهم كانوا يحضرون مجلس النبيّ صلّى الله عليه وآله فيجلسون ركاماً لا يدع لغيرهم من الواردين مكانا يجلس فيه فاُدّبوا بقوله : « إذا قيل لكم تفسّحوا » الخ و الحكم عامّ و إن كان مورد النزول مجلس النبيّ صلّى الله عليه وآله .

و المعنى يا أيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم توسّعوا في المجالس ليسع المكان معكم غيركم فتوسّعوا وسّع الله لكم في الجنّة .

و قوله : «و إذا قيل انشزوا فانشزوا » يتضمّن أدباً آخر والنشوز ـ كما قيل ـ الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه ، والنشوز عن المجلس أن يقوم الإنسان عن مجلسه ليجلس فيه غيره إعظاماً له و تواضعاً لفضله .

و المعنى و إذا قيل لكم قوموا ليجلس مكانكم من هو أفضل منكم في علم أوتقوى فقوموا .

و قوله : «يرفع الله الّذين آمنوا منكم و الّذين اُوتوا العلم درجات» لاريب في أنّ لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده مزيد قربه منه تعالى ، وهذا قرينة عقلية على أنّ المراد بهؤلاء الّذين اُوتوا العلم العلماء من المؤمنين فتدلّ الآية على انقسام المؤمنين إلى طائفتين : مؤمن و مؤمن عالم ، و المؤمن العالم أفضل و قد قال تعالى : «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون» الزمر : ٩ .

و يتبيّن بذلك أنّ ما ذكر من رفع الدرجات في الآية مخصوص بالّذين اُوتوا

العلم و يبقى لسائر المؤمنين من الرفع الرفع درجة واحدة و يكون التقدير يرفع الله الّذين آمنوا منكم درجة و يرفع الّذين اُوتوا العلم منكم درجات.

وفي الآية من تعظيم أمر العلماء و رفع قدرهم مالا يخفى . و أكّدالحكم بتذييل الآية بقوله : «و الله بما تعملون خبير» .

**قوله تعالى** : «يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة» الخ أي إذا أردتم أن تناجوا الرسول فتصدّقوا قبلها .

و قوله : « ذلك خير لكم و أطهر » تعليل للتشريع نظير قوله : « و أن تصوموا خير لكم» البقرة ١٨٤ و لا شكّ أنّ المراد بكونها خيراً لهم و أطهر أنّها خير لنفوسهم و أطهر لقلوبهم و لعلّ الوجه في ذلك أنّ الأغنياء منهم كانوا يكثرون من مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله يظهرون بذلك نوعاً من التقرّب إليه و الاختصاص به و كان الفقراء منهم يحزنون بذلك و ينكسر قلوبهم فاُمروا أن يتصدّقوا بين يدي نجواهم على فقرائهم بما فيها من ارتباط النفوس و إثارة الرحمة والشفقة و المودّة و صلة القلوب بزوال الغيظ و الحنق .

و في قوله : « ذلك » التفات إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله بين خطابين للمؤمنين و فيه تجليل لطيف له صلى الله عليه وآله حيث إنّ حكم الصدقة مرتبط بنجواه صلى الله عليه وآله و الالتفات إليه فيما يرجع إليه من الكلام مزيد عناية به .

و قوله : «فإن لم تجدوا فإنّ الله غفور رحيم» أي فإن لم تجدوا شيأ تتصدّقون به فلا يجب عليكم تقديمها و قد رخّص الله لكم في نجواه و عفى عنكم إنّه غفوررحيم فقوله : «فإنّ الله غفور رحيم» من وضع السبب موضع المسبّب .

و فيه دلالة على رفع الوجوب عن المعدمين كما أنّه قرينة على إرادة الوجوب في قوله : «فقدّموا» الخ و وجوبه على الموسرين .

**قوله تعالى** : «ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات » الخ الآية ناسخة لحكم الصدقة المذكور في الآية السابقة ، و فيه عتاب شديد لصحابة النبيّ صلى الله عليه وآله و المؤمنين حيث إنّهم تركوا مناجاته صلى الله عليه وآله خوفاً من بذل المال بالصدقة فلم يناجه أحد

منهم إلّا عليّ عليه السلام فإنّه ناجاه عشر نجوات كلّما ناجاه قدّم بين يدي نجواه صدقة ثمّ نزلت الآية و نسخت الحكم .

و الإشفاق الخشية ، و قوله : « أن تقدّموا » الخ مفعوله و المعنى أخشيتم التصدّق و بذل المال للنجوى ، و احتمل أن يكون المفعول محذوفا و التقدير أخشيتم الفقر لأجل بذل المال .

قال بعضهم : جمع الصدقات لما أنّ الخوف لم يكن في الحقيقة من تقديم صدقة واحدة لأنّه ليس مظنّة الفقر بل من استمرار الأمر و تقديم صدقات.

و قوله : « فإذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة » الخ أي فإذلم تفعلوا ما كلّفتم به و رجع الله إليكم بالعفو و المغفرة فاثبتوا على امتثال سائر التكاليف من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة .

ففي قوله : «و تاب الله عليكم» دلالة على كون ذلك منهم ذنباً و معصية غيرأنّه تعالى غفرلهم ذلك .

و في كون قوله : «فأقيموا الصلاة» الخ متفرّعاً على قوله : «فإذلم تفعلوا» الخ دلالة على نسخ حكم الصدقة قبل النجوى .

و في قوله : «وأطيعوا الله ورسوله» تعميم لحكم الطاعة لسائر التكاليف بإيجاب الطاعة المطلقة ، وفي قوله : «و الله خبير بما تعملون» نوع تشديد يتأكّد به حكم وجوب طاعة الله و رسوله.

## ﴿بحث روائى﴾

في المجمع و قرء حمزة و رويس عن يعقوب « ينتجون » و الباقون «يتناجون » و يشهد لقراءة حمزة قول النبيّ صلّى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام ـ لمّا قال له بعض أصحابه : أتناجيه دوننا ـ؟ : ما أنا انتجيته بل الله انتجاه .

و في الدّر المنثور أخرج أحمد و عبد بن حميد و البزّار و ابن المنذر و الطبرانيّ و ابن مردويه و البيهقيّ في شعب الإيمان بسند جيّد عن ابن عمر أنّ اليهود كانوا

يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليك يريدون بذلك شتمه ثمّ يقولون في أنفسهم : «لو لا يعذّبنا الله بما نقول» فنزلت هذه الآية « وإذا جاؤك حيّوك بما لم يحيّك به‌الله» .

و فيه أخرج عبد الرزّاق و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عبّاس في هذه الآية قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليك فنزلت.

**اقول:** وهذه الرواية أقرب إلى التصديق من سابقتها لما تقدّم في تفسير الآية ، و في رواية القمّي في تفسيره أنّهم كانوا يحيّونه بقولهم : أنعم صباحاً وأنعم مساء و هو تحيّة أهل الجاهليّة .

و في المجمع في قوله تعالى : «يرفع الله الّذين آمنوا منكم و الّذين اُوتوا العلم درجات » و قد ورد أيضاً في الحديث أنّه ﷺ قال : فضل العالم على الشهيد درجة ، و فضل الشهيد على العابد درجة ، و فضل النبيّ على العالم درجة ، و فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه ، و فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أدناهم . رواه جابر بن عبدالله .

**اقول** : و ذيل الرواية لا يخلو من شيء فإنّ ظاهر رجوع الضمير في «أدناهم» إلى الناس اعتبار مراتب في الناس فمنهم الأعلى و منهم المتوسّط و إذا كان فضل العالم على سائر الناس و فيهم الأعلى رتبة كفضل النبيّ على أدنى الناس كان العالم أفضل من النبيّ و هو كما ترى .

اللّهمّ إلّا أن يكون الأدنى بمعنى الأقرب و المراد بأدناهم أقربهم من النبيّ و هو العالم كما يلوح من قوله : «و فضل النبيّ على العالم درجة» فيكون المفاد أنّ فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أقربهم منّي و هو العالم .

و في الدّر المنثور أخرج سعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة و عبد بن حميد وابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه والحاكم و صحّحه عن عليّ قال : إنّ في كتاب الله لآية ماعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى «يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة » كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلّما ناجيت النبيّ ﷺ قدّمت بين يدي نجواي درهما ثمّ نسخت فلم يعمل

بها أحد فنزلت «ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات» الآية .

و في تفسير القمي ّ بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ و جلّ : «إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة» قال : قدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام بين يدي نجواه صدقة ثمّ نسخها بقوله : «ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات».

**اقول** : وفي هذا المعنى روايات اُخر من طرق الفريقين .



✿ ✿ ✿

أَلَمْ تَرَ الَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً انَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا انَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَيهُمْ ذِكْرَ اللهِ اُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا انَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) انَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ اُولٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي انَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ ابْنَاءَهُمْ أَوْ اخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ اُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْايمَانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ اُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا انَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) .

## ﴿ بيان ﴾

تذكر الآيات قوماً من المنافقين يتولّون اليهود و يوادّونهم و هم يحادّون الله و رسوله وتذمّهم على ذلك و تهدّدهم بالعذاب والشقوة تهديداً شديدا ، وتقطع بالآخرة أنّ الإيمان بالله و اليوم الآخر يمنع عن موادّة من يحادّ الله و رسوله كائناً من كان، و تمدح المؤمنين المتبرّئين من أعداء الله وتعدهم إيمانا مستقرّاً و روحاً من الله وجنّة و رضوانا .

**قوله تعالى** : «ألم تر إلى الّذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم» الخ القوم المغضوب عليهم هم اليهود قال تعالى : «من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير وعبد الطاغوت» المائدة : ٦٠ .

و قوله : «ماهم منكم و لامنهم» ضمير «هم» للمنافقين و ضمير « منهم » لليهود ، و المعنى أنّ هؤلاء المنافقين لتذبذبهم بين الكفرو الإيمان ليسوا منكم و لا من اليهود قال تعالى : «مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » النساء : ١٤٣ .

و هذه صفتهم بحسب ظاهر حالهم و أمّا بحسب الحقيقة فهم ملحقون بمن تولّوهم قال تعالى : «و من يتولّهم منكم فانّه منهم » المائدة : ٥١ فلا منافاة بين قوله : « ما هم منكم ولا منهم» و قوله : «فانّه منهم » .

و احتمل بعضهم أنّ ضمير «هم» للقوم و هم اليهود و ضمير « منهم» للموصول و هم المنافقون ، و المعنى تولّوا اليهود الّذين ليسوا منكم و أنتم مؤمنون و لا من هؤلاء المنافقين أنفسهم بل أجنبيّون برآء من الطائفتين ، و فيه نوع من الذمّ ، و هو بعيد .

وقوله : «ويحلفون على الكذب وهم يعلمون» أي يحلفون لكم على الكذب أنّهم منكم مؤمنون أمثالكم و هم يعلمون أنّهم كاذبون في حلفهم .

**قوله تعالى** : «أعدّ الله لهم عذابا شديدا إنّهم ساء ما كانوا يعملون » الإعداد التهيئة ، وقوله : «إنّهم ساء» الخ تعليل للإعداد ، وفي قوله : «كانوا يعملون» دلالة على

أنّهم كانوا مستمرّين في عملهم مداومين عليه .

و المعنى هيّأ الله لهم عذاباً شديداً لاستمرارهم على عملهم السيّىء .

**قوله تعالى** : « اتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين » الأيمان جمع يمين وهو الحلف ، والجنّة السترة الّتي يتّقى بها الشرّ كالترس ، والمهين اسم فاعل من الإهانة بمعنى الإذلال و الإخزاء .

و المعنى اتّخذوا أيمانهم سترة يدفعون بها عن نفوسهم التهمة و الظنّة كلّما ظهر منهم أمر يريب المؤمنين فصرفوا أنفسهم و غيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام فلهم - لأجل ذلك ـ عذاب مذلّ مخز .

**قوله تعالى** : «لن تغني عنهم أموالهم و لا أولادهم من الله شيأ اُولئك أصحاب النارهم فيها خالدون» أي إنّ الّذي دعاهم إلى ما هم عليه متاع الحياة الدنيا الّذي هو الأموال و الأولاد لكنّهم في حاجة إلى التخلّص من عذاب خالد لا يقضيها لهم إلّا الله سبحانه فهم في فقر إليه لا يغنيهم عنه أموالهم و لا أولادهم شيأ فليؤمنوا به و ليعبدوه .

**قوله تعالى** : « يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنّهم على شيء» الخ ظرف لما تقدّم من قوله : «أعدّ الله لهم عذاباً شديدا» أو لقوله: «اُولئك أصحاب النار» ، و قوله : «فيحلفون له كما يحلفون لكم» أي يحلفون لله يوم البعث كما يحلفون لكم في الدنيا .

و قد قدّمنا في تفسير قوله تعالى : «ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا و الله ربّنا ما كنّا مشركين» الأنعام : ٢٣ أنّ حلفهم على الكذب يوم القيامة مع ظهور حقائق الاُمور يومئذ من ظهور ملكاتهم هناك لرسوخها في نفوسهم في الدنيا فقد اعتادوا فيها على إظهار الباطل على الحقّ بالأيمان الكاذبة و كما يعيشون يموتون و كما يموتون يبعثون

و من هذا القبيل سؤالهم الردّ إلى الدنيا يومئذ ، و الخروج من النار وخصامهم في النار وغير ذلك ممّا يقصّه القرآن الكريم ، وهم يشاهدون مشاهدة عيان أن لا سبيل إلى شيء من ذلك واليوم يوم جزاء لا يوم عمل .

و أمّا قوله : « و هم يحسبون أنّهم على شيء » أي مستقرّون على شيء صالح

أن يستقرّ عليه و يتمكّن فيه فيمكنهم الستر على الحقّ و المنع عن ظهور كذبهم بمثل الإنكار و الحلف الكاذب .

فيمكن أن يكون قيداً لقوله : «كما يحلفون لكم» فيكون إشارة إلى وصفهم في الدنيا و أنّهم يحسبون أنّ حلفهم لكم ينفعهم و يرضيكم ، و يكون قوله : «ألا إنّهم هم الكاذبون» قضاءً منه تعالى في حقّهم بأنّهم كاذبون فلا يصغى إلى ما يهذون به ولا يعتنى بما يحلفون به .

و يمكن أن يكون قيداً لقوله: «فيحلفون له» فيكون من قبيل ظهور الملكات يومئذ كما تقدّم في معنى حلفهم آنفا ، و يكون قوله : « ألا إنّهم هم الكاذبون» حكماً منه تعالى بكذبهم يوم القيامة أو مطلقاً .

**قوله تعالى:** « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اُولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون » الاستحواذ الاستيلاء و الغلبة ، و الباقي ظاهر .

**قوله تعالى** : « إنّ الّذين يحادّون الله و رسوله اُولئك في الأذلّين » تعليل لكونهم هم الخاسرين أي إنّما كانوا خاسرين لأنّهم يحادّون الله و رسوله بالمخالفة والمعاندة والمحادّون لله ورسوله في جملة الأذلّين من خلق الله تعالى .

قيل : إنّما كانوا في الأذلّين لأنّ ذلّة أحد المتخاصمين على مقدار عزّة الآخر و إذ كانت العزّة لله جميعا فلا يبقى لمن حادّه إلّا الذلّة محضا .

**قوله تعالى** : « كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز » الكتابة هي القضاء منه تعالى .

وظاهر إطلاق الغلبة شمولها للغلبة من حيث الحجّة و من حيث التأييد الغيبيّ و من حيث طبيعة الإيمان بالله و رسوله :

أمّا من حيث الحجّة فإنّ الإنسان مفطور على صلاحية إدراك الحقّ والخضوع له فلو بيّن له الحقّ من السبيل الّتي يألفها لم يلبث دون أن يعقله و إذا عقله اعترفت له فطرته و خضعت له طويّته و إن لم يخضع له عملا اتّباعا لهوىً أو أيّ مانع يمنعه عن ذلك .

و أمّا الغلبة من حيث التأييد الغيبي و القضاء للحق على الباطل فيكفي فيها أنواع العذاب الّتي أنزلها الله تعالى على مكذّبي الاُمم الماضين كقوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و على آل فرعون و غيرهم ممّن يشير تعالى إليهم بقوله : « ثمّ أرسلنا رسلنا تترى كلّما جاء اُمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضا و جعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون » المؤمنون : ٤٤ و على ذلك جرت السنّة الإلهيّة و قد اجمل ذكرها في قوله : «ولكلّ اُمّة رسول فإذاجاءرسولهم قضي بينهم بالقسط وهملا يظلمون» يونس : ٤٧ .

و أمّا الغلبة من حيث طبيعة الإيمان بالله و رسوله فإنّ إيمان المؤمن يدعوه إلى الدفاع والذبّ عن الحقّ و المقاومة تجاه الباطل مطلقا و هو يرى أنّه إن قتَل فاز و إن قُتل فاز فثباته على الدفاع غير مقيّد بقيد ولا محدود بحدّ و هذا بخلاف من يدافع لا عن الحقّ بما هو حقّ بل عن شيء من المقاصد الدنيويّة فإنّه إنّمايدافع لأجل نفسه فلو شاهد نفسه مشرفة على هلكة أو راكبة مخاطرة تولّى منهزماً فهو إنّما يدافع على شرط و إلى حدّ و هو سلامة النفس و عدم الإشراف على الهلكة و من الضروري أنّ العزيمة المطلقةتغلب العزيمة المقيّدة بقيد المحدودة بحدّ و من الشاهد عليه غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله بما أدّت إليه من الفتح والظفر في عين أنّها كانت سجالا لكن لم تنته إلّا إلى تقدّم المسلمين و غلبتهم .

و لم تقف الفتوحات الإسلاميّة و لاتفرّقت جموع المسلمين أيادي سبا إلّا بفساد نيّاتهم و تبديل سيرة التقوى و الإخلاص لله و بسط الدين الحقّ من بسط السلطة و توسعة المملكة ذلك بأنّ الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم [1] و قد اشترط الله عليهم حين أكمل دينهم و أمّنهم من عدوّهم أن يخشوه إذ قال : «اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني» .

و يكفي في تسجيل هذه الغلبة قوله تعالى فيما يخاطب المؤمنين : «و لاتهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران : ١٣٩ .

---

(١) الانفال : ٥٣ .

**قوله تعالى:** «لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم» الخ نفي وجدان قوم على هذه الصفة كناية عن أنّ الإيمان الصادق بالله و اليوم الآخر لايجامع موادّة أهل المحادّة و المعاندة من الكفّار و لو قارن أيّ سبب من أسباب المودّة كالاُبوّة والبنوّة و الاُخوّة و سائر أقسام القرابة فبين الإيمان و موادّة أهل المحادّة تضادّ لايجتمعان لذلك .

و قد بان أنّ قوله : « و لو كانوا آباءهم » الخ إشارة إلى أسباب المودّة مطلقا و قد خصّت مودّةالنسب بالذكر لكونه أقوى أسبابالمودّة من حيث ثباته و عدم تغيّره.

و قوله : « اُولئك كتب في قلوبهم الإيمان » الإشارة إلى القوم بما ذكر لهم من الصفة ، و الكتابة الإثبات بحيث لا يتغيّر و لا يزول و الضمير لله و فيه نصّ على أنّهم مؤمنون حقّا .

و قوله : «و أيّدهم بروح منه» التأييد التقوية ، و ضمير الفاعل في «أيّدهم» لله تعالى و كذا ضمير «منه» و «من» ابتدائيّة ، و المعنى و قوّاهم الله بروح من عنده تعالى وقيل : الضمير للإيمان والمعنى وقوّاهمالله بروح من جنس الإيمانيحيي بهاقلوبهم . ولا بأس به .

و قيل : المراد بالروح جبرائيل ، و قيل : القرآن و قيل : المراد بها الحجّة و البرهان ، وهذه وجوه ضعيفة لاشاهدلها من جهة اللفظ .

ثمّ الروح ـ على مايتبادر من معناها ـ هي مبدء الحياة الّتي تترشّح منهاالقدرة و الشعور فإبقاء قوله : « و أيّدهم بروح منه » على ظاهره يفيد أنّ للمؤمنين وراء الروح البشريّة الّتي يشترك فيها المؤمن والكافر روحاً اُخرى تفيض عليهم حياةاُخرى وتصاحبها قدرة وشعورجديدان ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : « أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورايمشي بهفيالناس كمنمثله فيالظلمات ليس بخارج منها» الأنعام : ١٢٢ ، و قوله : «منعملصالحاً من ذكرأو اُنثىوهومؤمنفلنحيينّه حياة طيّبة» النحل : ٩٧ .

و ما في الآية من طيب الحياة يلازم طيب أثرها و هو القدرة و الشعور المتفرّع

عليهما الأعمال الصالحة ، و هما المعبّر عنهما في آية الأنعام المذكورة آنفاً بالنور و نظيرها قوله : «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به» الحديد : ٢٨ .

وهذه حياة خاصّة كريمة لها آثارخاصّة ملازمة لسعادة الإنسان الأبديّةوراء الحياة المشتركة بين المؤمن و الكافر الّتي لها آثار مشتركة فلها مبدء خاصّ و هو روح الإيمان الّتى تذكرها الآية وراء الروح المشتركة بين المؤمن و الكافر .

و على هذا فلا موجب لما ذكروا أنّ المراد بالروح نور القلب و هو نور العلم الّذي يحصل به الطمأنينة و أنّ تسميته روحاً مجاز مرسل لأنّه سبب للحياة الطيّبة الأبديّة أو من الاستعارة لأنّه في ملازمته وجوه العلم الفائض على القلب ـ والعلم حياة القلب كما أنّ الجهل موته ـ يشبه الروح المفيض للحياة . انتهى .

و قوله : «و يدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها» وعد جميل و وصف لحياتهم الآخرة الطيّبة .

و قوله : «رضي الله عنهم و رضوا عنه» استئناف يعلّل قوله : «و يدخلهم جنّات» الخ ورضا الله سبحانه عنهم رحمته لهم لإخلاصهم الإيمان له و رضاهم عنه ابتهاجهم بما رزقهم من الحياة الطيّبة و الجنّة .

وقوله : «اُولئك حزب الله ألاإنّ حزب الله هم المفلحون» تشريف لهؤلاء المخلصين في إيمانهم بأنّهم حزبه تعالى كما أن اُولئك المنافقين الموالين لأعداء الله حزب الشيطان وهؤلاء مفلحون كما أنّ اُولئك خاسرون .

و في قوله : « ألا إنّ حزب الله » وضع الظاهر موضع الضمير ليجري الكلام مجرى المثل السائر .

## ﴿بحث روائی﴾

في المجمع في قوله تعالى : « كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي » روي أنّ المسلمين قالوا لمّا رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى : ليفتحنّ الله علينا الروم و فارس فقال المنافقون : أتظنّون أنّ فارس و الروم كبعض القرى الّتي غلبتم عليها فأنزل الله هذه الآية .

**اقول** : الظاهر أنّه من قبيل تطبيق الآية على القصّة و نظائره كثيرة ، و لذا ورد في قوله تعالى : «لاتجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر» أنّه نزل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر ، وفي بعضها أنّه نزل في أبي بكر سبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله فصكّه أبوبكر صكّة سقط على الأرض فنزلت الآية : و في عبد الرحمان بن ثابت بن قيس بن الشماس استأذن النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يزور خاله من المشركين فأذن له فلمّا قدم قرء عليه النبيّ صلّى الله عليه وآله ومن حوله من المسلمين الآية .

وهذه روايات لايلائمها ما في الآيات من الاتّصال الظاهر .

و في الدرّ المنثور أخرج الطيالسيّ و ابن أبي شيبة عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله .

و في الكافي بإسناده إلى أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن إلّا ولقلبه اُذنان في جوفه : اُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس واُذن ينفث فيها الملك فيؤيّد الله المؤمن بالملك فذلك قوله : «و أيّدهم بروح منه» .

**اقول** : ليس معناه تفسير الروح بالملك بل الملك يصاحب الروح ويعمل به قال تعالى: «ينزّل الملائكة بالروح من أمره» النحل : ٢.

و فيه بإسناده إلى ابن بكير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : في قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله : إذا زنا الرجل فارقه روح الإيمان . قال : هو قوله : « و أيّدهم بروح منه » ذلك الّذي يفارقه .

و فيه بإسناده إلى محمّد بن سنان عن أبي خديجة قال : دخلت على أبي الحسن

عليه السلام فقال لي : إنّ الله تبارك و تعالى أيّد المؤمن بروح تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي و تغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه و تسيخ في الثرى عند إساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا و تربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرءً همّ بخير فعمله أو همّ بشرّ فارتدع عنه . ثمّ قال : نحن نؤيّد الروح بالطاعة لله والعمل له .

**أقول** : قد تبيّن ممّا تقدّم في ذيل الآية أنّ هذه الروح من مراتب الروح الإنسانيّ ينالها المؤمن عندما يستكمل الإيمان فليست مفارقة له كما أنّ الروح النباتيّة و الحيوانيّة والإنسانيّة المشتركة بين المؤمن والكافر من مراتب روحه غير مفارقة له غير أنّها تبتدىء هيئة حسنة في النفس ربّما زالت لعروض هيئة سيّئة تضادّها ثمّ ترجع إذا زالت الموانع المضادّة حتّى إذا استقرّت و رسخت و تصوّرت النفس بها تثبت و لم تتغيّر .

و بذلك يظهر أنّ المراد بقوله عليه السلام : بروح تحضره وقوله : فهي معه ، حضور صورتها حضور الهيئة العارضة القابلة للزوال ، و بقوله : تسيخ في الثرى زوال الهيئة على طريق الاستعارة و كذا قوله صلى الله عليه وآله في الرواية السابقة : فارقه روح الإيمان .



﴿سورة الحشر مدنيّة و هي أربع و عشرون آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ
وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ( ٢ ) وَ لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ
وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ( ٤ ) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ
لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)
وَ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ
اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا
آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ

يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً وَ يَنْصُرُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ( ٩ ) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٠) .

## ﴿ بيان ﴾

تشير السورة إلى قصّة إجلاء بني النضير من اليهود لمّا نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ، و إلى وعد المنافقين لهم بالنصر و الملازمة ثمّ غدرهم و ما يلحق بذلك من حكم فيئهم .

ومن غرر الآيات فيها الآيات السبع في آخرها يأمر الله سبحانه عباده فيها بالاستعداد للقائه من طريق المراقبة والمحاسبة ، ويذكر عظمة قوله وجلالة قدره بوصف عظمة قائله عزّ من قائل بماله من الأسماء الحسنى و الصفات العليا . و السورة مدنيّة بشهادة سياق آياتها .

**قوله تعالى** : « سبّح لله ما في السماوات و ما في الأرض و هو العزيز الحكيم» افتتاح مطابق لما في مختتم السورة من قوله : « يسبّح له ما في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم» .

و إنّما افتتح بالتنزيه لما وقع في السورة من الإشارة إلى خيانة اليهود و نقضهم العهد ثمّ وعد المنافقين لهم بالنصر غدراً كمثل الّذين كانوا من قبلهم قريبا ذاقوا وبال

أمرهم ، و بالنظر إلى ما أذاقهم الله من وبال كيدهم ، وكون ذلك على ما يقتضيه الحكمة و المصلحة ذيّل الآية بقوله : «وهو العزيز الحكيم» .

**قوله تعالى** : «هوالّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر» تأييد لما ذكر في الآية السابقة من تنزّهه تعالى و عزّته و حكمته ، و المراد بإخراج الّذين كفروا من أهل الكتاب إجلاء بني النضير حيّ من أُحياء اليهود كانوا يسكنون خارج المدينة و كان بينهم وبين النبيّ صلّى الله عليه وآله عهد أن يكونوا له ولا عليه ثمّ نقضوا العهد فأجلاهم النبيّ صلّى الله عليه وآله و ستأتي قصّتهم في البحث الروائيّ التالي إن شاء الله .

والحشر إخراج الجماعة بإزعاج، و«لأوّل الحشر» من إضافة الصفة إلى الموصوف ، واللام بمعنى في كقوله : «أقم الصلاة لدلوك الشمس» أسرى : ٧٨ .

و المعنى الله الّذي أخرج بني النضير من اليهود من ديارهم في أوّل إخراجهم من جزيرة العرب .

ثمّ أشار تعالى إلى أهمّيّة إخراجهم بقوله : « ما ظننتم أن يخرجوا » لما كنتم تشاهدون فيهم من القوّة و الشدّة و المنعة « و ظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله » فلن يغلبهم الله و هم متحصّنون فيها وعدّ حصونهم بحسب ظنّهم مانعة من الله لا من المسلمين لما أنّ إخراجهم منها منسوب في الآية السابقة إليه تعالى و كذا إلقاء الرعب في قلوبهم في ذيل الآية ، و في الكلام دلالة على أنّه كانت لهم حصون متعدّدة .

ثمّ ذكر فساد ظنّهم وخبطهم في مزعمتهم بقوله : «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» و المراد به نفوذ إرادته تعالى فيهم لا من طريق احتسبوه وهو طريق الحصون والأبواب بل من طريق باطنهم و هو طريق القلوب «و قذف في قلوبهم الرعب » و الرعب الخوف الّذي يملأ القلب «يخربون بيوتهم بأيديهم » لئلّا تقع في أيدي المؤمنين بعد خروجهم وهذه من قوة سلطانه تعالى عليهم حيث أجرى ما أراده بأيدي أنفسهم «و أيدي المؤمنين» حيث أمرهم بذلك و وفّقهم لامتثال أمره و إنفاذ إرادته «فاعتبروا» و خذوا بالعظة « يا اُولي الابصار » بما تشاهدون من صنع الله العزيز الحكيم بهم قبال مشاقّتهم له ولرسوله .

وقيل : كانوا يخربون البيوت ليهربوا و يخربها المؤمنون ليصلوا .

و قيل : المراد بتخريب البيوت اختلال نظام حياتهم فقد خرّبوا بيوتهم بأيديهم حيث نقضوا الموادعة ، وبأيدي المؤمنين حيث بعثوهم على قتالهم .

و فيه أنّ ظاهر قوله : «يخربون بيوتهم» الخ أنّه بيان لقوله : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» الخ من حيث أثره فهو متأخّر عن نقض الموادعة .

**قوله تعالى** : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار» الجلاء ترك الوطن وكتابة الجلاء عليهم قضاؤه في حقّهم ، و المراد بعذابهم في الدنيا عذاب الاستئصال أو القتل والسبي .

و المعنى و لولا أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم و ترك وطنهم لعذّبهم في الدنيا بعذاب الاستئصال أو القتل و السبي كما فعل ببني قريظة و لهم في الآخرة عذاب النار .

**قوله تعالى** : «ذلك بأنّهم شاقّوا الله و رسوله ومن يشاقّ الله فإنّ الله شديد العقاب» المشاقّة المخالفة بالعناد ، والإشارة بذلك إلى ماذكر من إخراجهم واستحقاقهم العذاب لو لم يكتب عليهم الجلاء ، وفي تخصيص مشاقّتهم بالله في قوله : ومن يشاقّ الله» بعد تعميمه لله و رسوله في قوله :« شاقّوا الله و رسوله » تلويح إلى أنّ مشاقّة الرسول مشاقّة الله والباقي ظاهر .

**قوله تعالى** : «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اُصولها فبإذن الله و ليخزي الفاسقين » ذكر الراغب أنّ اللّينة النخلة الناعمة من دون اختصاص منه بنوع منها دون نوع ،رووا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخيلهم فلمّا قطع بعضها نادوه : يامحمّد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال النخيل تقطع فنزلت الآية فاُجيب عن قولهم بأنّ ماقطعوا من نخلة أوتركوها قائمة على اُصولها فبإذن الله ولله في حكمه هذا غايات حقّه وحكم بالغة منها إخزاء الفاسقين وهم بنو النضير .

فقوله : « و ليخزي الفاسقين » اللاّم فيه للتعليل و هو معطوف على محذوف و التقدير : القطع و الترك بإذن الله ليفعل كذا و كذا و ليخزي الفاسقين فهو كقوله :

«و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض و ليكون من الموقنين» الأنعام: ٧٥.

**قوله تعالى** : « و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب و لكنّ الله يسلّط رسله على من يشاء » الخ الإفاءة الإرجاع من الفيء بمعنى الرجوع ، و ضمير «منهم» لبني النضير والمراد من أموالهم .

و إيجاف الدابّة تسييرها بإزعاج وإسراع و الخيل الفرس ، والركاب الإبل و «من خيل ولا ركاب» مفعول «فما أوجفتم» و «من» زائدة للاستغراق .

و المعنى والّذي أرجعه الله إلى رسوله من أموال بني النضير - خصّه به وملّكه وحده ايّاه - فلم تسيّروا عليه فرسا ولا إبلا بالركوب حتّى يكون لكم فيه حقّ بل مشيتم إلى حصونهم مشاة لقربها من المدينة ، و لكن الله يسلّط رسله على من يشاء و الله على كلّ شيء قدير و قد سلّط النبي صلى الله عليه وآله على بني النضير فله فيئهم يفعل فيه ما يشاء .

**قوله تعالى** : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه و للرسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل » الخ ظاهره أنّه بيان لموارد مصرف الفيىء المذكور في الآية السابقة مع تعميم الفيىء لفيىء أهل القرى أعمّ من بني النضير و غيرهم .

و قوله : « فللّه و للرسول » أي منه ما يختصّ بالله و المراد به صرفه وإنفاقه في سبيل الله على ما يراه الرسول ومنه ما يأخذه الرسول لنفسه ولا يصغى إلى قول من قال: إنّ ذكره تعالى مع أصحاب السهام لمجرّد التبرّك .

و قوله : «و لذي القربى» الخ المراد بذي القربى قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولا معنى لحمله على قرابة عامّة المؤمنين و هو ظاهر ، والمراد باليتامى الفقراء منهم كما يشعر به السياق وإنّما اُفرد و قدّم على «المساكين» مع شموله له اعتناء بأمر اليتامى .

وقد ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بذي القربى أهل البيت واليتامى والمساكين وابن السبيل منهم .

و قوله : «كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » أي إنّما حكمنا في الفيىء بما

حكمنا كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم و الدولة ما يتداول بين الناس و يدور يداً بيد .

و قوله : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » أي ما أعطاكم الرسول من الفيىء فخذوه كما أعطى منه المهاجرين و نفراً من الأنصار ، وما نهاكم عنه و منعكم فانتهوا و لا تطلبوا ، و فيه إشعار بأنّهم سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يقسّم الفيىء بينهم جميعا فأرجعه إلى نبيّه وجعل موارد مصرفه ما ذكره في الآية وجعل للنبيّ صلى الله عليه وآله أن ينفقه فيها على ما يرى .

والآية مع الغضّ عن السياق عامّة تشمل كلّ ما آتاه النبيّ صلى الله عليه وآله من حكم فأمر به أو نهى عنه .

وقوله : « واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب» تحذير لهم عن مخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله تأكيدا لقوله : «و ما آتاكم الرسول» الخ .

**قوله تعالى** : «للفقراء المهاجرين الّذين اُخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً» الخ قيل : إنّ قوله : «للفقراء » بدل من قوله : «ذي القربى و ما بعده وذكر «الله» لمجرّد التبرّك فيكون الفيىء مختصّاً بالرسول والفقراء من المهاجرين ، و قد وردت الرواية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قسّم فيىء بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منه الأنصار شيئاً إلّا رجلين من فقرائهم أو ثلاثة .

و قيل : إنّه بدل من اليتامى و المساكين و ابن السبيل فيكون ذوو السهام هم النبيّ صلى الله عليه وآله وذا القربى غنيّهم و فقيرهم و الفقراء من المهاجرين يتاماهم و مساكينهم و أبناء السبيل منهم ، و لعلّ هذا مراد من قال : إنّ قوله : «للفقراء المهاجرين» بيان المساكين في الآية السابقة .

و الأنسب لما تقدّم نقله عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن يكون قوله : « للفقراء المهاجرين » الخ بيان مصداق لصرف سبيل الله الّذي اُشير إليه بقوله : « فللّه » لا بأن يكون الفقراء المهاجرون أحد السهماء في الفيىء بل بأن يكون صرفه فيهم و إعطاؤهم إيّاه صرفاً له في سبيل الله .

و محصّل المعنى على هذا أنّ الله سبحانه أفاء الفيىء و أرجعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فله أن يتصرّف فيه كيف يشاء ثمّ دلّه على موارد صرفه و هي سبيل الله و الرسول و ذو القربى و يتاماهم و مساكينهم و ابن السبيل منهم ثمّ أشار إلى مصداق الصرف في السبيل أو بعض مصاديقه وهم الفقراء المهاجرون الخ ينفق منه الرسول لهم على مايرى .

و على هذا ينبغي أن يحمل ما ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قسّم فيىء بني النضير بين المهاجرين و لم يعط الأنصار شيأ إلاّ ثلاثة من فقرائهم أبادجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمة فقد صرف فيهم بما أنّه صرف في سبيل الله لا بما أنّهم سهماء في الفيىء .

و كيف كان فقوله : « للفقراء المهاجرين الّذين اُخرجوا من ديارهم وأموالهم» المراد بهم من هاجر من المسلمين من مكّة إلى المدينة قبل الفتح و هم الّذين أخرجهم كفّار مكّة بالاضطرار إلى الخروج فتركوا ديارهم و أموالهم و هاجروا إلى مدينة الرسول .

وقوله : «يبتغون فضلاً من الله و رضواناً» الفضل الرزق أي يطلبون من الله رزقاً في الدنيا و رضواناً في الآخرة .

و قوله : «و ينصرون الله و رسوله» أي ينصرونه و رسوله بأموالهم و أنفسهم ، و قوله : «اُولئك هم الصادقون» تصديق لصدقهم في أمرهم وهم على هذه الصفات .

**قوله تعالى** : « و الّذين تبوّؤا الدار و الإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم » الخ قيل : إنّه استئناف مسوق لمدح الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم إذلم يشركوا في الفيىء ، و «الّذين تبوّؤا» - و المراد بهم الأنصار - مبتدء خبره « يحبّون » الخ و المراد بتبوّي الدار و هو تعميرها بناء مجتمع دينيّ يأوى إليه المؤمنون على طريق الكناية ، و الإيمان معطوف على «الدار» و تبوّي الإيمان و تعميره رفع نواقصه من حيث العمل بحيث يستطاع العمل بما يدعو إليه من الطاعات و القربات من غير حجر و منع كما كان بمكّة .

واحتمل أن يعطف «الإيمان» على تبوّؤا و قد حذف الفعل العامل فيه والتقدير

و آثروا الإيمان .

و قيل : إنّ قوله : « و الّذين تبوّؤا » الخ معطوف على قوله : «المهاجرين» و على هذا يشارك الأنصار المهاجرين في الفيىء ،و الإشكال عليه بأنّ المروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قسّمه بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منه شيأ إلّا ثلاثة من فقرائهم مدفوع بأنّ الرواية من شواهد العطف دون الاستئناف إذ لو لم يجز إعطاؤه للأنصار لم يجز لا للثلاثة و لا للواحد فإعطاء بعضهم منه دليل على مشاركتهم لهم غير أنّ الأمر لمّا كان راجعا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله كان له أن يصرفه كيف يشاء فرجح أن يقسّمه بينهم على تلك الوتيرة .

و الأنسب لما تقدّم من كون « للفقراء» الخ بيانا لمصاديق سهم السبيل هو عطف « و الّذين تبوّؤا » الخ و كذا قوله الآتي : « و الّذين جاؤا من بعدهم » على قوله : «المهاجرين» الخ دون الاستئناف .

بل ما ورد من إعطائه صلى الله عليه وآله للثلاثة يؤيّد هذا الوجه بعينه إذ لو كان السهم فيه الفقراء المهاجرين فحسب لم يعط الأنصار ولا الثلاثة منهم ، ولو كان للفقراء من الأنصار كالمهاجرين فيه سهم ـ و ظاهر الآية أنّ جمعاً منهم كانوا فقراء بهم خصاصة و التاريخ يؤيّده ـ لأعطى غير الثلاثة من فقراء الأنصار كما أعطى فقراء المهاجرين واستوعبهم.

فقوله : «والذين تبوّؤا الدار و الإيمان من قبلهم» ضمير «من قبلهم» للمهاجرين والمراد من قبل مجيئهم وهجرتهم إلى المدينة .

و قوله : «يحبّون من هاجر إليهم» أي يحبّون من هاجر إليهم لأجل هجرتهم من دار الكفر إلى دار الإيمان ومجتمع المسلمين .

وقوله :«ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا اُوتوا» ضميرا «يجدون» و «صدورهم» للأنصار ، وضمير «اُوتوا» للمهاجرين ، والمراد بالحاجة ما يحتاج إليه و«من» تبعيضيّة و قيل : بيانيّة و المعنى لا يخطر ببالهم شيء ممّا اُعطيه المهاجرون فلا يضيق نفوسهم من تقسيم الفيىء بين المهاجرين دونهم و لا يحسدون.

و قيل : المراد بالحاجة ما يؤدّي إليه الحاجة وهو الغيظ .

و قوله : « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » إيثار الشيء اختياره و تقديمه على غيره ، و الخصاصة الفقر و الحاجة قال الراغب : خصاص البيت فرجه و عبّر عن الفقر الّذي لم يسدّ بالخصاصة كما عبّر عنه بالخلّة انتهى .

و المعنى و يقدّمون المهاجرين على أنفسهم و لو كان بهم فقر و حاجة ، و هذه الخصيصة أغزر و أبلغ في مدحهم من الخصيصة السابقة فالكلام في معنى الإضراب كأنّه قيل : إنّهم لا يطمحون النظر فيما بأيدي المهاجرين بل يقدّمونهم على أنفسهم فيما بأيديهم أنفسهم في عين الفقر و الحاجة .

و قوله : «ومن يوق شحّ نفسه فاُولئك هم المفلحون» قال الراغب : الشحّ بخل مع حرص فيما كان عادة انتهى و «يوق» فعل مضارع مجهول من الوقاية بمعنى الحفظ، والمعنى و من يحفظ ـ أي يحفظه الله ـ من ضيق نفسه من بذل ما بيده من المال أو من وقوع مال في يد غيره فاُولئك هم المفلحون .

**قوله تعالى** : «و الّذين جاؤا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان » استئناف أو عطف نظير ما تقدّم في قوله : « و الّذين تبوّؤا الدار و الإيمان يحبّون» و على الاستئناف فالموصول مبتدء خبره قوله : «يقولون ربّنا» الخ .

و المراد بمجيئهم بعد المهاجرين و الأنصار إيمانهم بعد انقطاع الهجرة بالفتح وقيل : المراد أنّهم خلفوهم .

و قولهم : « ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان » دعاء لأنفسهم و السابقين من المؤمنين بالمغفرة ، و في تعبيرهم عنهم بإخواننا إشارة إلى أنّهم يعدّونهم من أنفسهم كما قال الله تعالى : «بعضكم من بعض » النساء : ٢٥ فهم يحبّونهم كما يحبّون أنفسهم و يحبّون لهم ما يحبّون لأنفسهم .

و لذلك عقّبوه بقولهم : «ولا تجعل في قلوبنا غلّاً للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤف رحيم » فسألوا أن لا يجعل الله في قلوبهم غلّاً للّذين آمنوا والغلّ العداوة .

و في قوله : «للّذين آمنوا» تعميم لعامّة المؤمنين منهم و ممّن سبقهم و تلويح إلى أنّه لا بغية لهم إلّا الإيمان .

## ﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمّي في قوله تعالى : «هو الّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم» الآية قال : سبب ذلك أنّه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود بني النضير و قريظة و قينقاع ، و كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد و مدّة فنقضوا عهدهم .

و كان سبب ذلك بني النضير في نقض عهدهم أنّه أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة يعني يستقرض و كان بينهم كعب بن الأشرف فلمّا دخل على كعب قال : مرحباً يا أبا القاسم و أهلا و قام كأنّه يصنع له الطعام و حدّث نفسه أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله و يتبع أصحابه فنزل جبرئيل فأخبره بذلك.

فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة و قال لمحمّد بن مسلمة الأنصاريّ : اذهب إلى بني النضير فأخبرهم أنّ الله عزّ و جلّ قد أخبرني بما هممتم به من الغدر فإمّا أن تخرجوا من بلدنا و إمّا أن تأذنوا بحرب فقالوا : نخرج من بلادك .

فبعث إليهم عبدالله بن اُبيّ : لاتخرجوا و تقيموا و تنابذوا محمّداً الحرب فإنّي أنصركم أنا و قومي و حلفائي فإن خرجتم خرجت معكم و إن قاتلتم قاتلت معكم فأقاموا و أصلحوا بينهم حصونهم و تهيّؤا للقتال و بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّا لانخرج فاصنع ما أنت صانع .

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كبّر و كبّر أصحابه و قال لأمير المؤمنين تقدّم على بني النضير فأخذ أمير المؤمنين الراية و تقدّم ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أحاط بحصنهم و غدر بهم عبدالله بن اُبيّ .

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذاظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا ما يليهم و خرّبوا ما يليه، و كان الرجل منهم ممّن كان له بيت حسن خرّبه ، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك و قالوا : يا محمّد إنّ الله يأمرك بالفساد ؟ إن كان لك هذافخذه

و إن كان لنا فلا تقطعه .

فلمّا كان بعد ذلك قالوا يا محمّد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا فقال : لا و لكن تخرجون و لكم ما حملت الإبل فلم يقبلوا ذلك فبقوا أيّاماً ثمّ قالوا : نخرج و لنا ما حملت الإبل فقال : لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيأ فمن وجدنا معه شيأ من ذلك قتلناه .

فخرجوا على ذلك و وقع منهم قوم إلى فدك و وادي القرى و خرج قوم منهم إلى الشام .

فأنزل الله فيهم «هو الّذي أخرج الّذين كفروا ــ إلى قوله ــ فإنّ الله شديد العقاب» و أنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اُصولها فبإذن الله ــ إلى قوله ــ ربّنا إنّك رؤف رحيم» .

و أنزل الله عليه في عبدالله بن اُبيّ و أصحابه «ألم تر إلى الّذين نافقوا ــ إلى قوله ــ ثمّ لا ينصرون» .

و في المجمع عن ابن عبّاس : كان النبيّ صلّى الله عليه وآله حاصرهم حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم و أن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم و أن يسيّرهم إلى أذرعات بالشام و جعل لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسقاء .

فخرجوا إلى أذرعات بالشام و اريحا إلّا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق و آل حييّ بن أخطب فإنّهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة .

و فيه عن محمّد بن مسلمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بعثه إلى بني النضير و أمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال .

و فيه عن محمّد بن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبيّ صلّى الله عليه وآله من اُحد ، وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب،وكان الزهريّ يذهب إلى أنّ إجلاء بني النضير كان قبل اُحد على رأس ستّة أشهر من وقعة بدر .

و فيه عن ابن عبّاس : نزل قوله تعالى : «ما أفاءالله على رسوله من أهل القرى» الآية في أموال كفّار أهل القرى و هم قريظة و بنوالنضير و هما بالمدينة ، و فدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال ، و خيبر وقرى عرينة و ينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنّها كلّها له فقال اُناس : فهلاّ قسّمها فنزلت الآية .

و فيه عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بني النضير للأنصار : إن شئتم قسّمتم للمهاجرين من أموالكم وداركم و تشاركونهم في هذه الغنيمة ، و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم و لم يقسّم لكم شيء من الغنيمة فقال الأنصار : بل نقسّم لهم من ديارنا و أموالنا و نؤثرهم بالغنيمة و لا نشاركهم فيها فنزلت : «و يؤثرون على أنفسهم» الآية .

**أقول** : و روي في إيثارهم و نزول الآية فيه قصص اُخرى، والظاهر أنّ ذلك من قبيل تطبيق الآية على القصّة ، و قد روى المعاني السابقة في الدرّ المنثور بطرق كثيرة مختلفة .

و في التوحيد عن عليّ عليه السلام و قد سئل عمّا اشتبه على السائل من الآيات قال في قوله تعالى : «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» يعني أرسل عليهم عذابا .

و في التهذيب بإسناده عن الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه» الآية قال : الفيىء ما كان من أموال لم يكن فيها هراقة دم أو قتل و الأنفال مثل ذلك وهو بمنزلته .

و في المجمع روى المنهال بن عمر عن عليّ بن الحسين عليه السلام قلت : قوله : «و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل » قال : هم قربانا و مساكيننا و أبناء سبيلنا .

**أقول** : وروى هذا المعنى في التهذيب عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام ، و قال في المجمع بعد نقل الرواية السابقة : و قال جميع الفقهاء : هم يتامى الناس عامّة و كذلك المساكين و أبناء السبيل و قد روي ذلك أيضا عنهم عليهم السلام .

و في الكافي بإسناده عن زرارة أنّه سمع أبا جعفر و أبا عبدالله عليهما السلام يقولان :

إنّ الله عزّ و جلّ فوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثمّ[1] تلا هذه الآية «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» .

**أقول** : و الروايات عنهم عليهم السلام في هذا المعنى كثيرة و المراد بتفويضه أمر خلقه كما يظهر من الروايات إمضاؤه تعالى ما شرّعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم و افتراض طاعته في ذلك ، وولايته أمر الناس وأمّا التفويض بمعنى سلبه تعالى ذلك عن نفسه و تقليده صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فمستحيل .

و فيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث : الإيمان بعضه من بعض وهو دار وكذلك الإسلام دار و الكفر دار .

و في المحاسن بإسناده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال : يا زياد ويحك و هل الدين إلّا الحبّ . ألا ترى إلى قول الله : «إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم» أو لا ترون إلى قول الله لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم : «حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم» وقال : «يحبّون من هاجر إليهم» وقال : الدين هو الحبّ و الحبّ هو الدين .

و في المجمع و في الحديث : لا يجتمع الشحّ و الإيمان في قلب رجل مسلم ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله و دخان جهنّم في جوف رجل مسلم .

و في الفقيه روى الفضل بن أبي قرّة السمنديّ قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : أتدري من الشحيح ؟ قلت : هو البخيل. قال : الشحّ أشدّ من البخل إنّ البخيل يبخل بما في يده ، و الشحيح يشحّ بما في أيدي الناس و على ما في يده حتّى لا يرى في أيدي الناس شيأ إلّا تمنّى أن يكون له بالحلّ و الحرام ، و لا يقنع بما رزقه الله عزّ وجلّ .

---

(١) تلياظ .

✩ ✩ ✩

أَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِاِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ اِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ اُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَاَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً اِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ اَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ اِذْ قَالَ لِلْاِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ اِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)

## ﴿ بيان ﴾

إشارة إلى حال المنافقين و وعدهم لبني النضير بالنصر إن قوتلوا و الخروج معهم إن اُخرجوا و تكذيبهم فيما وعدوا .

**قوله تعالى** : «ألم تر إلى الّذين نافقوا يقولون لإخوانهم الّذين كفروا من أهل

الكتاب » الخ الإخوان كالإخوة جمع أخ و الأخوة الاشتراك في الانتساب إلى أب و يتوسّع فيه فيستعمل في المشتركين في اعتقاد أو صداقة و نحو ذلك ، و يكثر استعمال الإخوة في المشتركين في النسبة إلى أب و استعمال الإخوان في المشتركين في اعتقاد و نحوه على ما قيل .

والاستفهام في الآية للتعجيب ، والمراد بالّذين نافقوا عبدالله بن اُبي وأصحابه ، و المراد بإخوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب بنوا النضير على ما يؤيّده السياق فإنّ مفاد الآيات أنّهم كانوا قوما من أهل الكتاب دار أمرهم بين الخروج و القتال بعدقوم آخر كذلك و ليس إلّا بني النضير بعد بني قينقاع .

و قوله : «لئن اُخرجتم لنخرجنّ معكم و لا نطيع فيكم أحداً أبداً و إن قوتلتم لننصرنّكم» مقول قول المنافقين ، واللّام في «لئن اُخرجتم» للقسم أي نقسم لئن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجنّ من ديارنا معكم ملازمين لكم و لا نطيع فيكم أي في شأنكم أحداً يشير علينا بمفارقتكم أبدا ، و إن قاتلكم المسلمون لننصرنّكم عليهم .

و قوله : « و الله يشهد إنّهم لكاذبون» تكذيب لوعد المنافقين ، و تصريح بأنّهم لا يفون بوعدهم .

**قوله تعالى** : «لئن اُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم» تكذيب تفصيليّ لوعدهم بعد تكذيبه الإجماليّ بقوله : « و الله يشهد إنّهم لكاذبون » وقد كرّر فيه لام القسم و المعنى اُقسم لئن اُخرج بنو النضير لا يخرج معهم المنافقون ، و اُقسم لئن قوتلوا لا ينصرونهم .

**قوله تعالى** : « و لئن نصروهم ليولّنّ الأدبار ثمّ لا ينصرون » إشارة إلى أنّ نصرهم على تقدير وقوعه منهم ـ و لن يقع أبداً ـ لا يدوم ولا ينفعهم بل يولّون الأدبار فراراً ثمّ لا ينصرون بل يهلكون من غير أن ينصرهم أحد .

**قوله تعالى** : «لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله» الخ ضمائر الجمع للمنافقين ، و الرهبة الخشية ، و الآية في مقام التعليل لقوله : « و لئن نصروهم ليولّنّ الأدبار » أي ذلك لأنّهم يرهبونكم أشدّ من رهبتهم لله فلا يقاومونكم لو قاتلتم و لا يثبتون لكم.

و علّل ذلك بقوله : « ذلك بأنّهم قوم لا يفقهون » و الإشارة بذلك إلى كون رهبتهم للمؤمنين أشدّ من رهبتهم لله أي رهبتهم لكم كذلك لأنّهم قوم لا يفهمون حقّ الفهم و لو فقهوا حقيقة الأمر بان لهم أنّ الأمر إلى الله تعالى و ليس لغيره من الأمر شيء سواء في ذلك المسلمون و غيرهم ، و لا يقوى غيره تعالى على عمل خير أو شرّ أو نافع أو ضارّ إلّا بحول منه تعالى و قوّة فلا ينبغي أن يرهب إلّا هو عزّ و جلّ .

**قوله تعالى** : «لا يقاتلونكم جميعاً إلّا في قرى محصّنة أو من وراء جدر » بيان لأثر رهبتهم و جبنهم جميعا و المعنى لا يقاتلكم بنو النضير و المنافقون جميعاً بأن يبرزوا بل في قرى حصينة محكمة أو من وراء جدر من غير بروز .

و قوله : « بأسهم بينهم شديد » أي هم فيما بينهم شديدو البطش غير أنّهم إذا برزوا لحربكم وشاهدوكم يجبنون بما ألقى الله في قلوبهم من الرعب .

وقوله : «تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى» أي تظنّ أنّهم مجتمعون في الُفة واتّحاد و الحال أنّ قلوبهم متفرقة غير متّحدة و ذلك أقوى عامل في الخزي و الخذلان . ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون ولو عقلوا لاتّحدوا و وحّدوا الكلمة .

**قوله تعالى** : « كمثل الّذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم » الوبال العاقبة السيّئة وقوله : «قريبا» قائم مقام الظرف منصوب على الظرفيّة أي في زمان قريب .

و قوله : «كمثل» الخ خبر مبتدء محذوف والتقدير «مثلهم كمثل » الخ والمعنى مثلهم أي مثل بني النضير من اليهود في نقضهم العهد و وعد المنافقين لهم بالنصر كذبا ثمّ الجلاء مثل الّذين من قبلهم في زمان قريب وهم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينة نقضوا العهد بعد غزوة بدر فأجلاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أذرعات وقد كان وعدهم المنافقون أن يكلّموا النبيّ صلّى الله عليه وآله فيهم و يمنعوه من إجلائهم فغدروا بهم فذاق بنو قينقاع وبال أمرهم و لهم في الآخرة عذاب أليم و قيل : المراد بالّذين من قبلهم كفّار مكّة يوم بدر وما تقدّم أنسب للسياق .

و المثل على أيّ حال مثل لبني النضير لا للمنافقين على ما يعطيه السياق.

**قوله تعالى** : «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريء منك» الخ ظاهر السياق أنّه مثل للمنافقين في غرورهم بني النضير بوعد النصر ثمّ خذلانهم عند الحاجة .

و ظاهر السياق يفيد أنّ المراد بالشيطان والإنسان الجنس و الإشارة إلى غرور الشيطان للإنسان بدعوته إلى الكفر بتزيين أمتعة الحياة له و تسويل الإعراض عن الحقّ بمواعيده الكاذبة و الأمانيّ السرابيّة حتّى إذا طلعت له طلائع الآخرة وعاين أنّ ما اغترّ به من أمانيّ الحياة الدنيا لم يكن إلّا سراباً يغرّه و خيالا يلعب به تبرّء منه الشيطان و لم يف بما وعده و قال : إنّي بريء منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين .

و بالجملة مثل المنافقين في دعوتهم بني النضير إلى مخالفة النبيّ صلّى الله عليه وآله و وعدهم النصر ثمّ الغدر بهم وخلف الوعد كمثل هذا الشيطان في دعوة الإنسان إلى الكفر بمواعيده الكاذبة ثمّ تبرّيه منه بعد الكفر عند الحاجة .

و قيل : المراد بالتمثيل الإشارة إلى قصّة برصيصا العابد الّذي زيّن له الشيطان الفجور ففجر بامرأة ثمّ كفر و سيأتي القصّة في البحث الروائيّ التالي إن شاء الله.

و قيل : المثل السابق المذكور في قوله : « كمثل الّذين من قبلهم قريبا » مثل كفّار مكّة يوم بدر ـ كما تقدّم ـ و المراد بالإنسان في هذا المثل أبو جهل و بقول الشيطان له اكفر ما قصّه الله تعالى بقوله في القصّة : « و إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم و قال لا غالب لكم اليوم من الناس و إنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه و قال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله و الله شديد العقاب » الأنفال : ٤٨ .

و على هذا الوجه فقول الشيطان : « إنّي أخاف الله ربّ العالمين » قول جدّيّ لأنّه كان يخاف تعذيب الملائكة النازلين لنصرة المؤمنين ببدر وأمّا على الوجهين الأوّلين فهو نوع من الاستهزاء و الإخزاء .

**قوله تعالى** : « فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين» الظاهر أنّ ضمائر التثنية للشيطان والإنسان المذكورين في المثل ففي الآية بيان عاقبة

الشيطان في غروره الإنسان و إضلاله و الإنسان في اغتراره به و ضلاله ، و إشارة إلى أنّ ذلك عاقبة المنافقين في وعدهم لبني النضير وغدرهم بهم وعاقبة بني النضير في اغترارهم بوعدهم الكاذب و إصرارهم على المشاقّة و المخالفة ، ومعنى الآية ظاهر .

## ﴿بحث روائي﴾

في الدرّ المنثور أخرج ابن إسحاق و ابن المنذر و أبو نعيم في الدلائل عن ابن عبّاس أنّ رهطاً من بني عوف بن الحارث منهم عبدالله بن اُبيّ بن سلول و وديعة بن مالك و سويد و داعس بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا و تمنّعوا فإنّا لا نسلمكم وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، و إن خرجتم خرجنا معكم فتربّصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا و قذف الله الرعب في قلوبهم .

فسألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلّا الحلقة ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر و منهم من سار إلى الشام .

**أقول** : و الرواية تخالف ما في عدّة من الروايات أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الّذي عرض لهم أن يخرجوا بما تحمله الابل من الأموال فلم يقبلوا ثمّ رضوا بذلك بعد أيّام فلم يقبل النبي صلّى الله عليه وآله إلّا أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم من غير أن يحملوا شيأ فخرجوا كذلك و جعل النبيّ صلّى الله عليه وآله لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسقاء .

و فيه أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس « ألم تر إلى الّذين نافقوا » قال : عبدالله بن اُبيّ بن سلول و رفاعة بن تابوت و عبدالله بن نبتل و أوس بن قيظى . « و إخوانهم» بنو النضير .

**أقول** : المراد به عدّ بعضهم فلا ينافي ما في الرواية السابقة .

و فيه أخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان و ابن مردويه و البيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعة الدارميّ يبلغ به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : كان راهب في بني

إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها فألقى في قلوب أهلها أنّ دواءها عند الراهب فأُتي بها الراهب فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتّى قبلها فكانت عنده .

فأتاه الشيطان فوسوس له و زيّن له فلم يزل به حتّى وقع عليها فلمّا حملت وسوس له الشيطان فقال : الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل : ماتت فقتلها و دفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم و ألقى في قلوبهم أنّه أحبلها ثمّ قتلها فأتاه فسألوه فقال : ماتت فأخذوه .

فأتاه الشيطان فقال : أنا الّذي ألقيت في قلوب أهلها ، و أنا الّذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الّذي قال الله : «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر» الآية .

**أقول** : والقصّة مشهورة رويت مختصرة و مفصّلة في روايات كثيرة .



☆ ☆ ☆

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللهَ انَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ اُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللهُ الَّذِي لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤).

## ﴿بيان﴾

الذي تتضمّنه الآيات الكريمة كالنتيجة المأخوذة ممّا تقدّم من آيات السورة فقد اُشير فيها إلى مشاقّة بني النضير من اليهود و نقضهم العهد و ذاك الذي أوقعهم في خسران دنياهم و اُخراهم ، و تحريض المنافقين اياهم على مشاقّة الله و رسوله و هوالذي

أهلكهم ، و حقيقة السبب في ذلك أنّهم لم يراقبوا الله في أعمالهم و نسوه فأنساهم أنفسهم فلم يختاروا ما فيه خير أنفسهم و صلاح عاجلهم و آجلهم فتاهوا و هلكوا .

فعلى من آمن بالله و رسوله و اليوم الآخر أن يذكر ربّه و لا ينساه و ينظر فيما يقدّمه من العمل ليوم الرجوع إلى ربّه فإنّ ما عمله محفوظ عليه يحاسبه به الله يومئذ فيجازيه عليه جزاء لازماً لا يفارقه .

و هذا هو الّذي يرومه قوله : «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدّمت لغد » الآيات فتندب المؤمنين إلى أن يذكروا الله سبحانه و لا ينسوه و ينظروا في أعمالهم الّتي على صلاحها وطلاحها يدور رحى حياتهم الآخرة فيراقبوا أعمالهم أن تكون صالحة خالصة لوجهه الكريم مراقبة مستمرّة ثمّ يحاسبوا أنفسهم فيشكروا الله على ما عملوا من حسنة و يوبّخوها و يزجروها على مااقترفت من سيّئة و يستغفروا .

و ذكر الله تعالى بما يليق بساحة عظمته و كبريائه من أسمائه الحسنى و صفاته العليا الّتي بيّنها القرآن الكريم في تعليمه هو السبيل الوحيد الّذي ينتهي بسالكه إلى كمال العبوديّة ولا كمال للإنسان فوقه .

و ذلك أنّ الإنسان عبد محض و مملوك طلق لله سبحانه فهو مملوك من كلّ جهة مفروضة لا استقلال له من جهة كما أنّه تعالى مالكه من كلّ جهة مفروضة له الاستقلال من كلّ جهة ، و كمال الشيء محوضته في نفسه و آثاره فكمال الإنسان في أن يرى نفسه مملوكا لله من غير استقلال و أن يتّصف من الصفات بصفات العبوديّة كالخضوع و الخشوع و الذلّة و الاستكانة و الفقر بالنسبة إلى ساحة العظمة و العزّة و الغنى و أن تجري أعماله و أفعاله على ما يريده الله لا ما يهواه نفسه من غير غفلة في شيء من هذه المراحل : الذات و الصفات و الأفعال .

ولا يتمّ له النظر إلى ذاته و أفعاله بنظرة التبعيّة المحضة و المملوكيّة المطلقة إلّا مع التوجّه الباطنيّ إلى ربّه الّذي هو على كلّ شيء شهيد و بكلّ شيء محيط و هو القائم على كلّ نفس بما كسبت من غير أن يغفل عنه أو ينساه .

و عندئذ يطمئنّ قلبه كما قال تعالى : « ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب » الرعد :

٢٨ و يعرف الله سبحانه بصفات كماله الّتي تتضمّنها أسماؤه الحسنى ، ويظهر منه قبال ذلك صفات عبوديّته و جهات نقصه من خضوع و خشوع و ذلّة وفقر وحاجة .

و يتعقّب ذلك أعماله الصالحة بدوام الحضور و استمرار الذكر قال تعالى : « و اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدوّ و الآصال ولاتكن من الغافلين إنّ الّذين عند ربّك لايستكبرون عن عبادته و يسبّحونه و له يسجدون » الأعراف : ٢٠٦ وقال : «فإن استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له بالليل والنهار و هم لايسأمون» حمٓ السجدة : ٣٨ .

و إلى ما ذكرنا من معرفته تعالى بصفات كماله و معرفة النفس بما يقابلها من صفات النقص و الحاجة يشير بمقتضى السياق قوله : « لو أنزلنا هذا القرآن » إلى آخر الآيات .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدّمت لغد » إلى آخر الآية أمر للمؤمنين بتقوى الله وبأمر آخر و هو النظر في الأعمال الّتي قدّمت ليوم الحساب أهي صالحة فليرج بها ثواب الله أو طالحة فليخش عقاب الله عليها ويتدارك بالتوبة و الإنابة وهو محاسبة النفس .

أمّا التقوى وقد فسّر في الحديث بالورع عن محارم الله فحيث تتعلّق بالواجبات والمحرّمات جميعا كانت هي الاجتناب عن ترك الواجبات و فعل المحرّمات .

و أمّا النظر فيما قدّمت النفس لغد فهو أمر آخر وراء التقوى نسبته إلى التقوى كنسبة النظر الإصلاحيّ ثانياً من عامل في عمله أو صانع فيما صنعه لتكميله و رفع نواقصه الّتي غفل عنها أو أخطأ فيها حين العمل و الصنع .

فعلى المؤمنين جميعا أن يتّقوا الله فيما وجّه إليهم من التكاليف فيطيعوه ولايعصوه ثمّ ينظروا فيما قدّموه من الأعمال الّتي يعيشون بها في غد بعد ما حوسبوا بها أصالح فيرجى ثوابه أم طالح فيخاف عقابه فيتوبوا إلى الله ويستغفروه .

و هذا تكليف عامّ يشمل كلّ مؤمن لحاجة الجميع إلى إصلاح العمل وعدم كفاية نظر بعضهم عن نظر الآخرين غير أنّ القائم به من أهل الإيمان في نهاية القلّة بحيث

يكاد يلحق بالعدم وإلى ذلك يلوّح لفظ الآية «و لتنظر نفس» .

فقوله : «و لتنظر نفس ما قدّمت لغد» خطاب عامّ لجميع المؤمنين لكن لمّا كان المشتغل بهذا النظر من بين أهل الإيمان بل من بين أهل التقوى منهم في غاية القلّة بل يكاد يلحق بالعدم لاشتغالهم بأعراض الدنيا و استغراق أوقاتهم في تدبير المعيشة وإصلاح اُمور الحياة ألقى الخطاب في صورة الغيبة و علّقه بنفس مّا منكّرة فقال : «و لتنظر نفس» وفي هذا النوع من الخطاب مع كون التكليف عامّاً بحسب الطبع عتاب و تقريع للمؤمنين مع التلويح إلى قلّة من يصلح لامتثاله منهم .

وقوله: «ما قدّمت لغد» استفهام من ماهيّة العمل الّذي قدّمت لغد وبيان للنظر، ويمكن أن تكون «ما» موصولة وهي وصلتها متعلّقا بالنظر .

و المراد بغد يوم القيامة و هو يوم حساب الأعمال و إنّما عبّر عنه بغد للإشارة إلى قربه منهم كقرب الغد من أمسه قال تعالى : « إنّهم يرونه بعيدا و نراه قريبا » المعارج : ٦ .

و المعنى يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله بطاعته في جميع ما يأمركم به و ينهاكم عنه ، و لتنظر نفس منكم فيما عملته من عمل و لترما الّذي قدّمته من عملها ليوم الحساب أهو عمل صالح أو طالح وهل عمله الصالح صالح مقبول أو مردود .

و قوله : « و اتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون » أمر بالتقوى ثانيا و « إنّ الله خبير » الخ تعليل له و تعليل هذه التقوى بكونه تعالى خبيرا بالأعمال يعطي أنّ المراد بهذه التقوى المأمور بها ثانيا هي التقوى في مقام المحاسبة و النظر فيها من حيث إصلاحها وإخلاصها لله سبحانه وحفظها عمّا يفسدها ، وأمّا قوله في صدر الآية : «اتّقوا الله» فالمراد به التقوى في أصل إتيان الأعمال بقصرها بالطاعات و تجنّب المعاصي .

و من هنا تبيّن أنّ المراد بالتقوى في الموضعين مختلف فالاُولى هي التقوى في أصل إتيان الأعمال ، و الثّانية هي التقوى في الأعمال المأتيّة من حيث إصلاحها و إخلاصها .

و ظهر أيضا أنّ قول بعضهم : إنّ الاُولى للتوبة عمّا مضى من الذنوب والثانية

لاتّقاء المعاصي في المستقبل غير سديد و مثله ما قيل : إنّ الاُولى في أداء الواجبات و الثانية في ترك المحرّمات ، و مثله ما قيل : إنّ الأمر الثاني لتأكيد الأمر الأوّل فحسب .

**قوله تعالى** : «و لاتكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم» الخ النسيان زوال صورة المعلوم عن النفس بعد حصولها فيها ويتوسّع فيه فيطلق على مطلق الإعراض عن الشيء بعدم ترتيب الأثر عليه قال تعالى : «و قيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار و مالكم من ناصرين» الجاثية : ٣۴ .

و الآية بحسب لبّ معناها كالتأكيد لمضمون الآية السابقة كأنّه قيل : قدّموا ليوم الحساب والجزاء عملاً صالحاً تحيى به أنفسكم ولا تنسوه . ثمّ لمّا كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماؤه الحسنى و صفاته العليا الّتي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتيّة من الذلّة و الفقر و الحاجة فيتوهّم الإنسان نفسه مستقلّة في الوجود و يخيّل إليه أنّ له لنفسه حياة و قدرة و علماً و سائر ما يتراءى له من الكمال ، و نظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونيّة الظاهريّة تؤثّر فيه و تتأثّر عنه .

و عند ذلك يعتمد على نفسه و كان عليه أن يعتمد على ربّه و يرجو و يخاف الأسباب الظاهريّة و كان عليه أن يرجو و يخاف ربّه ، يطمئنّ إلى غير ربّه و كان عليه أن يطمئنّ إلى ربّه .

و بالجملة ينسى ربّه و الرجوع إليه و يعرض عنه بالإقبال إلى غيره ، ويتفرّع عليه أن ينسى نفسه فإنّ الّذي يخيّل إليه من نفسه أنّه موجود مستقلّ الوجود يملك ما ظهر فيه من كمالات الوجود و إليه تدبير أمره مستمدّاً ممّا حوله من الأسباب الكونية و ليس هذا هو الإنسان بل الإنسان موجود متعلّق الوجود جهل كلّه عجز كلّه ذلّة كلّه فقر كلّه و هكذا ، وماله من الكمال كالوجود و العلم والقدرة و العزّة و الغنى و هكذا فلربّه و إلى ربّه انتهاؤه ونظراؤه في ذلك سائر الأسباب الكونيّة .

و الحاصل لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حوّل النهي عن نسيان

النفس في الآية إلى النهي عن نسيانه تعالى لأنّ انقطاع المسبّب بانقطاع سببه أبلغ و آكد ، ولم يقنع بمجرّد النهي الكلّيّ عن نسيانه بأن يقال : و لا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم بل جرى بمثل إعطاء الحكم بالمثال ليكون أبلغ في التأثير و أقرب إلى القبول فنهاهم أن يكونوا كالّذين نسوا الله مشيراً به إلى من تقدّم ذكرهم من يهود بني النضير و بني قينقاع و من حاله حالهم في مشاقّة الله ورسوله .

فقال : «و لاتكونوا كالّذين نسوا الله» ثمّ فرّع عليه قوله : «فأنساهم أنفسهم» تفريع المسبّب على سببه ثمّ عقّبه بقوله : «اُولئك هم الفاسقون» فدلّ على أنّهم فاسقون حقّاً خارجون عن زيّ العبوديّة .

والآية وإن كانت تنهى عن نسيانه تعالى المتفرّع عليه نسيان النفس لكنّها بورودها في سياق الآية السابقة تأمر بذكر الله ومراقبته .

فقد بان من جميع ما تقدّم في الآيتين أنّ الآية الاُولى تأمر بمحاسبة النفس و الثانية تأمر بالذكر و المراقبة .

**قوله تعالى:** «لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون» قال الراغب : الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة» انتهى ، و السياق يشهد بأنّ المراد بأصحاب النار هم الناسون لله و بأصحاب الجنّة هم الذاكرون لله المراقبون .

و الآية حجّة تامّة على وجوب اللحوق بالذاكرين لله المراقبين له دون الناسين تقريرها أنّ هناك قبيلين لاثالث لهما و هما الذاكرون لله و الناسون له لابدّ للإنسان أن يلحق بأحدهما و ليسا بمساويين حتّى يتساوى اللحوقان ولا يبالي الإنسان بأيّهما لحق ؟ بل هناك راجح ومرجوح يجب اختيار الراجح على المرجوح و الرجحان لقبيل الذاكرين لأنّهم الفائزون لاغير فالترجيح لجانبهم فمن الواجب لكلّ نفس أن يختار اللحوق بقبيل الذاكرين .

**قوله تعالى** : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله» الخ في المجمع : التصدّع التفرّق بعد التلاؤم و مثله التفطّر انتهى .

والكلام مسوق سوق المثل مبنيّ على التخييل والدليل عليه قوله في ذيل الآية:

«و تلك الأمثال نضربها للناس» الخ .

والمراد تعظيم أمر القرآن بما يشتمل عليه من حقائق المعارف و اُصول الشرائع و العبر و المواعظ و الوعد و الوعيد و هو كلام الله العظيم ، و المعنى لو كان الجبل ممّا يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته ـ مع ما فيه من الغلظة و القسوة و كبر الجسم و قوّة المقاومة قبال النوازل ـ متأثّراً متفرقاً من خشية الله فإذا كان هذا حال الجبل بما هو عليه فالإنسان أحقّ بأن يخشع لله إذا تلاه أو تلي عليه ، وما أعجب حال أهل المشاقّة و العناد لاتلين قلوبهم له ولا يخشعون ولا يخشون .

والالتفات من التكلّم مع الغير إلى الغيبة في قوله : «من خشية الله» للدلالة على علّة الحكم فإنّما يخشع و يتصدّع الجبل بنزول القرآن لأنّه كلام الله عزّ اسمه .

و قوله : « و تلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون » من وضع الحكم الكلّي موضع الجزئي للدلالة على أنّ الحكم ليس ببدع في مورده بل جارسار في موارد اُخرى كثيرة .

فقوله : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل» الخ مثل ضربه الله للناس في أمر القرآن لتقريب عظمته وجلالة قدره بما أنّه كلام لله تعالى وبما يشتمل عليه من المعارف رجاء أن يتفكّر فيه الناس فيتلقّوا القرآن بما يليق به من التلقّي و يتحقّقوا بما فيه من الحقّ الصريح و يهتدوا إلى ما يهتدي إليه من طريق العبوديّة الّتي لاطريق إلى كمالهم وسعادتهم وراءها ، ومن ذلك ماذكر في الآيات السابقة من المراقبة و المحاسبة .

**قوله تعالى** : « هو الله الّذي لا إله إلّا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم» هذه الآية و الآيتان بعدها و إن كانت مسوقة لتعداد قبيل من أسمائه تعالى الحسنى و الإشارة إلى تسميته تعالى بكلّ اسم أحسن و تنزّهه بشهادة ما في السماوات و الأرض لكنّها بانضمامها إلى ما مرّ من الأمر بالذكر تفيد أنّ على الذاكرين أن يذكروه بأسمائه الحسنى فيعرفوا أنفسهم بما يقابلها من أسماء النقص فافهم ذلك .

و بانضمامها إلى الآية السابقة و ما فيها من قوله : «من خشية الله» تفيد تعليل خشوع الجبل و تصدّعه من خشية الله كأنّه قيل : و كيف لا وهو الله الّذي لاإله إلّاهو

عالم الغيب و الشهادة إلى آخر الآيات .

و قوله : «هوالله الّذي لا إله إلّا هو» يفيد الموصول و الصلة معنى اسم من أسمائه وهو وحدانيّته تعالى في اُلوهيّته ومعبوديّته ، و قد تقدّم بعض ما يتعلّق بالتهليل في تفسير قوله تعالى : «وإلهكم إله واحد لاإله إلّا هو» البقرة : ١٦٣ .

و قوله : « عالم الغيب و الشهادة » الشهادة هي المشهود الحاضر عند المدرك و الغيب خلافها و هما معنيان إضافيّان فمن الجائز أن يكون شيء شهادة بالنسبة إلى شيء و غيباً بالنسبة إلى آخر و يدور الأمر مدار نوع من الإحاطة بالشيء حسّاً أو خيالاً أو عقلاً أو وجودا و هو الشهادة و عدمها و هو الغيب ، و كلّ ما فرض من غيب أو شهادة فهو من حيث هو محاط له تعالى معلوم فهوتعالى عالم الغيب و الشهادة وغيره لاعلم له بالغيب لمحدوديّة وجوده و عدم إحاطته إلّاماعلّمه تعالى كما قال : «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول » الجنّ : ٢٧ و أمّا هو تعالى فغيب على الإطلاق لا سبيل إلى الإحاطة به لشيء أصلاً كما قال : « و لا يحيطون به علما».

و قوله : « هو الرحمان الرحيم » قد تقدّم الكلام في معنى الاسمين في تفسير سورة الفاتحة .

**قوله تعالى** : «هوالله الّذي لا إله إلّا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر» الخ الملك هو المالك لتدبير أمر الناس والحكم فيهم ، والقدّوس مبالغة في القدس و هو النزاهة و الطهارة ، و السلام من يلاقيك بالسلامة و العافية من غير شرّ و ضرّ ، و المؤمن الّذي يعطي الأمن ، و المهيمن الفائق المسيطر على الشيء.

و العزيز الغالب الّذي لايغلبه شيء أو من عنده ما عند غيره من غير عكس ، و الجبّار مبالغة من جبر الكسر أو الّذي تنفذ إرادته و يجبر على ما يشاء ، و المتكبّر الّذي تلبّس بالكبرياء و ظهر بها .

و قوله : «سبحان الله عمّا يشركون» ثناء عليه تعالى كما في قوله : «و قالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه» البقرة : ١١٦ .

**قوله تعالى** : « هوالله الخالق البارىء المصوّر» إلى آخر الآية . الخالق هو

الموجد للأشياء عن تقدير ، والبارىء المنشيء للأشياء ممتازاً بعضها من بعض ، والمصوّر المعطي لها صوراً يمتاز بها بعضها من بعض ، و الاسماء الثلاثة تتضمّن معنى الإيجاد باعتبارات مختلفة و بينها ترتّب فالتصوير فرع البرء و البرء فرع الخلق و هو ظاهر.

و إنّما صدّر الآيتين السابقتين بقوله : «الّذي لاإله إلّا هو» فوصف به « الله » و عقّبه بالأسماء بخلاف هذه الآية إذ قال : «هو الله الخالق» الخ .

لأنّ الأسماء الكريمة المذكورة في الآيتين السابقتين و هي أحد عشر اسماًمن لوازم الربوبيّة و مالكيّة التدبير الّتي تتفرّع عليها الاُلوهيّة و المعبوديّة بالحقّ و هي على نحو الأصالة و الاستقلال لله سبحانه وحده لاشريك له في ذلك فاتّصافه تعالى وحده بها يستوجب اختصاص الاُلوهيّة و استحقاق المعبوديّة به تعالى .

فالأسماء الكريمة بمنزلة التعليل لاختصاص الاُلوهيّة به تعالى كأنّه قيل لاإله إلّا هو لأنّه عالم الغيب و الشهادة هو الرحمان الرحيم ، ولذا أيضا ذيّل هذه الأسماء بقوله ثناء عليه : « سبحان الله عمّا يشركون » ردّاً على القول بالشركاء كما يقوله المشركون.

و أمّا قوله : « هو الله الخالق البارىء المصوّر » فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنى الخلق و الإيجاد و اختصاص ذلك به تعالى لايستوجب اختصاص الاُلوهيّة به كما يدلّ عليه أنّ الوثنيّين قائلون باختصاص الخلق والإيجاد به تعالى وهم مع ذلك يدعون من دونه أرباباً و آلهة و يثبتون له شركاء .

و أمّا وقوع اسم الجلالة في صدر الآيات الثلاث جميعا فهو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به ويجري عليه جميع الأسماء و في التكرار مزيد تأكيد و تثبيت للمطلوب .

وقوله : «له الأسماء الحسنى» إشارة إلى بقيّة الأسماء الحسنى عن آخرها لكون الأسماء جمعاً محلّى باللّام وهو يفيد العموم .

وقوله : «يسبّح له ما في السماوات والأرض» أي جميع ما في العالم من المخلوقات حتّى نفس السماوات والأرض وقد تقدّم توضيح معنى الجملة مراراً .

ثمّ ختم الآيات بقوله : «وهو العزيز الحكيم» أي الغالب غير المغلوب الّذي فعله متقن لا مجازفة فيه فلا يعجزه فيما شرعه ودعا إليه معصية العاصين ولا مشاقّة المعاندين ولا يضيع عنده طاعة المطيعين و أجر المحسنين .

و العناية إلى ختم الكلام بالاسمين والإشارة بذلك إلى كون القرآن النازل من عنده كلام عزيز حكيم هو الّذي دعا إلى تكرار اسمه العزيز و ذكره مع الحكيم مع تقدّم ذكره بين الأسماء .

و قد وصف القرآن أيضا بالعزّة و الحكمة كما قال : «و إنّه لكتاب عزيز» حم السجدة : ٤١ ، وقال : «والقرآن الحكيم» يس : ٢ .

## (بحث روائي)

في المجمع في قوله تعالى: «عالم الغيب والشهادة» عن أبي جعفر عليه السلام قال :الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان .

**اقول** : و هو تفسير ببعض المصاديق ، و قد أوردنا أحاديث عنهم عليهم السلام في معنى اسم الجلالة و الاسمين الرحمان الرحيم في ذيل تفسير البسملة من سورة الفاتحة .

و في التوحيد بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث : لم يزل حيّاً بلا حياة و ملكا قادراً قبل أن ينشيء شيأ و ملكا جبّاراً بعد إنشائه **للكون** .

**اقول** : قوله: لم يزل حيّاً بلا حياة أي بلا حياة زائدة على الذات ، وقوله: لم يزل ملكا قادراً قبل أن ينشيء شيأ إرجاع للملك و هو من صفات الفعل إلى القدرة وهي من صفات الذات ليستقيم تحقّقه قبل الإيجاد .

و في الكافي بإسناده عن هشام الجواليقيّ قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله: «سبحان الله» ما يعني به ؟ قال : تنزيه .

و في نهج البلاغة : و الخالق لا بمعنى حركة و نصب .

**اقول** : و قد أوردنا عدّة من الروايات في الأسماء الحسنى و إحصائها في البحث عن الأسماء الحسنى في الجزء الثامن من الكتاب .

و في النبويّ المشهور : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوا قبل أن توزنوا و تجهّزوا للعرض الأكبر .

و في الكافي بإسناده إلى أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم فإن عمل حسناً ازداد لله شكراً و إن عمل سيّئاً استغفر الله و تاب إليه.

**اقول** : و فيما يقرب من هذا المعنى روايات اُخر ، و قد أوردنا روايات عنهم عليهم السلام في معنى ذكر الله في ذيل تفسير قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » الآية البقرة : ١٥٢ ، و قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » الأحزاب : ٤١ فليراجعها من شاء .



﴿سورة الممتحنة مدنيّة و هي ثلاث عشرة آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيٰاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمٰا جٰاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيّٰاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهٰاداً فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمٰا أَخْفَيْتُمْ وَ مٰا أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدٰاءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحٰامُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كٰانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَءٰؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنٰا بِكُمْ وَ بَدٰا بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَةُ وَ الْبَغْضٰاءُ أَبَداً حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاّٰ قَوْلَ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ مٰا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنٰا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنٰا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنٰا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنٰا رَبَّنٰا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ

يتولّ فانّ الله هو الغنيّ الحميد (٦) عسى الله أن يجعل بينكم و بين الّذين عاديتم منهم مودّة و الله قدير و الله غفور رحيم (٧) لاينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم و تقسطوا اليهم انّ الله يحبّ المقسطين (٨) انّما ينهاكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدّين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم أن تولّوهم و من يتولّهم فاولئك هم الظّالمون (٩).

## ﴿بيان﴾

تذكر السورة موالاة المؤمنين لأعداء الله من الكفّار و موادّتهم و تشدّد النهي عن ذلك تفتتح به و تختتم و فيها شيء من أحكام النساء المهاجرات و بيعة المؤمنات و كونها مدنيّة ظاهر.

**قوله تعالى**: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة» الخ سياق الآيات يدلّ على أنّ بعض المؤمنين من المهاجرين كانوا يسرّون المودّة إلى المشركين بمكّة ليحموا بذلك من بقي من أرحامهم و أولادهم بمكّة بعد خروجهم أنفسهم منها بالمهاجرة إلى المدينة فنزلت الآيات و نهاهم الله عن ذلك، و يتأيّد بهذا ما ورد أنّ الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أسرّ كتاباً إلى المشركين بمكّة يخبرهم فيه بعزم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌ على الخروج إليها لفتحها فعل ذلك ليكون يداً له عليهم يقي بها من كان بمكّة من أرحامه وأولاده فأخبر الله بذلك نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله و نزلت، وستوافيك قصّته في البحث الروائيّ التالي إن شاء الله تعالى.

فقوله: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء» العدوّ معروف و يطلق على الواحد و الكثير و المراد في الآية هو الكثير بقرينة قوله: «أولياء» و

«إليهم» و غير ذلك ، و هم المشركون بمكّة ، وكونهم عدوّه من جهة اتّخاذهم له شركاء يعبدونهم و لا يعبدون الله ويردّون دعوته ويكذّبون رسوله ، وكونهم أعداء للمؤمنين لإيمانهم بالله و تفديتهم أموالهم و أنفسهم في سبيله فمن يعادي الله يعاديهم .

وذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفاية ذكر عداوتهم لله في سوق النهي لتأكيد التحذير و المنع كأنّه قيل : من كان عدوّاً لله فهو عدوّ لكم فلا تتّخذوه وليّاً .

و قوله : « تلقون إليهم بالمودّة » بالمودّة مفعول « تلقون » و الباء زائدة كما في قوله : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» البقرة : ١٩٥ والمراد بإلقاء المودّة إظهارها أو إيصالها ، والجملة صفة أو حال من فاعل «لا تتّخذوا» .

و قوله : «و قد كفروا بما جاءكم من الحقّ» وهو الدين الحقّ الّذي يصفه كتاب الله و يدعو إليه النبيّ صلى الله عليه وآله ، والجملة حاليّة .

و قوله : « يخرجون الرسول و إيّاكم أن تؤمنوا بالله ربّكم » الجملة حاليّة و المراد بإخراج الرسول و إخراجهم اضطرارهم الرسول و المؤمنين إلى الخروج من مكّة و المهاجرة إلى المدينة ، و « أن تؤمنوا بالله ربّكم » بتقدير اللاّم متعلّق بيخرجون ، و المعنى يجبرون الرسول و إيّاكم على المهاجرة من مكّة لإيمانكم بالله ربّكم .

و توصيف الله بقوله : « ربّكم » للإشارة إلى أنّهم يؤاخذونهم على أمر حقّ مفروض ليس بجرم فإنّ إيمان الإنسان بربّه مفروض عليه و ليس من الجرم في شيء .

و قوله : « إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي و ابتغاء مرضاتي » متعلّق بقوله : «لا تتّخذوا» و جزاء الشرط محذوف يدلّ عليه المتعلّق ، و «جهاداً» مصدر مفعول له ، و«ابتغاء» بمعنى الطلب و«المرضاة» مصدر كالرضى ، والمعنى لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء إن كنتم هاجرتم للمجاهدة في سبيلي ولطلب رضاي .

و تقييد النهي عن ولائهم واشتراطه بخروجهم للجهاد و ابتغائهم مرضاته من باب اشتراط الحكم بأمر محقّق الوقوع تأكيداً له وإيذانا بالملازمة بين الشرط و الحكم كقول الوالد لولده : إن كنت ولدي فلا تفعل كذا .

و قوله : «تسرّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم » أسررت إليه حديثاً أي أفضيت إليه في خفية فمعنى «تسرّون إليهم بالمودّة» تطلعونهم على ما تسرّون من مودّتهم ـ على ما قاله الراغب ـ و الإعلان خلاف الإخفاء ، و « أنا أعلم » الخ حال من فاعل « تسرّون » ، و « أعلم » اسم تفضيل ، و احتمل بعضهم أن يكون فعل المتكلّم وحده من المضارع متعدّياً بالباء لأنّ العلم ربّما يتعدّى بها .

وجملة : «تسرّون إليهم» الخ استئناف بيانيّة كأنّه قيل بعد استماع النهي السابق: ماذا فعلنا فاُجيب : تطلعونهم سرّاً على مودّتكم لهم وأنا أعلم بما أخفيتم و ما أظهرتم أي أنا أعلم بقولكم و فعلكم علماً يستوي بالنسبة إليه إخفاؤكم وإظهاركم .

و منه يعلم أنّ قوله : «بما أخفيتم و ما أعلنتم » معاً يفيدان معنى واحداً و هو استواء الإخفاء و الإعلان عنده تعالى لإحاطته بما ظهر و ما بطن فلا يرد أنّ ذكر « ما أخفيتم » يغني عن ذكر « ما أعلنتم » لأنّ العالم بما خفي عالم بما ظهر بطريق أولى .

و قوله : « و من يفعل ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل » الإشارة بذلك إلى إسرار المودّة إليهم و هو الموالاة ، و «سواء السبيل » من إضافة الصفة إلى الموصوف أي السبيل السويّ والطريق المستقيم وهو مفعول «ضلّ» أومنصوب بنزع الخافض و التقدير فقد ضلّ عن سواء السبيل ، والسبيل سبيل الله تعالى .

**قوله تعالى** : «إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء » الخ قال الراغب : الثقف ـ بالفتح فالسكون ـ الحذق في إدراك الشيء وفعله . قال : و يقال : ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثمّ يتجوّز به فيستعمل في الإدراك و إن لم يكن معه ثقافة . انتهى و فسّره غيره بالظفر و لعلّه بمعونة مناسبة المقام ، و المعنيان متقاربان .

و الآية مسوقة لبيان أنّه لاينفعهم الإسرار بالمودّة للمشركين في جلب محبّتهم ورفع عداوتهم شيأ و أنّ المشركين على الرغم من إلقاء المودّة إليهم إن يدركوهم و يظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغيّر ما في قلوبهم من العداوة .

و قوله : « و يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون» بمنزلة

عطف التفسير لقوله : «يكونوا لكم أعداء» و بسط الأيدي بالسوء كناية عن القتل و السبي و سائر أنحاء التعذيب و بسط الألسن بالسوء كناية عن السبّ و الشتم .

و الظاهر أنّ قوله : « و ودّوا لو تكفرون » عطف على الجزاء و الماضي بمعنى المستقبل كما يقتضيه الشرط و الجزاء ، والمعنى أنّهم يبسطون إليكم الأيدي والألسن بالسوء و يودّون بذلك لو تكفرون كما كانوا يفتنون المؤمنين بمكّة و يعذّبونهم يودّون بذلك أن يرتدّوا عن دينهم . والله أعلم .

**قوله تعالى** : « لن ينفعكم أرحامكم و لا أولادكم يوم القيامة » دفع لما ربّما يمكن أن يتوهّم عذراً لإلقاء المودّة إليهم أنّ في ذلك صيانة لأرحامهم و أولادهم الّذين تركوهم بمكّة بين المشركين من أذاهم .

و الجواب أنّ أمامكم يوماً تجازون فيه على معصيتكم و طالح عملكم و منه موالاة الكفّار و لا ينفعكم اليوم أرحامكم و لا أولادكم الّذين قدّمتم صيانتهم من أذى الكفّار على صيانة أنفسكم من عذاب الله بترك موالاة الكفّار .

وقوله : «يفصل بينكم» أي يفصل الله يوم القيامة بينكم بتقطّع الأسباب الدنيويّة كما قال تعالى : «فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ » المؤمنون : ١٠١ و ذلك أنّ القرابة و هي انتهاء إنسانين أو أكثر إلى رحم واحدة إنّما تؤثّر آثارها من الرحمة و المودّة و الاُلفة و المعاونة و المعاضدة و العصبيّة و الخدمة و غير ذلك من الآثار في ظرف الحياة الاجتماعيّة الّتي تسوق الإنسان إليه حاجته إليها بالطبع بحسب الآراء و العقائد الاعتباريّة الّتي أوجدها فيه فهمه الاجتماعيّ ، ولا خبر عن هذه الآراء في الخارج عن ظرف الحياة الاجتماعيّة .

و إذا برزت الحقائق و ارتفع الحجاب و انكشف الغطاء يوم القيامة ضلّت عن الإنسان هذه الآراء و المزاعم وانقطعت روابط الاستقلال بين الأسباب و مسبّباتها كما قال تعالى : « لقد تقطّع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » الأنعام : ٩٤ ، وقال : «و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب» البقرة :١٦٦ .

فيومئذ تتقطّع رابطة الأنساب و لا ينتفع ذو قرابة من قرابته شيأ فلا ينبغي

للإنسان أن يخون الله و رسوله بموالاة أعداء الدين لأجل أرحامه و أولاده فليسوا يغنونه عن الله يومئذ .

و قيل : المراد أنّه يفرق الله بينكم يوم القيامة بما فيه من الهول الموجب لفرار كلّ منكم من الآخر حسبما نطق بقوله تعالى : «يوم يفرّ المرء من أخيه و أُمّه وأبيه و صاحبته و بنيه لكلّ امرء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٧ و الوجه السابق أنسب للمقام .

و قيل : المراد أنّه يميّز بعضكم يومئذ من بعض فيدخل أهل الإيمان والطاعة الجنّة ، و أهل الكفر و المعصية النار و لا يرى القريب المؤمن في الجنّة قريبه الكافر في النار .

و فيه أنّه و إن كان لابأس به في نفسه لكنّه غير مناسب للمقام إذ لا دلالة في المقام على كفر أرحامهم و أولادهم .

و قيل : المراد بالفصل فصل القضاء و المعنى أنّ الله يقضي بينكم يوم القيامة .

وفيه ما في سابقه من عدم المناسبة للمورد فإنّ فصل القضاء إنّما يناسب الاختلاف كما في قوله تعالى : « إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » السجدة : ٢٠ ولا ارتباط في الآية بذلك .

و قوله : « و الله بما تعملون بصير » متمّم لقوله : « لن تنفعكم » كالمؤكّد له و المعنى لن تنفعكم أرحامكم و لا أولادكم يوم القيامة في رفع تبعة هذه الخيانة و أمثالها و الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه ماهي هذه الخيانة فيؤاخذكم عليها لامحالة .

**قوله تعالى** : « قد كانت لكم اُسوة حسنة في إبراهيم و الّذين معه » إلى آخر الآيتين ، الخطاب للمؤمنين ، و الاُسوة الاتّباع والاقتداء ، وفي قوله : «و الّذين معه » بظاهره دلالة على أنّه كان معه من آمن به غير زوجته ولوط .

و قوله : « إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم و ممّا تعبدون من دون الله » أي إنّا بريؤن منكم و من أصنامكم بيان لما فيه الاُسوة و الاقتداء .

و قوله : «كفرنا بكم و بدء بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبداً حتّى تؤمنوا

بالله وحده » بيان لمعنى البراءة بأثرها وهو الكفر بهم وعداوتهم ما داموا مشركين حتّى يوحّدوا الله سبحانه .

والمراد بالكفر بهم الكفر بشركهم بدليل قوله : «حتّى تؤمنوا بالله وحده» ، والكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملا كما أنّ العداوة بينونة و مخالفة قلبا .

فقد فسّروا براءتهم منهم بأمور ثلاثة : مخالفتهم لشركهم عملا ، و العداوة و البغضاء بينهم قلبا ، و استمرار ذلك ما داموا على شركهم إلّا أن يؤمنوا بالله وحده.

و قوله : « إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء» استثناء ممّا تدلّ عليه الجمل المتقدّمة أنّ إبراهيم و الّذين معه تبرّؤا من قومهم المشركين قولا مطلقا . وقطعوا أيّ رابطة تربطهم بالقوم و تصل بينهم إلّا ما قال إبراهيم لأبيه : «لأستغفرنّ لك» الخ .

و لم يكن قوله : « لأستغفرنّ لك » تولّياً منه بل وعداً وعده إيّاه رجاء أن يتوب عن الشرك و يؤمن بالله وحده كما يدلّ عليه قوله تعالى : « و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة وعدها إيّاه فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّء منه» التوبة: ١١٤ حيث يفيد أنّه عليه السلام إنّما وعده لأنّه لم يتبيّن له بعد أنّه عدوّ لله راسخ في عداوته ثابت في شركه فكان يرجو أن يرجع عن شركه ويطمع في أن يتوب و يؤمن فلمّا تبيّن له رسوخ عداوته و يئس من إيمانه تبرّء منه .

على أنّ قوله تعالى في قصّة محاجّته أباه في سورة مريم : «قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حفيّا و أعتزلكم و ما تدعون من دون الله » مريم : ٤٨ يتضمّن وعده أباه بالاستغفار و إخباره بالاعتزال و لو كان وعده الاستغفار تولّياً منه لأبيه لكان من الحريّ أن يقول : وأعتزل القوم، لا أن يقول : وأعتزلكم فيدخل أباه فيمن يعتزلهم و ليس الاعتزال إلّا التبرّي.

فالاستثناء استثناء متّصل من أنّهم لم يكلّموا قومهم إلّا بالتبرّي والمحصّل من المعنى أنّهم إنّما ألقوا إليهم القول بالتبرّي إلّا قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرنّ لك فلم يكن تبرّياً ولا تولّياً بل وعداً وعده أباه رجاء أن يؤمن بالله .

و ههنا شيء و هو أنّ مؤدّى آية التوبة «فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّ ءمنه» أنّ تبرّيه الجازم إنّما كان بعد الوعد و بعد تبيّن عداوته لله ، و قوله تعالى في الآية الّتي نحن فيها : « إذ قال لقومهم إنّا برا آء منكم » إخبار عن تبرّيهم الجازم القاطع فيكون ما وقع في الاستثناء من قول إبراهيم لأبيه وعداً واقعاً قبل تبرّيه الجازم و من غير جنس المستثنى منه فيكون الاستثناء منقطعاً لامتّصلاً .

و على تقدير كون الاستثناء منقطعا يجوز أن يكون الاستثناء من قوله : « قد كانت لكم اُسوة حسنة في إبراهيم و الّذين معه» بما أنّه مقيّد بقوله : «إذ قالوا لقومهم إنّا برا آء منكم» و المعنى قد كان لكم اقتداء حسن بتبرّي إبراهيم و الّذين معه من قومهم إلّا أنّ إبراهيم قال لأبيه كذا و كذا وعداً .

و أمّا على تقدير كون الاستثناء متّصلاً فالوجه ما تقدّم ، و أمّا كون المستثنى منه هو قوله : « قد كانت لكم اُسوه حسنة في إبراهيم » والمعنى لكم في إبراهيم اُسوة في جميع خصاله إلّا في قوله لأبيه : لأستغفرنّ لك فلا اُسوة فيه .

ففيه أنّ قوله : «لكم اُسوة حسنة في إبراهيم» الخ غير مسوق لإيجاب التأسّي بإبراهيم عليه السلام في جميع خصاله حتّى يكون الوعد بالاستغفار أو نفس الاستغفار ـ وذلك من خصاله ـ مستثنى منها بل إنّما سيق لإيجاب التأسّي به في تبرّيه من قومه المشركين و الوعد بالاستغفار رجاء للتوبة و الإيمان ليس من التبرّي و إن كان ليس تولّيا أيضا .

و قوله : « و لا أملك لك من الله شيأً » تتمّة قول إبراهيم عليه السلام ، و هو بيان لحقيقة الأمر من أنّ سؤاله المغفرة و طلبها من الله ليس من نوع الطلب الّذي يملك فيه الطالب من المطلوب منه ما يطلبه ، و إنّما هو سؤال يدعو إليه فقر العبوديّة وذلّتها قبال غنى الربوبيّة و عزّتها فله تعالى أن يقبل بوجهه الكريم فيستجيب و يرحم ، و له أن يعرض و يمسك الرحمة فإنّه لا يملك أحد منه تعالى شيأً وهو المالك لكلّ شيء قال تعالى : «قل فمن يملك من الله شيأً» المائدة : ١٧ .

و بالجملة قوله : « لا أملك » الخ نوع اعتراف بالعجز استدراكا لما يستشعر من

قوله : «لأستغفرنّ لك» من شائبة إثبات القدرة لنفسه نظير قول شعيب عليه السلام : «و ما توفيقي إلّا بالله» استدراكاً لما يشعر به قوله لقومه : «إن اُريد إلّا الإصلاح ما استطعت» هود : ٨٨ من إثبات القوّة و الاستطاعة لنفسه بالأصالة و الاستقلال .

و قوله : «ربّنا عليك توكّلنا و إليك أنبنا وإليك المصير» الخ من تمام القول المنقول عن إبراهيم و الّذين معه المندوب إلى التأسّي بهم فيه ، و هو دعاء منهم لربّهم و ابتهال إليه إثر ما تبرّأوا من قومهم ذاك التبرّي العنيف ليحفظهم من تبعاته و يغفر لهم فلا يخيّبهم في إيمانهم .

و قد افتتحوا دعاءهم بتقدمة يذكرون فيها حالهم فيما هم فيه من التبرّي من أعداء الله فقالوا : «ربّنا عليك توكّلنا و إليك أنبنا» يعنون به أنّا كنّا في موقف من الحياة تتمكّن فيه أنفسنا و ندبّر فيه اُمورنا أمّا أنفسنا فأنبنا و رجعنا بها إليك و هو الإنابة ، و أمّا اُمورنا الّتي كان علينا تدبيرها فتركناها لك و جعلنا مشيّتك مكان مشيّتنا فأنت وكيلنا فيها تدبّرها بما تشاء و كيف تشاء وهو التوكّل .

ثمّ قالوا : «و إليك المصير» يعنون به أنّ مصير كلّ شيء من فعل أو فاعل فعل إليك فقد جرينا في توكّلنا عليك و إنابتنا إليك مجرى ما عليه حقيقة الأمر من مصير كلّ شيء إليك حيث هاجرنا بأنفسنا إليك وتركنا تدبير اُمورنا لك.

وقوله : «ربّنا لا تجعلنا فتنة للّذين كفروا و اغفر لنا ربّنا» متن دعائهم يسألونه تعالى أن يعيذهم من تبعة تبرّيهم من الكفّار و يغفر لهم .

و الفتنة ما يمتحن به ، و المراد بجعلهم فتنة للّذين كفروا تسليط الكفّار عليهم ليمتحنهم فيخرجوا ما في وسعهم من الفساد فيؤذوهم بأنواع الأذى أن آمنوا بالله ورفضوا آلهتهم و تبرّأوا منهم و ممّا يعبدون .

و قد كرّروا نداءه تعالى - ربّنا - في دعائهم مرّة بعد مرّة لإثارة الرحمة الإلهيّة .

وقوله : «إنّك أنت العزيز الحكيم» أي غالب غير مغلوب متقن لأفعاله لا يعجز أن يستجيب دعاءهم فيحفظهم من كيد أعدائه و يعلم بأيّ طريق يحفظ .

و للمفسّرين في تفسير الآيتين أنظار مختلفة اُخرى أغمضنا عن إيرادها رعاية للاختصار من أرادها فليراجع المطوّلات .

**قوله تعالى** : «لقد كان لكم فيهم اُسوة حسنة لمن كان يرجوالله و اليوم الآخر» الخ تكرار حديث الاُسوة لتأكيد الإيجاب و لبيان أنّ هذه الاُسوة لمن كان يرجوالله و اليوم الآخر ، و أيضا أنّهم كما يتأسّى بهم في تبرّيهم من الكفّار كذلك يتأسّى بهم في دعائهم و ابتهالهم .

و الظاهر أنّ المراد برجائه تعالى رجاء ثوابه بالإيمان به و برجاء اليوم الآخر رجاء ما وعد الله و أعدّ للمؤمنين من الثواب ، و هو كناية عن الإيمان .

و قوله : « ومن يتولّ فإنّ الله هو الغنيّ الحميد» استغناء منه تعالى عن امتثالهم لأمره بتبرّيهم من الكفّار و أنّهم هم المنتفعون بذلك و الله سبحانه غنيّ في ذاته عنهم و عن طاعتهم حميد فيما يأمرهم و ينهاهم إذ ليس في ذلك إلّا صلاح حالهم و سعادة حياتهم .

**قوله تعالى** : «عسى الله أن يجعل بينكم و بين الّذين عاديتم منهم مودّة و الله قدير والله غفور رحيم» ضمير «منهم» للكفّار الّذين اُمروا بمعاداتهم و هم كفّار مكّة ، و المراد بجعل المودّة بين المؤمنين و بينهم جعلها بتوفيقهم للإسلام كما وقع ذلك لمّا فتح الله لهم مكّة ، وليس المراد به نسخ حكم المعاداة والتبرّي .

و المعنى مرجوّ من الله أن يجعل بينكم معشر المؤمنين و بين الّذين عاديتم من الكفّار و هم كفّار مكّة مودّة بتوفيقهم للإسلام فتنقلب المعاداة مودّة والله قدير والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم إذا تابوا وأسلموا فعلى المؤمنين أن يرجوا من الله أن يبدّل معاداتهم مودّة بقدرته و مغفرته ورحمته .

**قوله تعالى** : «لا ينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم و تقسطوا إليهم» الخ في هذه الآية و الّتي تتلوها توضيح للنهي الوارد في أوّل السورة ، و المراد بالّذين لم يقاتلوا المؤمنين في الدين و لم يخرجوهم غير أهل مكّة ممّن لم يقاتلوهم و لم يخرجوهم من ديارهم من المشركين من أهل المعاهدة ،

و البرّ الإحسان ، و الإقساط المعاملة بالعدل ، و « أن تبرّوهم » بدل من « الّذين » الخ ، و قوله : « إنّ الله يحبّ المقسطين » تعليل لقوله : « لاينهاكم الله » الخ.

و المعنى لاينهاكم الله بقوله : « لا تتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء » عن أن تحسنوا و تعاملوا بالعدل الّذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم لأنّ ذلك منكم إقساط و الله يحبّ المقسطين .

قيل : إنّ الآية منسوخة بقوله : «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» التوبة:٥ و فيه أنّ الآية الّتي نحن فيها لاتشمل بإطلاقها إلّا أهل الذمّة و أهل المعاهدة و أمّا أهل الحرب فلا ، و آية التوبة إنّماتشمل أهل الحرب من المشركين دون أهل المعاهدة فكيف تنسخ مالا يزاحمها في الدلالة .

**قوله تعالى** : « إنّما ينهاكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم » الخ المراد بالّذين قاتلوكم الخ مشركو مكّة ، والمظاهرة على الإخراج المعاونة و المعاضدة عليه ، و قوله : « أن تولّوهم» بدل من الّذين قاتلوكم » الخ .

و قوله : «و من يتولّهم فاُولئك هم الظالمون » قصر إفراد أي المتولّون لمشركي مكّة و من ظاهرهم على المسلمين هم الظالمون المتمرّدون عن النهي دون مطلق المتولّين للكفّار أو تأكيد للنهي عن تولّيهم .

## «بحث روائي»

في تفسير القمّي في قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء» الآية : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، و لفظ الآية عامّ و معناها خاصّ و كان سبب ذلك أنّ حاطب بن أبي بلتعة قد أسلم و هاجر إلى المدينة و كان عياله بمكّة ، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وآله فصاروا إلى عيال حاطب و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب و يسألوه عن خبر محمّد هل يريد أن يغزو مكّة؟

فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك فكتب إليهم حاطب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمّى صفيّة فوضعته في قرونها ومرّت فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين والزبير بن العوّام في طلبها فلحقوها فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي شيء ففتّشاها فلم يجدا معها شيئاً فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، و لا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله على جبرئيل، و لا كذب جبرئيل على الله جلّ ثناؤه، و الله لتظهرنّ الكتاب أو لأردنّ رأسك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: تنحّيا عنّي حتّى اُخرجه فأخرجت الكتاب من قرونها فأخذه أمير المؤمنين و جاء به إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيّرت ولا بدّلت، و إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، و أنّك رسول الله حقّا و لكن أهلي و عيالي كتبوا إليّ بحسن صنيع قريش إليهم فأحببت أن اُجازي قريشا بحسن معاشرتهم، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ـ إلى قوله ـ والله بما تعملون بصير».

و في الدّر المنثور أخرج أحمد والحميديّ وعبد بن حميد والبخاريّ ومسلم وأبوداود و الترمذيّ و النسائيّ و أبوعوانة و ابن حبّان و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و البيهقيّ و أبو نعيم معاً في الدلائل عن عليّ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا و الزبير و المقداد فقال: انطلقوا حتّى تأتوا روضة [1] خاخ فإنّ بها ظعينة [2] معها كتاب فخذوه منها وأتوني به.

فخرجنا حتّى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب. قالت:

---

(١) موضع فى طريق مكة.

(٢) الظعينة المسافرة.

ما معي كتاب قلنا : لتخرجنّ الكتاب أو لنلقينّ الثياب فأخرجته من عقاصها .

فأتينا به النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى اُناس من المشركين بمكّة ، يخبرهم ببعض أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لاتعجل عليّ يا رسول الله إنّي كنت امرءً ملصقاً من قريش و لم أكن من أنفسها و كان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكّة فأحببت إذفاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون بها قرابتي ومافعلت ذلك كفراً ولاارتداداً عن ديني فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : صدق .

فقال عمر : دعني يا رسول الله فأضرب عنقه فقال : إنّه شهد بدرا و ما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ونزلت فيه «ياأيّها الذين آمنوا لاتتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة» .

**اقول** : وهذا المعنى مرويّ في عدّة من الروايات عن نفر من الصحابة كأنس و جابر و عمر وابن عبّاس و جمع من التابعين كحسن وغيره .

و الرواية من حيث متنها لاتخلو من بحث :

أمّا أوّلاً فلأنّ ظاهرها بل صريحها أنّ حاطب بن أبي بلتعة كان يستحقّ بصنعة ما صنع القتل أو جزاء دون ذلك ، و إنّما صرف عنه ذلك كونه بدريّاً فالبدريّ لا - يؤاخذ بما أتى به من معصية كما يصرّح به قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمر في هذه الرواية : «إنّه شهد بدرا» وفي رواية الحسن : إنّهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر إنّهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر إنّهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر .

و يعارضه ما في قصّة الإفك أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد ما نزلت براءة عائشة حدّ مسطّح بن أثاثة وكان من الآفكين ، و كان مسطّح بن أثاثة هذا من السابقين الأوّلين من المهاجرين و ممّن شهد بدراً كما في صحيحي البخاريّ و مسلم و حدّه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما نطقت به الروايات الكثيرة الواردة في تفسير آيات الإفك .

و أمّا ثانيا فلأنّ ما يشتمل عليه من خطابه تعالى لأهل بدر «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» الدالّ على كون كلّ ما أتوا به من ذنب مغفوراً لهم لا يتمّ بالبداهة

إلّا بارتفاع عامّة التكاليف الدينيّة عنهم من واجب أو حرام أو مستحبّ أو مكروه ، ولا معنى لتعلّق التكليف المولويّ بأمر مع إلغاء تبعة مخالفته و تسوية الفعل و الترك بالنسبة إلى المكلّف كما يدلّ عليه قوله : « اعملوا ما شئتم » على بداهة ظهوره في الإباحة العامّة .

و لازم ذلك :

أوّلاً شمول المغفرة من المعاصي لما يحكم بداهة العقل على عدم شمول العفو له لولا التوبة كعبادة الأصنام و الردّ على الله و رسوله و تكذيب النبيّ و الافتراء على الله و رسوله و الاستهزاء بالدين و أحكامه الثابتة بالضرورة ، فإنّ الآيات المتعرّضة لها الناهية عنها تأبى شمول المغفرة لها من غير توبة ، و مثلها قتل النفس المحترمة ظلما و الفساد في الأرض و إهلاك الحرث و النسل ، و استباحة الدماء و الأعراض و الأموال .

و من المعلوم أنّ المحذور إمكان تعلّق المغفرة بأمثال هذه المعاصي و الذنوب لا فعليّة تعلّقها بها فلا يدفع بأنّ الله سبحانه يحفظ هذا المكلّف المغفور له من اقتراف أمثال هذه المعاصي و الذنوب وإن كان غفر له لو اقترف .

و ثانياً أن يخصّص قوله : «اعملوا ما شئتم» عمومات جميع الأحكام الشرعيّة من عبادات و معاملات من حيث المتعلّق فلا يعمّ شيء منها البدريّين ولايتعلّق بهم ، و لو كان كذلك لكان معروفا عند الصحابة مسلّما لهم أنّ هؤلاء العصابة محرّرون من كلّ تكليف دينيّ مطلقون من قيد وظائف العبوديّة و كان البدريّون أنفسهم أحقّ برعاية معنى التحرير فيما بينهم أنفسهم على ما له من الأهمّيّة ، ولاشاهد يشهد بذلك في المرويّ من أخبارهم والمحفوظ من آثارهم بل المستفاد من سيرهم و خاصّة في خلال الفتن الواقعة بعد رحلة النبيّ ﷺ خلاف ذلك بما لايسع لأحد إنكاره .

على أنّ تحرير قوم ذوي عدد من الناس و إطلاقهم من قيد التكليف لهم أن يفعلوا مايشاؤن و أن لايبالوا بمخالفة الله و رسوله وإن عظمت ما عظمت يناقض مصلحة الدعوة الدينيّة و فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بثّ المعارف الإلهيّة

الّتي جاء بها الرسول بالرواية عنه إذ لا يبقى للناس بهم وثوق فيما يقولون و يروون من حكم الله ورسوله أن لاضير عليهم و لوأتوا بكلّ كذب و افتراء أواقترفوا كلّ منكر و فحشاء و الناس يعلمون منهم ذلك .

و يجري ذلك في النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو سيّد أهل بدر و قد أرسله [1] الله شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً فكيف تطمئنّ القلوب إلى دعوة من يجوز تلبّسه بكلّ كذب و افتراء ومنكر و فحشاء ؟ وأنّى تسلم النفوس له الاتّصاف بتلك الصفات الكريمة الّتي مدحه الله بها ؟ بل كيف يجوز في حكمته تعالى أن يقلّد الشهادة و الدعوة من لا يؤمن في حال أو مقال ، و يعدّه سراجاً منيراً و هو تعالى قد أباح له أن يحيي الباطل كما ينير الحقّ و أذن له في أن يضلّ الناس و قد بعثه ليهديهم و الآيات المتعرّضة لعصمة الأنبياء وحفظ الوحي تأبى ذلك كلّه .

على أنّ ذلك يفسد استقامة الخطاب في كثير من الآيات الّتي فيها عتاب الصحابة والمؤمنين على بعض تخلّفاتهم كالآيات النازلة في وقعة اُحد و الأحزاب و حنين وغيرها المعاتبة لهم على انهزامهم و فرارهم من الزحف و قد أوعد الله عليه النار .

ومن أوضح الآيات في ذلك آيات الإفك وفي أهل الإفك مسطّح بن أثاثة البدريّ وفيها قوله تعالى : «لكلّ امرء منهم ما اكتسب من الإثم» ولم يستثن أحداً منهم ، وقوله: «و هو عند الله عظيم» ، و قوله : «يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين» .

و من أوضح الآيات في عدم ملازمة معناها للرواية نفس هذه الآيات الّتي تذكر الرواية سبب نزولها : «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة» الآيات وفيها مثل قوله تعالى : «ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل» وقوله : «ومن يتولّهم فاُولئك هم الظالمون» .

فمن المعلوم أنّ الآيات إنّما وجّهت الخطاب والعتاب إلى عامّة الّذين آمنوا و تنسب إلقاء المودّة و إسرار مودّة الكفّار إلى المؤمنين بما أنّ بعضهم و هو حاطب بن أبي بلتعة اتّخذ الكفّار أولياء وخان الإسلام والمسلمين فنسبت الآيات فعل البعض إلى

---

(١) الاية ٤٥ - ٤٦ من سورة الاحزاب .

الكلّ و وجّهت العتاب و التهديد إلى الجميع .

فلو كان حاطب و هو بدري محرّر مرفوع عنه القلم مخاطباً بمثل قوله : اعمل ما شئت فقد غفرت لك لا إثم عليه فيما يفعل و لا ضلال في حقّه و لا يتّصف بظلم ولا يتعلّق به عتاب ولا تهديد فأيّ وجه لنسبة فعل البعض بما له من الصفات غير المرضيّة إلى الكلّ ولا صفة غير مرضيّة لفعل هذا البعض على الفرض .

فيؤل الأمر إلى فرض أن يأتي البعض بفعل مأذون له فيه لاعتاب عليه ولالوم يعتريه ويعاتب الكلّ ويهدّدوا عليه و بعبارة اُخرى أن يؤذن لفاعل في معصية ثمّ يعاتب عليها غيره ولا صنع له فيها ويجلّ كلامه تعالى عن مثل ذلك.

و فيه أخرج البخاريّ و ابن المنذر و النحّاس و البيهقيّ في شعب الإيمان عن أسماء بنت أبي بكر قالت : أتتنى اُمّي راغبة و هي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أأصلها ؟ فأنزل الله « لا ينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدين» فقال : نعم صلي .

وفيه أخرج أبو داود في تاريخه وابن المنذر عن قتادة « لا ينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدين» نسختها «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» .

**أقول** : قد عرفت الكلام فيه .

و في الكافي باسناده عن سعيد الأعرج عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله و تعطي في الله و تمنع في الله جلّ و عزّ .

و في تفسير القمّي بإسناده إلى إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له .

☆ ☆ ☆

يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن و آتوهم ما أنفقوا و لا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن و لا تمسكوا بعصم الكوافر و اسئلوا ما أنفقتم و ليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠) و ان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون (١١) يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين و لا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصينك في معروف فبايعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم (١٢) يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (١٣) .

## ﴿ بيان ﴾

**قوله تعالى :** «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن» الآية سياق الآية يعطي أنها نزلت بعد صلح الحديبية ، و كان في العهد المكتوب بين

النبيّ صلى الله عليه وآله و بين أهل مكّة أنّه إن لحق من أهل مكّة رجل بالمسلمين ردّوه إليهم و إن لحق من المسلمين رجل بأهل مكّة لم يردّوه إليهم ثمّ إنّ بعض نساء المشركين أسلمت و هاجرت إلى المدينة فجاء زوجها يستردّها فسأل النبيّ صلى الله عليه وآله أن يردّها إليه فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الّذي شرطوه في العهد ردّ الرجال دون النساء و لم يردّها إليهم و أعطاه ما أنفق عليها من المهر و هو الّذي تدلّ عليه الآية مع ما يناسب ذلك من أحكامهنّ .

فقوله : «ياأيّها الّذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» سمّاهنّ مؤمنات قبل امتحانهنّ والعلم بإيمانهنّ لتظاهرهنّ بذلك .

وقوله : «فامتحنوهنّ» أي اختبروا إيمانهنّ بما يظهر به ذلك من شهادة وحلف يفيد العلم و الوثوق و في قوله : «الله أعلم بإيمانهنّ» إشارة إلى أنّه يجزي في ذلك العلم العاديّ و الوثوق دون اليقين بحقيقة الإيمان الّذي هو تعالى أعلم به علماً لا ـ يتخلّف عنه معلومه .

و قوله : «فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار» ذكرهم بوصف الإيمان للإشارة إلى أنّه السبب للحكم و انقطاع علقة الزوجيّة بين المؤمنة والكافر.

و قوله : «لاهنّ حلّ لهم ولاهم يحلّون لهنّ» مجموع الجملتين كناية عن انقطاع علقة الزوجيّة ، وليس من توجيه الحرمة إليهنّ و إليهم في شيء .

و قوله : «وآتوهم ما أنفقوا» أي أعطوا الزوج الكافر ما أنفق عليها من المهر.

و قوله : «و لاجناح عليكم أن تنكحوهنّ إذا آتيتموهنّ اُجورهنّ» رفع المانع من نكاح المؤمنات المهاجرات إذا اُوتين اُجورهنّ و الأجر المهر .

و قوله : «و لا تمسكوا بعصم الكوافر» العصم جمع عصمة وهي النكاح الدائم يعصم المرءة و يحصنها ، و إمساك العصمة إبقاء الرجل ـ بعد ما أسلم ـ زوجته الكافرة على زوجيّتها فعليه بعد ما أسلم أن يخلّي عن سبيل زوجته الكافرة سواء كانت مشركة أو كتابيّة .

وقد تقدّم في تفسير قوله : «ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» البقرة : ٢٢١ ،

و قوله : «و المحصنات من الّذين اُوتوا الكتاب من قبلكم» المائدة : ٥ أن لا نسخ بين الآيتين و بين الآية الّتي نحن فيها .

و قوله : « و اسألوا ماأنفقتم و ليسألواما أنفقوا » ضمير الجمع في « و اسألوا » للمؤمنين و في « ليسألوا » للكفّار أي إن لحقت امرأة منكم بالكفّار فاسألوهم ما أنفقتم لها من مهر و لهم أن يسألوا مهر من لحقت بكم من نسائهم .

ثمّ تمّم الآية بالإشارة إلى أنّ ما تضمّنته الآية حكم الله الّذي شرع لهم فقال: «ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم» .

**قوله تعالى** : «و إن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفّار فعاقبتم فآتوا الّذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا » الخ قال الراغب : الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذّر إدراكه قال تعالى : «وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفّار». انتهى وفسّر المعاقبة و العقاب بمعنى الوصول و الانتهاء إلى عقبى الشيء و المراد عاقبتم من الكفّار أي أصبتم منهم غنيمة و هي عقبى الغزو ، و قيل : عاقب بمعنى عقّب ، و قيل : عاقب مأخوذ من العقبة بمعنى النوبة .

و الأقرب أن يكون المراد بالشيء المهر و «من» في «من أزواجكم» لابتداء الغاية و« إلى الكفّار» متعلّق بقوله : «فاتكم» والمراد بالّذين ذهبت أزواجهم، بعض المؤمنين و إليهم يعود ضمير «أنفقوا».

و المعنى و إن ذهب و انفلت منكم إلى الكفّار مهر من أزواجكم بلحوقهنّ بهم و عدم ردّهم ما أنفقتم من المهر إليكم فأصبتم منهم بالغزو غنيمة فأعطوا المؤمنين الّذين ذهبت أزواجهم إليهم ممّا أصبتم من الغنيمة مثل ما أنفقوا من المهر .

و فسّرت الآية بوجوه اُخرى بعيدة عن الفهم أغمضنا عنها .

و قوله : « و اتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون » أمر بالتقوى ، و توصيفه تعالى بالموصول والصلة لتعليل الحكم فإنّ من مقتضى الإيمان بالله تقواه .

**قوله تعالى** : «يا أيّها النبيّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك » الخ تتضمّن الآية حكم بيعة النساء المؤمنات للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد شرطت عليهنّ في « على أن لاتشركن»

الخ اُموراً منها ما هو مشترك بين الصنفين : الرجال و النساء كالتحرّز من الشرك و من معصية الرسول في معروف و منها ما هو أمسّ بهنّ من حيث أنّ تدبير المنزل بحسب الطبع إليهنّ و هنّ السبيل إلى حفظ عفّة البيت و الحصول على الأنسال و طهارة مواليدهم ، وهي التجنّب من السرقةوالزنا وقتل الأولاد و إلحاق غير أولاد أزواجهنّ بهم ، وإن كانت هذه الاُمور بوجه من المشتركات.

فقوله : «ياأيّهاالنبيّ إذاجاءك المؤمنات يبايعنك» شرط جوابه قوله : «فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله» .

و قوله : «على أن لايشركن بالله شيأً» أي من الأصنام و الأوثان و الأرباب ، و هذا شرط لاغنى عنه لانسان في حال .

و قوله : «و لايسرقن» أي لامن أزواجهنّ ولا من غيرهم وخاصّة من أزواجهنّ كما يفيده السياق ، و قوله : « ولا يزنين» أي باتّخاذ الأخدان وغير ذلك وقوله : « و لايقتلن أولادهنّ» بالوءد وغيره وإسقاط الأجنّة .

و قوله : «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ و أرجلهنّ» و ذلك بأن يحملن من الزنا ثمّ يضعنه و ينسبنه إلى أزواجهنّ فإلحاقهنّ الولد كذلك بأزواجهنّ و نسبته إليهم كذباً بهتان يفترينه بين أيديهنّ و أرجلهنّ لأنّ الولد إذا وضعته اُمّه سقط بين يديها و رجليها ، ولا يغني عن هذا الشرط شرط الاجتناب عن الزنا لأنّهما متغايران وكلّ مستقلّ بالنهي والتحريم .

و قوله : « و لا يعصينك في معروف » نسب المعصية إلى النبيّ ﷺ دون الله مع أنّها تنتهي إليه تعالى لأنّ المرادأن لا يتخلّفن بالمعصية عن السنّة التي يستنّها النبيّ ﷺ و ينفذها في المجتمع الإسلاميّ فيكون ما سنّه هو المعروف عند المسلمين وفي المجتمع الإسلاميّ .

و من هنا يظهر أنّ المعصية في المعروف أعمّ من ترك المعروف كترك الصلاة و الزكاة وفعل المنكر كتبرّجهنّ تبرّج الجاهليّة الاُولى .

و في قوله «إنّ الله غفور رحيم» بيان لمقتضى المغفرة وتقوية للرجاء .

**قوله تعالى** : «يا أيّها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم» الخ المراد بهم اليهود المغضوب عليهم و قد تكرّر في كلامه تعالى فيهم « و باءوا بغضب من الله » البقرة : ٦١ و يشهد بذلك ذيل الآية فانّ الظاهر أنّ المراد بالقوم غير الكفّار .

وقوله : «يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور» المراد بالآخرة ثوابها ، و المراد بالكفّار الكافرون بالله المنكرون للبعث ، و قيل : المراد مشركوا مكّة واللاّم للعهد ، و«من» في «من أصحاب القبور» لابتداء الغاية .

و الجملة بيان لشقائهم الخالد و هلاكهم المؤبّد ليحذر المؤمنون من موالاتهم وموادّتهم والاختلاط بهم والمعنى قديئس اليهودمن ثواب الآخرة كما يئس منكروا البعث من الموتى المدفونين في القبور .

وقيل : المراد بالكفّار الّذين يدفنون الموتى و يوارونهم في الأرض - من الكفر بمعنى الستر.

و قيل : المراد بهم كفّار الموتى و «من» بيانيّة و المعنى يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفّار المدفونون في القبور منه لقوله : «إنّ الّذين كفروا وماتوا وهم كفّار اُولئك عليهم لعنة الله» البقرة : ١٦١ .

## ﴿بحث روائي﴾

في المجمع عن ابن عبّاس صالح رسول الله صلى الله عليه وآله بالحديبيّة مشركي مكّة على أنّ من أتاه من أهل مكّة ردّه عليهم ، و من أتى أهل مكّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فهو لهم ولم يردّوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه .

فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبيّ صلى الله عليه وآله بالحديبيّة فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - و قال مقاتل : هو صيفيّ بن الراهب - في طلبها و كان كافراً فقال : يا محمّد اردد عليّ امرأتي فإنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منّا و هذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد فنزلت الآية « يا أيّها الّذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهنّ » .

قال ابن عبّاس : امتحانهنّ أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ، و لا رغبة عن أرض إلى أرض ، و لا التماس دنيا ، و ما خرجت إلّا حبّاً لله و لرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها ، ولا عشقاً لرجل منّا ، و ما خرجت إلّارغبة في الاسلام فحلفت باللهالّذي لا إله إلّا هو على ذلك فأعطى رسولالله ﷺ زوجهامهرها و ما أنفق عليها و لم يردّها عليه فتزوّجها عمربن الخطّاب .

فكان رسول الله ﷺ يردّ من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن و يعطي أزواجهنّ مهورهنّ .

قال : قال الزهريّ : و لمّا نزلت هذه الآية و فيها قوله : « و لا تمسكوا بعصم الكوافر » طلّق عمربن الخطّاب امرأتين كانتاله بمكّة مشركتين : قرنية [1] بنت أبي اُمّية بن المغيرة فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان و هما على شركهما بمكّة ، و الأخرى اُمّ كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعيّة اُمّ عبدالله بن عمر فتزوّجها أبوجهم بن حذاقة بن غانم رجل من قومها وهما على شركهما .

و كانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرّق بينهما الاسلام حين نهى القرآن عن التمسّك بعصم الكوافر ، و كان طلحة قد هاجر و هي بمكّة عند قومها كافرة ثمّ تزوّجها في الاسلام بعد طلحة خالدبن سعيدبن العاص بن اُمّية ، و كانت ممّن فرّت إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفّار فحبسها و زوّجها خالدا .

واُميمة بنت بشر كانت عند الثابت بن الدحداحة ففرّت منه ـ و هو يومئذ كافر ـ إلى رسول الله ﷺ فزوّجها رسول الله ﷺ سهل بن حنيف فولدت عبدالله بن سهل.

قال : قال الشعبيّ : و كانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبيّ ﷺ في المدينة و أقام أبو العاص مشركاً بمكّة ثمّ أتى المدينة فآمنته زينب ثمّ أسلم فردّها عليه رسول الله ﷺ .

---

(١) قريبة خ

قال : و قال الجبّائي : لم يدخل في شرط صلح الحديبيّة إلّا ردّ الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر ، و إنّ اُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكّة فجاءأخواها إلى المدينةفسألا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردّها عليهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الشرط بيننا في الرجال لافي النساء فلم يردّها عليهما .

**أقول** : و هذه المعاني مرويّة في روايات اُخرى من طرق أهل السنّة أورد كثيرا منها السيوطيّ في الدرّ المنثور ، و روى امتحان المهاجرات كما تقدّم ثمّ عدم ردّهنّ على الكفّار و إعطائهم المهر القمّي في تفسيره .

وفيه و قال الزهريّ : فكان جميع من لحق بالمشركين من نساءالمؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ستّ نسوة : اُمّ الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شدّاد الفهريّ ، و فاطمة بنت أبي اُميّة بن المغيرة اُخت اُمّ سلمة كانت تحت عمر بن الخطّاب فلمّا أراد عمر أن يهاجر أبت و ارتدّت ، و بروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان ، و عبدة بنت عبد العزّى بن فضلة و زوجها عمرو بن عبدودّ ، وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل ، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهور نسائهم من الغنيمة .

وفي الكافي بإسناده عن زرارةعن أبي جعفر عليه السلام قال : لاينبغي نكاح أهل الكتاب قلت : جعلت فداك وأين تحريمه ؟ قال : قوله : «و لاتمسكوا بعصم الكوافر» .

**أقول** : و الروايةمبنيّةعلى عموم الإمساك بالعصم للنكاح الدائم إحداثاوإبقاء .

و فيه بإسناده أيضاً إلى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : «و المحصنات من الّذين اُوتوا الكتاب من قبلكم» فقال : هذه منسوخة بقوله : «ولاتمسكوا بعصم الكوافر» .

**أقول** : و لعلّ المراد بنسخ آية الإمساك بالعصم لآية حلّيّة محصنات أهل الكتاب إختصاص آية الممتحنة بالنكاح الدائم وتخصّص آية المائدة بالنسبة إلى النكاح الدائم بها ، و اختصاص ما تدلّ عليه من الحلّيّة بالنكاح المنقطع ، و ليس المراد به النسخ المصطلح كيف ؟ و آية الممتحنة سابقة نزولاً على آية المائدة و لا وجه لنسخ

السابق للاّحق . على أنّ آية المائدة مسوقة سوق الامتنان ، و ما هذا شأنه يأبى النسخ .

و في المجمع في قوله تعالى : «و المحصنات من الّذين اُوتوا الكتاب »و روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنّه منسوخ بقوله :«و لاتنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» و بقوله : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» .

**أقول** : ويضعّف الرواية - مضافاً إلى ضعف راويها ـ أنّ قوله : «و لا تنكحوا المشركات » الخ إنّما يشمل المشركات من الوثنيّين ، و قوله : «و المحصنات» الخ يفيد حلّيّة نكاح أهل الكتاب فلا تدافع بين الآيتين حتّى تنسخ إحداهما الاُخرى ، و قد تقدّم آنفاً الكلام في نسخ آية الممتحنة لقوله : «و المحصنات» الخ و قد تقدّم في تفسير قوله : « و المحصنات من الّذين اُوتوا الكتاب من قبلكم » المائدة : ٥ ما ينفع في هذا المقام .

و في تفسير القمىّ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام « و إن فاتكم شيء من أزواجكم » فلحقن بالكفّار من أهل عهدكم فاسألوهم صداقها ، و إن لحقن بكم من نسائهم شيء فأعطوهم صداقها ذلكم حكم الله يحكم بينكم .

**اقول** : ظاهره تفسير «شيء» بالمرأة .

وفي الكافي بإسناده عن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة بايع الرجال ثمّ جاءت النساء يبايعنه فأنزل الله عزّ و جلّ « يا أيّها النبيّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك» إلى آخر الآية .

قالت هند : أمّا الولد فقد ربّيناهم صغاراً و قتلتهم كباراً ، و قالت اُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام و كانت عند عكرمة بن أبي جهل : يا رسول الله ماذاك المعروف الّذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه ؟ قال : لاتلطمن خدّاً ، ولا تخمشن وجها ، ولاتنتفن شعراً ، ولا تشققن جيبا ، ولاتسوّدن ثوبا ، و لا تدعين بويل فبايعهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا .

فقالت : يا رسول الله كيف نبايعك ؟ قال : إنّنى لا اُصافح النساء فدعا بقدح

من ماء فأدخل يده ثمّ أخرجها فقال : أدخلن أيديكنّ في هذا الماء .

**أقول** : و الروايات مستفيضة في هذه المعاني من طرق الشيعة وأهل السنّة.

و في تفسير القمّي بإسناده عن عبدالله بن سنان قال : سألت أباعبدالله عليه‌السلام عن قول الله : «ولا يعصينك في معروف» قال : هو ما فرض الله عليهنّ من الصلاة و الزكاة وما أمرهنّ به من خير .

**أقول** : و الرواية تشهد بأنّ ما ورد في الروايات من تفسير المعروف بمثل قوله: لاتلطمن خدّاً الخ و في بعضها أن لاتتبرّجن تبرّج الجاهليّة الاُولى من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق .



﴿سورة الصف مدنيّة و هي أربع عشرة آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلّٰهِ ما فِي السَّموٰاتِ وَ ما فِي الْاَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (٣) اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَ اِذْ قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (٥) وَ اِذْ قالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي اِسْرائِيلَ اِنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعىٰ اِلَى الْاِسْلامِ وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) .

## ﴿بيان﴾

السورة ترغّب المؤمنين و تحرّضهم على أن يجاهدوا في سبيل الله و يقاتلوا أعداء دينه ، و تنبّؤهم أنّ هذا الدين نور ساطع لله سبحانه يريد الكفّار من أهل الكتاب أن

يطفؤه بأفواههم و الله متمّه و لو كره الكافرون ، و مظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون .

و أنّ هذا النبيّ الّذي آمنوا به رسول من الله أرسله بالهدى و دين الحقّ ، و بشّر به عيسى بن مريم عليهما السلام بني إسرائيل .

فعلى المؤمنين أن يشدّوا العزم على طاعته و امتثال ما يأمرهم به من الجهاد و نصرة الله في دينه حتّى يسعدهم الله في آخرتهم و ينصرهم و يفتح لهم في دنياهم ويؤيّدهم على أعدائهم .

و عليهم أن لايقولوا ما لا يفعلون ولا ينكصوا فيما يعدون فإنّ ذلك يستوجب مقتاً من الله تعالى و إيذاء الرسول وفيه خطر أن يزيغ الله قلوبهم كما فعل بقوم موسى عليه السلام لمّا آذوه وهم يعلمون أنّه رسول الله إليهم والله لايهدي القوم الظالمين.

و السورة مدنيّة بشهادة سياق آياتها .

**قوله تعالى** : «سبّح لله ما في السماوات و ما في الأرض و هو العزيز الحكيم» تقدّم تفسيره ، و افتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم مالايفعلون و إنذارهم بمقت الله وإزاغته قلوب الفاسقين .

**قوله تعالى** : «يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون» «لم» مخفّف لما ، و «ما» استفهاميّة ، و اللاّم للتعليل ، والكلام مسوق للتوبيخ ففيه توبيخ المؤمنين على قولهم مالايفعلون ولايصغى إلى قول بعض المفسّرين: أنّ المراد بالّذين آمنوا هم المنافقون و التوبيخ لهم دون المؤمنين لجلالة قدرهم .

و ذلك لوفور الايات المتضمّنة لتوبيخهم و معاتبتهم و خاصّة في الآيات النازلة في الغزوات وما يلحق بها كاُحد و الأحزاب و حنين و صلح الحديبيّة و تبوكوالإنفاق في سبيل الله و غير ذلك ، و الصالحون من هؤلاء المؤمنين إنّما صلحوا نفساً و جلّواقدراً بالتربية الإلهيّة الّتي تتضمّنها أمثال هذه التوبيخات والعتابات المتوجّهة إليهم تدريجا ولم يتّصفوا بذلك من عند أنفسهم .

ومورد التوبيخ وإن كان بحسب ظاهر لفظ الآية مطلق تخلّف الفعل عن القول وخلف

الوعد و نقض العهد وهو كذلك لكونه من آثار مخالفة الظاهر للباطن و هو النفاق لكن سياق الآيات و فيها قوله : «إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً» وما سيأتي من قوله : «يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة» الخ و غير ذلك يفيد أنّ متعلّق التوبيخ كان هو تخلّف بعضهم عمّا وعده من الثبات في القتال و عدم الانهزام و الفرار أو تثاقلهم أو تخلّفهم عن الخروج أو عدم الإنفاق في تجهّز أنفسهم أو تجهيز غيرهم .

**قوله تعالى** : «كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون» المقت البغض الشديد، و الآية في مقام التعليل لمضمون الآية السابقة فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول ما لايفعله لأنّه من النفاق ، و أن يقول الإنسان ما لا يفعله غير أن لا يفعل ما يقوله فالأوّل من النفاق و الثاني من ضعف الإرادة و وهن العزم و هو رذيلة منافية لسعادة النفس الإنسانيّة فانّ الله بنى سعادة النفس الانسانيّة على فعل الخير و إكتساب الحسنة من طريق الاختيار و مفتاحه العزم والإرادة ،ولاتأثير إلّا للراسخ من العزم و الارادة ، و تخلّف الفعل عن القول معلول وهن العزم و ضعف الإرادة و لا يرجى للإنسان مع ذلك خير ولا سعادة .

**قوله تعالى** : «إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص» الصفّ جعل الأشياء على خطّ مستو كالناس و الأشجار . كذا قاله الراغب ، وهومصدر بمعنى إسم الفاعل و لذا لم يجمع ، وهو حال من ضمير الفاعل في« يقاتلون » و المعنى يقاتلون في سبيله حال كونهم صافّين .

و البنيان هو البناء ، و المرصوص من الرصاص ، و المراد به ما اُحكم من البناء بالرصاص فيقاوم ما يصادمه من أسباب الانهدام .

و الآية تعلّل خصوص المورد - و هو أن يعدوا الثبات في القتال ثمّ ينهزموا - بالالتزام كما أنّ الآية السابقة تعلّل التوبيخ على مطلق أن يقولوا مالا يفعلون ، وذلك أنّ الله سبحانه إذا أحبّ الّذين يقاتلون فيلزمون مكانهم ولايزولون كان لازمه أن يبغض الّذين يعدون أن يثبتوا ثمّ ينهزمون إذا حضروا معركة القتال .

**قوله تعالى** : «و إذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني و قد تعلمون أنّي رسول

الله إليكم » الخ في الآية إشارة إلي إيذاء بني إسرائيل رسولهم موسى عليه السلام و لجاجهم حتّى آل إلى إزاغة الله قلوبهم . و في ذلك نهي إلزامي للمؤمنين عن أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيؤل أمرهم إلى ما آل إليه أمر قوم موسى من إزاغة القلوب و قد قال تعالى : « إنّ الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعدّ لهم عذابا مهينا » الأحزاب : ٥٧ .

و الآية بما فيها من النهي الإلزامي في معنى قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا لاتكونوا كالّذين آذوا موسى فبرّأه الله ممّا قالوا وكان عندالله وجيها يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديدا» الأحزاب : ٧٠ .

و سياق الآيتين و ذكر تبرئة موسى عليه السلام يدلّ على أنّ المراد بإيذائه بما برّأه الله منه ليس معصيتهم لأوامره و خروجهم عن طاعته إذ لامعنى حينئذ لتبرئته بل هو أنّهم وقعوا فيه عليه السلام وقالوا فيه ما فيه عار وشين فتأذّى فبرّءه الله ممّا قالوا و نسبوا إليه، و قوله في الآية التالية : «اتّقوا الله و قولوا قولا سديدا» يؤيّد هذا الّذي ذكرناه .

و يؤيّد ذلك إشارته تعالى إلى بعض مصاديق إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقول أو فعل في قوله : «يا أيّها الّذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبيّ إلّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه و لكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يؤذي النبيّ ـ إلى أن قال ـ وإذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهنّ من وراء حجاب ـ إلى أن قال ـ و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلكم كان عند الله عظيما » الأحزاب : ٥٣ .

فتحصّل أنّ في قوله : «و إذ قال موسى لقومه» الخ تلويحاً إلى النهي عن إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقول أو فعل على علم بذلك كما أنّ في ذيل الآية تخويفا و إنذاراً أنّه فسق ربّما أدّى إلى إزاغته تعالى قلب من تلبّس به .

و قوله : « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم إنّ الله لايهدي القوم الفاسقين » الزيغ الميل عن الاستقامة ولازمه الانحراف عن الحقّ إلى الباطل .

و إزاغته تعالي إمساك رحمته و قطع هدايته عنهم كما يفيده التعليل بقوله : «إنّ

الله لا يهدي القوم الفاسقين » حيث علّل الإزاغة بعدم الهداية ، و هي إزاغة على سبيل المجازاة و تثبيت للزيغ الّذي تلبّسوا به أوّلاً بسبب فسقهم المستدعي للمجازاة كما قال تعالى : « يضلّ به كثيراً و يهدي به كثيرا و ما يضلّ به إلّا الفاسقين » البقرة : ٢٦ ، و ليس بإزاغة بدئيّة و إضلال ابتدائيّ لا يليق بساحة قدسه تعالى .

و من هنا يظهر فساد ما قيل : إنّه لا يجوز أن يكون المراد بقوله : « أزاغ الله قلوبهم» الإزاغة عن الإيمان لأنّ الله تعالى لا يجوز أن يزيغ أحداً عن الإيمان ، و أيضا كون المراد به الإزاغة عن الإيمان يخرج الكلام عن الفائدة لأنّهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد صاروا كفّاراً فلا معنى لقوله : أزاغهم الله عن الإيمان .

وجه الفساد أنّ قوله : « لا يجوز له تعالى أن يزيغ أحدا عن الإيمان » ممنوع بإطلاقه فإنّ الملاك فيه لزوم الظلم و إنّما يلزم فيما كان من الإزاغة و الإضلال ابتدائيّاً و أمّا ما كان على سبيل المجازاة و حقيقته إمساك الرحمة و قطع الهداية لتسبيب العبد لذلك بفسقه و إعراضه عن الرحمة و الهداية فلا دليل على منعه لا عقلا و لا نقلا .

و أمّا قوله : « إنّ الكلام يخرج بذلك عن الفائدة » فيدفعه أنّ الّذي ينسب من الزيغ إلى العبد و يحصل معه الكفر تحقّق مّا له بالفسق و الّذي ينسب إليه تعالى تثبيت الزيغ في قلب العبد و الطبع عليه به فزيغ العبد عن الإيمان بسبب فسقه وحصول الكفر بذلك لا يغني عن تثبيت الله الزيغ و الكفر في قلبه على سبيل المجازاة .

**قوله تعالى** : « و إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقا لما بين يديّ من التوراة و مبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » تقدّم في صدر الكلام أنّ هذه الآية و الّتي قبلها و الآيات الثلاث بعدها مسوقة لتسجيل أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رسول معلوم الرسالة عند المؤمنين أرسله الله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّه و لو كره الكافرون من أهل الكتاب ، و ما جاء به من الدين نور ساطع من عند الله يريد المشركون ليطفؤه بأفواههم و الله متمّ نوره و لو كره المشركون .

فعلى المؤمنين أن لا يؤذوه صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم يعلمون أنّه رسول الله إليهم ، و أن ينصروه و يجاهدوا في سبيل ربّهم لإحياء دينه و نشر كلمته .

و من ذلك يعلم أنّ قوله : « و إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل » الخ كالتوطئة لما سيذكر من كون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رسولا مبشّراً به من قبل أرسله الله بالهدى و دين الحقّ و دينه نوره تعالى يهتدي به الناس .

و الّذي حكاه تعالى عن عيسى بن مريم عليهما السلام أعني قوله : «يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة و مبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ملخّص دعوته و قد آذن بأصل دعوته بقوله : « إنّي رسول الله إليكم » فأشار إلى أنّه لاشأن له إلّا أنّه حامل رسالة من الله إليهم ، ثمّ بيّن متن ما اُرسل إليهم لأجل تبليغه في رسالته بقوله : «مصدّقا لما بين يديّ من التوراة و مبشّراً برسول» الخ.

فقوله : « مصدّقا لما بين يديّ من التوراة » بيان أنّ دعوته لاتغاير دين التوراة و لا تناقض شريعتها بل تصدّقها و لم تنسخ من أحكامها إلّا يسيرا و النسخ بيان انتهاء أمد الحكم و ليس بإبطال ، و لذا جمع عليه السلام بين تصديق التوراة و نسخ بعض أحكامها فيما حكاه الله تعالى من قوله : «و مصدّقا لما بين يديّ من التوراة و لاُحلّ لكم بعض الّذي حرّم عليكم » آل عمران : ٥٠ ، و لم يبيّن لهم إلّا بعض ما يختلفون فيه كما في قوله المحكي : « قد جئتكم بالحكمة و لاُبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه فاتّقوا الله و أطيعون » الزخرف : ٦٣ .

و قوله : « ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » إشارة إلى الشطر الثاني من رسالته عليه السلام و قد أشار إلى الشطر الأوّل بقوله : « مصدّقا لما بين يديّ من التوراة».

و من المعلوم أنّ البشرى هي الخبر الّذي يسرّ المبشّر و يفرّحه ولا يكون إلّا بشيء من الخير يوافيه و يعود إليه ، و الخير المترقّب من بعثة النبيّ و دعوته هو انفتاح باب من الرحمة الإلهية على الناس فيه سعادة دنياهم و عقباهم من عقيدة حقّة أو عمل صالح أو كليهما ، و البشرى بالنبيّ بعد النبيّ و بالدعوة الجديدة بعد حلول دعوة سابقة واستقرارها والدعوة الإلهيّة واحدة لاتبطل بمرور الدهور و تقضّي الأزمنة و اختلاف الأيّام و الليالي ـ إنّما تتصوّر إذا كانت الدعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقّة و الشرائع المعدّلة لأعمال المجتمع و أشمل لسعادة الإنسان في

دنياه و عقباه .

و بهذا البيان يظهر أنّ معنى قوله عليه السلام : « و مبشّراً برسول يأتي من بعدي » الخ يفيد كون ما أتى به النبيّ أحمد صلى الله عليه وآله أرقى و أكمل ممّا تضمّنته التوراة و بعث به عيسى عليه السلام و هو عليه السلام متوسّط رابط بين الدعوتين .

و يعود معنى كلامه : « إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً » الخ إلى أنّي رسول من الله إليكم أدعو إلى شريعة التوراة ومنهاجها ـ و لأحلّ لكم بعض الّذي حرّم عليكم ـ وهي شريعة سيكملها الله ببعث نبيّ يأتي من بعدي اسمه أحمد .

و هو كذلك فإمعان التأمّل في المعارف الإلهيّة الّتي يدعو إليها الإسلام يعطي أنّها أدقّ ممّا في غيره من الشرائع السماويّة السابقة و خاصّة ما يندب إليه من التوحيد الّذي هو أصل الاُصول الّذي يبتني عليه كلّ حكم ويعود إليه كلّ من المعارف الحقيقيّة وقد تقدّم شطر من الكلام فيه في المباحث السابقة من الكتاب .

و كذا الشرائع و القوانين العمليّة الّتي لم تدع شيئاً ممّا دقّ و جلّ من أعمال الإنسان الفرديّة و الاجتماعيّة إلّا عدّلته وحدّت حدوده وقرّرته على أساس التوحيد و وجّهته إلى غرض السعادة .

و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : «الّذين يتّبعون النبيّ الاُمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم» الأعراف : ١٥٧ ، وآيات اُخرى يصف القرآن .

و الآية أعني قوله : « و مبشّراً برسول يأتي من بعدي » و إن كانت مصرّحة بالبشارة لكنّها لا تدلّ على كونها مذكورة في كتابه عليه السلام غير أنّ آية الأعراف المنقولة آنفاً : «يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » و كذا قوله في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله : « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل » الآية الفتح : ٢٩ ، يدلّان على ذلك.

و قوله : «اسمه أحمد» دلالة السياق على تعبير عيسى عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله بأحمد وعلى كونه اسماً له يعرف به عند الناس كما كان يسمّى بمحمّد ظاهرة لاسترة عليها .

و يدلّ عليه قول حسّان :

صلّى الإله و من يحفّ بعرشه و الطيّبون على المبارك أحمد

و من أشعار أبي طالب قوله :

و قالوا لأحمد أنت امرء خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إنّ أحمد قد جاءهم بحقّ و لم يأتهم بالكذب

و قوله مخاطباً للعبّاس و حمزة وجعفر وعليّ يوصيهم بنصر النبيّ صلى الله عليه وآله :

كونوا فدى لكم اُمّي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا

و من شعره فيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمّاه باسمه الآخر محمّد :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتب

ويستفاد من البيت أنّهم عثروا على وجود البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماويّة الّتي كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك .

و يؤيّده أيضا إيمان جماعة من أهل الكتاب من اليهود و النصارى و فيهم قوم من علمائهم كعبدالله بن سلام و غيره و قد كانوا يسمعون هذه الآيات القرآنيّة الّتي تذكر البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم و ذكره في التوراة والإنجيل فتلقّوه بالقبول ولم يكذّبوه و لا أظهروا فيه شيأ من الشكّ و الترديد .

وأمّا خلوّ الأناجيل الدائرة اليوم عن بشارة عيسى عليه السلام بما فيها من الصراحة فالقرآن - و هو آية معجزة باقية - في غنى عن تصديقها ، وقد تقدّم البحث عن سندها و اعتبارها في الجزء الثالث من الكتاب .

و قوله : « فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين » ضمير « جاء » لأحمد - صلى الله عليه وآله ، وضمير «هم» لبني إسرائيل أولهم ولغيرهم ، والمراد بالبيّنات البشارة ومعجزة القرآن و سائر آيات النبوّة .

و المعنى فلمّا جاء أحمد المبشّر به بني إسرائيل أو أتاهم و غيرهم بالآيات البيّنة الّتي منها بشارة عيسى عليه السلام قالوا هذا سحر مبين ، و قرىء هذا ساحر مبين .

وقيل : ضمير «جاء» لعيسى عليه السلام ، والسياق لا يلائمه .

**قوله تعالى** : «ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب و هو يدعى إلى الإسلام» الخ الاستفهام للإنكار و هو ردّ لقولهم : «هذا سحر مبين» فإنّ معناه أنّ النبيّ ﷺ ليس برسول و أنّ ما بلّغه من دين الله ليس منه تعالى .

و المراد بالإسلام الدين الّذي يدعو إليه رسول الله بما أنّه تسليم لله فيما يريده و يأمر به من اعتقاد و عمل ، ولا ريب أنّ مقتضى ربوبيّته و اُلوهيّته تعالى تسليم عباده له تسليما مطلقا فلا ريب أنّ الدين الّذي هوالإسلام لله دينه الحقّ الذي يجب أن يدان به فدعوى أنّه باطل ليس من الله افتراء على الله .

و من هنا يظهر أنّ قوله : «و هو يدعى إلى الإسلام» يتضمّن الحجّة على كون قولهم : «هذا سحر مبين» افتراء على الله .

و الافتراء ظلم لا يرتاب العقل في كونه ظلما و ينهى عنه الشرع و يعظم الظلم بعظمة من وقع عليه فإذا كان هو الله سبحانه كان أعظم الظلم فلا أظلم ممّن افترى على الله الكذب .

و المعنى و لا أظلم ممّن افترى على الله الكذب ـ بنفي نسبة دين الله إليه ـ و الحال أنّه يدعى إلى دين الإسلام الّذي لا يتضمّن إلّا التسليم لله فيما أراد ولا ريب أنّه من الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

**قوله تعالى** : « يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم » الخ إطفاء النور إبطاله و إذهاب شروقه ، وإطفاء النور بالأفواه إنّما هو بالنفخ بها .

و قد وقعت الآية في سورة التوبة و فيها : «يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم» قال الراغب : قال تعالى : « يريدون أن يطفؤا نور الله » « يريدون ليطفؤا نور الله » و الفرق بين الموضعين أنّ في قوله : « يريدون أن يطفؤا » يقصدون إطفاء نور الله ، و في قوله : «ليطفؤا» يقصدون أمراً يتوصّلون به إلى إطفاء نورالله انتهى ، ومحصّله أنّ متعلّق الإرادة في قوله : « يريدون أن يطفؤا نور الله » نفس الإطفاء ، و في قوله : « يريدون ليطفؤا نور الله » السبب الموصل إلى الإطفاء و هو النفخ بالأفواه و الإطفاء غرض و غاية .

و الآية و ما يتلوها كالشارح لمعنى ما تقدّم في الآية السابقة من ظلمهم برمي الدعوة بالسحر و عدم هدايته تعالى لهم بما أنّهم ظالمون ، و المحصّل أنّهم يريدون إطفاء نور الله بنفخة أفواههم لكنّ الله لا يهديهم إلى مقصدهم بل يتمّ نوره و يظهر دينه على الدين كلّه .

فقوله : «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم» أي بالنفخ بالأفواه كما يطفأ الشمعة بالنفخة كناية عن أنّهم زعموا أنّ نور الله و هو دينه نور ضعيف كنور الشمعة يطفأ بأدنى نفخة فم فرموه بالسحر و انقطاع نسبته إلى الله .

و قد أخطأوا في مزعمتهم فهو نور الله الّذي لا يطفأ و قد شاء أن يتمّه و لو كره الكافرون و الله بالغ أمره ، وهو قوله : «و الله متمّ نوره ولو كره الكافرون».

**قوله تعالى** : «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» الإضافة في «دين الحقّ» بيانيّة كما قيل ، و الظاهر أنّها في الأصل إضافة لاميّة بعناية لطيفة هي أنّ لكلّ من الحقّ و الباطل دينا يقتضيه و يختصّ به ، و قد ارتضى الله تعالى الدين الّذي للحقّ ـ و هو الحقّ تعالى ـ فأرسل رسوله .

و إظهار شيء على غيره نصرته و تغليبه عليه ، والمراد بالدين كلّه كلّ سبيل مسلوك غير سبيل الله الّذي هو الإسلام و الآية في مقام تعليل قوله في الآية السابقة : « و الله متمّ نوره » والمعنى والله متمّ نوره لأنّه هو الّذي أرسل رسوله بنوره الّذي هو الهدى و دين الحقّ ليجعله غالباً على جميع الأديان و لو كره المشركون من أهل الأوثان .

و يستفاد من الآيتين أنّ دين الحقّ نور الله في الأرض كما يستفاد ذلك من قوله: «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح» الآية النور : ٣٥ و قد تقدّم في تفسير الآية .

## ﴿بحث روائی﴾

في تفسير القمي في قوله تعالى : «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» قال : يصطفون كالبنيان الذي لا يزول .

و في المجمع في قوله تعالى : «وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم» روي في قصة قارون أنه دس إليه امرأة و زعم أنه زنى بها ، و رموه بقتل هارون .

و في تفسير القمي في قوله تعالى : «و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» الآية قال : وسأل بعض اليهود لعنهم الله رسول الله صلى الله عليه وآله : لم سميت أحمد ومحمداً وبشيراً ونذيراً ؟ فقال : أما محمد فإني في الأرض محمود ، و أما أحمد فإني في السماء أحمد مني في الأرض ، و أما البشير فأبشر من أطاع الله بالجنة ، و أما النذير فأنذر من عصى الله بالنار .

و في الدر المنثور في الآية أخرج ابن مردويه عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إني عبدالله في أم الكتاب و خاتم النبيين و إن آدم لمنجدل في طينته و سوف أنبئكم تأويل ذلك ، أنا دعوة إبراهيم ، و بشارة عيسى قومه و رؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءله قصور الشام .

و في العيون بإسناده إلى صفوان بن يحيى صاحب السابري قال : سألني أبو قرة صاحب الجاثليق أن أوصله إلى الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك ، قال : أدخله علي فلما دخل عليه قبل بساطه و قال : هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا .

ثم قال : أصلحك الله ما تقول في فرقة ادعت دعوى فشهدت لهم فرقة اُخرى معدلون ؟ قال : الدعوى لهم ، قال : فادعت فرقة اُخرى دعوى فلم يجدوا شهوداً من غيرهم ؟ قال : لاشيء لهم .

قال : فإنا نحن ادعينا أن عيسى روح الله و كلمته فوافقنا على ذلك

المسلمون ، و ادّعى المسلمون أنّ محمّداً نبيّ فلم نتابعهم عليه ، و ما أجمعنا عليه خير ممّا افترقنا فيه .

فقال أبوالحسن عليه السلام : مااسمك ؟ قال : يوحنا قال : يا يوحنّا إنّا آمنّا بعيسى روح الله و كلمته الّذي كان يؤمن بمحمّد ويبشّر به و يقرّ على نفسه أنّه عبدمربوب فان كان عيسى الّذي هو عندك روح الله و كلمته ليس هو الّذي آمن بمحمّد وبشّر به و لا هو الّذي أقرّ لله بالعبوديّة فنحن منه براء فأين اجتمعنا ؟ فقام و قال لصفوان بن يحيى : قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس .

**اقول** : كأنّه يريدبقوله : «قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس » أنّ دخوله عليه السلام لم يفده فائدة حيث لم ينجح ما أتى به من الحجّة .

و في كمال الدين باسناده إلى يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان بين عيسى و محمّد صلّى الله عليهما خمس مائة عام منها مائتان و خمسون عاما ليس فيها نبيّ ولا عالم ظاهر ، قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا متمسّكين بدين عيسى عليه السلام ،قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا مؤمنين . ثمّ قال : ولا يكون إلّا و فيها عالم .

**اقول** : المراد بالعالم الامام الّذي هو الحجّة ، و هناك روايات واردة في قوله تعالى : «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم » ، و قوله : «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ» تذكر أنّ النور و الهدى و دين الحقّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و هي من الجري و التطبيق أو من البطن و ليست بمفسّرة ، و عدّ الفصل بين المسيح و بين محمّد صلّى الله عليه وآله خمس مائة عام يخالف ما عليه مشهور التاريخ لكنّ المحقّقين ذكروا أنّ في التاريخ الميلاديّ اختلالا و قد مرّت إشارة ما إلى ذلك في الجزء الثالث من الكتاب .

* * *

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار و مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) و اخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب و بشر المؤمنين (١٣) يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (١٤) .

## ﴿ بيان ﴾

دعوة للمؤمنين إلى الإيمان بالله و رسوله والجهاد في سبيل الله و وعد جميل بالمغفرة و الجنّة في الآخرة و بالنصر و الفتح في الدنيا ، و دعوة لهم إلى أن يثبتوا على نصرهم لله و وعد جميل بالتأييد .

و المعنيان هما الغرض الأقصى في السورة و الآيات السابقة كالتوطئة و التمهيد بالنسبة إليهما .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب

أليم» الاستفهام للعرض و هو في معنى الأمر .

والتجارة ـ على ماذكره الراغب ـ التصرّف في رأس المال طلباً للربح ، ولا يوجد في كلام العرب تاء بعده جيم إلّا هذه اللّفظة .

فقد اُخذ الإيمان و الجهاد في الآية تجارة رأس مالها النفس و ربحها النجاة من عذاب أليم ، و الآية في معنى قوله : «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون ـ إلى أن قال ـ فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به » التوبة : ١١١ .

و قد فخّم تعالى أمر هذه التجارة حيث قال : « على تجارة » أي تجارة جليلة القدر عظيمة الشان ، و جعل الربح الحاصل منها النجاة من عذاب أليم لا يقدّر قدره .

و مصداق هذه النجاة الموعودة المغفرة و الجنّة ، و لذا بدّل ثانياً النجاة من العذاب من قوله : «يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنّات » الخ ، و أمّا النصر و الفتح الموعودان فهما خارجان عن النجاة الموعودة ، ولذا فصلهما عن المغفرة و الجنّة فقال: « واُخرى تحبّونها نصر من الله وفتح قريب» فلا تغفل .

**قوله تعالى** : «تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» الخ استئناف بيانيّ يفسّر التجارة المعروضة عليهم كأنّه قيل : ما هذه التجارة ؟ فقيل : « تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون » الخ ، و قد أخذ الإيمان بالرسول مع الإيمان بالله للدلالة على وجوب طاعته فيما أمر به و إلّا فالإيمان لا يعدّ إيمانا بالله إلّا مع الإيمان برسالة الرسول قال تعالى : إنّ الّذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله ـ إلى أن قال ـ اُولئك هم الكافرون حقّا » النساء : ١٥١ .

و قوله : «ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» أي ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم إن كنتم من أهل العلم و أمّا الجهلة فلا يعتدّ بأعمالهم .

و قيل : المراد تعلمون خيريّة ذلك إن كنتم أهل العلم و الفقه .

**قوله تعالى** : «يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار» الخ جواب للشرط المقدّر المفهوم من الآية السابقة أي إن تؤمنوا بالله و رسوله و تجاهدوا في سبيله يغفر لكم ، الخ .

وقد اُطلقت الذنوب المتعلّقة بها المغفرة فالمغفور جميع الذنوب و الاعتبار يساعده إن هذه المغفرة مقدّمة الدخول في جنّة الخلد و لامعنى لدخولها مع بقاء بعض الذنوب على حاله ، و لعلّه للإشارة إلى هذه النكتة عقّبها بقوله : «و مساكن طيّبة في جنّات عدن » أي جنّات ثبات و استقرار فكونها محلّ ثبات و موضع قرار يلوّح أنّ المغفرة تتعلّق بجميع الذنوب .

مضافاً إلى ما فيه من مقابلة النفس المبذولة وهي متاع قليل معجّل بجنّات عدن الّتي هي خالدة فتطيب بذلك نفس المؤمن و تقوى إرادته لبذل النفس و تضحيتها واختيار البقاء على الفناء .

ثمّ زاد في تأكيد ذلك بقوله : «ذلك الفوز العظيم » .

**قوله تعالى** : « و اُخرى تحبّونها نصر من الله و فتح قريب » الخ عطف على قوله : «يغفر لكم» الخ و «اُخرى» وصف قائم مقام الموصوف و هو خبر لمبتدء محذوف، و قوله : «نصر من الله وفتح قريب» بيان لاُخرى ،والتقدير ولكم نعمة أوخصلة اُخرى تحبّونها وهي نصر من الله وفتح قريب عاجل .

و قوله : « و بشّر المؤمنين » معطوف على الأمر المفهوم من سابق الكلام كأنّه قيل : قل يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم» الخ و بشّر المؤمنين .

و تحاذي هذه البشرى ما في قوله : «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ـ إلى أن قال ـ فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به » التوبة : ١١١ ،و به يظهر أنّ الّذي اُمر أن يبشّروا به مجموع ما يؤتيهم الله من الأجر في الآخرة و الدنيا لاخصوص النصر و الفتح .

هذا كلّه ما يعطيه السياق في معنى الآية و إعراب أجزائها ، و قد ذكر فيها اُمور

اُخرى لايساعد عليها السياق تلك المساعدة أغمضنا عن ذكرها ، واحتمل أن يكون قوله: «و بشّر» الخ استئنافا .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا كونوا أنصار الله » الخ أي اتّسموا بهذه السمة و دوموا و اثبتوا عليها فالآية في معنى الترقّي بالنسبة إلى قوله السابق : « هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » و مآل المعنى اتّجروا بأنفسكم و أموالكم فانصروا الله بالإيمان والجهاد في سبيله ودوموا و اثبتوا على نصره .

و المراد بنصرتهم لله أن ينصروا نبيّه في سلوك السبيل الّذي يسلكه إلى الله على بصيرة كما قال : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني » يوسف : ١٠٨ .

و الدليل على هذا المعنى تنظيره تعالى قوله : « كونوا أنصار الله » بقوله بعده: « كما قال عيسى بن مريم للحواريّين من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله » فكون الحواريّين أنصار الله معناه كونهم أنصاراً لعيسى بن مريم عليه‌السلام في سلوكه سبيل الله و توجّهه إلى الله و هو التوحيد و إخلاص العبادة لله سبحانه فمحاذاة قولهم: «نحن أنصار الله» لقوله : «من أنصاري إلى الله» ومطابقته له تقتضي اتّحاد معنى الكلمتين بحسب المراد فكون هؤلاء المخاطبين بقوله : «يا أيّها الّذين آمنوا كونوا أنصار الله» أنصاراً لله معناه كونهم أنصاراً للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في نشر الدعوة و إعلاء كلمة الحقّ بالجهاد، و هوالإيمان بالنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و طاعته فيما يأمر وينهى عن قول جازم و عمل صادق ـ كما هو مؤدّى سياق آيات السورة .

و قوله : فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة فأيّدنا الّذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » إشارة إلى ما جرى عليه و انتهى إليه أمر استنصار عيسى و تلبية الحواريّين حيث تفرّق الناس إلى طائفة مؤمنة واُخرى كافرة فأيّد الله المؤمنين على عدوّهم و هم الكفّار فأصبحوا ظاهرين بعد ما كانوا مستخفين مضطهدين .

و فيه تلويح إلى أنّ اُمّة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يجري فيهم ما جرى في اُمّة عيسى عليه‌السلام

تؤمن منهم طائفة وتكفر طائفة فإن أجاب المؤمنون استنصاره ـ وقد قام هو تعالى مقامه في الاستنصار إعظاما لأمره وإعزازاً له ـ أيّدهم الله على عدوّهم فيصبحون ظاهرين كما ظهر أنصار عيسى و المؤمنون به .

و قد أشار تعالى إلى هذه القصّة في آخر قصص عيسى عليه السلام من سورة آل عمران حيث قال : « فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله » آل عمران : ٥٢ إلى تمام ستّ آيات و بالتدبّر فيها يتّضح معنى الآية المبحوث عنها .

## ﴿بحث روائی﴾

في تفسير القمّي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » فقالوا : لو نعلم ماهي لنبذلنّ فيه الأموال و الأنفس و الأولاد فقال الله : « تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم ـ إلى قوله ـ ذلك الفوز العظيم .

**اقول** : وهذا المعنى مرويّ من طرق أهل السنة أيضاً .

وفيه في قوله تعالى : «واُخرى تحبّونها نصر من الله وفتح قريب» يعني في الدنيا بفتح القائم عليه السلام ، و أيضاً قال : فتح مكّة .

و في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث : ولم يخلّ أرضه من عالم بما يحتاج الخليقة إليه و متعلّم على سبيل نجاة اُولئك هم الأقلّون عددا ، و قد بيّن الله ذلك من اُمم الأنبياء ، و جعلهم مثلاً لمن تأخّر مثل قوله في حواريّي عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل : «من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله آمنّا بالله و اشهد بأنّا مسلمون » يعني مسلمون لأهل الفضل فضلهم و لا يستكبرون عن أمر ربّهم فما أجابه منهم إلّا الحواريّون .

**اقول** : الرواية و إن وردت في تفسير آية آل عمران لكنّها مفيدة فيما نحن فيه .

و في الدّر المنثور أخرج ابن إسحاق و ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمر و بن حزم قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للنفر الّذين لاقوه بالعقبة : أخرجوا إليّ اثنى عشر رجلاً منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريّون لعيسى بن مريم .



﴿سورة الجمعة مدنيّة و هي إحدى عشرة آية﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلّهِ مٰا فِى السَّموٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (٢) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّٰا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰيةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللهِ وَ اللهُ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ (٥) قُلْ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ هٰادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيٰاءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّٰاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (٦) وَ لاٰ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) .

## ﴿بيان﴾

غرض السورة هو الحثّ البالغ على الاهتمام بأمر صلاة الجمعة و القيام بواجب أمرها فهي من شعائر الله المعظّمة الّتي في تعظيمها و الاهتمام بأمرها صلاح اُخريهم و دنياهم ، و قد سلك تعالى إلى بيان أمره بافتتاح الكلام بتسبيحه و الثناء عليه بما من

على قوم اُمّيّين برسول منهم اُمّيّ يتلو عليهم آياته و يزكّيهم بصالحات الأعمال و الزاكيات من الأخلاق و يعلّمهم الكتاب و الحكمة فيحمّلهم كتاب الله و معارف دينه أحسن التحميل هم و من يلحق بهم أو يخلفهم من بعدهم من المؤمنين فليحملوا ذلك أحسن الحمل ، وليحذروا أن يكونوا كاليهود حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوا معارفها و أحكامها فكانوا مثل الحمار يحمل أسفاراً .

ثمّ تخلّص إلى الأمر بترك البيع و السعي إلى ذكر الله إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ، و قرّعهم على ترك النبيّ صلّى الله عليه وآله قائماً يخطب و الانفضاض و الانسلال إلى التجارة و اللهو ، و ذلك آية عدم تحمّلهم ما حمّلوا من معارف كتاب الله و أحكامه ، والسورة مدنيّة .

**قوله تعالى** : «يسبّح لله ما في السماوات و ما في الأرض الملك القدّوس العزيز الحكيم» التسبيح تنزيه الشيء و نسبته إلى الطهاره و النزاهة من العيوب والنقائص ، و التعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار ، و الملك هو الاختصاص بالحكم في نظام المجتمع ، و القدّوس مبالغة في القدس و هو النزاهة و الطهارة ، و العزيز هو الّذى لا يغلبه غالب ، و الحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف .

و في الآية توطئة و تمهيد برهانيّ لما يتضمّنه قوله : «هو الّذي بعث» الخ من بعثة الرسول لتكميل الناس و إسعادهم و هدايتهم بعد إن كانوا في ضلال مبين .

و ذلك أنّه تعالى يسبّحه وينزّهه الموجودات السماويّة و الأرضيّة بماعندهم من النقص الّذي هومتمّمه و الحاجة الّتي هو قاضيها فما من نقيصة أوحاجة إلّا و هو المرجوّ في تمامها و قضائها فهو المسبّح المنزّه عن كلّ نقص و حاجة فله أن يحكم في نظام التكوين بين خلقه بما شاء ، و في نظام التشريع في عباده بما أراد كيف لا ؟ و هو ملك له أن يحكم في أهل مملكته وعليهم أن يطيعوه .

و إذا حكم و شرّع بينهم ديناً لم يكن ذلك منه لحاجة إلى تعبيدهم و نقص فيه يتمّمه بعبادتهم لأنّه قدّوس منزّه عن كلّ نقص وحاجة .

ثمّ إذا حكم و شرّع و بلّغه إيّاهم عن غنىً منه و دعاهم إليه بوساطة رسله فلم

يستجيبوا دعوته و تمرّدوا عن طاعته لم يكن ذلك تعجيزاً منهم له تعالى لأنّه العزيز لايغلبه فيما يريده غالب .

ثمّ إنّ الّذي حكم به وشرّعه من الدّين بما أنّه الملك القدّوس العزيز ليس يذهب لغىً لا أثر له لأنّه حكيم على الإطلاق لايفعل ما يفعل إلّا لمصلحة ولا يريد منهم ما يريد إلّا لنفع يعود إليهم وخير ينالونه فيستقيم به حالهم في دنياهم واُخراهم .

وبالجملة فتشريعه الدين وإنزاله الكتاب ببعث رسول يبلّغهم ذلك بتلاوة آياته، و يزكّيهم و يعلّمهم منّ منه تعالى وفضل كما قال : «هو الّذي بعث» الخ .

**قوله تعالى** : « هو الّذي بعث في الاُمّيّين رسولاً منهم » الخ الاُمّيّون جمع اُميّ و هو الّذي لايقرء و لا يكتب ، و المراد بهم ـ كما قيل ـ العرب لقلّة من كان منهم يقرء و يكتب وقد كان الرسول صلّى الله عليه وآله منهم أي من جنسهم و هو غير كونه مرسلاً إليهم فقد كان منهم و كان مرسلاً إلى الناس كافّة .

و احتمل أن يكون المراد بالاُمّيّين غير أهل الكتاب كما قال اليهود ـ على ما حكى الله عنهم ـ : «ليس علينا في الاُمّيّين سبيل» آل عمران : ٧٥ .

وفيه أنّه لايناسب قوله في ذيل الآية : «يتلو عليهم آياته» الخ فإنّه صلّى الله عليه وآله لم يخصّ غير العرب وغير أهل الكتاب بشيء من الدعوة لم يلقه إليهم .

و احتمل أن يكون المراد بالاُمّيّين أهل مكّة لكونهم يسمّونها اُمّ القرى .

و فيه أنّه لايناسب كون السورة مدنيّة لا يهامه كون ضمير « يزكّيهم ويعلّمهم» راجعا إلى المهاجرين ومن أسلم من أهل مكّة بعد الفتح وأخلافهم وهو بعيد من مذاق القرآن .

ولا منافاة بين كونه صلّى الله عليه وآله من الاُمّيّين مبعوثا فيهم و بين كونه مبعوثا إليهم وإلى غيرهم و هو ظاهر ، و تلاوته عليهم آياته و تزكيته و تعليمه لهم الكتاب و الحكمة لنزوله بلغتهم و هو أوّل مراحل دعوته ولذا لما استقرّت الدعوة بعض الاستقرار أخذ صلى الله عليه وآله وسلم يدعو اليهود والنصارى والمجوس وكاتب العظماء والملوك .

وكذا دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على ما حكى الله تعالى : « ربّنا واجعلنا

مسلمين لك و من ذرّيّتنا اُمّة مسلمة لك - إلى أن قال - ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم » البقرة :١٢٩ تشمل جميع آل إسماعيل من عرب مضر أعمّ من أهل مكّة وغيرهم ، ولا ينافي كونه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثا إليهم وإلى غيرهم .

وقوله : « يتلو عليهم آياته » أي آيات كتابه مع كونه اُمّياً . صفة للرسول .

و قوله : « ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة » التزكية تفعيل من الزكاة بمعنى النموّ الصالح الّذي يلازم الخير والبركة فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة فيكملون بذلك في إنسانيّتهم فيستقيم حالهم في دنياهم وآخرتهم يعيشون سعداء ويموتون سعداء .

وتعليم الكتاب بيان ألفاظ آياته و تفسير ما اُشكل من ذلك ، و يقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقيّة الّتي يتضمّنها القرآن، والتعبير عن القرآن تارة بالآيات وتارة بالكتاب للدلالة على أنه بكلّ من هذه العناوين نعمة يمتنّ بها - كما قيل-

وقد قدّم التزكية ههنا على تعليم الكتاب والحكمة بخلاف ما في دعوة إبراهيم عليه السلام لأنّ هذه الآية تصف تربيته صلى الله عليه وآله وسلم لمؤمني اُمّته ، والتزكية مقدّمة في مقام التربية على تعليم العلوم الحقّة والمعارف الحقيقيّة وأمّا ما في دعوة إبراهيم عليه السلام فإنّها دعاء وسؤال أن يتحقّق في ذرّيّته هذه الزكاة والعلم بالكتاب و الحكمة ، و العلوم و المعارف أقدم مرتبة و أرفع درجة في مرحلة التحقّق والاتّصاف من الزكاة الراجعة إلى الأعمال والأخلاق .

و قوله : « و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » « إن » مخفّفة من الثقيلة والمراد أنّهم كانوا من قبل بعثة االرسول صلى الله عليه وآله في ضلال مبين ، والآية تحميد بعد تسبيح ومسوقة للامتنان كما سيأتي .

**قوله تعالى** « و آخرين منهم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » عطف على الاُمّيّين و ضمير « منهم » راجع إليهم و « من » للتبعيض والمعنى بعث في الاُمّيّين و في آخرين منهم لم يلحقوا بهم بعد و هو العزيز الّذي لا يغلب في إرادته الحكيم الّذى

لا يلغو ولا يجازف في فعله .

**قوله تعالى** : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم » الإشارة بذلك إلى بعث الرسول صلى الله عليه وآله ـ وقد فخّم أمره بالإشارة البعيدة ـ فهو صلى الله عليه وآله وسلم المخصوص بالفضل ، والمعنى ذلك البعث و كونه يتلو آيات الله و يزكّي الناس و يعلمهم الكتاب والحكمة من فضل الله وعطائه يعطيه من تعلّقت به مشيّته وقد شاء أن يعطيه محمداً صلى الله عليه وآله والله ذوالفضل العظيم كذا قال المفسّرون .

و من الممكن أن تكون الإشارة بذلك إلى البعث بماله من النسبة إلى أطرافه من المرسل والمرسل إليهم ، والمعنى ذلك البعث من فضل الله يؤتيه من يشاء وقد شاء أن يخصّ بهذا الفضل محمداً صلى الله عليه وآله فاختاره رسولاً ، وأُمّته فاختارهم لذلك فجعله منهم وأرسله إليهم .

والآية والآيتان قبلها أعني قوله : « هوالذي بعث ـ إلى قوله ـ العظيم» مسوقة سوق الامتنان .

**قوله تعالى** : « مثل الذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » الخ قال الراغب : السفر ـ بالفتح فالسكون ـ كشف الغطاء و يختصّ ذلك بالأعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه ـ إلى أن قال ـ والسفر ـ بالكسر فالسكون ـ الكتاب الّذي يسفر عن الحقائق قال تعالى : «كمثل الحمار يحمل أسفاراً » انتهى .

والمراد بتحميل التوراة تعليمها ، والمراد بحملها العمل بها على ما يؤيّده السياق ويشهد به ما في ذيل الآية من قوله : « بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله » ، والمراد بالّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها اليهود الّذين أنزل الله التوراة على رسولهم موسى عليه السلام فعلّمهم ما فيها من المعارف والشرائع فتركوها ولم يعملوا بها فحمّلوها و لم يحملوها فضرب الله لهم مثل الحمار يحمل أسفاراً وهو لا يعرف ما فيها من المعارف والحقائق فلا يبقى له من حملها إلّا التعب بتحمّل ثقلها .

و وجه اتّصال الآية بما قبلها أنّه تعالى لمّا افتتح الكلام بما منّ به على المسلمين

من بعث نبيّ اُمّيّ من بين الاُمّيّين يتلو عليهم آيات كتابه ويزكّيهم و يعلّمهم الكتاب والحكمة فيخرجهم من ظلمات الضلال إلى نور الهدى ومن حضيض الجهل إلى أوج العلم والحكمة وسيشير تعالى في آخر السورة إشارة عتاب وتوبيخ إلى ما صنعوه من الانفضاض والانسلال إلى اللهو والتجارة والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطبهم يوم الجمعة وهو من الاستهانة بما هو من أعظم المناسك الدينيّة ويكشف أنّهم لم يقدروها حقّ قدرها ولا نزّلوها منزلتها .

فاعترض الله سبحانه بهذا المثل و ذكّرهم بحال اليهود حيث حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها فكانوا كالحمار يحمل أسفارا ولا ينتفع بما فيها من المعرفة والحكمة ، فعليهم أن يهتمّوا بأمر الدين و يراقبوا الله في حركاتهم و سكناتهم و يعظّموا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و يوقّروه ولا يستهينوا بما جاء به ، و ليحذروا أن يحلّ بهم من سخطه تعالى ماحلّ باليهود حيث لم يعملوا بما علموا فعدّهم الله جهلة ظالمين و شبّههم بالحمار يحمل أسفاراً .

و في روح المعاني : وجه ارتباط الآية بما قبلها تضمّنها الإشارة إلى أنّ ذلك الرسول المبعوث قد بعثه الله تعالى بما نعته به في التورات وعلى ألسنة أنبياء بني إسرائيل كأنه قيل : هو الّذي بعث المبشّر به في التوراة المنعوت فيها بالنبيّ الاُمّيّ المبعوث إلى اُمّة اُمّيّين ، مثل من جاءه نعته فيها و علمه ثمّ لم يؤمن به مثل الحمار . انتهى .

و أنت خبير بأنّه تحكّم لا دليل عليه من جهة السياق .

**قوله تعالى** : « قل يا أيّها الّذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين » احتجاج على اليهود يظهر به كذبهم في دعواهم أنّهم أولياء الله و أحبّاؤه ، و قد حكى الله تعالى ما يدلّ على ذلك عنهم بقوله : « و قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله و أحبّاؤه » المائدة : ١٨ ، و قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس » البقرة : ٩٢ ، وقوله : « و قالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هودا » البقرة : ١١١ .

و محصّل المعنى قل لليهود مخاطبا لهم يا أيّها الذين تهوّدوا إن كنتم اعتقدتم

أنكم أولياء لله من دون الناس إن كنتم صادقين في دعواكم فتمنّوا الموت لأنّ الولي يحبّ لقاء وليّه و من أيقن أنّه وليّ لله وجبت له الجنّة ولا حاجب بينه و بينها إلّا الموت أحبّ الموت و تمنّى أن يحلّ به فيدخل دارالكرامة و يتخلّص من هذه الحياة الدنيّة الّتي ما فيها إلّا الهمّ والغمّ والمحنة والمصيبة .

قيل : و في قوله : أولياء لله من غير إضافة إشارة إلى أنّه دعوى منهم من غير حقيقة .

**قوله تعالى** : « و لا يتمنّونه أبدا بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين » أخبر تعالى نبيّه ﷺ أنّهم لا يتمنّونه أبدا بعد ما أمره أن يعرض عليهم تمنّي الموت.

و قد علّل عدم تمنّيهم الموت بما قدّمت أيديهم و هو كناية عن الظلم والفسوق فمعنى الآية ولا يتمنّون الموت أبداً بسبب ما قدّمته أيديهم من الظلم فكانوا ظالمين والله عليم بالظالمين يعلم أنّهم لا يحبّون لقاءه لأنّهم أعداؤه لا ولاية بينه و بينهم ولا محبّة .

والآيتان في معنى قوله تعالى : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين » البقرة : ٩٥ .

**قوله تعالى** : « قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثمّ تردّون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون » الفاء في قوله : « فإنّه ملاقيكم» في معنى جواب الشرط، وفيه وعيد لهم بأنّ الموت الّذي يكرهونه كراهة أن يؤاخذوا بوبال أعمالهم فإنّه سيلاقيهم لا محالة ثمّ يردّون إلى ربّهم الّذي خرجوا من زيّ عبوديّته بمظالمهم و عادوه بأعمالهم و هو عالم بحقيقة أعمالهم ظاهرها و باطنها فإنّه عالم الغيب والشهادة فينبّئهم بحقيقة أعمالهم وتبعاتها السيّئة وهي أنواع العذاب .

ففي الآية إيذانهم أوّلا أنّ فرارهم من الموت خطأ منهم فإنّه سيدركهم ويلاقيهم و ثانيا أنّ كراهتهم لقاء الله خطأ آخر فإنّهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيّئة ، وثالثاً أنّه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ظاهرها و باطنها ولا يحيق به

مكرهم فإنّه عالم الغيب والشهادة .

ففي الآية إشارة أوّلا إلى أنّ الموت حقّ مقضىّ كما قال : « كلّ نفس ذائقة الموت » الأنبياء : ٣٥ و قال : « نحن قدّرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين » الواقعة : ٦٠ .

و ثانيا أنّ الرجوع إلى الله لحساب الأعمال حقّ لا ريب فيه .

و ثالثا أنّهم سيوقفون على حقيقة أعمالهم فيوفّونها .

ورابعاً أنّه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم و للإشارة إلى ذلك بدّل اسم الجلالة من قوله : « عالم الغيب والشهادة .

## (بحث روائي)

في تفسير القمّي في قوله تعالى : «هوالّذي بعث في الاُميّين رسولاً منهم » عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال : كانوا يكتبون و لكن لم يكن معهم كتاب من عند الله ولا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الاُمّيّين.

و فيه في قوله تعالى : « و آخرين منهم لمّا يلحقوا بهم » قال : دخلوا الإسلام بعدهم .

وفي المجمع و روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قرء هذه الآية فقيل له : من هؤلاء ؟ فوضع يده على كتف سلمان و قال : لو كان الإيمان بالثريّا لنالته رجال من هؤلاء .

أقول : ورواه في الدّر المنثور عن عدّة من جوامع الحديث منها صحيح البخاريّ و مسلم والترمذيّ والنسائيّ عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، و فيه فوضع يده على رأس سلمان الفارسيّ و قال : والّذي نفسي بيده لوكان العلم بالثريّا لناله رجال من هؤلاء .

و روي أيضا عن سعيد بن منصور و ابن مردويه عن قيس بن سعد بن عبادة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لوأنّ الإيمان بالثريّا لناله رجال من أهل فارس .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « مثل الّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها

كمثل الحمار » قال : الحمار يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها ولا يعمل به كذلك بنو ـ إسرائيل قد حمّلوا مثل الحمار لا يعلمون ما فيه ولا يعملون .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي شيبة والطبرانيّ عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تكلّم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا والّذي يقول له : أنصت ليس له جمعة .

**أقول** : و فيه تأييد لما قدّمناه في وجه اتّصال الآية بما قبلها .

و في تفسير القميّ في قوله تعالى : « قل يا أيّها الّذين هادوا » الآية قال : إنّ في التوراة مكتوب : أولياء الله يتمنّون الموت .

و في الكافي بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي ذرّ فقال : يا أباذرّ مالنا نكره الموت ؟ فقال : لأنّكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب .

## « كلام في معنى تعليم الحكمة »

لا محيص للإنسان في حياته المحدودة الّتي يعمرها في هذه النشأة من سنّة يستنّ بها فيما يريد و يكره ، و يجري عليها في حركاته و سكناته و بالجملة جميع مساعيه في الحياة .

و تتبع هذه السنّة في نوعها ما عند الإنسان من الرأي في حقيقة الكون العامّ و حقيقة نفسه و ما بينهما من الربط ، و يدلّ على ذلك ما نجد من اختلاف السنن والطرائق في الاُمم باختلاف آرائهم في حقيقة نشأة الوجود والإنسان الّذي هو جزء منها .

فمن لايرى لماوراء المادّة وجودا ، ويقصر الوجود في المادّيّ ، و ينهي الوجود إلى الاتّفاق ، و يرى الإنسان مركّباً مادّيّاً محدود الحياة بين التولّد والموت لايرى لنفسه من السعادة إلّا سعادة المادّة ولاغاية له في أعماله إلّا المزايا المادّيّة من مال وولد

وجاه و غير ذلك ، ولا بغية له إلّا التمتّع بأمتعة الدنيا والظفر بلذائذها المادّيّة أو ما يرجع إليها و تنتهي جميعاً إلى الموت الّذي هو عنده انحلال للتركيب و بطلان .

و من يرى كينونة العالم عن سبب فوقه منزّه عن المادّة ، و أنّ وراء الداردارا و بعد الدنيا آخرة نجده يخالف في سنّته و طريقته الطائفة المتقدّم ذكرها فيتوخّى في أعماله وراء سعادة الدنيا سعادة الاُخرى و يختلف صور أعمالهم و غاياتهم و آراؤهم مع الطائفة الاُولى .

و يختلف سنن هؤلاء باختلافهم أنفسهم فيما بينهم كاختلاف سنن الوثنيّين من البرهميّين والبوذيّين و غيرهم والمليّين من المجوسيّة والكليميّة والمسيحيّة والمسلمين فلكلّ وجهة هو موليها .

و بالجملة المليّ يراعي في مساعيه جانب ما يراه لنفسه من الحياة الخالدة المؤبّدة و يذعن من الآراء بما يناسب ذلك كادّعائه أنّه يجب على الإنسان أن يمهّد لعالم البقاء و أن يتوجّه إلى ربّه ، و أن لا يفرط في الاشتغال بعرض الحياة الدنيا الفانية و غير المليّ الخاضع للمادّة يلوي إلى خلاف ذلك ، هذا كلّه ممّا لا ريب فيه .

غير أنّ الإنسان لمّا كان بحسب طبعه المادّيّ رهيناً للمادّة متردّداً بين الأسباب الظاهريّة فاعلا بها منفعلاً عنها لا يزال يدفعه سبب إلى سبب لا فراغ له من ذلك ، يرى - بحسب ما يخيّل إليه - أنّ الأصالة لحياته الدنيويّة المنقطعة ، و أنّها و ما ينتهي إليه من المقاصد والمزايا هي الغاية الأخيرة والغرض الأقصى من وجوده الّذي يجب عليه أن يسعى لتحصيل سعادته .

فالحياة الدنيا هي الحياة و ما عند أهلها من القنية والنعمة والمنية والقوّة والعزّة هي هي بحقيقة معنى الكلمة ، و ما يعدّونه فقراً و نقمة و حرمانا و ضعفا وذلّة و رزيّة و مصيبة و خسرانا هي هي و بالجملة كلّ ما تهواه النفس من خير معجّل أو نفع مقطوع فهو عندهم خير مطلق و نفع مطلق ، و كلّ ما لا تهواه فهو شرّ أوضر .

فمن كان منهم من غير أهل الملّة جرى على هذه الآراء ولا خبر عنده عمّا وراء ذلك ، و من كان منهم من أهل الملّة جرى عليها عملا و هو معترف بخلافها قولا فلا يزال

في تدافع بين قوله و فعله قال تعالى : « كلّما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا» البقرة : ٢٠ .

والّذي تندب إليه الدعوة الإسلاميّة من الاعتقاد والعمل هو ما يطابق مقتضى الفطرة الإنسانيّة الّتي فطر عليها الإنسان و تثبت عليه خلقته كما قال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم » الروم : ٣٠ .

و من المعلوم أنّ الفطرة لا تهتدي علماً ولا تميل عملا إلّا إلى ما فيه كمالها الواقعيّ و سعادتها الحقيقيّة فما تهتدي إليه من الاعتقادات الأصليّة في المبدء والمعاد وما يتفرّع عليها من الآراء والعقائد الفرعيّة علوم و آراء حقّة لا تتعدّى سعادة الإنسان و كذا ما تميل إليه من الأعمال .

و لذا سمّى الله تعالى هذا الدين المبنيّ على الفطرة بدين الحقّ في مواضع من كلامه كقوله : « هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ » الصفّ : ٩ . و قال في القرآن المتضمّن لدعوته : « يهدي إلى الحقّ » الأحقاف : ٣٠ .

و ليس الحقّ إلّا الرأي والاعتقاد الّذي يطابقه الواقع و يلازمه الرشد من غير غيّ ، و هذا هو الحكمة ـ الرأي الّذي اُحكم في صدقه فلا يتخلّله كذب ، و في نفعه فلا يعقّبه ضرر ـ و قد أشار تعالى إلى اشتمال الدعوة على الحكمة بقوله : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » النساء : ١١٣ و وصف كلامه المنزل به فقال : « والقرآن الحكيم » يسٓ : ٢ ، و عدّ رسوله ﷺ معلماً للحكمة في مواضع من كلامه كقوله: « و يعلّمهم الكتاب والحكمة » الجمعة : ٢ .

فالتعليم القرآنيّ الّذي تصدّاه الرسول ﷺ المبيّن لما نزل من عند الله من تعليم الحكمة و شأنه بيان ما هو الحقّ في اُصول الاعتقادات الباطلة الخرافيّة الّتي دبّت في أفهام الناس من تصوّر عالم الوجود و حقيقة الإنسان الّذي هو جزء منه ـ كما تقدّمت الإشارة إليه ـ وما هو الحقّ في الاعتقادات الفرعيّة المترتّبة على تلك الاُصول ممّا كان مبدء للأعمال الإنسانيّة و عناوين لغاياتها و مقاصدها .

فالناس - مثلا - يرون أنّ الأصالة لحياتهم المادّيّة حتّى قال قائلهم : « ما هي إلّا حياتنا الدنيا » الجاثية : ٢٤ ، والقرآن ينبّههم بقوله : « و ما هذه الحياة الدنيا إلّا لهو و لعب و إنّ الدار الآخرة لهي الحيوان » العنكبوت : ٦٤ ، و يرون أنّ العلل والأسباب الحاكمة فيها من حياة و موت و صحّة و مرض و غنى و فقر و نعمة و نقمة و رزق و حرمان « بل مكر الليل والنهار » سبأ : ٣٣ والقرآن يذكّرهم بقوله : «ألا له الخلق والأمر » الأعراف : ٥٤ و قوله : « إن الحكم إلّا لله » يوسف : ٦٧ وغير ذلك من آيات الحكمة ، و يرون أنّ لهم الاستقلال في المشيّة يفعلون ما يشاؤن والقرآن يخطّئهم بقوله : « و ما تشاؤن إلّا أن يشاء الله » الإنسان : ٣٠ ، و يرون أنّ لهم أن يطيعوا و يعصوا و يهدوا و يهتدوا والقرآن ينبّئهم بقوله : « إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء » القصص : ٥٦ .

و يرون أنّ لهم قوّة و القرآن ينكر ذلك بقوله : « أنّ القوّة لله جميعا » البقرة : ١٦٥ . و يرون أنّ لهم عزّة بمال وبنين وأنصار والقرآن يحكم بخلافه بقوله : « أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعا » النساء : ١٣٩ . و قوله : « ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين » المنافقون : ٦٣ .

و يرون أنّ القتل في سبيل الله موت و انعدام والقرآن يعدّه حياة إذ يقول : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون » البقرة : ١٥٤ إلى غير ذلك من التعاليم القرآنية الّتي اُمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو بها الناس قال : « ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة» النحل : ١٢٥ .

و هي علوم و آراء جمّة صوّرت الحياة الدنيا خلافها في نفوس الناس و زيّنته فنبّه تعالى لها في كتابه و أمر بتعليمها رسوله و ندب المؤمنين أن يتواصوا بها كما قال « إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ » العصر:٣ و قال : « يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤتى الحكمة فقد اُوتي خيرا كثيراً و ما يذكّر إلّا اُولو الألباب » البقرة : ٢٦٩ .

فالقرآن بالحقيقة يقلب الإنسان في قالب من حيث العلم والعمل حديث ويصوغه صوغاً جديداً فيحيى حياة لا يتعقّبها موت أبدا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : «استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم » الأنفال : ٢٤ و قوله : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » الأنعام : ١٢٢ .

و قد بيّنا وجه الحكمة في كلّ من آياتها عند التعرّض لتفسيرها على قدر مجال البحث في الكتاب .

و ممّا تقدّم يتبيّن فساد قول من قال: إنّ تفسير القرآن تلاوته ، و إنّ التعمّق في مداليل آيات القرآن من التأويل الممنوع فما أبعده من قول .



* * *

يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله و ذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (١٠) و اذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها و تركوك قائماً قل ما عندالله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١).

## ﴿ بيان ﴾

تأكيد إيجاب صلاة الجمعة وتحريم البيع عند حضورها و فيها عتاب لمن انفضّ إلى اللّهو والتجارة عند ذلك واستهجان لفعلهم .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع » الخ المراد بالنداء للصلاة من يوم الجمعة الأذان كما في قوله : « و إذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هزواً و لعباً » المائدة : ٥٨ .

والجمعة بضمّتين أو بالضمّ فالسكون أحد أيّام الاُسبوع و كان يسمّى أوّلاً يوم العروبة ثمّ غلب عليه اسم الجمعة ، والمراد بالصلاة من يوم الجمعة صلاة الجمعة المشرّعة يومها ، والسعي هو المشي بالإسراع ، والمراد بذكر الله الصلاة كما في قوله : « ولذكرالله أكبر » العنكبوت : ٤٥ على ما قيل و قيل : المراد به الخطبة قبل الصلاة وقوله : « و ذروا البيع » أمر بتركه ، والمرادبه على ما يفيده السياقالنهي عنالاشتغال

بكلّ عمل يشغل عن صلاة الجمعة سواء كان بيعا أو غيره وإنّما علّق النهى بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاة .

والمعني يا أيّها الّذين آمنوا إذا اُذّن لصلاة الجمعة يومها فجدّوا في المشي إلى الصلاة واتركوا البيع و كلّ ما يشغلكم عنها .

و قوله : « ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » حثّ و تحريض لهم لما اُمر به من الصلاة و ترك البيع .

**قوله تعالى** : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » الخ المراد بقضاء الصلاة إقامة صلاة الجمعة، والانتشار في الأرض التفرّق فيها ، وابتغاء فضل الله طلب الرزق نظراً إلى مقابلته ترك البيع في الآية السابقة لكن تقدّم أنّ المراد ترك كلّ ما يشغل عن صلاة الجمعة ، و على هذا فابتغاء فضل الله طلب مطلق عطيّته في التفرّق لطلب رزقه بالبيع والشرى ، و طلب ثوابه بعيادة مريض والسعي في حاجة مسلم و زيارة أخ في الله ، و حضور مجلس علم و نحو ذلك .

و قوله : « فانتشروا في الأرض » أمر واقع بعد الحظر فيفيد الجواز والاباحة دون الوجوب و كذا قوله : « وابتغوا » « واذكروا » .

و قوله : « واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون » المراد بالذكر أعمّ من الذكر اللفظيّ فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجّه إليه باطنا ، والفلاح النجاة من كلّ شقاء، وهو في المورد بالنظر إلى ما تقدّم من حديث التزكية والتعليم و ما في الآية التالية من التوبيخ والعتاب الشديد ، الزكاة والعلم و ذلك أنّ كثرة الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس و انتقاشه في الذهن فتنقطع به منابت الغفلة و يورث التقوى الدينيّ الّذي هو مظنّة الفلاح قال تعالى : « واتّقوا الله لعلّكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠ .

**قوله تعالى** : « و إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضّوا إليها و تركوك قائما » الخ الانفضاض ـ على ما ذكره الراغب ـ استعارة عن الانفضاض بمعنى انكسار الشيء وتفرّق بعضه من بعض .

و قد اتّفقت روايات الشيعة و أهل السنّة على أنّه ورد المدينة عير معها تجارة

و ذلك يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وآله قائم يخطب فضربوا بالطبل والدف لإعلام الناس فانفض أهل المسجد إليهم و تركوا النبي صلى الله عليه وآله قائما يخطب فنزلت الآية . فالمراد باللهو استعمال المعازف و آلات الطرب ليجتمع الناس للتجارة ، و ضمير « إليها » راجع إلى التجارة لأنها كانت المقصودة في نفسها واللهو مقصود لأجلها ، و قيل : الضمير لأحدهما كأنه قيل : انفضوا إليه و انفضوا إليها و ذلك أن كلاً منهما سبب لانفضاض الناس إليه و تجمعهم عليه ، و لذا ردد بينهما و قال : « تجارة أو لهوا » ولم يقل : تجارة و لهواً والضمير يصلح للرجوع إلى كل منهما لأن اللهو في الأصل مصدر يجوز فيه الوجهان التذكير والتأنيث .

و لذا أيضاً عد « ما عند الله » خيراً من كل منهما بحياله فقال : « من اللهو و من التجارة » ولم يقل : من اللهو والتجارة .

و قوله : « قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة والله خير الرازقين » أمر للنبي أن ينبههم على خطاهم فيما فعلوا ـ وما أفظعه ـ والمراد بماعندالله الثواب الذي يستعقبه سماع الخطبة والموعظة .

و المعنى قل لهم : ما عند الله من الثواب خيرمن اللهو ومن التجارة لأن ثوابه تعالى خير حقيقي دائم غير منقطع ، وما في اللهو والتجارة من الخير أمرخيالي زائل باطل و ربما استتبع سخطه تعالى كما في اللهو .

و قيل : خير مستعمل في الآية مجرداً عن معنى التفضيل كما في قوله تعالى : « ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » يوسف : ٣٩ و هو شائع في الاستعمال.

و في الآية أعني قوله : « و إذا رأوا » التفات من الخطاب إلى الغيبة ، والنكتة فيه تأكيد ما يفيده السياق من العتاب واستهجان الفعل بالإعراض عن تشريفهم بالخطاب و تركهم في مقام الغيبة لا يواجههم ربهم بوجهه الكريم .

و يلوح إلى هذا الإعراض قوله : « قل ما عند الله خير » حيث لم يشر إلى من يقول له ، ولم يقل : قل لهم كما ذكرهم بضميرهم أولاً من غير سبق مرجعه فقال : « و إذا رأوا » و اكتفى بدلالة السياق .

و خير الرازقين من أسمائه تعالى الحسنى كالرزّاق و قد تقدّم الكلام في معنى الرزق فيما تقدّم .

## ﴿بحث روائي﴾

في الفقيه روي أنّه كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة نادى مناد : حرّم البيع لقول الله عزّ وجلّ : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع » .

**اقول** : و رواه في الدّر المنثور عن ابن أبي شيبة و عبد بن حميد و ابن المنذر عن ميمون بن مهران و لفظه كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن من يوم الجمعة ينادون في الأسواق : حرّم البيع حرّم البيع .

و تفسير القمّي و قوله : « فاسعوا إلى ذكر الله » قال : الإسراع في المشى ، و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه‌السلام في الآية يقال : فاسعوا أي امضوا ، و يقال : اسعوا اعملوا لها و هو قصّ الشارب و نتف الإبط و تقليم الأظفار والغسل و لبس أنظف الثياب والتطيّب للجمعة فهو السعي يقول الله : « و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن » .

**أقول** : يريد أنّ السعي ليس هو الإسراع في المشي فحسب .

و في المجمع و روى أنس عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال في قوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » الآية ليس بطلب الدنيا و لكن عيادة مريض و حضور جنازة و زيارة أخ في الله .

**أقول** : و رواه في الدّر المنثور عن ابن جرير عن أنس عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله و عن ابن مردويه عن ابن عبّاس عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله .

و فيه و روي عن أبي عبد الله عليه‌السلام : أنّه قال : الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت .

**اقول** : و في هذا المعنى روايات اُخر .

و فيه و روى عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّي لأركب في الحاجة الّتي كفاها الله ما أركب فيها إلّا التماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عزّ اسمه : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ؟

أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيتاً وطيّن عليه بابه ثمّ قال : رزقي ينزل عليّ أكان يكون هذا ؟ أما إنّه أحد الثلاثة الّذين لا يستجاب لهم .

قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : رجل يكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأنّ عصمتها في يده لو شاء أن يخلّي سبيلها ، والرجل يكون له الحقّ على الرجل فلا يشهدعليه فيجحده حقّه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنّه ترك ما اُمر به ، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتّى يأكله ثمّ يدعو فلا يستجاب له .

و فيه قال جابر بن عبد الله : أقبل عير ونحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانفضّ الناس إليها فما بقي غير اثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية « و إذا رأوا تجارة أو لهوا » .

و عن عوالي اللئالي روي مقاتل بن سليمان قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة إذا قدم دحية الكلبيّ من الشام بتجارة ، وكان إذا قدم لم يبق في المدينة عاتق [1] إلّا أتته ، و كان يقدم ـ إذا قدم ـ بكلّ ما يحتاج إليه الناس من دقيق و برّ و غيره ثمّ ضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج الناس فيبتاعون منه .

فقدم ذات جمعة ، و كان قبل أن يسلم ، و رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلّا اثنا عشر فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : لو لا هؤلاء لسوّمت عليهم الحجارة من السماء و أنزل الله الآية في سورة الجمعة .

**اقول** : والقصّة مرويّة بطرق كثيرة من طرق الشيعة و أهل السنّة و اختلفت الأخبار في عدد من بقي منهم في المسجد بين سبعة إلى أربعين .

و فيه « انفضّوا » أي تفرّقوا ، و روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : انصرفوا

(١) العاتق الجارية أوائل ما أدركت .

إليها و تركوك قائما تخطب على المنبر .

قال جابر بن سمرة : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب إلّا و هو قائم فمن حدّثك أنّه خطب و هو جالس فكذّبه .

**اقول** : و هو مرويّ أيضاً في روايات اُخرى .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله قائما و ابوبكر و عمر و عثمان ، و إنّ أوّل من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان .



﴿سورة المنافقون مدنيّة و هي إحدى عشرة آية﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُولُ اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ اِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَ اِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ وَ اِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَاَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰى يُؤْفَكُونَ ( ٤ ) وَ اِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ( ٥ ) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلٰى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا وَ لِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ لٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ( ٧ ) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا اِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْاَعَزُّ مِنْهَا الْاَذَلَّ وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨).

﴿بيان﴾

تصف السورة المنافقين و تسمهم بشدّة العداوة و تأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يحذرهم و تعظ المؤمنين أن يتحرّزوا من خصائص النفاق فلا يقعوا في مهلكته ولا يجرّهم إلى

النار ؛ والسورة مدنية .

**قوله تعالى** : « إذا جاءكَ المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » المنافق اسم فاعل من النفاق و هو في عرف القرآن إظهار الإيمان و إبطان الكفر .

والكذب خلاف الصدق وهوعدم مطابقة الخبر للخارج فهو وصف الخبر كالصدق و ربّما اعتبرت مطابقة الخبر ولا مطابقته بالنسبة إلى اعتقاد المخبر فيكون مطابقته لاعتقاد المخبر صدقا منه و عدم مطابقته له كذباً فيقال : فلان كاذب إذا لم يطابق خبره الخارج و فلان كاذب إذا أخبر بما يخالف اعتقاده و يسمّى النوع الأوّل صدقاوكذبا خبريّين ، والثاني صدقا و كذبا مخبريّين .

فقوله : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله » حكاية لإظهارهم الإيمان بالشهادة على الرّسالة فإنّ في الشهادة على الرسالة إيماناً بما جاء به الرسول صلّى الله عليه و آله و يتضمّن الإيمان بواحدانيّته تعالى و بالمعاد ، و هو الإيمان الكامل .

و قوله : « والله يعلم إنّك لرسوله » تثبيت منه تعالى لرسالته ﷺ ، و إنّما أورده مع أنّ وحي القرآن ومخاطبته ﷺ كان كافياً في تثبيت رسالته ، ليكون قرينة مصرّحة بأنّهم كاذبون من حيث عدم اعتقادهم بما يقولون و إن كان قولهم في نفسه صادقاً فهم كاذبون في قولهم كذباً مخبريّاً لا خبريّاً فقوله : « والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » اُريد به الكذب المخبريّ لا الخبريّ .

**قوله تعالى** : «اتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله » الخ الأيمان جمع يمين بمعنى القسم ، والجنّة الترس والمراد بها ما يتّقى به من باب الاستعارة ، والصدّ يجيىء بمعنى الإعراض و عليه فالمراد إعراضهم أنفسهم عن سبيل الله وهو الدين و بمعني الصرف و عليه فالمراد صرفهم العامّة من الناس عن الدين و هم في وقاية من أيمانهم الكاذبة .

والمعنى اتّخذوا أيمانهم الكاذبة الّتي يحلفون وقاية لأنفسهم فأعرضوا عن سبيل

الله و دينه - أو فصرفوا العامّة من الناس عن دين الله بما يستطيعونه من الصرف بتقليب الاُمور و إفساد العزائم .

وقوله : « إنّهم ساء ما كانوا يعملون » تقبيح لأعمالهم الّتي استمرّوا عليها منذ نافقوا إلى حين نزول السورة .

**قوله تعالى** : « ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » الظاهر أنّ الإشارة بذلك إلى سوء ما عملوا كما قيل ، و قيل : الإشارة إلى جميع ما تقدّم من كذبهم و استجنانهم بالأيمان الفاجرة و صدّهم عن سبيل الله و مساءة أعمالهم .

والمراد بأيمانهم - على ما قيل - أيمانهم بألسنتهم ظاهرا بشهادة أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً رسوله ثمّ كفرهم بخلوّ باطنهم عن الإيمان كما قال تعالى فيهم : «وإذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن » البقرة : ١٤ .

ولا يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقة ثمّ ارتدّ وكتم ارتداده فلحق بالمنافقين يتربّص بالنبيّ صلى الله عليه وآله و بالمؤمنين الدوائر كما يظهر من بعض آيات سورة التوبة كقوله : « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه » التوبة :٧٧ و قد عبّر تعالى عمّن لم يدخل الإيمان في قلبه منهم بمثل قوله: « وكفروا بعدإسلامهم» التوبة : ٧٤ .

فالظاهر أنّ المراد بقوله : « آمنوا ثمّ كفروا » إظهارهم للشهادتين أعمّ من أن يكون عن ظهر القلب أو بظاهر من القول ثمّ كفرهم بإتيان أعمال تستصحب الكفر كالاستهزاء بالدين و ردّ بعض الأحكام .

و قوله : « فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » تفريع عدم الفقه على طبع القلوب دليل على أنّ الطبع ختم على القلب يستتبع عدم قبوله لورود كلمة الحقّ فيه فهو آئس من الإيمان محروم من الحقّ .

والطبع على القلب جعله بحيث لا يقبل الحقّ ولا يتّبعه فلا محالة يتّبع الهوى

كما قال تعالى : « طبع الله على قلوبهم و اتبعوا أهواءهم » سورة محمد : ١٦ ، فلا يفقه ولا يسمع ولا يعلم كما قال تعالى : «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» التوبة :٨٧ ، وقال: « و طبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » الأعراف : ١٠٠ ، وقال : « وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » التوبة : ٩٣ والطبع على أي حال لا يكون منه تعالى إلا مجازاة لأنه إضلال والذي ينسب إليه تعالى من الإضلال إنما هو الإضلال على سبيل المجازاة دون الإضلال الابتدائي وقد مر مراراً .

**قوله تعالى** : « و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم » الخ الظاهر أن الخطاب في « رأيتهم » و « تسمع » خطاب عام يشمل كل من رآهم و سمع كلامهم لكونهم في أزياء حسنة و بلاغة من الكلام ، و ليس خطاباً خاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله ، والمراد أنهم على صباحة من المنظر و تناسب من الأعضاء إذا رآهم الرائي أعجبته أجسامهم ، وفصاحة و بلاغة من القول إذا سمع السامع كلامهم مال إلى الإصغاء إلى قولهم لحلاوة ظاهره و حسن نظمه .

و قوله : « كأنهم خشب مسندة » ذم لهم بحسب باطنهم والخشب بضمتين جمع خشبة ، والتسنيد نصب الشيء معتمداً على شيء آخر كحائط و نحوه .

والجملة مسوقة لذمهم و هي متممة لسابقتها ، والمراد أن لهم أجساماً حسنة معجبة و قولا رائعاً ذا حلاوة لكنهم كالخشب المسندة أشباح بلا أرواح لا خير فيها ولا فائدة تعتريها لكونهم لا يفقهون .

و قوله : « يحسبون كل صيحة عليهم » ذم آخر لهم أي إنهم لإبطانهم الكفر و كتمانهم ذلك من المؤمنين يعيشون على خوف و وجل و وحشة يخافون ظهور أمرهم و اطلاع الناس على باطنهم و يظنون أن كل صيحة سمعوها فهي كائنة عليهم و أنهم المقصودون بها .

و قوله : « هم العدو فاحذرهم » أي هم كاملون في العداوة بالغون فيها فإن أعدى أعدائك من يعاديك وأنت تحسبه صديقك .

و قوله : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » دعاء عليهم بالقتل و هو أشد شدائد الدنيا

و كأنّ استعمال المقاتلة دون القتل للدلالة على الشدّة .

و قيل : المراد به الطرد والإبعاد من الرحمة ، وقيل : المراد به الإخبار دون الدعاء والمعنى أنّ شمول اللعن والطرد لهم مقرّر ثابت ، وقيل : الكلمة مفيدة للتعجّب كما يقال : قاتله الله ما أشعره ، والظاهر من السياق ما تقدّم من الوجه .

و قوله : « أنّى يؤفكون » مسوق للتعجّب أي كيف يصرفون عن الحقّ ؟ وقيل: هو توبيخ و تقريع وليس باستفهام .

**قوله تعالى** : « و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم » الخ التلوية تفعيل من لوى يلوي ليّاً بمعنى مال .

والمعنى و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ـ و ذلك عند ما ظهر منهم بعض خياناتهم و فسوقهم ـ أمالوا رؤسهم إعراضاً واستكباراً و رآهم الرائي يعرضون عن القائل و هم مستكبرون عن إجابة قوله .

**قوله تعالى** : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » الخ أي يتساوى الاستغفار وعدمه في حقّهم و تساوي الشيء و عدمه كناية عن أنّه لا يفيد الفائدة المطلوبة منه فالمعنى لا يفيدهم استغفارك ولا ينفعهم .

و قوله : « لن يغفر الله لهم» دفع دخل كأنّ سائلاً يسأل : لماذا يتساوى الاستغفار لهم و عدمه ؟ فاُجيب : لن يغفر الله لهم .

و قوله : « إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين » تعليل لقوله : « لن يغفر الله لهم » و المعنى لن يغفر الله لهم لأنّ مغفرته لهم هداية لهم إلى السعادة والجنّة وهم فاسقون خارجون عن زيّ العبوديّة لإبطانهم الكفر و الطبع على قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين .

**قوله تعالى** : « هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا» الخ الانفضاض التفرّق ، والمعنى المنافقون هم الّذين يقولون : لا تنفقوا أموالكم على المؤمنين الفقراء الّذين لازموا رسول الله و اجتمعوا عنده لنصرته و إنفاذ أمره و إجراء مقاصده حتّى يتفرّقوا عنه فلا يتحكّم علينا .

و قوله : « و لله خزائن السماوات والأرض » جواب عن قولهم : لا تنفقوا الخ أي إنّ الدين دين الله ولا حاجة له إلى إنفاقهم فله خزائن السماوات والأرض ينفق مهنا و يرزق من يشاء كيف يشاء فلو شاء لأغنى الفقراء من المؤمنين لكنّه تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر و يتعبّدهم بالصبر ليوجرهم أجراً كريماً و يهديهم صراطاً مستقيما والمنافقون في جهل من ذلك .

و هذا معنى قوله : « و لكنّ المنافقين لا يفقهون » أي لا يفقهون وجه الحكمة في ذلك ، و احتمل أن يكون المعنى أنّ المنافقين لا يفقهون أنّ خزائن العالم بيدالله و هو الرازق لا رازق غيره فلو شاء لأغناهم لكنّهم يحسبون أنّ الغنى والفقر بيد الأسباب فلو لم ينفقوا على اُولئك الفقراء من المؤمنين لم يجدوا رازقاً يرزقهم .

**قوله تعالى** : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون » القائل هو عبد الله بن اُبيّ بن سلول ، و كذا قائل الجملة السابقة : لا تنفقوا الخ و إنّما عبّر بصيغة الجمع تشريكا لأصحابه الراضين بقوله معه .

و مراده بالأعزّ نفسه و بالأذلّ رسول الله صلى الله عليه وآله و يريد بهذا القول تهديد النبيّ صلى الله عليه وآله بإخراجه من المدينة بعد المراجعة إليها و قد ردّ الله عليه و على من يشاركه في نفاقه بقوله : « ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون» فقصر العزّة في نفسه و رسوله والمؤمنين فلا يبقى لغيرهم إلّا الذلّة و نفى عن المنافقين العلم فلم يبق لهم إلّا الذلّة والجهالة .

## ﴿بحث روائي﴾

في المجمع نزلت الآيات في عبد الله بن اُبيّ المنافق و أصحابه و ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ بني المصطلق يجتمعون لحربه و قائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبيّ صلى الله عليه وآله .

فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتّى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس و اقتتلوا فهزم الله بني المصطلق و قتل منهم من قتل و نفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

فبينا الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس و مع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه و سنان الجهنيّ من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنيّ يا معشر الأنصار و صرخ الغفاريّ يا معشر المهاجرين فأعان الغفاريّ رجل من المهاجرين يقال له : جعال و كان فقيرا فقال عبد الله بن اُبيّ لجعال : إنّك لهتّاك فقال : و ما يمنعني أن أفعل ذلك ؟ و اشتدّ لسان جعال على عبد الله . فقال عبد الله : و الّذي يحلف به لاذرنّك و يهمّك غير هذا .

و غضب ابن اُبيّ وعنده رهط من قومه فيهم زيدبن أرقم حديث السنّ فقال ابن اُبيّ قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا ، والله ما مثلنا و مثلهم إلّا كما قال القائل : سمّن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ يعني بالأعزّ نفسه و بالأذلّ رسول الله ﷺ ثمّ أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما جعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم و لأوشكوا أن يتحوّلوا من بلادكم و يلحقوا بعشائرهم ومواليهم .

فقال زيد بن أرقم : أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك و محمّد ﷺ في عزّ من الرحمن و مودّة من المسلمين والله لا اُحبّك بعد كلامك هذا فقال عبد الله : اسكت فإنّما كنت ألعب .

فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ و ذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل و أرسل إلى عبد الله فأتاه فقال : ما هذا الّذي بلغني عنك ؟ فقال عبدالله والّذي أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك قطّ وإنّ زيداً لكاذب ، و قال من حضر من الأنصار : يا رسول الله شيخنا و كبيرنا لا تصدّق عليه كلام

غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه .

فعذره رسول الله صلى الله عليه و آله و فشت الملامة من الأنصار لزيد .

و لمّا استقلّ رسول الله صلى الله عليه و آله فسار لقيه اُسيد بن الحضير فحيّاه بتحيّة النبوّة ثمّ قال : يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه و آله : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم أنّه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ . فقال اُسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت . هو والله الذليل و أنت العزيز . ثمّ قال : يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جاء الله بك و إنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه و إنّه ليرى أنّك قد استلبته ملكا .

و بلغ عبد الله بن عبدالله بن اُبيّ ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال : يا رسول الله إنّه قد بلغني أنّك تريد قتل أبي فإن كنت لا بدّ فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل أبرّ بوالديه منّي وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن اُبيّ أن يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال صلى الله عليه و آله : بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا .

قالوا : و سار رسول الله صلى الله عليه و آله بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى و ليلتهم حتّى أصبح و صدر يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس ثمّ نزل بالناس فلم يكن إلّا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياماً ، إنّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الّذي خرج من عبد الله بن اُبيّ .

ثمّ راح بالناس حتّى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له : بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم و تخوّفوها و ضلّت ناقة رسول الله صلى الله عليه و آله و ذلك ليلا فقال: مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل : من هو ؟ قال : رفاعة . فقال رجل من المنافقين :كيف يزعم أنّه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ؟ ألا يخبره الّذي يأتيه بالوحي؟ فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق و بمكان الناقة ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه و آله بذلك أصحابه و قال : ما أزعم أنّي أعلم الغيب و ما أعلمه و لكنّ الله تعالى أخبرني بقول المنافق و

بمكان ناقتي . هي في الشعب فإذا هي كما قال فجاؤا بها و آمن ذلك المنافق .

فلمّا قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع و كان من عظماء اليهود مات ذلك اليوم .

قال زيد بن أرقم : فلمّا وافى رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء فنزلت سورة المنافقون في تصديق زيد و تكذيب عبد الله بن اُبيّ . ثمّ أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بأُذن زيد فرفعه عن الرحل ثمّ قال : يا غلام صدق فوك ، ووعت اُذناك ، و وعى قلبك ، و قد أنزل الله فيما قلت قرآنا .

و كان عبد الله بن اُبيّ بقرب المدينة فلمّا أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن اُبيّ حتّى أناخ على مجامع طرق المدينة فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تدخلها إلّا بإذن رسول الله و لتعلمنّ اليوم من الأعزّ ؟ و من الأذلّ ؟ فشكا عبدالله ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل إليه أن خلّ عنه يدخل فقال : أمّا إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فنعم فدخل فلم يلبث إلّا أيّاماً قلائل حتّى اشتكى و مات .

فلمّا نزلت هذه الآيات و بان كذب عبدالله قيل له : نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر لك فلوّى رأسه ثمّ قال : أمرتموني أن اُؤمن فقد آمنت و أمرتموني أن اُعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلّا أن أسجد لمحمّد فنزل « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم ـ إلى قوله ـ لا يعلمون » .

**اقول** : ما أورده من القصّة مأخوذ من روايات مختلفة مرويّة عن زيد بن أرقم و ابن عبّاس و عكرمة و محمّد بن سيرين و ابن إسحاق و غيرهم دخل حديث بعضهم في بعض .

و في تفسير القمّي في قوله تعالى : « إذا جاءك المنافقون » الآية قال : قال: نزلت في غزوة المريسيع و هي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة ، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله خرج إليها فلمّا رجع منها نزل على بئر و كان الماء قليلاً فيها .

و كان أنس بن سيّار حليف الأنصار ، و كان جهجاه بن سعيد الغفاري أجيراً لعمر بن الخطّاب فاجتمعوا على البئر فتعلّق دلو سيّار بدلو جهجاه فقال سيّار : دلوي

وقال جهجاه : دلوي فضرب جهجاه على وجه سيّار فسال منه الدم فنادى سيّار بالخزرج و نادى جهجاه بقريش و أخذ الناس السلاح و كاد أن تقع الفتنة .

فسمع عبدالله بن اُبيّ النداء فقال: ما هذا ؟ فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثمّ قال : قد كنت كارهاً لهذا المسير إنّي لأذلّ العرب ماظننت أنّي أبقى إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكن عندي تغيير .

ثمّ أقبل على أصحابه فقال : هذا عملكم أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل فأرمل نساؤكم وأيتم صبيانكم و لو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم . ثمّ قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ .

و كان في القوم زيد بن أرقم و كان غلاماً قد راهق ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله في ظلّ شجرة في وقت الهاجرة و عنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله بن اُبيّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لعلّك وهمت يا غلام قال : لا والله ما وهمت . قال : فلعلّك غضبت عليه ؟ قال : لاوالله ماغضبت عليه ، قال :فلعلّه سفّه عليك فقال : لا والله .

فقال رسول الله لشقران مولاه : أحدج فأحدج راحلته و ركب و تسامع الناس بذلك فقالوا : ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليرحل في مثل هذا الوقت فرحل الناس و لحقه سعد بن عبادة فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله و بركاته فقال : و عليك السلام فقال : ما كنت لترحل في مثل هذا الوقت فقال : أو ما سمعت قولاً قال صاحبكم ؟ قال: و أيّ صاحب لنا غيرك يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن اُبيّ زعم أنّه إن رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ فقال : يارسول الله فإنّك و أصحابك الأعزّ وهو و أصحابه الأذلّ .

فسار رسول الله صلى الله عليه وآله يومه كلّه لا يكلّمه أحد فأقبلت الخزرج على عبد الله بن اُبيّ يعذلونه فحلف عبد الله أنّه لم يقل شيأ من ذلك فقالوا : فقم بنا إلى رسول الله حتّى نعتذر إليه فلوّى عنقه .

فلمّا جنّ الليل سار رسول الله صلى الله عليه وآله ليله كلّه فلم ينزلوا إلّا للصلاة فلمّا كان من الغد نزل رسول الله صلى الله عليه وآله و نزل أصحابه و قد أمهدهم [١] الأرض من السفر الّذي أصابهم فجاء عبدالله بن اُبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فحلف عبد الله له أنّه لم يقل ذلك، و أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله و أنّك لرسول الله و إنّ زيدا قد كذب عليّ فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله منه و أقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه و يقولون له : كذبت على عبد الله سيّدنا .

فلمّا رحل رسول الله صلى الله عليه وآله كان زيد معه يقول : اللّهمّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب على عبد الله بن اُبيّ فما سار إلّا قليلا حتّى أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يأخذه من البرحاء [٢] عند نزول الوحي فثقل حتّى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي فسري عن رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يسكب العرق عن جبهته ثمّ أخذ باُذن زيد بن أرقم فرفعه من الرحل ثمّ قال : يا غلام صدق قولك و وعى قلبك و أنزل الله فيما قلت قرآنا .

فلمّا نزل جمع أصحابه و قرء عليهم سورة المنافقين : « بسم الله الرّحمن الرّحيم إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - ولكنّ المنافقين لا يعلمون » ففضح الله عبد الله بن اُبيّ .

و في تفسير القمّيّ أيضاً في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: كأنّهم خشب مسنّدة » يقول : لا يسمعون ولا يعقلون « يحسبون كلّ صيحة عليهم » يعني كلّ صوت « هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون » .

فلمّا أنبأ الله رسوله خبرهم مشي إليهم عشائرهم و قالوا افتضحتم ويلكم فأتوا رسول الله يستغفر لكم فلوّوا رؤسهم و زهدوا في الاستغفار يقول الله : « و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم و رأيتهم يصدّون و هم مستكبرون » .

و في الكافي بإسناده إلى سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى

---

(١) امهدهم الارض اى صارت لهم مهادا فناموا .

(٢) البرحاء حالة شبه الاغماء كانت تاخذ النبى صلى الله عليه وآله عند نزول الوحى.

فوّض إلى المؤمن اُموره كلّها ، و لم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه ألم تر قول الله سبحانه و تعالى ههنا « لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين » والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا .

**اقول** : و روى هذا المعنى باسناده عن داود الرّقّي والحسن الأحمسي وبطريق آخر عن سماعة .

و فيه باسناده عن مفضّل بن عمر قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه . قلت : بما يذلّ نفسه ؟ قال : يدخل فيما يعتذر منه .

## ﴿ كلام حول النفاق في صدر الاسلام ﴾

يهتمّ القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً ويكرّ عليهم كرّة عنيفة بذكر مساوي أخلاقهم و أكاذيبهم و خدائعهم و دسائسهم والفتن الّتي أقاموها على النبيّ صلّى الله عليه وآله و على المسلمين ، و قد تكرّر ذكرهم في السور القرآنيّة كسورة البقرة و آل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم .

و قد أوعدهم الله في كلامه أشدّ الوعيد ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم و على أبصارهم و إذهاب نورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون و في الآخرة بجعلهم في الدرك الأسفل من النار .

وليس ذلك إلّا لشدّة المصائب الّتي أصابت الاسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم و أنواع دسائسهم فلم ينل المشركون واليهود والنصارى من دين الله ما نالوه ، و ناهيك فيهم قوله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله يشير إليهم : « هم العدوّ فاحذرهم » المنافقون : ٤ .

و قد ظهر آثار دسائسهم و مكائدهم أوائل ما هاجر النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة فورد ذكرهم في سورة البقرة و قد نزلت ـ على ماقيل ـ على رأس ستّة أشهر من الهجرة ثمّ في السور الاُخرى النازلة بعد بالاشارة إلى اُمور من دسائسهم و فنون من مكائدهم كانسلالهم من الجند الاسلاميّ يوم اُحد وهم ثلثهم تقريبا ، و عقدهم الحلف مع اليهود

و استنهاضهم على المسلمين و بنائهم مسجد الضرار و إشاعتهم حديث الإفك ، وإثارتهم الفتنة في قصّة السقاية وقصّة العقبة إلى غير ذلك ممّا تشير إليه الآيات حتّى بلغ أمرهم في الإفساد و تقليب الاُمور على النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى حيث هدّدهم الله بمثل قوله : « لئن لم ينته المنافقون والّذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلّا قليلا ملعونين أينما ثقفوا اُخذوا وقتّلوا تقتيلا » الأحزاب : ٦١ .

و قد استفاضت الأخبار و تكاثرت في أنّ عبد الله بن اُبيّ بن سلول و أصحابه من المنافقين و هم الّذين كانوا يقلّبون الاُمور على النبيّ صلّى الله عليه وآله و يتربّصون به الدوائر و كانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم و هم الّذين خذلوا المؤمنين يوم اُحد فانمازوا منهم و رجعوا إلى المدينة قائلين لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم و هم عبدالله ابن اُبيّ و أصحابه .

و من هنا ذكر بعضهم أنّ حركة النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة و استمرّت إلى قرب وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

هذا ما ذكره جمع منهم لكنّ التدبّر في حوادث زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله والإمعان في الفتن الواقعة بعد الرحلة والاعتناء بطبيعة الاجتماع الفعّالة يقضي عليه بالنظر :

أمّا أوّلاً فلا دليل مقنعاً على عدم تسرّب النفاق في متّبعي النبيّ صلّى الله عليه وآله المؤمنين بمكّة قبل الهجرة ، و قول القائل : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله والمسلمين بمكّة قبل الهجرة لم يكونوا من القوّة و نفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس و يتّقوهم أو يرجوا منهم خيراً حتّى يظهروا لهم الإيمان ظاهرا ويتقرّبوا منهم بالإسلام ، و هم مضطهدون مفتّنون معذّبون بأيدي صناديد قريش و مشركي مكّة المعادين لهم المعاندين للحقّ بخلاف حال النبيّ صلّى الله عليه وآله بالمدينة بعد الهجرة فإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم هاجر إليها و قد كسب أنصاراً من الأوس والخزرج واستوثق من أقوياء رجالهم أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن أنفسهم و أهليهم ، و قد دخل الإسلام في بيوت عامّتهم فكان مستظهراً بهم على العدّة القليلة الّذين لم يؤمنوا به و بقوا على شركهم و لم يكن يسعهم أن يعلنوا مخالفتهم و يظهروا شركهم فتوقّوا الشرّ بإظهار الإسلام فآمنوا به ظاهراً و هم على كفرهم باطنا

فدسّوا الدسائس و مكروا ما مكروا .

غير تامّ ، فما القدرة والقوّة المخالفة المهيبة و رجاء الخير بالفعل والاستدرار المعجّل علّة منحصرة للنفاق حتّى يحكم بانتفاء النفاق لا نتفائها فكثيرا ما نجد في المجتمعات رجالاً يتّبعون كلّ داع و يتجمّعون إلى كلّ ناعق و لا يعبؤن بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة ، و يعيشون على خطر مصرّين على ذلك رجاء أن يوفّقوا يوما لإجراء مرامهم و يتحكّموا على الناس باستقلالهم بإدارة رحى المجتمع والعلوّ في الأرض و قد كان النبيّ ﷺ يذكر في دعوته لقومه أن لو آمنوا به واتّبعوه كانوا ملوك الأرض .

فمن الجائز عقلا أن يكون بعض من آمن به يتّبعه في ظاهر دينه طمعاً في البلوغ بذلك إلى اُمنيّته وهي التقدّم والرئاسة والاستعلاء ، والأثر المترتّب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الاُمور و تربّص الدوائر على الإسلام والمسلمين و إفساد المجتمع الدينيّ بل تقويته بما أمكن و تقديته بالمال والجاه لينتظم بذلك الاُمور و يتهيّأ لاستفادته منه و استدراره لنفع شخصه . نعم يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفة والمضادّة فيما إذا لاح من الدّين مثلا ما يخالف اُمنيّة تقدّمه و تسلّطه إرجاعاً للأمر إلى سبيل ينتهى إلى غرضه الفاسد .

و أيضاً من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتاب في دينه فيرتدّ و يكتم ارتداده كما مرّت الإشارة إليه في قوله تعالى : « ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا » الآية و كما يظهر من لحن مثل قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم » المائدة : ٥٤ .

و أيضا الّذين آمنوا من مشركي مكّة يوم الفتح لا يؤمن أكثرهم أن لا يؤمنوا إيمان صدق و إخلاص و من البديهيّ عند من تدبّر في حوادث سني الدعوة أنّ كفّار مكّة و ما والاها و خاصّة صناديد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبيّ ﷺ لو لا سواد جنود غشيتهم و بريق سيوف مصلتة فوق رؤسهم يوم الفتح و كيف يمكن مع ذلك القضاء بأنّه حدث في قلوبهم والظرف هذا الظرف نور الإيمان و في نفوسهم الإخلاص واليقين فآمنوا

بالله طوعاً عن آخرهم ولم يدبّ فيهم دبيب النفاق أصلا .

و أمّا ثانيا فلأنّ استمرار النفاق إلى قرب رحلة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و انقطاعه عند ذلك ممنوع نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحلة و انعقاد الخلافة و انمحى أثرهم فلم يظهر منهم ماكان يظهر من الآثار المضادّة والمكائد والدسائس المشؤمة .

فهل كان ذلك لأنّ المنافقين وفّقوا للإسلام وأخلصوا الإيمان عن آخرهم برحلة النبيّ صلّى الله عليه وآله و تأثّرت قلوبهم من موته ما لم يتأثّر بحياته ؟ أو أنّهم صالحوا أولياء الحكومة الإسلاميّة على ترك المزاحمة بأن يسمح لهم ما فيه اُمنيّتهم مصالحة سرّيّة بعد الرحلة أو قبلها ؟ أو أنّه وقع هناك تصالح اتّفاقيّ بينهم و بين المسلمين فوردوا جميعا في مشرعة سواء فارتفع التصاكّ والتصادم ؟

و لعلّ التدبّر الكافي في حوادث آخر عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والفتن الواقعة بعد رحلته يهدي إلى الحصول على جواب شاف لهذه الأسئلة .

والّذي أوردناه في هذا الفصل إشارة إجماليّة إلى سبيل البحث .



✩ ✩ ✩

يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩) و أنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لو لا أخّرتني إلى أجل قريب فأصّدّق و أكن من الصّالحين (١٠) ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون (١١) .

## ﴿ بيان ﴾

تنبيه للمؤمنين أن يتجنّبوا عن بعض الصفات الّتي تورث النفاق و هو التلهّي بالمال والأولاد والبخل .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » الخ الإلهاء الإشغال ، والمراد بإلهاء الأموال والأولاد عن ذكر الله إشغالها القلب بالتعلّق بها بحيث يوجب الإعراض عن التوجّه إلى الله بما أنّها زينة الحياة الدنيا قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » الكهف : ٢٦ والاشتغال بها يوجب خلوّ القلب عن ذكر الله و نسيانه تعالى فلا يبقى له إلّا القول من غير عمل و تصديق قلبيّ و نسيان العبد لربّه يستعقب نسيانه تعالى له قال تعالى : « نسوا الله فنسيهم » التوبة : ٦٧ ، و هو الخسران المبين قال تعالى في صفة المنافقين : «اُولئك الّذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » البقرة : ١٦ .

و إليه الإشارة بما في ذيل الآية من قوله : « ومن يفعل ذلك فاُولئك هم الخاسرون » .

والأصل هو نهي المؤمنين عن التلهّي بالأموال والأولاد وتبديله من نهي الأموال

والأولاد عن إلهائهم للتلويح إلى أنّ من طبعها الإلهاء فلا ينبغي لهم أن يتعلّقوا بها فتلهيهم عن ذكر الله سبحانه فهو نهي كنائيّ آكد من التصريح .

**قوله تعالى** : « و أنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت » الخ أمر بالإنفاق في البرّ أعمّ من الإنفاق الواجب كالزكاة والكفّارات أو المندوب ، و تقييده بقوله : « ممّا رزقناكم » للإشعار بأنّ أمره هذا ليس سؤالاً لما يملكونه دونه ، وإنّما هو شيء هو معطيه لهم و رزق هو رازقه و ملك هو ملّكهم إيّاه من غير أن يخرج عن ملكه يأمرهم بإنفاق شيء منه فيما يريد فله المنّة عليهم في كلّ حال .

وقوله : « من قبل أن يأتي أحدكم الموت » أي فينقطع أمد استطاعته من التصرّف في ماله بالإنفاق في سبيل الله .

و قوله : « فيقول ربّ لو لا أخّرتني إلى أجل قريب » عطف على قوله : « أن يأتي » الخ و تقييد الأجل بالقريب للإشعار بأنّه قانع بقليل من التمديد ـ وهو مقدار ما يسع الإنفاق من العمر ـ ليسهل إجابته ، ولأنّ الأجل أيّاً ماكان فهو قريب ، ومن كلامه صلى الله عليه وآله : « كلّ ما هو آت قريب » .

و قوله : « فأصّدّق و أكن من الصالحين » نصب « فأصّدّق » لكونه في جواب التمنّي ، و جزم « أكن » لكونه في معنى جزاء الشرط والتقدير إن أتصدّق أكن من الصالحين .

**قوله تعالى** : « و لن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها » إيآس لهم من استجابة دعاء من يسأل تأخير الأجل بعد حلوله والموت بعد نزوله و ظهور آيات الآخرة ، وقد تكرّر في كلامه تعالى أنّ الأجل المسمّى من مصاديق القضاء المحتوم كقوله : « فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » يونس : ٤٩ .

و قوله : « والله خبير بما تعملون » حال من ضمير «أحدكم» أو عطف على أوّل الكلام و يفيد فائدة التعليل والمعنى لا تتلهّوا و أنفقوا فإنّ الله عليم بأعمالكم يجازيكم بها .

## ﴿بحث روائي﴾

في الفقيه و سئل عن قول الله تعالى : « فأصّدّق و أكن من الصالحين » قال : « أصّدّق » من الصدقة ، و « أكن من الصالحين » أحجّ .

**اقول** : الظاهر أنّ ذيل الحديث من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق .

و في المجمع عن ابن عبّاس قال : ما من أحد يموت و كان له مال فلم يؤدّ زكاته و أطاق الحجّ فلم يحجّ إلّا سأل الرجعة عند الموت .

قالوا : يا بن عبّاس اتّق الله فإنّما نرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال : أنا أقرء به عليكم قرآنا ثمّ قرء هذه الآية ـ يعني قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم ـ إلى قوله : من الصالحين » قال : الصلاح هنا الحجّ ، و روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السّلام .

**أقول** : و رواه في الدرّ المنثور عن عدّة من أرباب الجوامع عن ابن عبّاس .

و في تفسير القمّي بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها » قال : إنّ عند الله كتباً موقوفة يقدّم منها ما يشاء فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها فذلك قوله : « ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها » إذا نزّله الله و كتبه كتّاب السماوات و هو الّذي لا يؤخّر .

﴿ سورة التغابن مدنيّة وهي ثماني عشرة آية ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ
وَ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)
خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا
تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ
تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللهُ وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ وَ رَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللهِ
وَ رَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً
ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) .

## ﴿بيان﴾

السورة شبيهة بسورة الحديد في سياق كسياقها و نظم كنظمها كأنّها ملخّصة منها و غرضها تحريض المؤمنين و ترغيبهم في الإنفاق في سبيل الله و رفع ما يهجس في قلوبهم و يدبّ في نفوسهم من الأسى والأسف على المصائب الّتي تهجم عليهم في تحمّل مشاقّ الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله والإنفاق فيها بأنّ ذلك كلّه بإذن الله .

والآيات الّتي أوردناها من صدر السورة تقدمة و تمهيد لبيان الغرض المذكور تبيّن أنّ أسماءه تعالى الحسنى و صفاته العليا تقضي بالبعث و رجوع الكلّ إليه تعالى رجوعا يساق فيه أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّة خالدة ، وأهل الكفر والتكذيب إلى نار مؤبّدة فهي تمهيد للأمر بطاعة الله و رسوله والصبر على المصائب والإنفاق في سبيل الله من غير تأثّر من منع مانع ولا خوف من لومة لائم .

والسورة مدنيّة بشهادة سياق آياتها .

**قوله تعالى** : « يسبّح لله ما في السماوات و ما في الأرض له الملك وله الحمد و هو على كلّ شيء قدير » تقدّم الكلام في معنى التسبيح والملك والحمد والقدرة ، و أنّ المراد بما في السماوات والأرض يشمل نفس السماوات والأرض و من فيها و ما فيها .

و قوله : « له الملك » مطلق يفيد إطلاق الملك وعدم محدوديّته بحدّ ولاتقيّده بقيد أو شرط فلا حكم نافذاً إلّا حكمه ، ولا حكم له إلّا نافذاً على ما أراد .

و كذا قوله : « وله الحمد » مطلق يفيد رجوع كلّ حمد من كلّ حامد ـ والحمد هو الثناء على الجميل الاختياريّ ـ إليه تعالى لأنّ الخلق والأمر إليه فلا ذات ولا صفة ولا فعل جميلاً محموداً إلّا منه و إليه .

و كذا قوله : « و هو على كلّ شيء قدير » بما يدلّ عليه من عموم متعلّق القدرة غير محدودة ولا مقيّدة بقيد أو شرط .

و إذ كانت الآيات ـ كما تقدّمت الإشارة إليه ـ مسوقة لإثبات المعاد كانت الآية

كالمقدّمة الاُولى لا ثباته ، و تفيد أنّ الله منزّه عن كلّ نقص و شين في ذاته و صفاته و أفعاله يملك الحكم على كلّ شيء والتصرّف فيه كيفما شاء و أراد ، - ولا يتصرّف إلّا جميلا - و قدرته تسع كلّ شيء فله أن يتصرّف في خلقه بالإعادة كما تصرّف فيهم بالابداء - الإحداث والإبقاء - فله أن يبعثهم إن تعلّقت به إرادته و لا تتعلّق إلّا بحكمه .

**قوله تعالى** : « هو الّذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن والله بما تعملون بصير » الفاء في « فمنكم » تدلّ على مجرّد ترتّب الكفروالإيمان على الخلق فلادلالة في التفريع على كون الكفر والإيمان مخلوقين لله تعالى أو غير مخلوقين ، وإنّماالمراد انشعابهم فرقتين : بعضهم كافر و بعضهم مؤمن ، و قدّم ذكر الكافر لكثرة الكفّار و غلبتهم .

و « من » في قوله : « فمنكم و منكم » للتبعيض أي فبعضكم كافر و بعضكم مؤمن .

وقد نبّه بقوله :«والله بما تعملون بصير» على أنّ انقسامهم قسمين و تفرّقهم فرقتين حقّ كما ذكر ، و هم متميّزون عنده لأنّ الملاك في ذلك أعمالهم ظاهرها و باطنهاوالله بما يعملون بصير لا تخفى عليه ولا تشتبه .

وتتضمّن الآية مقدّمة اُخرى لإثبات المعاد وتنجّزه وهي أنّ الناس مخلوقون له تعالى متميّزون عنده بالكفر والإيمان وصالح العمل و طالحه .

**قوله تعالى** : « خلق السماوات و الأرض بالحقّ و صوّركم فأحسن صوركم و إليه المصير » المراد بالحقّ خلاف الباطل وهو خلقها من غير غاية ثابتة و غرض ثابت كما قال : « لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا » الأنبياء : ١٧ ، وقال : « وما خلقنا السماوات والأرض و ما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلّا بالحقّ و لكنّ أكثرهم لا يعلمون » الدخان : ٣٩ .

و قوله : « و صوّركم فأحسن صوركم » المراد بالتصوير إعطاء الصورة و صورة الشيء قوامه و نحو وجوده كما قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » التين: ٤

وحسن الصورة تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض والمجموع لغاية وجودها، وليس هو الحسن بمعنى صباحة المنظر و ملاحته بل الحسن العامّ الساري في الأشياء كما قال تعالى : « الّذي أحسن كلّ شيء خلقه » الم السجدة: ٧ .

و لعلّ اختصاص حسن صورهم بالذكر للتنبيه على أنّها ملائمة للغاية الّتي هي الرجوع إلى الله فتكون الجملة من جملة المقدّمات المسوقة لإثبات المعاد على ما تقدّمت الإشارة إليه .

و بهذه الآية تتمّ المقدّمات المنتجة للزوم البعث و رجوع الخلق إليه تعالى فإنّه تعالى لمّا كان ملكاً قادراً على الإطلاق له أن يحكم بما شاء و يتصرّف كيف أراد و هو منزّه عن كلّ نقص و شين محمود في أفعاله ، و كان الناس مختلفين بالكفر والإيمان و هو بصير بأعمالهم ، وكانت الخلقة لغاية من غير لغو و جزاف كان من الواجب أن يبعثوا بعد نشأتهم الدنيا لنشأة اُخرى دائمة خالدة فيعيشوا فيها عيشة باقية على ما يقتضيه اختلافهم بالكفر والإيمان و هو الجزاء الّذي يسعد به مؤمنهم و يشقى به كافرهم .

و إلى هذه النتيجة يشير بقوله : « و إليه المصير » .

**قوله تعالى** : « يعلم ما في السماوات والأرض و يعلم ما تسرّون و ما تعلنون والله عليم بذات الصدور » دفع شبهة لمنكري المعاد مبنيّة على الاستبعاد و هي أنّه كيف يمكن إعادة الموجودات و هي فانية بائدة و حوادث العالم لا تحصى والأعمال والصفات لا تعدّ ، منها ظاهرة علنيّة و منها باطنة سرّيّة و منها مشهودة ومنها مغيّبة ؛ فاُجيب بأنّ الله يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرّون و ما تعلنون .

و قوله : « والله عليم بذات الصدور » قيل : إنّه اعتراض تذييليّ مقرّر لشمول علمه تعالى بما يسرّون وما يعلنون والمعنى أنّه تعالى محيط علماً بالمضمرات المستكنّة في صدور الناس ممّا لا يفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه شيء ممّا تسرّونه و ما تعلنونه .

و في قوله : « والله عليم » الخ وضع الظاهر موضع الضمير والأصل « و هو عليم » الخ والنكتة فيه الإشارة إلى علّة الحكم ، و ليكون ضابطاً يجري مجرى المثل .

**قوله تعالى** : « ألم يأتكم نبأ الّذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم » وبال الأمر تبعته السيّئة و المراد بأمرهم كفرهم و ما تفرّع عليه من فسوقهم .

لمّا كان مقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا المعدودة في الآيات السابقة وجوب معاد الناس و مصيرهم إلى ربّهم للحساب والجزاء فمن الواجب إعلامهم بما يجب عليهم أن يأتوا به أو يجتنبوا عنه و هو الشرع ، والطريق إلى ذلك الرسالة فمن الواجب إرسال رسول على أساس الإنذار والتبشير بعقاب الآخرة و ثوابها و سخطه تعالى و رضاه .

ساق تعالى الكلام بالإنذار بالإشارة إلى نبإ الّذين كفروا من قبل و أنّهم ذاقوا وبال أمرهم و لهم في الآخرة عذاب أليم ثمّ انتقل إلى بيان سبب كفرهم و هو تكذيب الرسالة ثمّ إلى سبب ذلك و هو إنكار البعث والمعاد .

ثمّ استنتج من ذلك كلّه وجوب إيمانهم بالله و رسوله والدين الّذي أنزله عليه و ختم التمهيد المذكور بالتبشير والإنذار بالإشارة إلى ما هيّىء للمؤمنين الصالحين من جنّة خالدة و لغيرهم من الكفّار المكذّبين من نار مؤبّدة .

فقوله : « ألم يأتكم نبأ الّذين كفروا من قبل » الخطاب للمشركين و فيه إشارة إلى قصص الاُمم السالفة الهالكة كقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم ممّن أهلكهم الله بذنوبهم ، و قوله : « فذاقوا وبال أمرهم » إشارة إلى ما نزل عليهم من عذاب الاستئصال و قوله : « ولهم عذاب أليم » إشارة إلى عذابهم الاُخرويّ .

**قوله تعالى** : « ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشر يهدوننا » الخ بيان لسبب ما ذكر من تعذيبهم بعذاب الاستئصال و عذاب الآخرة ، و لذلك جيىء بالفصل دون العطف كأنّه جواب لسؤال مقدّر كأنّ سائلا يسأل فيقول : لم أصابهم ما أصابهم من العذاب ؟ فقيل : «ذلك بأنّه كانت » الخ والإشارة بذلك إلى ماذكر من العذاب .

و في التعبير عن إتيان الرسل و دعوتهم بقوله : « كانت تأتيهم » الدالّ على

الاستمرار ، و عن كفرهم و قولهم بقوله : « فقالوا و كفروا و تولّوا » الدالّ بالمقابلة على المرّة دلالة على أنّهم قالوا ما قالوا كلمة واحدة قاطعة لا معدل عنها و ثبتوا عليها و هو العناد واللجاج فتكون الآية في معنى قوله تعالى : « تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها و لقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات فما كانوا ليؤمنوا بماكذّبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » الأعراف : ١٠١ ، وقوله : « ثم بعثنا من بعده (أي بعدنوح) رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبيّنات فماكانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين » يونس : ٧٤ .

و قوله : « فقالوا أبشر يهدوننا » يطلق البشر على الواحد والجمع والمراد به الثاني بدليل قوله : « يهدوننا » والتنكير للتحقير ، والاستفهام للإنكار أي قالوا على سبيل الإنكار : أآحاد من البشر لا فضل لهم علينا يهدوننا ؟

و هذا القول منهم مبنيّ على الاستكبار ، على أنّ أكثر هؤلاء الاُمم الهالكة كانوا وثنيّين وهم منكرون للنبوّة و هو أساس تكذيبهم لدعوة الأنبياء ، و لذلك فرّع تعالى على قولهم : « أبشر يهدوننا » قوله : « فكفروا و تولّوا » أي بنوا عليه كفرهم و إعراضهم .

و قوله : « و استغنى الله » الاستغناء طلب الغنى و هو من الله سبحانه ـ وهوغنيّ بالذات ـ إظهار الغنى و ذلك أنّهم كانوا يرون أنّ لهم من العلم والقوّة والاستطاعةما يدفع عن جمعهم الفناء و يضمن لهم البقاء كأنّه لا غنى للوجود عنهم كما حكى الله سبحانه عن قائلهم : « قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا » الكهف : ٣٥ ، و قال : « ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ هذا لي و ما أظنّ الساعة قائمة » حم السجدة : ٥٠ .

ومآل هذا الظنّ بالحقيقة إلى أنّ لله سبحانه حاجة إليهم و فيهم ـ وهو الغنيّ بالذات ـ فإهلاكه تعالى لهم وإفناؤهم إظهار منه لغناه عن وجودهم ، وعلى هذا فالمراد بقوله : « و استغنى الله » استئصالهم المدلول عليه بقوله : « فذاقوا وبال أمرهم » .

على أنّ الإنسان معجب بنفسه بالطبع يرى أنّ له على الله كرامة كأنّ من

الواجب عليه أن يحسن إليه أينما كان كأنّ لله سبحانه حاجة إلى إسعاده والإحسان إليه كما يشير إليه قوله تعالى : « و ما أظنّ الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى » حم السجدة : ٥٠ ، و قوله : « و ما أظنّ الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربّي لأجدنّ خيراً منها منقلباً » الكهف : ٣٦ .

و مآل هذا الزعم بالحقيقة إلى أنّ من الواجب على الله سبحانه أن يسعدهم كيفما كان كأنّ له إليهم حاجة فإذاقته لهم وبال أمرهم و تعذيبهم في الآخرة إظهار منه تعالى لغناه عنهم فالمراد باستغنائه تعالى عنهم مجموع ما اُفيد بقوله : «فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم » .

فهذان وجهان في معنى قوله تعالى : « و استغنى الله » والثاني منهما أشمل ،وفي الكلمة على أيّ حال من سطوع العظمة والقدرة ما لا يخفى ، و هو في معنى قوله : «ثمّ أرسلنا رسلنا تترا كلّما جاء اُمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون » المؤمنون : ٤٤.

و قيل : المراد و استغنى الله بإقامة البرهان و إتمام الحجّة عليهم عن الزيادة على ذلك بإرشادهم و هدايتهم إلى الإيمان .

و قيل : المراد و استغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم أزلا و أبداً لأنّه غنيّ بالذات والوجهان كما ترى .

و قوله : « والله غنيّ حميد » في محلّ التعليل لمضمون الآية ، والمعنى والله غنيّ في ذاته محمود فيما فعل ، فما فعل بهم من إذاقتهم وبال أمرهم و تعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم و توليهم من غناه و عدله لأنّه مقتضى عملهم المردود إليهم .

**قوله تعالى** : «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبّؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير» ذكر ركن آخر من أركان كفر الوثنيّين وهو إنكارهم الدين السماويّ بإنكار المعاد إذ لا يبقى مع انتفاء المعاد أثر للدين المبنيّ على الأمر والنهي والحساب والجزاء و يصلح تعليلا لإنكار الرسالة إذ لا معنى حينئذ للتبليغ والوعيد .

والمراد بالّذين كفروا عامّة الوثنيّين ومنهم من عاصر النبيّ ﷺ منهم كأهل مكّة

و ما والاها ، و قيل : المراد أهل مكّة خاصّة .

و قوله : « قل بلى و ربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبؤّن بما عملتم » أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عن زعمهم أن لن يبعثوا ، بإثبات ما نفوه بما في الكلام من أصناف التأكيد بالقسم واللاّم والنون .

و « ثمّ » في « ثمّ لتنبؤّن » للتراخي بحسب رتبة الكلام ، و في الجملة إشارة إلى غاية البعث و هو الحساب و قوله : « و ذلك على الله يسير » أي ما ذكر من البعث والإنباء بالأعمال يسير عليه تعالى غير عسير ، و فيه ردّ لإحالتهم أمر البعث على الله سبحانه استبعادا ، و قد عبّر عنه في موضع آخر من كلامه بمثل قوله : « و هو الّذي يبدء الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه » الروم : ٢٧ .

والدليل عليه ماعدّه في صدر الآيات من أسمائه تعالى وصفاته من الخلق والملك والعلم و أنّه مسبّح محمود ، ويجمع الجميع أنّهالله المستجمع لجميع صفات الكمال.

و يظهر من هنا أنّ التصريح باسم الجلالة في الجملة أعني قوله : « وذلك على الله يسير » للإيماء إلى التعليل ، والمفاد أنّ ذلك يسيرعليه تعالى لأنّه الله ، والكلام حجّة برهانيّة لا دعوى مجرّدة .

و ذكروا أنّ الآية ثالثة الآيات الّتي أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم بربّه على وقوع المعاد و هي ثلاث : إحداها قوله : « و يستنبؤنك أحقّ هو قل أي و ربّي » يونس : ٥٣ ، والثانية قوله : « و قال الّذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربّي لتأتينّكم » سبا : ٣ ، والثالثة الآية الّتي نحن فيها .

**قوله تعالى** : « فآمنوا بالله و رسوله و النورالّذي أنزلنا والله بما تعملون خبير» تفريع على مضمون الآية السابقة أي إذا كنتم مبعوثين لا محالة منبّئين بما عملتم وجب عليكم أن تؤمنوا بالله و رسوله والنور الّذي أنزله على رسوله وهو القرآن الّذي يهدي بنوره الساطع إلى مستقيم الصراط ، و يبيّن شرائع الدين .

و في قوله : « و النور الّذي أنزلنا » التفات من الغيبة إلى التكلّم مع الغير و لعلّ النكتة فيه تتميم الحجّة بالسلوك من طريق الشهادة و هي أقطع للعذرفكم فرق

بين قولنا : والنور الّذي اُنزل و هو إخبار ، وقوله : « والنور الّذي أنزلنا » ففيه شهادة منه تعالى على أنّ القرآن كتاب سماويّ نازل من عنده تعالى ، والشهادة آكد من الإخبار المجرّد .

لا يقال : ما ذا ينفع ذلك و هم ينكرون كون القرآن كلامه تعالى النازل من عنده و لو صدّقوا ذلك كفاهم ما مرّ من الحجّة على المعاد و أغنى عن التمسّك بذيل الالتفات المذكور .

لأنّه يقال : كفي في إبطال إنكارهم كونه كلام الله ما في القرآن من آيات التحدّي المثبتة لكونه كلام الله ، والشهادة على أيّ حال آكد و أقوى من الإخبار و إن كان مدلّلا .

و قوله : « والله بما تعملون خبير » تذكرة بعلمه تعالى بدقائق أعمالهم ليتأكّد به الأمر في قوله : « فآمنوا » والمعنى آمنوا وجدّوا في إيمانكم فإنّه عليم بدقائق أعمالكم لا يغفل عن شيء منها و هو مجازيكم بها لا محالة .

**قوله تعالى** : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » الخ « يوم » ظرف لقوله السابق : « لتبعثنّ ثمّ لتنبّؤنّ » الخ والمراد بيوم الجمع يوم القيامة الّذي يجمع فيه الناس لفصل القضاء بينهم قال تعالى : « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » الكهف: ٩٩ و قد تكرّر في القرآن الكريم حديث الجمع ليوم القيامة ، و يفسّره أمثال قوله تعالى : « إنّ ربّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » الجاثية : ١٧ ، و قوله : « فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » البقرة : ١١٣، وقوله: « إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » السجدة : ٢٥ فالآيات تشير إلى أنّ جمعهم للقضاء بينهم .

و قوله : « ذلك يوم التغابن » قال الراغب : الغبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء . قال: ويوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المعاملة المشار إليها بقوله : « و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » و بقوله : « إنّ الله اشترى من المؤمنين » الآية ، و بقوله : « الّذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً

قليلا » فعلموا أنّهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة و فيما تعاطوه من ذلك جميعاً .

وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال : تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا. انتهى موضع الحاجة .

و ما ذكره أوّلاً مبنيّ على تفسير التغابن بسريان المغبونيّة بين الكفّار بأخذهم لمعاملة خاسرة و تركهم معاملة رابحة ، و هو معنى حسن غير أنّه لا يلائم معنى باب التفاعل الظاهر في فعل البعض في البعض .

و ما نقله عن بعضهم وجه ثان لا يخلو من دقّة ، و يؤيّده مثل قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اُخفي لهم من قرّة أعين » الم السجدة : ١٧ ، و قوله : « لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد » ق : ٣٥ ، و قوله : « و بدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » الزمر : ٤٧ .

ومقتضى هذا الوجه عموم التغابن لجميع أهل الجمع من مؤمن و كافر أمّا المؤمن فلما أنّه لم يعمل لآخرته أكثر ممّا عمل ، و أمّا الكافر فلأنّه لم يعمل أصلا ، والوجه المشترك بينهما أنّهما لم يقدّرا اليوم حقّ قدره .

و يرد على هذا الوجه ما يرد على سابقه .

و هناك وجه ثالث و هو أن يعتبر التغابن بين أهل الضلال متبوعيهم و تابعيهم فالمتبوعون و هم المستكبرون يغبنون تابعيهم و هم الضعفاء حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا و ترك الآخرة فيضلّون ، والتابعون يغبنون المتبوعين حيث يعينونهم في استكبارهم باتّباعهم فيضلّون ، فكلّ من الفريقين غابن لغيره و مغبون من غيره .

وهناك وجه رابع وردت به الرواية وهو أنّ لكلّ عبد منزلاً في الجنّة لوأطاع الله لدخله ، و منزلاً في النار لو عصى الله لدخله و يوم القيامة يعطى منازل أهل النار في الجنّة لأهل الجنّة ، و يعطى منازل أهل الجنّة في النّار لأهل النار فيكون أهل الجنّة وهم المؤمنون غابنين لأهل النار و هم الكفّار والكفّارهم المغبونون .

و قال بعض المفسّرين بعد إيراد هذا الوجه : و قد فسّر التغابن قوله ذيلاً : « و من يؤمن بالله ــ إلى قوله ــ و بئس المصير » انتهى وليس بظاهر ذاك الظهور .

و قوله : « و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً ـ إلى قوله ـ و بئس المصير » تقدّم تفسيره مراراً .

## ﴿ بحث روائي ﴾

في صحيح البخاريّ عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من عبد يدخل الجنّة إلّا اُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا . و ما من عبد يدخل النار إلّا اُري مقعده من الجنّة لو أحسن ليزداد حسرة .

**اقول** : و في هذا المعنى روايات كثيرة من طرق العامّة والخاصّة و قد تقدّم بعضها في تفسير أوّل سورة المؤمنون .

و في تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء والأرض ، و يوم التناد يوم ينادي أهل النار أهل الجنّة « أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله » و يوم التغابن يوم يغبن أهل الجنّة أهل النار ، و يوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح .

**اقول** : و في ذيل آيات صدر السورة المبحوث عنها عدّة من الروايات توجّه الآيات بشؤن الولاية كالّذي ورد أنّ الإيمان والكفر هما الإيمان والكفر بالولاية يوم أخذ الميثاق ، و ما ورد أنّ المراد بالبيّنات الأئمّة ، و ما ورد أنّ المراد بالنور الإمام و هي جميعاً ناظرة إلى بطن الآيات وليست بمفسّرة البتّة .



* * *

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) .

## ﴿ بيان ﴾

شروع فيما هو الغرض من السورة بعد ما مرّ من التمهيد والتوطئة و هو الندب إلى الإنفاق في سبيل الله والصبر على ما يصيبهم من المصائب في خلال المجاهدة في الله سبحانه .

و قدّم ذكر المصيبة والإشارة إلى الصبر عليها ليصفو المقام لما سيندب إليه من الإنفاق و ينقطع العذر .

**قوله تعالى** : « ما أصاب من مصيبة إلّا بإذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه والله

بكلّ شيء عليم » المصيبة صفة شاع استعمالها في الحوادث السوء الّتي تصحب الضر ، والإذن الإعلام بالرخصة وعدم المانع و يلازم علم الآذن بماأذن فيه ، وليس هوالعلم كما قيل .

فظهر بما تقدّم أوّلا أنّ إذنه تعالى في عمل سبب من الأسباب هو التخلية بينه و بين مسبّبه برفع الموانع الّتي تتخلّل بينه و بين مسبّبه فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببيّته كالنار تقتضي إحراق القطن مثلا لو لا الفصل بينهما والرطوبة فرفع الفصل بينهما والرطوبة من القطن مع العلم بذلك إذن في عمل النار في القطن بما تقتضيهذاتها أعني الإحراق .

و قد كان استعمال الإذن في العرف العامّ مختصّا بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الإعلام في مفهومه فيقال : أذنت لفلان أن يفعل كذا ولا يقال : أذنت للنار أن تحرق ، ولا أذنت للفرس أن يعدو ، لكنّ القرآن الكريم يستعمله فيما يعمّ العقلاء و غيرهم بالتحليل كقوله : « و ما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله » النساء : ٦٤ ، و قوله : «والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه » الأعراف : ٥٨ ، ولا يبعد أن يكون هذا التعميم مبنيّاً على ما يفيده القرآن من سريان العلم والإدراك في الموجودات كما قدّمناه في تفسير قوله : « قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء » حمٓ السجدة : ٢١ .

و كيف كان فلا يتمّ عمل من عامل ولا تأثير من مؤثّر إلّا بإذن من الله سبحانه فما كان من الأسباب غير تامّ له موانع لو تحقّقت منعت من تأثيره فإذنه تعالى له في أن يؤثّر رفعه الموانع ، و ما كان منها تامّاً لا مانع له يمنعه فإذنه له عدم جعله لهشيأ من الموانع فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك .

و ثانيا أنّ المصائب و هي الحوادث الّتي تصيب الإنسان فتؤثّر فيه آثاراً سيّئة مكروهة إنّما تقع بإذن من الله سبحانه كما أنّ الحسنات كذلك لاستيعاب إذنهتعالى صدور كلّ أثر من كلّ مؤثّر .

و ثالثا أنّ هذا الإذن إذن تكوينيّ غيرالإذن التشريعيّ الّذي هو رفع الحظر

عن الفعل فإصابة المصيبة تصاحب إذناً من الله في وقوعها و إن كانت من الظلم الممنوع فإنّ كون الظلم ممنوعاً غير مأذون فيه إنّما هو من جهة التشريع دون التكوين .

و لذا كانت بعض المصائب غير جائزة الصبر عليها ولا مأذوناً في تحمّلها و يجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع كالمظالم المتعلّقة بالأعراض والنفوس .

ومن هنا يظهر أنّ المصائب الّتي ندب إلى الصبر عندها هي الّتي لم يؤمر المصاب عندها بالذبّ والامتناع عن تحمّلها كالمصائب العامّة الكونيّة من موت و مرض ممّا لا شأن لاختيار الإنسان فيها ، و أمّا ما للاختيار فيها دخل كالمظالم المتعلّقة نوع تعلّق بالاختيار من المظالم المتوجّهة إلى الأعراض فللإنسان أن يتوقّاها ما استطاع .

و قوله : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » كان ظاهر سياق قوله : « ما أصاب من مصيبة إلّا بإذن الله » يفيد أنّ لله سبحانه في الحوادث الّتي تسوء الإنسان علماً ومشيّة فليست تصيبه مصيبة إلّا بعد علمه تعالى ومشيّته فليس لسبب من الأسباب الكونيّة أن يستقلّ بنفسه فيما يؤثّره فإنّما هو نظام الخلقة لاربّ يملكه إلّا خالقه فلا تحدث حادثة ولا تقع واقعة إلّا بعلم منه و مشيّة فلم يكن ليخطئه ما أصابه ولم يكن ليصيبه ما أخطأه .

و هذه هي الحقيقة الّتي بيّنها بلسان آخر في قوله : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير » الحديد : ٢٢ .

فالله سبحانه ربّ العالمين و لازم ربوبيّته العامّة أنّه وحده يملك كلّ شيء لا مالك بالحقيقة سواه ، والنظام الجاري في الوجود مجموع من أنحاء تصرّفاته في خلقه فلا يتحرّك متحرّك ولا يسكن ساكن إلّا عن إذن منه ، ولا يفعل فاعل ولا يقبل قابل إلّا عن علم سابق منه و مشيّة لا يخطيء علمه و مشيّته ولا يردّ قضاؤه .

فالإذعان بكونه تعالى هوالله يستعقب اهتداء النفس إلى هذه الحقائق واطمئنان القلب و سكونه و عدم اضطرابه و قلقه من جهة تعلّقه بالأسباب الظاهريّة و إسناده المصائب والنوائب المرّة إليها دون الله سبحانه .

و هذا معنى قوله تعالى : « و من يؤمن بالله يهد قلبه » .

و قيل : معنى الجملة و من يؤمن بتوحيد الله و يصبر لأمر الله يهد قلبه للاسترجاع حتّى يقول : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ؛ و فيه إدخال الصبر في معنى الإيمان .

و قيل : المعنى و من يؤمن بالله يهد قلبه إلى ما عليه أن يفعل فإن ابتلى صبر و إن اُعطي شكر و إن ظلم غفر ؛ و هذا الوجه قريب ممّا قدّمناه .

و قوله : « والله بكلّ شيء عليم » تأكيد للاستثناء المتقدّم ، و يمكن أن يكون إشارة إلى ما يفيده قوله : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها » الحديد : ٢٢ .

**قوله تعالى** : « و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين » ظاهر تكرار « أطيعوا » دون أن يقال : أطيعوا الله والرسول اختلاف المراد بالإطاعة فالمراد بإطاعة الله تعالى الانقياد له فيما شرّعه لهم من شرائع الدين والمراد بإطاعة الرسول الانقياد له وامتثال مايأمر به بحسب ولايته للاُمّة على ما جعلها الله له .

و قوله : « فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين » التولّي الإعراض ، والبلاغ التبليغ ، والمعنى فإن أعرضتم عن إطاعة الله فيما شرّع من الدين أو عن إطاعة الرسول فيما أمركم به بما أنّه وليّ أمركم ، فلم يكرهكم رسولنا على الطاعة فإنّه لم يؤمر بذلك ، و إنّما اُمر بالتبليغ و قد بلّغ .

و من هنا يظهر أنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله فيما وراء الأحكام والشرائع من تبليغ رسالة الله فأمره و نهيه فيما تولّيه من أمر الله و نهيه ، وطاعته فيهما من طاعة الله تعالى كما يدلّ عليه إطلاق قوله تعالى : «وما أرسلنامن رسول إلّا ليطاع بإذن الله» النساء: ٦٤ . الظاهر في أنّ طاعة الرسول فيما يأمرو ينهى مطلقاً مأذون فيه بإذن الله ، و إذنه في طاعته يستلزم علمه و مشيّته لطاعته ، و إرادة طاعة الأمر والنهي إرادة لنفس الأمر والنهي فأمر النبي صلى الله عليه وآله و نهيه من أمر الله و نهيه وإن كان فيما وراء الأحكام والشرائع المجعولة له تعالى .

و لما تقدّم من رجوع طاعة الرسول إلى طاعة الله التفت من الغيبة إلى الخطاب في قوله : « رسولنا » و فيه مع ذلك شيء من شائبة التهديد .

**قوله تعالى** : « الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتوكّل المؤمنون » في مقام التعليل لوجوب إطاعة الله على ما تقدّم أنّ طاعة الرسول من طاعة الله توضيح ذلك أنّ الطاعة بمعنى الانقياد والائتمار للأمر والانتهاء عن النهي من شؤون العبوديّة حيث لا أثر لملك المولى رقبة عبده إلّا مالكيّته لإرادته و عمله فلا يريد إلّا ما يريد المولى أن يريده ولا يعمل إلّا ما يريد المولى أن يعمله فالطاعة نحو من العبودية كما يشير إليه قوله : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » يس : ٦٠ يعاتبهم بعبادة الشيطان و إنّما أطاعوه .

فطاعة المطيع بالنسبة إلى المطاع نوع عبادة له ، و إذ لا معبود إلّا الله فلا طاعة إلّا لله عزّ اسمه أو من أمر بطاعته فالمعنى أطيعوا الله سبحانه إذ لا طاعة إلّا لمعبود ولا معبود بالحقّ إلّا الله فيجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به بطاعة غيره وعبادته كالشيطان و هوى النفس و هذا معنى كون الجملة في مقام التعليل .

و بما مرّ يظهر وجه تخصيص صفة الاُلوهيّة الّتي تفيد معنى المعبوديّة ، بالذكر دون صفة الربوبيّة فلم يقل : الله لا ربّ غيره .

وقوله : «و على الله فليتوكّل المؤمنون» تأكيد لمعنى الجملة السابقة أعني قوله : « الله لا إله إلّا هو » .

توضيحه أنّ التوكيل إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في إدارة اُموره و لازم ذلك قيام إرادته مقام إرادة موكّله و فعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعة فإنّ المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادة المطاع فتقوم إرادة المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلّقا لإرادة المطاع صادراً منها اعتباراً فترجع الإطاعة توكيلاً بوجه كما أنّ التوكيل إطاعة بوجه .

فإطاعة العبد لربّه إتباع إرادته لإرادة ربّه والإتيان بالفعل على هذا النمط و بعبارة اُخرى إيثار إرادته و ما يتعلّق بها من العمل على إرادة نفسه و ما يتعلّق بها

من العمل .

فطاعته تعالى فيما شرّع لعباده و ما يتعلّق بها نوع تعلّق من التوكّل عليه ، و طاعته واجبة لمن عرفه و آمن به فعلى الله فليتوكّل المؤمنون و إيّاه فليطيعوا ، وأمّا من لم يعرفه ولم يؤمن به فلا تتحقّق منه طاعة .

و قد بان بما تقدّم أنّ الإيمان والعمل الصالح نوع من التوكّل على الله تعالى .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم و أولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم » الخ « من » في « أزواجكم » للتبعيض ، و سياق الخطاب بلفظ « يا أيّها الّذين آمنوا » و تعليق العداوة بهم يفيد التعليل أي أنّهم يعادونهم بما أنّهم مومنون ، والعداوة من جهة الإيمان لا تتحقّق إلّا باهتمامهم أن يصرفوهم عن أصل الإيمان أو عن الأعمال الصالحة كالإنفاق في سبيل الله و الهجرة من دار الكفر أو أن يحملوهم على الكفر أو المعاصي الموبقة كالبخل عن الإنفاق في سبيل الله شفقة على الأولاد والأزواج والغصب و اكتساب المال من غير طريق حلّه .

فالله سبحانه يعدّ بعض الأولاد والأزواج عدوّاً للمؤمنين في إيمانهم حيث يحملونهم على ترك الإيمان بالله أو ترك بعض الأعمال الصالحة أو اقتراف بعض الكبائر الموبقة و ربّما أطاعوهم في بعض ذلك شفقة عليهم و حبّاً لهم فأمرهم الله بالحذر منهم .

و قوله : « و إن تعفوا و تصفحوا و تغفروا فإنّ الله غفور رحيم » قال الراغب : العفو القصد لتناول الشيء يقال : عفاه و اعتفاه أي قصده متناولاً ما عنده ـ إلى أن قال ـ و عفوت عنه قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه ، و قال : الصفح ترك التثريب و هو أبلغ من العفو ، و لذلك قال تعالى : «فاعفوا و اصفحوا حتّى يأتي الله بأمره » وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ، و قال : الغفر إلباس ما يصونه عن الدنس ، و منه قيل : اغفر ثوبك في الوعاء و اصبغ ثوبك فإنّه أغفر للوسخ ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب قال : « غفرانك ربّنا » « و مغفرة من ربّكم » « و من يغفر الذنوب إلّا الله » انتهى .

ففي قوله : « فاعفوا و اصفحوا واغفروا » ندب إلى كمال الإغماض عن الأولاد

والأزواج إذا ظهر منهم شيء من آثار المعاداة المذكورة ـ مع الحذر من أن يفتتن بهم ـ .

و في قوله : « فإنّ الله غفور رحيم » إن كان المراد خصوص مغفرته و رحمته للمخاطبين إن يعفوا و يصفحوا و يغفروا كان وعداً جميلاً لهم تجاه عملهم الصالح كما في قوله تعالى : « و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم » النور : ٢٢ .

و إن اُريد مغفرته و رحمته العامّتان من غير تقييد بمورد الخطاب أفاد أنّ المغفرة والرحمة من صفات الله سبحانه فإن عفوا و صفحوا و غفروا فقد اتّصفوا بصفات الله و تخلّقوا بأخلاقه .

**قوله تعالى** : « إنّما أموالكم و أولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » الفتنة ما يبتلى و يمتحن به ، و كون الأموال والبنين فتنة إنّما هو لكونهما زينة الحياة تنجذب إليهما النفس انجذاباً فتفتتن وتلهو بهما عمّا يهمّها من أمر آخرته و طاعة ربّه قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » الكهف : ٤٦ .

والجملة كناية عن النهي عن التلهّي بهما والتفريط في جنب الله باللّهى إليهما و يؤكّده قوله : « والله عنده أجر عظيم » .

**قوله تعالى** : «فاتّقوا الله ما استطعتم » الخ أي مبلغ استطاعتكم ـ على ما يفيده السياق فإنّ السياق سياق الدعوة والندب إلى السمع والطاعة والإنفاق والمجاهدة في الله ـ والجملة تفريع على قوله : « إنّما أموالكم » الخ فالمعنى اتّقوه مبلغ استطاعتكم ولا تدعوا من الاتّقاء شيأ تسعه طاقتكم وجهدكم فتجري الآية مجرى قوله : « اتّقوا الله حقّ تقاته » آل عمران : ١٠٢ ، وليست الآية ناظرة إلى نفي التكليف بالاتّقاء فيما وراء الاستطاعة و فوق الطاقة كما في قوله : « ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » البقرة : ٢٨٦ .

و قد بان ممّا مرّ :

أوّلا أن لا منافاة بين الآيتين أعني قوله : « فاتّقوا الله ما استطعتم » و قوله : « اتّقوا الله حقّ تقاته » و أنّ الاختلاف بينهما كالاختلاف بالكمّيّة والكيفيّة فقوله:

« فاتّقوا الله ما استطعتم » أمر باستيعاب جميع الموارد الّتي تسعها الاستطاعة بالتقوى ، و قوله : « اتّقوا الله حقّ تقاته » أمر بالتلبّس في كلّ من موارد التقوى بحقّ التقوى دون شبحها و صورتها .

وثانيا فساد قول بعضهم : إنّ قوله : « فاتّقوا الله ما استطعتم » ناسخ لقوله : « اتّقوا الله حقّ تقاته » وهو ظاهر .

و قوله : « واسمعوا و أطيعوا و أنفقوا خيراً لأنفسكم » توضيح و تأكيد لقوله : « فاتّقوا الله ما استطعتم » والسمع الاستجابة والقبول وهو في مقام الالتزام القلبيّ ، والطاعة الانقياد و هو في مقام العمل ، والإنفاق المراد به بذل المال في سبيل الله .

و « خيراً لأنفسكم » منصوب بمحذوف - على ما في الكشّاف - والتقدير آمنوا خيراً لأنفسكم ، و يحتمل أن يكون « أنفقوا » مضمّناً معنى قدّموا أو ما يقرب منه بقرينة المقام ، وفي قوله : « لأنفسكم » دون أن يقال : خيراً لكم زيادة تطييب لنفوسهم أي إنّ الإنفاق خير لكم لا ينتفع به إلّا أنفسكم لما فيه من بسط أيديكم وسعة قدرتكم على رفع حوائج مجتمعكم .

و قوله : « و من يوق شحّ نفسه فاُولئك هم المفلحون » تقدّم تفسيره في تفسير سورة الحشر .

**قوله تعالى** : « إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم » المراد بإقراض الله الإنفاق في سبيله سمّاه الله إقراضاً لله وسمّى المال المنفق قرضاً حسناً حثّاً و ترغيباً لهم فيه .

و قوله : « يضاعفه لكم و يغفر لكم » إشارة إلى حسن جزائه في الدنيا والآخرة.

والشكور والحليم و عالم الغيب والشهادة والعزيز والحكيم خمسة من أسماء الله الحسنى تقدّم شرحها ، و وجه مناسبتها لما اُمر به في الآية من السمع والطاعة والإنفاق ظاهر .

## ﴿بحث روائى﴾

في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «إنّ من أزواجكم و أولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم » و ذلك أنّ الرجل إذا أراد الهجرة تعلّق به ابنه و امرأته و قالوا : ننشدك الله أن تذهب عنّا فنضيع بعدك فمنهم من يطيع أهله فيقيم فحذّرهم الله أبناءهم و نساءهم و نهاهم عن طاعتهم ، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول : أما والله لئن لم تهاجروا معي ثمّ جمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لاأنفعكم بشيء أبداً .

فلمّا جمع الله بينه و بينهم أمر الله أن يتوق بحسن وصله فقال : « و إن تعفوا و تصفحوا و تغفروا فإنّ الله غفور رحيم » .

**أقول** : و روي هذا المعنى في الدرّ المنثور عن عدّة من أصحاب الجوامع عن ابن عبّاس .

وفي الدرّ المنثور في قوله تعالى : «إنّما أموالكم وأولادكم فتنة » عن ابن مردويه عن عبادة بن الصامت و عبد الله بن أبي أوفى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لكلّ اُمّة فتنة و فتنة اُمّتي المال .

**اقول** : و روى مثله أيضا عنه عن كعب بن عياض عنه صلى الله عليه وآله .

و فيه أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و أبو داود والترمذيّ والنسائيّ و ابن ماجه والحاكم و ابن مردويه عن بريدة قال : كان النبيّ صلى الله عليه وآله يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما واحداً من ذا الشقّ و واحداً من ذا الشقّ ثمّ صعد المنبر فقال : صدق الله قال : « إنّما أموالكم و أولادكم فتنة » إنّي لمّا نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان و يعثران لم أصبر أن قطعت كلامي و نزلت إليهما .

**اقول** : والرواية لاتخلو من شيء وأنّى تنال الفتنة من النبيّ صلى الله عليه وآله وهو سيّد الأنبياء المخلصين معصوم مؤيّد بروح القدس .

و أفظع لحناً من هذا الحديث ما رواه عن ابن‌مردويه عن عبدالله عمر أنّ رسول الله ﷺ بينما هو يخطب الناس على المنبر خرج الحسين بن عليّ فوطأ في ثوب كان عليه فسقط فبكى فنزل‌رسول‌الله ﷺ عن المنبر .

فلمّا رأى الناس أسرعوا إلى الحسين يتعاطونه يعطيه بعضهم بعضاً حتّى وقع في يد رسول الله ﷺ فقال : قاتل الله الشيطان إنّ الولد لفتنة ، والّذي نفسي بيده ما دريت أنّي نزلت عن منبري .

و مثله ما عن ابن المنذر عن يحيى بن أبي كثير قال : سمع النبيّ ﷺ بكاء حسن أو حسين فقال النبيّ ﷺ : الولد فتنة لقد قمت إليه و ما أعقل .

فالوجه طرح الروايات إلّا أن تؤوّل .

و في تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع حدّثنا سفيان بن مرّة الهمدانيّ عن عبد خير سألت عليّ بن أبي طالب عن قوله تعالى : « اتّقوا الله حقّ تقاته » قال : والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله ﷺ . نحن ذكرنا الله فلاننساه و نحن شكرناه فلن نكفره ، و نحن أطعناه فلم نعصه .

فلمّا نزلت‌هذه قالت الصحابة : لانطيق ذلك فأنزل‌الله : « فاتّقوا الله مااستطعتم» الحديث .

و في تفسير القميّ حدّثني أبي عن الفضل بن أبي مرّة قال : رأيت أبا عبدالله عليه السّلام يطوف من أوّل الليل إلى الصباح و هو يقول : اللّهمّ وقني شحّ نفسي فقلت : جعلت فداك ما رأيتك تدعو بغير هذا الدعاء فقال : و أيّ شيء أشدّ من شحّ النفس ؟ إنّ الله يقول : « و من يوق شحّ نفسه فاُولئك هم المفلحون » .

﴿ سورة الطلاق مدنيّة وهي اثنتا عشرة آية ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ اِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاٰ يَخْرُجْنَ اِلاّٰ أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاٰ تَدْرِي لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً(١) فَاِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهٰادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ اِنَّ اللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ( ٣ ) وَاللاّٰئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسٰائِكُمْ اِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلٰثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاّٰئِي لَمْ يَحِضْنَ وَ اُولاٰتُ الْأَحْمٰالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (٤) ذٰلِكَ أَمْرُ اللّٰهِ أَنْزَلَهُ اِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ اَجْراً(٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاٰ تُضٰارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ اِنْ كُنَّ اُولاٰتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَاِنْ اَرْضَعْنَ

لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (٧) .

## ﴿ بيان ﴾

تتضمّن السورة بيان كليّات من أحكام الطلاق تعقّبه عظة و إنذار و تبشير والسورة مدنيّة بشهادة سياقها .

**قوله تعالى** : « يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ و أحصوا العدّة » إلى آخر الآية بدىء الخطاب بنداء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه الرسول إلى الاُمّة و إمامهم فيصلح لخطابه أن يشمله و أتباعه من اُمّته و هذا شائع في الاستعمال يخصّ مقدّم القوم و سيّدهم بالنداء و يخاطب بما يعمّه و قومه فلاموجب لقول بعضهم : إنّ التقدير يا أيّها النبيّ قل لاُمّتك : إذا طلّقتم النساء الخ .

و قوله : « إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ » أي إذا أردتم أن تطلّقوا النساء و أشرفتم على ذلك إذ لا معنى لتحقّق الطلاق بعد وقوع الطلاق فهو كقوله : « إذاقمتم إلى الصلاة فاغسلوا » الآية المائده : ٦ .

والعدّة قعودالمرأة عن الزوج حتّى تنقضي المدّة المرتّبة شرعا، والمراد بتطليقهنّ لعدّتهنّ تطليقهنّ لزمان عدّتهن بحيث يأخذ زمان العدّة من يوم تحقّق التطليقة و ذلك بأن تكون التطليقة في طهر لا مواقعة فيه حتّى تنقضي أقراؤها .

و قوله : « و أحصوا العدّة » أي عدّوا الأقراء الّتي تعتدّ بها ، و هو الاحتفاظ عليها لأنّ للمرأة فيها حقّ النفقة والسكنى على زوجها و للزوج فيها حقّ الرجوع.

و قوله : « و اتّقوا الله ربّكم لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ » ظاهر السياق كون

« لا تخرجوهنّ » الخ بدلاً من « اتّقوا الله ربّكم » و يفيد ذلك تأكيد النهي في « لا تخرجوهنّ » والمراد ببيوتهنّ البيوت الّتي كنّ يسكنّه قبل الطلاق اُضيفت إليهنّ بعناية السكنى .

و قوله : « ولا يخرجن » نهي عن خروجهنّ أنفسهنّ كما كان سابقه نهياً عن إخراجهنّ .

و قوله : « إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة » أي ظاهرة كالزنا والبذاء و إيذاء أهلها كما في الروايات المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام .

و قوله : « و تلك حدود الله و من يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه » أي الأحكام المذكورة للطلاق حدودالله حدّبها أعمالكم ومن يتعدّ ويتجاوز حدود الله بأن لم يراعها و خالفها فقد ظلم نفسه أي عصى ربّه .

و قوله : « لا تدري لعلّ الله يحدث بعدذلك أمرا » أي أمرا يقضي بتغيّرالحال و تبدّل رأي الزوج فيطلاقها بأن يميل إلى الالتيام ويظهر في قلبه محبّة حبّ الرجوع إلى سابق الحال .

**قوله تعالى** : « فإذا بلغن أجلهنّ فأمسكوهنّ بمعروف أو فارقوهنّ بمعروف ـ إلى قوله ـ واليوم الآخر » المراد من بلوغهنّ أجلهنّ اقترابهنّ من آخر زمان العدّة وإشرافهنّ عليه ، والمراد بإمساكهنّ الرجوع علىسبيل الاستعارة ، و بمفارقتهنّ تركهنّ ليخرجن من العدّة و يبنّ .

والمراد بكون الإمساك بمعروف حسن الصحبة و رعاية ماجعل الله لهنّ من الحقوق ، و بكون فراقهنّ بمعروف أيضا احترام الحقوق الشرعيّة فالتقدير بمعروف من الشرع .

و قوله : « و أشهدوا ذوي عدل منكم » أي أشهدوا على الطلاق رجلين منكم صاحبي عدل ، و قد مرّ توضيح معنى العدل في تفسير سورة البقرة .

و قوله : « و أقيموا الشهادة لله » تقدّم توضيحه في تفسير سورة البقرة .

و قوله : « ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر » أي ما مرّ من

الأمر بتقوى الله و إقامة الشهادة لله والنهي عن تعدّي حدود الله أو مجموع ما مرّ من الأحكام والبعث إلى التقوى والإخلاص في الشهادة والزجر عن تعدّي حدود الله يوعظ به المؤمنون ليركنوا إلى الحقّ و ينقلعوا عن الباطل ، وفيه إيهام أنّ في الإعراض عن هذه الأحكام أو تغييرها خروجا من الإيمان .

**قوله تعالى** : « و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب - إلى قوله - قدرا » أي « و من يتّق الله » و يتورّع عن محارمه و لم يتعدّ حدوده و احترم لشرائعه فعمل بها « يجعل له مخرجا » من مضائق مشكلات الحياة فإنّ شريعته فطرية يهدي بها الله الإنسان إلى ما تستدعيه فطرته وتقضي به حاجته و تضمن سعادته في الدنيا والآخرة « و يرزقه » من الزوج والمال وكلّ ما يفتقر إليه في طيب عيشه وزكاة حياته « من حيث لا يحتسب » و لا يتوقّع فلا يخف المؤمن أنّه إن اتّقى الله و احترم حدوده حرم طيب الحياة و ابتلي بضنك المعيشة فإنّ الرزق مضمون والله على ما ضمنه قادر .

« و من يتوكّل على الله » باعتزاله عن نفسه فيما تهواه و تأمر به و إيثاره إرادة الله سبحانه على إرادة نفسه والعمل الّذي يريده الله على العمل الّذي تهواه وتريده نفسه و بعبارة اُخرى تديّن بدين الله و عمل بأحكامه « فهو حسبه » أي كافيه فيما يريده من طيب العيش و يتمنّاه من السعادة بفطرته لا بواهمته الكاذبة .

و ذلك أنّه تعالى هو السبب الأعلى الّذي تنتهي إليه الأسباب فإذا أراد شيأ فعله و بلغ ما أراده من غير أن تتغيّر إرادته فهو القائل : « ما يبدّل القول لديّ » ق : ٢٩ أو يحول بينه و بين ما أراده مانع فهو القائل : «والله يحكم لا معقّب لحكمه» الرعد : ٤١ ، و أمّا الأسباب الاُخر الّتي يتشبّث بها الإنسان في رفع حوائجه فإنّما تملك من السببيّة ما ملّكها الله سبحانه وهو المالك لما ملّكها والقادر على ما عليه أقدرها ولها من الفعل مقدار ما أذن الله فيه .

فالله كاف لمن توكّل عليه لا غيره « إنّ الله بالغ أمره » يبلغ حيث أراد ، وهو القائل : «إنّما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون » « قد جعل الله لكلّ شيء قدرا» فما

من شيء إلّا له قدر مقدور وحدّ محدود والله سبحانه لا يحدّه حدّ و لا يحيط به شيء و هو المحيط بكلّ شيء .

هذا هو معنى الآية بالنظر إلى وقوعها في سياق آيات الطلاق و انطباقها على المورد .

و أمّا بالنظر إلى إطلاقها في نفسها مع الغضّ عن السياق الّذي وقعت فيه فقوله: « و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » مفاده أنّ من اتّقى الله بحقيقة معنى تقواه ولا يتمّ ذلك إلّا بمعرفته تعالى بأسمائه و صفاته ثمّ تورّعه واتّقاؤه بالاجتناب عن المحرّمات وتحرّز ترك الواجبات خالصاً لوجهه الكريم ، ولازمه أن لا يريد إلّا ما يريده الله من فعل أو ترك ، و لازمه أن يستهلك إرادته في إرادة الله فلا يصدر عنه فعل إلّا عن إرادة من الله .

ولازم ذلك أن يرى نفسه وما يترتّب عليها من سمة أوفعل ملكاً طلقاً لله سبحانه يتصرّف فيها بما يشاء وهو ولاية الله يتولّى أمر عبده فلايبقى له من الملك بحقيقة معناه شيء إلّا ما ملّكه الله سبحانه و هو المالك لما ملّكه و الملك لله عزّ اسمه .

وعند ذلك ينجيه الله من مضيق الوهم و سجن الشرك بالتعلّق بالأسباب الظاهريّة « و يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » أمّا الرزق المادّي فإنّه كان يرى ذلك من عطايا سعيه والأسباب الظاهريّة الّتي كان يطمئنّ إليها و ما كان يعلم من الأسباب إلّا قليلا من كثير كقبس من نار يضيء للإنسان في الليلة الظلماء موضع قدمه و هو غافل عمّا وراءه ، لكنّ الله سبحانه محيط بالأسباب وهو الناظم لها ينظمها كيف يشاء و يأذن في تأثير ما لا علم له به من خباياها .

و أمّا الرزق المعنويّ الّذي هو حقيقة الرزق الّذي يعيش به النفس الإنسانيّة و تبقى فهو ممّا لم يكن يحتسبه ولا يحتسب طريق وروده عليه .

و بالجملة هو سبحانه يتولّى أمره ويخرجه من مهبط الهلاك و يرزقه من حيث لا يحتسب ، ولا يفقد من كماله والنعم الّتي كان يرجو نيلها بسعيه شيأ لأنّه توكّل على الله و فوّض إلى ربّه ماكان لنفسه « ومن يتوكّل على الله فهو حسبه » دون سائر الأسباب

الظاهريّة الّتي تخطىء تارة و تصيب اُخرى « إنّ الله بالغ أمره » لأنّ الاُمور محدودة محاطة له تعالى و « قد جعل الله لكلّ شيء قدرا » فهو غير خارج عن قدره الّذي قدّره به .

و هذا نصيب الصالحين من الأولياء من هذه الآية .

و أمّا من هو دونهم من المؤمنين المتوسّطين من أهل التقوى النازلة درجاتهم من حيث المعرفة والعمل فلهم من ولاية الله ما يلائم حالهم في إخلاص الإيمان والعمل الصالح و قد قال تعالى و أطلق : « والله وليّ المؤمنين » آل عمران : ٦٨ ، وقال وأطلق: « والله وليّ المتّقين » الجاثية : ١٩ .

و تديّنهم بدين الحقّ و هي سنّة الحياة ، و ورودهم و صدورهم في الاُمور عن إرادته تعالى هو تقوى الله والتوكّل عليه بوضع إرادته تعالى موضع إرادة أنفسهم فينالون من سعادة الحياة بحسبه ويجعل الله لهم مخرجاً ويرزقهم من حيث لا يحتسبون ، وحسبهم ربّهم فهو بالغ أمره و قد جعل لكلّ شيء قدرا .

و عليهم من حرمان السعادة قدر ما دبّ من الشرك في إيمانهم و عملهم و قد قال تعالى : « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا و هم مشركون » يوسف : ١٠٦ و قال و أطلق : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به » النساء : ٤٨ .

و قال : « و إنّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً » طه : ٨٢ أي لمن تاب من الشرك و قال و أطلق : « واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم » المزّمّل : ٢٠ .

فلا يرقا المؤمن إلى درجة من درجات ولاية الله إلّا بالتوبة من خفيّ الشرك الّذي دونها .

والآية من غرر الآيات القرآنيّة و للمفسّرين في جملها كلمات متشتّتة أضربنا عنها .

**قوله تعالى** : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدّتهنّ ثلاثة أشهر » المراد بالارتياب الشكّ في يأسهنّ من المحيض أهو لكبر أم لعارض فالمعنى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم و شككتم في أمر يأسهنّ أهو لبلوغ سنّهنّ

سنّ اليأس أم لعارض فعدّتهنّ ثلاثة أشهر .

و قوله : « واللاّئي لم يحضن » عطف على قوله : « واللاّئي يئسن » الخ والمعنى واللاّئي لم يحضن و هو في سنّ من تحيض فعدّتهنّ ثلاثة أشهر .

و قوله : « و اُولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ » أي منتهى زمان عدّتهنّ وضع الحمل .

و قوله : « و من يتّق الله يجعل له من أمره يسراً » أي يسهّل عليه ما يستقبله من الشدائد والمشاقّ ، و قيل : المراد أنّه يسهّل عليه اُمور الدنيا و الآخرة إمّا بفرج عاجل أو عوض آجل .

**قوله تعالى** : « ذلك أمر الله أنزله إليكم » أي ما بيّنه في الآيات المتقدّمة حكم الله أنزله إليكم ، و في قوله : « و من يتّق الله يكفّر عنه سيّئاته و يعظم له أجرا » دلالة على أنّ اتّباع الأوامر من التقوى كاجتناب المحرّمات و لعلّه باعتبار أنّ امتثال الأمر يلازم اجتناب تركه .

و تكفير السيّئات سترها بالمغفرة ، والمراد بالسيّآت المعاصي الصغيرة فيبقي للتقوى كبائر المعاصي ، ويكون مجموع قوله : «ومن يتّق الله يكفّر عنه سيّآته ويعظم له أجراً » في معن قوله«إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّآتكم وندخلكم مدخلا كريما » النساء : ٣١ و من الآيتين يظهر أنّ المراد بالمحارم في قوله عليه‌السلام في تعريف التقوى : أنّها الورع عن محارم الله المعاصي الكبيرة .

و يظهر أيضا أنّ مخالفة ما أنزله الله من الأمر في الطلاق و العدّة من الكبائر إن التقوى المذكورة في الآية تشمل ما ذكر من أمر الطلاق والعدّة لا محالة فهو غير السيّآت المكفّرة و إلاّ اختلّ معنى الآية .

**قوله تعالى** : « أسكنوهنّ من حيث سكنتم من وجدكم » إلى آخر الآية قال في المفردات : و قوله تعالى : « من وجدكم » أي تمكّنكم و قدر غناكم ، و يعبّر عن الغنى بالوجدان والجدة ، و قد حكي فيه الوَجد والوِجد و الوُجد ـ بالحركات الثلاث في الواو ـ انتهى .

و ضمير « هنّ » للمطلّقات على ما يؤيّده السياق والمعنى أسكنوا المطلّقات من حيث سكنتم من المساكن على قدر تمكّنكم و غناكم على الموسر قدره و على المعسر قدره .

و قوله : « ولا تضارّوهنّ لتضيّقوا عليهنّ » أي لا توجّهوا إليهنّ ضرراً يشقّ عليهنّ تحمّله من حيث السكنى والكسوة والنفقة لتوردوا الضيق والحرج عليهنّ .

و قوله : « و إن كنّ اُولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتّى يضعن حملهنّ » معناه ظاهر .

وقوله :« فإن أرضعن لكم فآتوهنّ اُجورهنّ » فلهنّ عليكم أجر الرضاعة وهو من نفقة الولد الّتي على الوالد .

و قوله : « و ائتمروا بينكم بمعروف » و الائتمار بشيء تشاور القوم فيه بحيث يأمر بعضهم فيه بعضا ، و هو خطاب للرجل والمرأة أي تشاوروا في أمر الولد و توافقوا في معروف من العادة بحيث لا يتضرّر الرجل بزيادة الأجر الّذي ينفقه ولا المرأة بنقيصته ولا الولد بنقص مدّة الرضاع إلى غير ذلك .

و قوله : « وإن تعاسرتم فسترضع له اُخرى » أي وإن أراد كلّ منكم من الآخر ما فيه عسر و اختلفتم فسترضع للولد امرأة اُخرى أجنبيّة غير والدته أي فليسترضع الوالد غير والدة الصبيّ .

**قوله تعالى** : « لينفق ذو سعة من سعته » الإنفاق من سعة هو التوسعة في الإنفاق و هو أمر لأهل السعة بأن يوسّعوا على نسائهم المطلّقات المرضعات أولادهم .

و قوله : « و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله » قدر الرزق ضيقه ، والإيتاء الإعطاء ، والمعنى و من ضاق عليه رزقه و كان فقيراً لا يتمكّن من التوسّع في الإنفاق فلينفق على قدر ما أعطاه الله من المال أي فلينق على قدر تمكّنه .

و قوله : « لا يكلّف الله نفساً إلّا ما آتاها » أي لا يكلّف الله نفساً إلّا بقدر ما أعطاها من القدرة فالجملة تنفي الحرج من التكاليف الإلهيّة و منها إنفاق المطلّقة .

و قوله : سيجعل الله بعد عسر يسراً » فيه بشرى و تسلية .

## ﴿بحث روائي﴾

في الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدريّ قال : نزلت سورة النساء القصرى بعد الّتي في البقرة بسبع سنين .

**اقول** : سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق .

و فيه أخرج مالك والشافعيّ و عبد الرزّاق في المصنّف و أحمد و عبد بن حميد والبخاريّ و مسلم وأبو داود والترمذيّ والنسائيّ و ابن ماجه وابن جرير وابن المنذر و أبو يعلى و ابن مردويه والبيهقيّ في سننه عن ابن عمر أنّه طلّق امرأته و هي حائض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتغيّظ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال: ليراجعها ثمّ يمسكها حتّى تطهر ثمّ تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلّقها فليطلّقها طاهرا قبل أن يمسّها فتلك العدّة الّتي أمر الله أن يطلّق لها النساء ، و قرء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ » .

**أقول** : قوله : « في قبل عدّتهنّ » قراءة ابن عمر وما في المصحف « لعدّتهنّ ».

و فيه أخرج ابن المنذر عن ابن سيرين في قوله : « لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا » قال : في حفصة بنت عمر طلّقها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واحدة فنزلت « يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء ـ إلى قوله ـ يحدث بعد ذلك أمرا » قال : فراجعها .

و في الكافي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : كلّ طلاق لا يكون على السنّة أو على العدّة فليس بشيء . قال زرارة فقلت لأبي جعفر عليه السلام : فسّر لي طلاق السنّة و طلاق العدّة فقال : أمّا طلاق السنّة فإذا أراد الرجل أن يطلّق امرأته فلينتظر بها حتّى تطمث و تطهر فإذا خرجت من طمثها طلّقها تطليقة من غير جماع و يشهد شاهدين على ذلك ثمّ يدعها حتّى تطمث طمثين فتنقضي عدّتها بثلاث حيض وقد بانت منه و يكون خاطباً من الخطّاب إن شاءت تزوّجته وإن شاءت لم تتزوّجه،وعليه نفقتها والسكنى مادامت في عدّتها ، و هما يتوارثان حتّى تنقضي العدّة .

قال : و أمّا طلاق العدّة الّذي قال الله تعالى : « فطلّقوهنّ لعدّتهنّ و أحصوا

العدّة » فإذا أراد الرجل منكم أن يطلّق امرأته طلاق العدّة فلينتظر بها حتّى تحيض و تخرج من حيضتها ثمّ يطلّقها تطليقة من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين و يراجعها من يومه ذلك إن أحبّ أو بعد ذلك بأيّام قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها و تكون معه حتّى تحيض فإذا حاضت و خرجت من حيضها طلّقها تطليقة اُخرى من غير جماع و يشهد على ذلك ثمّ يراجعها أيضاً متى شاء قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه إلى أن تحيض الحيضة الثالثة فإذا خرجت من حيضتها الثالثة طلّقها التطليقة الثالثة بغير جماع و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره .

قيل له : فإن كانت ممّن لا تحيض ؟ قال : مثل هذه تطلق طلاق السنّة .

و في قرب الأسناد بإسناده عن صفوان قال : سمعت يعني أباعبدالله و جاء رجل فسأله فقال : إنّي طلّقت امرأتي ثلاثاً في مجلس فقال : ليس بشيء . ثمّ قال : أما تقرء كتاب الله تعالى « يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ و أحصوا العدّة واتّقوا الله ربّكم لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة.

ثمّ قال : ألا تدري « لعلّ الله يحدث بعدذالك أمرا » ثمّ قال : كلّما خالف كتاب الله والسنّة فهو يردّ إلى كتاب الله والسنّة .

و في تفسير القمّي في معنى قوله : « لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة » قال : لا يحلّ لرجل أن يخرج امرأته إذا طلّقها - وكان له عليها رجعة - من بيته وهي لاتحلّ لها أن تخرج من بيته إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة .

و معنى الفاحشة أن تزني أو تسرق على الرجل ، و من الفاحشة أيضاً السلاطة على زوجها فإن فعلت شيأ من ذلك حلّ له أن يخرجها .

و في الكافي بإسناده عن الوهب بن حفص عن أحدهما عليهما السلام في المطلّقة تعتدّ في بيتها ، و تظهر له زينتها لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا .

**أقول** : و في هذه المعاني و معاني جمل الآيتين روايات اُخرى عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

و فيه بإسناده عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من اُعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً من اُعطي الدعاء اُعطي الإجابة ، و من اُعطي الشكر اُعطي الزيادة و من اُعطي التوكّل اُعطي الكفاية .

قال : أتلوت كتاب الله عزّ وجلّ ؟ « و من يتوكّل على الله فهو حسبه » و قال : « ولئن شكرتم لأزيدنّكم » و قال : « ادعوني أستجب لكم » .

و فيه بإسناده عن محمّد بن مسلم قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ « و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » قال : في دنياه .

و في الدرّ المنثور أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن أبي حاتم عن سالم بن أبي الجعد قال : نزلت هذه الآية : «ومن يتّق الله يجعل له مخرجا » في رجل من أشجع أصابه جهد و بلاء و كان العدوّ أسروا ابنه فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : اتّق الله و اصبر فرجع ابن له كان أسيراً قد فكّه الله فأتاهم و قد أصاب أعنزا فجاء فذكر ذلك للنبيّ صلّى الله عليه و سلّم فنزلت فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : هي لك .

و فيه أخرج أبو يعلى وأبو نعيم والديلميّ من طريق عطاء بن يسار عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله : « ومن يتّق الله يجعل له مخرجا » قال : من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و من شدائد يوم القيامة .

و فيه أخرج الحاكم و صحّحه و ابن مردويه والبيهقيّ عن أبي ذرّ قال : جعل رسول الله يتلو هذه الآية « و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب» فجعل يردّدها حتّى نعست . ثمّ قال : يا أباذر لو أنّ الناس كلّهم أخذوا بها لكفتهم .

و فيه أخرج ابن أبي حاتم والطبرانيّ والخطيب عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤنة و رزقه من حيث لا يحتسب و من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها .

و فيه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله ، و من أحبّ أن يكون أغنى

الناس فليكن بما في يدالله أوثق منه بما في يده ، و من أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتّق الله .

**اقول** : و قد تقدّم فيذيل الكلام على الآيات معنى هذه الروايات .

و في الكافي بإسناده عن الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : عدّة المرأة الّتي لا تحيض والمستحاضة الّتي لا تطهر ثلاثة أشهر ، و عدّة الّتي تحيض ويستقيم حيضها ثلاثة قروء ، و سألته عن قول الله عزّوجلّ : « إن ارتبتم » ما الريبة ؟ فقال : ما زاد على شهر فهو ريبة فلتعتدّ ثلاثة أشهر و ليترك الحيض . الحديث .

و فيه بإسناده عن محمّد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : عدّة الحامل أن تضع حملها ، و عليه نفقتها بالمعروف حتّى تضع حملها .

و فيه بإسناده عن أبي الصباح الكنانيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا طلّق الرجل المرأة و هي حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها فإذا وضعته أعطاها أجرها ولا تضارّها إلّا أن يجد من هي أرخص أجراً منها فإن رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه .

و في الفقيه بإسناده عن ربعيّ بن عبدالله والفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : « و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله » قال : إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع الكسوة و إلّا فرّق بينهما .

**اقول** : و رواه في الكافي بإسناده عن أبي بصير عنه عليه السلام .

وفي تفسير القميّ في قوله : « واُولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ » قال: المطلّقة الحامل أجلها أن تضع ما في بطنها إن وضعت يوم طلّقها زوجها فلهاأن تتزوّج إذا طهرت ، و إن تضع ما في بطنها إلى تسعة أشهر لم تتزوّج إلى أن تضع .

و في الكافي بإسناده عن عبد الرحمان بن الحجّاج عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن الحبلى إذاطلّقها زوجها فوضعت سقطا تمّ أولم يتمّ أووضعته مضغة ؟ قال:كلّ شيء وضعته يستبين أنّه حمل تمّ أولم يتمّ فقد انقضت عدّتها .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن المنذر عن مغيرة قال : قلت للشعبيّ : ما اُصدّق

أنّ عليّ بن أبي طالب كان يقول : عدّة المتوفّى عنها زوجها آخر الأجلين .

قال : بلى فصدّق به كأشدّ ما صدّقت بشيء كان عليّ يقول: إنّما قوله : «واُولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ » في المطلّقة .

و فيه أخرج عبد الرزّاق عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أنّ أبا عمرو بن حفص ابن المغيرة خرج مع عليّ إلى اليمن فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها ، و أمر لها الحارث بن هشام و عيّاش بن أبي ربيعة بنفقة فاستقلّتها فقالا لها والله مالك نفقة إلّا أن تكوني حاملا فأتت النبيّ ﷺ فذكرت له أمرها فقال لها النبيّ ﷺ : لا نفقة لك فاستأذنته في الانتقال فأذن لها .

فأرسل إليها مروان يسألها عن ذلك فحدّثته فقال مروان: لم أسمع بهذا الحديث إلّا من امرأة سنأخذ بالعصمة الّتي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة : بيني و بينكم كتاب الله قال الله عزّ وجلّ : « ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة » حتّى بلغ « لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا » قالت : هذا لمن كانت له مراجعة فأيّ أمر يحدث بعد الثلاث ؟ فكيف تقولون : لا نفقة إذا لم تكن حاملا ؟ فعلام تحبسونها ؟

و لكن يتركها حتّى إذا حاضت وطهرت طلّقها تطليقة فإن كانت تحيض فعدّتها ثلاث حيض ، و إن كانت لا تحيض فعدّتها ثلاثة أشهر ، و إن كانت حاملاً فعدّتها أن تضع حملها ، و إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدّتها أشهد على ذلك رجلين كما قال الله : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » عند الطلاق و عند المراجعة .

فإن راجعها فهي عنده على طلقتين وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدّتها فقد بانت عدّتها منه بواحدة و هي أملك لنفسها ثمّ تتزوّج من شاءت هو أوغيره .

✫ ✫ ✫

وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْأَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (١٠) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً (١١) اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (١٢) .

## ﴿ بيان ﴾

موعظة و إنذار و تبشير تؤكّد التوصية بالتمسّك بما شرع الله لهم من الأحكام و من جملتها ما شرعه من أحكام الطلاق والعدّة ولم يوصّ القرآن الكريم ولا أكّد في التوصية في شيء من الأحكام المشرّعة كما وصّى و أكّد في أحكام النساء ، و ليس إلّا لأنّ لها نبأً .

**قوله تعالى** : « و كأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و عذّبناها عذاباً نكرا » قال الراغب : العتوّ النبوء عن الطاعة انتهى فهو قريب

المعنى من الاستكبار ، و قال : النكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف انتهى والمراد بالنكر في الآية المعنى الثاني ، و في المجمع النكر المنكر الفظيع الّذي لم ير مثله انتهى .

والمراد بالقرية أهلها على سبيل التجوّز كقوله : « واسأل القرية » يوسف :٨٢ و في قوله : « عتت عن أمر ربّها و رسله » إشارة إلى أنّهم كفروا بالله سبحانه بالشرك و كفروا كفرا آخر برسله بتكذيبهم في دعوتهم . على أنّهم كفروا بالله تعالى في ترك شرائعه المشرّعة و كفروا برسله فيما اُمروا به بولايتهم لهم كما مرّ نظيره في قوله : « و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين » التغابن : ١٢ .

و شدّة الحساب المناقشة فيه والاستقصاء لتوفية الأجر كما هو عليه ، والمراد به حساب الدنيا غير حساب الآخرة والدليل على كونه حساب الدنيا قوله تعالى : «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير » الشورى : ٣٠ ، و قوله : « ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض و لكن كذّبوا فأخذناهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين » الأعراف : ٩٦ .

فما يصيب الإنسان من مصيبة ـ و هي المصيبة في نظر الدين ـ هو حاصل محاسبة أعماله والله يعفو عن كثير منها بالمسامحة والمساهلة في المحاسبة غير أنّه تعالى يحاسب العاتين المستكبرين عن أمره ورسله حساباً شديداً بالمناقشة والاستقصاء والتثريب فيعذّبهم عذاباً نكرا .

والمعنى وكم من أهل قرية عتوا واستكبروا عن أمر ربّهم و رسله فلم يطيعوا الله و رسله فحاسبناها حساباً شديداً ناقشنا فيه واستقصيناه ، وعذّبناهم عذاباً صعبا غير معهود وهو عذاب الاستئصال في الدنيا .

و ما قيل : إنّ المراد به عذاب الآخرة ، والتعبير بالفعل الماضي للدلالة على تحقّق الوقوع غير سديد .

و في قوله : « فحاسبناها حساباً شديداً و عذّبناها » التفات من الغيبة إلى التكلّم

مع الغير ، ونكتته الدلالة على العظمة .

**قوله تعالى** : «فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » المراد بأمرها عتوّها واستكبارها ، والمعنى فأصابتهم عقوبة عتوّهم وكان عاقبة عتوّهم خساراً كأنّهم اشتروا العتوّ بالطاعة فانتهى إلى أن خسروا .

**قوله تعالى** : « أعدّ الله لهم عذاباً شديداً » هذا جزاؤهم في الاُخرى كما كان ما في قوله :«فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذابا نكراً فذاقت وبال أمرها » جزاءهم في الدنيا .

والفصل في قوله : « أعدّ الله لهم » الخ لكونه في مقام دفع الدخل كأنّه لمّا قيل : « وكان عاقبة أمرها خسرا » قيل : ما المراد بخسرهم ؟ فقيل : « أعدّ الله لهم عذاباً شديدا » .

**قوله تعالى** : « فاتّقوا الله يا اُولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا» استنتاج ممّا تقدّم خوطب به المؤمنون ليأخذوا حذرهم ويقوا أنفسهم أن يعتوا عن أمر ربّهم ويطغوا عن طاعته فيبتلوا بوبال عتوّهم وخسران عاقبتهم كما ابتليت بذلك القرى الهالكة .

وقد وصف المؤمنين باُولي الألباب فقال : « اتّقوا الله يا اُولي الألباب الّذين آمنوا» استمداداً من عقولهم على ما يريده منهم من التقوى فإنّهم لمّا سمعوا أنّ قوماً عتوا عن أمر ربّهم فحوسبوا حساباً شديداً وعذّبوا عذاباً نكراً وكان عاقبة أمرهم خسرا ثمّ سمعوا أنّ ذلك تكرّر مرّة بعد مرّة وأباد قوماً بعد قوم ، قضت عقولهم بأنّ العتوّ والاستكبار عن أمر الله تعرّض لشديد حساب الله ومنكر عذابه فتنبّههم وتبعثهم إلى التقوى وقد أنزل الله إليهم ذكرا يذكّرهم به ما لهم وما عليهم ويهديهم إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم .

**قوله تعالى** : « رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات » الخ عطف بيان أو بدل من « ذكرا » فالمراد بالذكر الّذي أنزله هو الرسول سمّي به لأنّه وسيلة التذكرة بالله وآياته وسبيل الدعوة إلى دين الحقّ ، والمراد بالرسول محمّد صلّى الله عليه وآله على ما يؤيّده ظاهر

قوله : « يتلو عليكم آيات الله مبيّنات » الخ .

و على هذا فالمراد بإنزال الرسول بعثه من عالم الغيب و إظهاره لهم رسولاً من عنده بعد مالم يكونوا يحتسبون كما في قوله : « و أنزلنا الحديد » الحديد : ٢٥ .

و قد دعى ظهور الإنزال في كونه من السماء بعضهم كصاحب الكشّاف إلى أن فسّر « رسولاً » بجبريل و يكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم تلاوته على النبيّ صلى الله عليه وآله بما أنّه متبوع لقومه ووسيلة الإبلاغ لهم لكن ظاهر قوله: «يتلوعليكم» الخ خلاف ذلك .

و يحتمل أن يكون « رسولا » منصوبا بفعل محذوف والتقدير أرسل رسولاً يتلو عليكم آيات الله ، ويكون المراد بالذكر المنزل إليهم القرآن أوما بيّن فيه من الأحكام والمعارف .

و قوله : « ليخرج الّذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » تقدّم تفسيره في نظائره .

وقوله : « ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا » وعد جميل و تبشير .

و قوله : « قد أحسن الله له رزقا » وصف لإحسانه تعالى إليهم فيما رزقهم به من الرزق ، والمراد بالرزق ما رزقهم من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والجنّة في الآخرة ، و قيل المراد به الجنّة .

**قوله تعالى** : « الله الّذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ » الخ بيان يتأكّد به ماتقدّم في الآيات من حديث ربوبيّته تعالى و بعثه الرسول و إنزاله الذكر ليطيعوه فيه و أنّ في تمرّده ومخالفته الحساب الشديد والعذاب الأليم و في طاعته الجنّة الخالدة كلّ ذلك لأنّه قدير عليم .

فقوله : « الله الّذي خلق سبع سماوات » تقدّم بعض الكلام فيه في تفسير سورة حمّ السجدة .

و قوله : « و من الأرض مثلهنّ » ظاهره المثليّة في العدد ، وعليه فالمعنى وخلق

من الأرض سبعاً كما خلق من السماء سبعا فهل الأرضون السبع سبع كرات من نوع الأرض الّتي نحن عليها و الّتي نحن عليها إحداها ؟ أو الأرض الّتي نحن عليها سبع طبقات محيطة بعضها ببعض والطبقة العليا بسيطها الّذي نحن عليه ؟ أوالمراد الأقاليم السبعة الّتي قسّموا إليها المعمور من سطح الكرة ؟ . وجوه ذهب إلى كلّ منها جمع و ربّما لاح بالرجوع إلى ما تقدّم في تفسير سورة حمّ السجدة محتمل آخر غيرها .

و ربّما قيل : إنّ المراد بقوله : « و من الأرض مثلهنّ » أنّه خلق من الأرض شيأ هومثل السماوات السبع وهوالإنسان المركّب منالمادّة الأرضيّة والروحالسماوية الّتي فيها نماذج سماويّة ملكوتيّة .

و قوله : « يتنزّل الأمر بينهنّ » الظاهر أنّ الضمير للسماوات والأرضجميعا والأمر هو الأمر الإلهيّ الّذي فسّره بقوله : « إنّما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن » يسّ : ٨٣ و هو كلمة الإيجاد ، و تنزّله هو أخذه بالنزول من مصدر الأمرإلى سماء بعد سماء حتّى ينتهي إلى العالم الأرضيّ فيتكوّن ما قصد بالأمر من عين أو - أثر أو رزق أو موت أو حياة أو عزّة أو ذلّة أو غير ذلك قال تعالى : « و أوحى في كلّ سماءأمرها » حمّ السجدة :١٢وقال : «يدبّرالأمرمن السماء إلىالأرض ثمّ يعرجإليه في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون » المّ السجدة : ٥ .

و قيل : المراد بالأمر الأمر التشريعيّ يتنزّل ملائكة الوحي به من السماء إلى النبيّ و هو بالأرض . و هو تخصيص من غير مخصّص و ذيل الآية « لتعلموا أنّ الله » الخ لا يلائمه .

و قوله : « أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً » من الغايات المترتّبة على خلقه السماوات السبع و من الأرض مثلهنّ و تنزيله الأمر بينهنّ ، و في ذلك انتساب الخلق والأمر إليه و اختصاصهما به فانّ المتفكّر في ذلك لا يرتاب في قدرته علىكلّ شيء وعلمه بكلّ شيء فليتّق مخالفة أمره اُولوا الألباب من المؤمنين فإنّ سنّة هذا القدير العليم تجريعلى إثابة المطيعين لأوامره ، ومجازاة العاتين المستكبرينوكذلك أخذ ربّك إذا أخذالقرى وهي ظالمةإنّ أخذه أليم شديد .

## ﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي في قوله تعالى : « وكأيّن من قرية » قال : أهل قرية .

و في تفسير البرهان عن ابن بابويه باسناده عن الريّان بن الصلت عن الرضا عليه السلام في حديث المأمون قال : الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله و نحن أهله و ذلك بيّن في كتاب الله حيث يقول في سورة الطلاق : « فاتّقوا الله يا اُولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله عليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات » قال : فالذكر رسول الله و نحن أهله .

و في تفسير القمي حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : « والسماء ذات الحبك » فقال : هي محبوكة إلى الأرض و شبّك بين أصابعه فقلت : كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول : رفع السماء بغير عمد ترونها ؟ فقال : سبحان الله أليس الله يقول : بغير عمد ترونها؟ قلت : بلى . قال : فثمّ عمد ولكن لا ترونها .

قلت : فكيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال : فبسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها فقال : هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبّة ، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبّة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبّة ، والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبّة ، والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبّة ، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبّة والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبّة وعرش الرحمان تبارك و تعالى فوق السماء السابعة و هو قول الله عزّ وجلّ : الّذي خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ .

فأمّا صاحب الأمر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصيّ بعد رسول الله قائم على وجه الأرض فإنّما يتنزّل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين .

قلت : فما تحتنا إلاّ أرض واحدة ؟ فقال : ماتحتنا إلاّ أرض واحدة و إنّ الستّ لهنّ ( لهي ) فوقنا .

**اقول** : و عن الطبرسيّ عن العيّاشيّ عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام مثله .

والحديث نادر في بابه ، وهووخاصّة مافي ذيله من تنزّل الأمر أقرب إلى الحمل على المعنى منه إلى الحمل على الصورة والله أعلم .



﴿ سورة التحريم مدنيّة و هي اثنتا عشرة آية ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضٰاتَ أَزْوٰاجِكَ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللّٰهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمٰانِكُمْ وَاللّٰهُ مَوْلٰيكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَاذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ الٰى بَعْضِ أَزْوٰاجِهِ حَدِيثًا فَلَمّٰا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّٰا نَبَّأَهٰا بِهِ قٰالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذٰا قٰالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) انْ تَتُوبٰا الَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمٰا وَ انْ تَظٰاهَرٰا عَلَيْهِ فَانَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلٰيهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صٰالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسٰى رَبُّهُ انْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوٰاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمٰاتٍ مُؤْمِنٰاتٍ قٰانِتٰاتٍ تٰائِبٰاتٍ عٰابِدٰاتٍ سٰائِحٰاتٍ ثَيِّبٰاتٍ وَأَبْكٰارًا (٥) يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نٰارًا وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَةُ عَلَيْهٰا مَلٰئِكَةٌ غِلاٰظٌ شِدٰادٌ لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ (٦) يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ انَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا الَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسٰى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ يَوْمَ لاٰ يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعٰى

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) .

## ﴿ بيان ﴾

تبدء السورة بالإشارة إلى ماجرى بين النبيّ صلّى الله عليه وآله و بين بعض أزواجه من قصّة التحريم فيعاتب النبيّ صلّى الله عليه وآله بتحريمه ماأحلّ الله له ابتغاء لمرضاة بعض أزواجه ومرجعه إلى عتاب تلك البعض والانتصار له صلّى الله عليه وآله كما يدلّ عليه سياق الآيات .

ثمّ تخاطب المؤمنين أن يقوا أنفسهم من عذاب الله النار الّتي وقودها الناس والحجارة وليسوا يجزون إلّا بأعمالهم ولا مخلص منها إلّا للنبيّ والّذين آمنوا معه ثمّ تخاطب النبيّ بجهاد الكفّار والمنافقين .

و تختتم السورة بضربه تعالى مثلاً من النساء للكفّار و مثلاً منهنّ للمؤمنين .

و ظهور السياق في كون السورة مدنيّة لا ريب فيه .

**قوله تعالى** : « يا أيّها النبيّ لم تحرّم ماأحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم » خطاب مشوب بعتاب لتحريمه صلّى الله عليه وآله لنفسه بعض ما أحلّ الله له ، ولم يصرّح تعالى به ولم يبيّن أنّه ما هو ؟ و ما ذا كان ؟ غير أنّ قوله : « تبتغي مرضاة أزواجك » يؤمي أنّه كان عملاً من الأعمال المحلّلة الّتي يقترفها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا ترتضيه أزواجه فضيّقن عليه و آذينه حتّى أرضاهنّ بالحلف على أن يتركه ولا يأتي به بعد.

فقوله : « يا أيّها النبيّ » علّق الخطاب و النداء بوصف النبيّ دون الرسول لاختصاصه به في نفسه دون غيره حتّى يلائم وصف الرسالة .

و قوله : « لم تحرّم ما أحلّ الله لك » المراد بالتحريم التسبّب إلى الحرمة بالحلف على ما تدلّ عليه الآية التالية فإنّ ظاهر قوله : « قد فرض الله لكم تحلّة

أيمانكم » الخ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم حلف على ذلك و من شأن اليمين أن يوجب عروض الوجوب إن كان الحلف على الفعل والحرمة إن كان الحلف على الترك ، و إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم حلف على ترك ما أحلّ الله له فقد حرّم ما أحلّ الله له بالحلف .

وليس المراد بالتحريم تشريعه صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه الحرمة فيما شرّع الله له فيه الحلّيّة فليس له ذلك

و قوله : « تبتغي مرضاة أزواجك » أي تطلب بالتحريم رضاهنّ بدل من « تحرّم » الخ أو حال من فاعله ، والجملة قرينة على أنّ العتاب بالحقيقة متوجّه إليهنّ ، و يؤيّده قوله خطاباً لهما : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » الخ مع قوله فيه : « والله غفور رحيم » .

**قوله تعالى** : « قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم والله مولیكم وهو العليم الحكيم » قال الراغب : كلّ موضع ورد فرض الله عليه ففي الإيجاب الّذي أدخله الله فيه ، وما ورد من فرض الله له فهو في أن لا يحظره على نفسه نحو « ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله له » وقوله : « قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم » . انتهى و التحلّة أصلها تحللة على وزن تذكرة وتكرمة مصدر كالتحليل قال الراغب : وقوله عزّ وجلّ : « قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم » أي بيّن ما تحلّ به عقدة أيمانكم من الكفّارة .

فالمعنى قد قدّر الله لكم ـ كأنّه قدّره نصيباً لهم حيث لم يمنعهم عن حلّ عقدة اليمين ـ تحليل أيمانكم بالكفّارة والله وليّكم الّذي يتولّى تدبير اُموركم بالتشريع والهداية وهو العليم الحكيم .

وفي الآية دلالة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد حلف على الترك ، وأمر له بتحلّة يمينه .

**قوله تعالى** : « و إذا أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً فلمّا نبّأت به وأظهره الله عليه قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير » السرّ هو الحديث الّذي تكتمه في نفسك وتخفيه ، والإسرار إفضاؤك الحديث إلى غيرك مع إيصائك باخفائه ، وضمير « نبّأت » لبعض أزواجه ، وضمير « به » للحديث الّذي أسرّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليها ،

وضمير « أظهره » للنبيّ صلى الله عليه وآله، وضمير « عليه » لإنبائها به غيرها وإفشائها السرّ، وضمير « عرف وأعرض » للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وضمير « بعضه » للحديث، والإشارة بقوله: « هذا » لانبائها غيره وإفشائها السرّ.

ومحصّل المعنى وإذ أفضى النبيّ إلى بعض أزواجه - وهي حفصة بنت عمر بن الخطّاب - حديثاً وأوصاها بكتمانه فلمّا أخبرت به غيرها وأفشت السرّ خلافاً لما أوصاها به، وأعلم الله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّها نبّأت به غيرها وأفشت السرّ عرّف وأعلم بعضه وأعرض عن بعض آخر فلمّا خبّرها النبيّ صلى الله عليه وآله بالحديث قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من أنبأك وأخبرك أنّي نبّأت به غيري وأفشيت السرّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: نبّأني وخبّرني العليم الخبير وهو الله العليم بالسرّ والعلانية الخبير بالسرائر.

**قوله تعالى**: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» أي إن تتوبا إلى الله فقد تحقّق منكما ما يستوجب عليكما التوبة وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه الخ.

وقد اتّفق النقل على أنّهما عائشة وحفصة زوجا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والصغو الميل والمراد به الميل إلى الباطل والخروج عن الاستقامة وقد كان ما كان منهما من إيذائه والتظاهر عليه صلى الله عليه وآله من الكبائر وقد قال تعالى: « إنّ الّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً » الأحزاب: ٥٧ وقال: « والّذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » التوبة: ٦١.

والتعبير بقلوبكما وإرادة معنى التثنية من الجمع كثير النظير في الاستعمال.

وقوله: « وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه » الخ التظاهر التعاون، وأصل « وإن تظاهرا » وإن تتظاهرا، وضمير الفصل في قوله: « فإنّ الله هو مولاه » للدلالة على أنّ لله سبحانه عناية خاصّة به صلى الله عليه وآله ينصره ويتولّى أمره من غير واسطة من خلقه، والمولى الوليّ الّذي يتولّى أمره وينصره على من يريده بسوء.

و « جبريل » عطف على لفظ الجلالة، و « صالح المؤمنين » عطف كجبريل، والمراد بصالح المؤمنين على ما قيل الصلحاء من المؤمنين فصالح المؤمنين واحد اُريد به

الجمع كقولك : لايفعل هذا الصالح من الناس تريد به الجنس كقولك لايفعله من صلح منه ومثله قولك : كنت في السامر والحاضر .

وفيه قياس المضاف إلى الجمع إلى مدخول اللاّم فظاهر صالح المؤمنين غير ظاهر « الصالح من المؤمنين » .

ووردت الرواية من طرق أهل السنّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و من طرق الشيعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بصالح المؤمنين عليّ عليه أفضل السلام ، وستوافيك إن شاء الله .

وفي المراد منه أقوال اُخر أغمضنا عنها لعدم دليل عليها .

وقوله : « والملائكة بعد ذلك ظهير » إفراد الخبر للدلالة على أنّهم متّفقون في نصره متّحدون صفّاً واحداً ، وفي جعلهم بعد ذلك أي بعد ولاية الله وجبريل وصالح المؤمنين تعظيم وتفخيم .

ولحن الآيات في إظهار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على من يؤذيه ويريده بسوء وتشديد العتاب على من يتظاهر عليه عجيب ، وقد خوطب فيها النبيّ صلى الله عليه وآله أوّلاً و عوتب على تحريمه ما أحلّ الله له واُشير عليه بتحلّة يمينه و هو إظهار وتأييد وانتصار له وإن كان في صورة العتاب .

ثمّ التفت من خطابه إلى خطاب المؤمنين في قوله : « وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه » يشير إلى القصّة وقد أبهمها إبهاما وقد كان أيّد النبيّ وأظهره قبل الإشارة إلى القصّة و إفشائها مختوما عليها ، وفيه مزيد إظهاره .

ثمّ التفت من خطاب المؤمنين إلى خطابهما وقرّر أنّ قلوبهما قد صغت بما فعلتا ولم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما بل بيّن لهما أنّهما واقعتان بين أمرين إمّا أن تتوبا وإمّا أن تظاهرا على من الله هو مولاه و جبريل وصالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك أجمع ثمّ أظهر الرجاء إن طلّقهنّ أن يرزقه الله نساء خيراً منهنّ . ثمّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم .

وانتهى الكلام إلى ضربه تعالى مثلين مثلاً للّذين كفروا ومثلاً للّذين آمنوا .

وقد أدار تعالى الكلام في السورة بعد التعرّض لحالهما بقوله : «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه »الخ بين التعرّض لحال المؤمنين والتعرّض لحال الكفار فقال : « ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم » الخ و «ياأيّها الّذين كفروا لاتعتذروا » الخ وقال : «ياأيّها الّذين آمنوا توبوا» الخ و «ياأيّها النبيّ جاهد » الخ وقال : « ضرب الله مثلاً للّذين كفروا » ، « وضرب الله مثلاً للّذين آمنوا » .

**قوله تعالى** : « عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ » إلى آخر الآية استغناء إلهيّ فإنّهنّ وإن كنّ مشرّفات بشرف زوجيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لكنّ الكرامة عند الله بالتقوى كما قال تعالى : «فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيما» الأحزاب : ٢٩ ـ انظر إلى مكان « منكنّ » و قال : « يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرّتين وأعتدنا لها رزقاً كريما » الأحزاب : ٣١ .

ولذا ساق الاستغناء بترجّي إبداله إن طلّقهنّ أزواجا خيراً منهنّ ، وعلّق الخير بما ذكر لأزواجه الجديدة من صفات الكرامة وهي أن يكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ـ أي صائمات ـ ثيّبات وأبكارا .

فمن تزوّج بها النبيّ صلى الله عليه وآله وكانت متّصفة بمجموع هذه الصفات كانت خيراً منهنّ وليس إلّا لأجل اختصاص منها بالقنوت والتوبة أو القنوت فقط مع مشاركتها لهنّ في باقي الصفات ، و القنوت هو لزوم الطاعة مع الخضوع .

ويتأيّد هذا المعنى بما في مثل مريم الآتي في آخر السورة من ذكر القنوت « وكانت من القانتين » فالقنوت هو الّذي يفقدنه وهو لزومهنّ طاعة النبيّ صلى الله عليه وآله الّتي فيها طاعة الله واتّقاؤهنّ أن يعصين النبيّ صلى الله عليه وآله ويؤذينه .

وبما مرّ يظهر فساد قول من قال إنّ وجه خيريّة أزواجه اللاحقة من أزواجه السابقة إن طلّقهنّ ، هو تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله بهنّ وانفصال الأزواج السابقة وزوجيّته صلّى الله عليه وآله شرف لايقدّر قدره .

وذلك أنّه لوكان ملاك ماذكر في الآية من الخير هو الزوجيّة كان كلّ من

تزوّج ﷺ من النساء أفضل وأشرف منهنّ إن طلّقهنّ وإن لم تتلبّس بشيء ممّا ذكر من صفات الكرامة فلم يكن مورد لعدّ ماعدّ من الصفات .

قال في الكشّاف : فإن قلت : لم اُخليت الصفات كلّها عن العاطف و وسّط بين الثيّبات والأبكار ؟ قلت : لأنّهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهنّ في سائر الصفات . انتهى .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » الخ « قوا » أمر من الوقاية بمعنى حفظ الشيء ممّا يؤذيه و يضرّه ، والوقود بفتح الواو اسم لما توقد به النار من حطب و نحوه . والمراد بالنّار نار جهنّم و كون الناس المعذّبين فيها وقوداً لها معناه اشتعال الناس فيها بأنفسهم كما في قوله تعالى :« ثمّ في النار يسجرون » المؤمن : ٧٢ . فيناسب تجسّم الأعمال كما هو ظاهر الآية التالية « يا أيّها الّذين كفروا » الخ و فسّرت الحجارة بالأصنام .

وقوله : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون» أي وكّل عليها لإجراء أنواع العذاب على أهلها ملائكة غلاظ شداد .

والغلاظ جمع غليظ ضدّ الرقيق والأنسب للمقام كون المراد بالغلظة خشونة العمل كما في قوله الآتي : « جاهد الكفّار والمنافقين و اغلظ عليهم » الآية ٩ من السورة والشداد جمع شديد بمعنى القويّ في عزمه و فعله .

و قوله : « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » كالمفسّر لقوله :« غلاظ شداد » أي هم ملتزمون بما أمرهم الله من أنواع العذاب لا يعصونه بالمخالفة والردّ و يفعلون ما يؤمرون به على ما اُمروا به من غير أن يفوت منهم فائت أو ينقص منه شيء لضعف فيهم أو فتور فهم غلاظ شداد .

و بهذا يظهر أنّ قوله : « لا يعصون الله ما أمرهم » ناظر إلى التزامهم بالتكليف و قوله : « و يفعلون » الخ ناظر إلى العمل على طبقه فلا تكرار كما قيل .

قال في التفسير الكبير في ذيل الآية : و فيه إشارة إلى أنّ الملائكة مكلّفون في

الآخرة بما أمرهم الله تعالى به و بما ينهاهم عنه ، والعصيان منهم مخالفة للأمر والنهي .

و فيه أنّ الآية و غيرها ممّا تصف الملائكة بمحض الطاعة من غير معصية مطلقة تشمل الدنيا والآخرة فلا وجه لتخصيص تكليفهم بالآخرة .

ثمّ إنّ تكليفهم غير سنخ التكليف المعهود في المجتمع الإنسانيّ بمعنى تعليق المكلِّف - بالكسر - إرادته بفعل المكلَّف - بالفتح - تعليقا اعتباريّا يستتبع الثواب والعقاب في ظرف الاختيار و إمكان الطاعة والمعصية بل هم خلق من خلق الله لهم ذوات طاهرة نوريّة لا يريدون إلّا ما أراد الله ولا يفعلون إلّا ما يؤمرون قال تعالى : « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الأنبياء : ٢٧ و لذلك لاجزاء لهم على أعمالهم من ثواب أو عقاب فهم مكلّفون بتكليف تكوينيّ غير تشريعيّ مختلف باختلاف درجاتهم قال تعالى : « و ما منّا إلّا له مقام معلوم » الصافّات : ١٦۴ و قال عنهم : « و ما نتنزّل إلّا بأمر ربّك له ما بين أيدينا و ما خلفنا » مريم : ٦۴ .

والآية الكريمة بعد الآيات السابقة كالتعميم بعد التخصيص فإنّه تعالى لمّا أدّب نساء النبيّ صلى الله عليه وآله بيان ما لا يذائهم النبيّ صلى الله عليه وآله من الأمر السيّىء عمّم الخطاب فخاطب المؤمنين عامّة أن يؤدّبوا أنفسهم و أهليهم و يقوهم من النار الّتي وقودها نفس الداخلين فيها أي أنّ أعمالهم السيّئة تلزمهم و تعود ناراً تعذّبهم ولا مخلص لهم منها ولا مناص عنها .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون» خطاب عامّ للكفّار بعدما جوزوا بالنار فإنّهم يعتذرون عن كفرهم ومعاصيهم فيخاطبون أن لاتعتذروا اليوم - وهو يوم الجزاء - إنّما يجزون نفس ماكنتم تعملون أي إنّ العذاب الّذي تعذّبون بها هوعملكم السيّىءالّذي عملتموه وقد برزلكم اليوم حقيقته وإذ عملتموه فقد لزمكم أنّكم عملتموه والواقع لايتغيّر وما حقّ عليكم من كلمة العذاب لايعود باطلا فهذا ظاهر الخطاب .

و قيل : المعنى لاتعتذروا اليوم - بعد دخول النار فإنّ الاعتذار توبة والتوبة

غير مقبولة بعددخول النار إنّما تجزون مالزم في مقابل عملكم من الجزاء في الحكمة .

و في إتباع الآيات السابقة بما في هذه الآية من خطاب القهر تهديد ضمنيّ و إشعار بأنّ معصية الله و رسوله ربّما أدّى إلى الكفر .

**قوله تعالى** : « يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّآتكم و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار » الخ النصح تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه ، ويأتي بمعنى الإخلاص نحو نصحت له الودّ أي أخلصته ـ على ما ذكره الراغب ـ فالتوبة النصوح ما يصرف صاحبه عن العود إلى المعصية أوما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منه .

لمّا أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم و أهليهم من النار أمرهم جميعاً ثانيا بالتوبة و فرّع عليه رجاء أن يستر الله سيّآتهم و يدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار .

و قوله : « يوم لا يخزي الله النبيّ و الّذين آمنوا معه » قال الراغب : يقال : خزي الرجل يخزى من باب علم يعلم إذا لحقه انكسار إمّا من نفسه و إمّا من غيره فالّذي يلحقه من نفسه و هو الحياء المفرط مصدره الخزاية ، والّذي يلحقه من غيره و يعدّ ضرباً من الاستخفاف مصدره الخزي والإخزاء من الخزاية والخزي جميعا قال : و على نحو ما قلنا في خزي ذلّ وهان فإنّ ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له الهون ـ بفتح الهاء ـ والذلّ و يكون محموداً ، و متى كان من غيره يقال له : الهون ـ بضمّ الهاء ـ والهوان والذلّ و يكون مذموما . انتهى ملخّصا .

فقوله : « يوم » ظرف لما تقدّمه ، والمعنى توبوا إلى الله عسى أن يكفّر عنكم سيّآتكم و يدخلكم الجنّة في يوم لا يخزي ولا يكسّر الله النبيّ صلى الله عليه وآله بجعلهم محرومين من الكرامة و خلفه ما وعدهم من الوعد الجميل .

و في قوله : « النبيّ والّذين آمنوا معه » اعتبار المعيّة في الإيمان في الدنيا ولازمه ملازمتهم النبيّ صلى الله عليه وآله وطاعتهم له من غير مخالفة و مشاقّة .

و من المحتمل أن يكون قوله : « الّذين آمنوا » مبتدء خبره « معه » و قوله : « نورهم يسعى » الخ خبراً ثانياً ، و قوله : « يقولون » الخ خبراً ثالثاً فيفيد أنّهم لا

يفارقون النبيّ ولا يفارقهم يوم القيامة ، و هذا وجه جيّد لازمه كون عدم الخزي خاصاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسعي النور و سؤال إتمامه خاصّا بالّذين معه من المؤمنين وتؤيّده آية الحديد الآتية . و من الممكن أن يكون « معه » متعلّقا بقوله : « آمنوا » وقوله : « نورهم يسعى » الخ خبراً أوّلاً و ثانياً للموصول .

و قوله : « يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم » تقدّم بعض الكلام في معناه في قوله تعالى : « يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم » الحديد : ١٢ ولا يبعد أن يكون ما بين أيديهم من النور نور الإيمان و ما بأيمانهم نور العمل .

و قوله : « يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنّك على كلّ شيء قدير » يفيد السياق أنّ المغفرة المسؤلة سبب لتمام النور أو هو ملازم لتمام النور فيفيد أنّ في نورهم نقصاً والنور نور الإيمان والعمل فلهم نقائص بحسب درجات الإيمان أو آثار السيّآت الّتي خلت محالّها في صحائفهم من العبوديّة في العمل فيسألون ربّهم أن يتمّ لهم نورهم و يغفر لهم ، و إليه الإشارة بقوله تعالى : « والّذين آمنوا بالله و رسله اُولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم و نورهم » الحديد : ١٩ .

**قوله تعالى** : « يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين و اغلظ عليهم ومأواهم جهنّم و بئس المصير » المراد بالجهاد بذل الجهد في إصلاح الأمر من جهتهم و دفع شرّهم ففي الكفّار ببيان الحقّ و تبليغه فإن آمنوا و إلّا فالحرب و في المنافقين باستمالتهم و تأليف قلوبهم حتّى تطمئنّ قلوبهم إلى الإيمان و إلّا فلم يقاتل النبيّ صلى الله عليه و آله منافقا قطّ .

و قيل : المراد اشدد عليهم في إقامة الحدود لأنّ أكثر من يصيب الحدّ في ذلك الزمان المنافقون . و هو كما ترى .

# ﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي باسناده عن ابن سيار عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : «ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك» قال : اطلعت عائشة و حفصة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو مع مارية فقال النبي صلى الله عليه وآله : والله لاأقربها فأمر الله أن يكفر بها عن يمينه .

و في الكافي باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن رجل قال لامرأته : أنت علي حرام فقال : لو كان لي عليه سلطان لأوجعت رأسه و قلت : الله أحلها لك فما حرمها عليك ؟ إنه لم يزد على أن كذب فزعم أن ما أحل الله له حرام ولا يدخل عليه طلاق ولا كفارة .

فقلت : قول الله عز وجل : «ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك» فجعل فيه كفارة ؟ فقال إنما حرم عليه جاريته مارية القبطية وحلف أن لايقربها ، وإنما جعل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكفارة في الحلف ولم يجعل عليه في التحريم .

و في الدر المنثور أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يشرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عائشة فقالت : إني أجد منك ريحا فدخل على حفصة فقالت : إني أجد منك ريحا فقال : أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه فأنزل الله : «يا أيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك» الآية .

**اقول** : والحديث مروي بطرق متشتتة و ألفاظ مختلفة ، و في انطباقها على الآيات ـ وهي ذات سياق واحد ـ خفاء .

وفيه أخرج ابن سعد و ابن مردويه عن ابن عباس قال : كانت عائشة و حفصة متحابتين فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تحدث عنده فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى جاريته فظلت معه في بيت حفصة وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة فوجدتهما في بيتها فجعلت تنتظر خروجها وغارت غيرة شديدة فأخرج النبي صلى الله عليه وآله جاريته ودخلت حفصة فقالت:

قد رأيت من كان عندك والله لقد سوّأتني فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : والله لأُرضينّك و إنّي مسرّ إليك سرّاً فاحفظيه قالت : ماهو ؟ قال : إنّي اُشهدك أنّ سريّتي هذه عليّ حرام رضاً لك .

فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرّت إليها أن أبشري إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فتاته فلمّا أخبرت بسرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أظهر الله النبيّ صلى الله عليه وسلم عليه فأنزل الله : « ياأيّها النبيّ لم تحرّم ماأحلّ الله لك » .

**اقول :** انطباق مافي الحديث على الآيات وخاصّة قوله : «عرّف بعضه وأعرض عن بعض» فيه خفاء .

وفيه أخرج الطبرانيّ وابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله : « و إذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً» قال : دخلت حفصة على النبيّ صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخبري عائشة حتّى اُبشّرك بشارة فإنّ أباك يلي الأمر بعد أبي بكر إذا أنامتّ .

فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشه للنبي صلى الله عليه وسلم : من أنبأك هذا ؟ قال : نبّأني العليم الخبير فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتّى تحرّم مارية فحرّمها فأنزل الله « يا أيّها النبيّ لم تحرّم » .

**اقول :** والآثار في هذا الباب كثيرة على اختلاف فيها ، وفي أكثرها أنّه صلى الله عليه وآله وسلم حرّم مارية على نفسه لقول حفصة لا لقول عائشة ، وأنّ الّتي قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله : « من أنبأك هذا » هي حفصة تريد من أخبرك أنّي أفشيت السرّ دون عائشة .

وهي مع ذلك لاتزيل إبهام قوله تعالى : «عرّف بعضه وأعرض عن بعض» . نعم فيما رواه ابن مردويه عن عليّ قال : مااستقصى كريم قط لأنّ الله يقول : عرّف بعضه وأعرض عن بعض ، وروي عن أبي حاتم عن مجاهد ، وابن مردويه عن ابن عبّاس : أنّ الّذي عرّف أمر مارية والّذي أعرض عنه قوله : إنّ أباك و أباها يليان الناس بعدي مخافة أن يفشو .

ويتوجّه عليه أنّه ما وجه الكرم في أن يعرّف صلى الله عليه وآله وسلم ماقاله من تحريم مارية

ويعرض عمّا أخبرها من ولايتهما مع أنّ العكس أولى وأقرب .

وقد روي بعدّة طرق عن عمر بن الخطّاب سبب نزول الآيات ولم يذكر ذلك ففي عدّة من جوامع الحديث منها البخاري و مسلم والترمذيّ عن ابن عبّاس قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبيّ اللّتين قال الله : « إن تتوبا فقد صغت قلوبكما » حتّى حجّ عمر وحججت معه فلمّا كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالإداوة فتبرّز ثم أتى فصببت على يديه فتوضّأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبيّ ﷺ اللّتان قال الله : «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » فقال : واعجبا لك يا بن عبّاس هما عائشة و حفصة ثمّ أنشأ يحدّثني .

فقال : كنّا معشر قريش نغلب النساء فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت : ما تنكر من ذلك ؟ فوالله إنّ أزواج النبيّ ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل . قلت : قد خابت من فعلت ذلك منهنّ وخسرت .

قال : وكان منزلي بالعوالي وكان لي جار من الأنصار كنّا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً فيأتيني بخبر الوحي و غيره و أنزل يوماً فآتيه بمثل ذلك .

قال : وكنّا نحدّث أنّ غسّان تنعل الخيل لتغزونا فجاء يوماً فضرب عليّ الباب فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم . فقلت : أجاءت غسّان ؟ قال : أعظم من ذلك طلّق رسول الله ﷺ نساءه . قلت في نفسي : قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أرى ذلك كائنا فلمّا صلّينا الصبح شددت عليّ ثيابي ثمّ انطلقت حتّى دخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت : أطلّقكنّ رسول الله ﷺ ؟ قالت : لا أدري هو ذا معتزل في المشربة فانطلقت فأتيت غلاماً أسود فقلت : استأذن لعمر فدخل ثمّ خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فلم يقل شيأ فانطلقت إلى المسجد فإذا حول المسجد نفر يبكون فجلست إليهم .

ثمّ غلبني ما أجد فانطلقت فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثمّ خرج

فقال : قد ذكرتك له فلم يقل شيأً فولّيت منطلقا فإذا الغلام يدعوني فقال : ادخل فقد أذن لك فدخلت فإذا النبيّ ﷺ متّكىء على حصير قد رأيت أثره في جنبه فقلت : يا رسول الله أطلّقت نساءك ؟ قال : لا . قلت : الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنّا معشر قريش نغلب النساء ، فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم فغضبت يوماً على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت ذلك فقالت : ماتنكر ؟ فوالله إنّ أزواج النبيّ ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهنّ ، فدخلت على حفصة فقلت : أتراجع إحداكنّ رسول الله وتهجره اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم فقلت : قد خابت من فعلت ذلك منكنّ و خسرت أتأمن إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت فتبسّم رسول الله ﷺ .

فقلت لحفصة : لاتراجعي رسول الله ﷺ و لا تسأليه شيأً وسليني مابدالك ولا يغرّنّك إن كانت جارتك أوسم منك وأحبّ إلى رسول الله ﷺ فتبسّم اُخرى .

فقلت : يارسول الله أستأنس قال : نعم . فرفعت رأسي فمارأيت في البيت إلّا اُهبة ثلاثة فقلت : يارسول الله ادع الله أن يوسّع على اُمّتك فقد وسّع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالساً وقال : أو في شكّ أنت يابن الخطّاب ؟ اُولئك قوم قد عجّلت لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا ، وكان قد أقسم أن لايدخل على أزواجه شهراً فعاتبه الله في ذالك وجعل له كفّارة اليمين .

**اقول** : وهذا المعنى مرويّ عنه مفصّلاً ومختصراً بطرق مختلفة ، والرواية - كما ترى - لاتذكر ما أسرّه النبيّ ﷺ إلى بعض أزواجه ؟ وما هو بعض النبإ الّذي عرّفه وما هو الّذي أعرض عنه وله شأن من الشأن .

و هي مع ذلك ظاهرة في أنّ المراد بالتحريم في الآية تحريم عامّة أزواجه وذلك لا ينطبق عليها و فيها قوله تعالى : « لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك » مضافاً إلى أنّه لاتبيّن به وجه التخصيص في قوله : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه » الخ .

وفي تفسير القمي بإسناده عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه و جبريل وصالح المؤمنين » قال : صالح المؤمنين علي عليه السلام .

وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « وصالح المؤمنين » قال : علي بن أبي طالب .

**اقول** : ذكر صاحب البرهان بعد إيراد رواية أبي بصير السابقة أن محمد بن العباس أورد في هذا المعنى اثنين وخمسين حديثاً من طرق الخاصة والعامة ثم أورد نبذة منها .

وفي الكافي بإسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » جلس رجل من المؤمنين يبكي وقال : أنا عجزت عن نفسي و كلفت أهلي . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك ، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك .

وفيه بإسناده عن سماعة عن أبي بصير في قوله : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » قلت: كيف أقيهم ؟ قال : تأمرهم بما أمر الله و تنهاهم عما نهى الله فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك .

**اقول** : ورواه بطريق آخر عن ذرعة عن أبي بصير عنه عليه السلام .

وفي الدر المنثور أخرج عبد الرزاق والفاريابي و سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عن علي بن أبي طالب في قوله : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » قال : علموا أنفسكم و أهليكم الخير وأدبوهم .

و فيه أخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية « قوا أنفسكم و أهليكم ناراً » فقالوا: يا رسول الله كيف نقي أهلنا ناراً ؟ قال: تأمرونهم بما يحبه الله و تنهونهم عما يكره الله .

و في الكافي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن

قول الله عزّ وجلّ : « يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : يتوب العبد من الذنب ثمّ لا يعود فيه .

قال محمّد بن الفضيل سألت عنها أبا الحسن عليه السلام فقال : يتوب من الذنب ثمّ لا يعودفيه ، الحديث .

و في الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال : قال معاذ بن جبل : يا رسول الله ما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم العبد على الذنب الّذي أصاب فيعتذر إلى الله ثمّ لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

**أقول** : والروايات في هذا المعنى كثيرة من الفريقين .

و في الكافي بإسناده عن صالح بن سهل الهمدانيّ قال : قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله : « يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم » أئمّة المؤمنين يوم القيامة يسعى [١] بين أيدي المؤمنين و بأيمانهم حتّى ينزّلوهم منازل أهل الجنّة .

و في تفسير القمّيّ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في الآية : من كان له نور يومئذ نجا ، وكلّ مؤمن له نور .



(١) يسعون ظ .

☆ ☆ ☆

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) .

## ﴿ بيان ﴾

تتضمّن الآيات الكريمة مثلين يمثّل بهما الله سبحانه حال الكفّار والمؤمنين في أنّ شقاء الكفّار و هلاكهم إنّما كان بخيانتهم لله و رسوله و كفرهم و لم ينفعهم اتّصال بسبب إلى الأنبياء المكرمين، وأنّ سعادة المؤمنين وفلاحهم إنّما كان بإخلاصهم الإيمان بالله و رسوله والقنوت و حسن الطاعة ولم يضرّهم اتّصال بأعداء الله بسبب فإنّما ملاك الكرامة عند الله التقوى .

يمثّل الحال أوّلاً بحال امرأتين كانتا زوجين لنبيّين كريمين عدّهما الله سبحانه عبدين صالحين ـ و يا له من كرامة ـ فخانتاهما فاُمرتا بدخول النار مع الداخلين فلم ينفعهما زوجيّتهما للنبيّين الكريمين شيأ فهلكتا في ضمن الهالكين من غير أدنى تميّز و كرامة .

و ثانياً بحال امرأتين إحداهما امرأة فرعون الّذي كانت منزلته في الكفر بالله أن نادى في الناس فقال : أنا ربّكم الأعلى ، فآمنت بالله و أخلصت الإيمان فأنجاها الله و أدخلها الجنّة و لم يضرّها زوجيّة مثل فرعون شيأ، و ثانيتهما مريم ابنة عمران الصدّيقة

القانتة أكرمها الله بكرامته و نفخ فيهامن روحه .

و في التمثيل تعريض ظاهر شديدلزوجي النبي صلى الله عليه وآله حيث خانتاه في إفشاءسرّه و تظاهرتا عليه و آذتاه بذلك ، و خاصّة من حيث التعبير بلفظ الكفر والخيانة وذكر الأمر بدخول النار .

**قوله تعالى** : « ضرب الله مثلا للّذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما » الخ قال الراغب : الخيانة والنفاق واحد إلّا أنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة ، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ثمّ يتداخلان فالخيانة مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ و نقيض الخيانة الأمانة يقال : خنت فلانا وخنت أمانة فلان انتهى .

و قوله : « للذين كفروا » إنكان متعلّقاً بالمثل كان المعنى ضرب الله مثلاً يمثّل به حال الّذين كفروا أنّهم لا ينفعهم الاتّصال بالعباد الصالحين ، وإن كان متعلّقاً بضرب كان المعنى ضرب الله الامرأتين و ما انتهت إليه حالهما مثلاً للّذين كفروا ليعتبروا به و يعلموا أنّهم لا ينفعهم الاتّصال بالصالحين من عباده و أنّهم بخيانتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل النار لا محالة .

و قوله : « امرأة نوح وامرأة لوط » مفعول « ضرب » ، والمراد بكونهما تحتهما زوجيّتهما لهما .

و قوله : « فلم يغنيا عنهما من الله شيأ » ضمير التثنية الاُولى للعبدين ، والثانية للامرأتين ، والمراد أنّه لم ينفع المرأتين زوجيّتهما للعبدين الصالحين .

و قوله : « و قيل ادخلا النار مع الداخلين » أي مع الداخلين فيها من قوميهما كما يلوح من قوله في امرأة نوح : « حتّى إذا جاء أمرنا وفار التنّور قلنا احمل فيهامن كلّ زوجين اثنين و أهلك إلّا من سبق عليه القول » هود : ٤٠ ، و قوله في امرأة لوط: « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلّا امرأتك إنّه مصيبها ما أصابهم» هود : ٨١ ، أو المعنى مع الداخلين فيها من الكفّار .

و في التعبير بقيل بالبناء للمفعول ، و إطلاق الداخلين إشارة إلى هوان أمرهما

و عدم كرامة لهما أصلا فلم يبال بهما أين هلكتا .

**قوله تعالى** : « و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة » الخ الكلام في قوله : « للّذين آمنوا » كالكلام في قوله : « للّذين كفروا » .

و قوله : « إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة » لخّص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه في حياتها و ترومه في مسير عبوديّتها في مسألة سألت ربّها وذلك أنّ الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن و توافق القلب واللسان فلا يقول الإنسان إلّا ما يفعل و لا يفعل إلّا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمنّاه أو يسأله بلسانه هو الّذي يريده كذلك بعمله .

و إذ حكى الله فيما يمثّل به حالها و يشير إلى منزلتها الخاصّة في العبوديّة دعاء دعت به دلّ ذلك على أنّه عنوان جامع لعبوديّتها و على ذلك كانت تسير مدى حياتها ، والّذي تتضمّنه مسألتها أن يبني الله لها عنده بيتا في الجنّة و ينجّيها من فرعون و عمله و ينجّيها من القوم الظالمين فقد اختارت جوار ربّه والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون و عشيقته و هي ملكة مصر و آثرت بيتاً يبنيه لها ربّها على بيت فرعون الّذي فيه ممّا تشتهيه الأنفس و تتمنّاه القلوب ما تقف دونه الآمال فقد كانت عزفت نفسها ما هي فيه من زينة الحياة الدنيا و هي لها خاضعة و تعلّقت بما عند ربّه من الكرامة والزلفى فآمنت بالغيب و استقامت على إيمانها حتّى قضت .

و هذه القدم هي الّتي قدّمتها إلى أن جعلها الله مثلاً للّذين آمنوا و لخّص حالها و ما كانت تبتغيه و تعمل له مدى حياتها في مسير العبوديّة في مسألة حكى عنها و ما معناها إلّا أنّها انتزعت من كلّ ما يلهوها عن ربّها ولاذت بربّها تريد القرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته .

فقوله : « امرأة فرعون » اسمها على ما في الروايات آسية ، و قوله : « إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة» الجمع بين كون البيت المبنيّ لها عند الله وفي الجنّة لكون الجنّة دار القرب من الله و جوار ربّ العالمين كما قال تعالى : « بل أحياء عند

ربّهم يرزقون » آل عمران : ۱۶۹ .

على أنّ الحضور عنده تعالى والقرب منه كرامة معنويّة والاستقرار في الجنّة كرامة صوريّة ، و سؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين .

و قوله : « و نجّني من فرعون و عمله » تبرّ منها و سؤال أن ينجّيها الله من شخص فرعون ومن عمله الّذي تدعوضرورة المصاحبة والمعاشرة إلى الشركة فيهوالتلبّس به ، و قيل : المراد بالعمل الجماع .

و قوله : « و نجّني من القوم الظالمين » و هم قوم فرعون وهو تبرّ آخر وسؤال أن ينجّيها الله من المجتمع العامّ كما أنّ الجملة السابقة كانت سؤال أن ينجّيها من المجتمع الخاصّ .

**قوله تعالى** : « و مريم ابنة عمران الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا» الخ عطف على امرأة فرعون والتقدير و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا مريم الخ .

ضربها الله مثلاً باسمها وأثنى عليها ولم يذكر فيكلامه تعالى امرأة باسمهاغيرها ذكر اسمها في القرآن في بضع و ثلاثين موضعاً في نيّف و عشرين سورة .

وقوله : «الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه منروحنا» ثناء عليها على عفّتها ، وقد تكرّر في القرآن ذكر ذلك و لعلّ ذلك بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها كما قال تعالى : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيما » النساء : ۱۵۶ و في سورة الأنبياء فيمثل القصّة : « و الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها » الأنبياء : ۹۱ .

و قوله : « و صدّقت بكلمات ربّها » أي بما تكلّم به الله سبحانه من الوحي إلى أنبيائه كما قيل و قيل : المراد بها وعده تعالى و وعيده و أمره و نهيه ؛ و فيه أنّه يستلزم كون ذكر الكتب مستدركا .

و قوله : « و كتبه » و هي المشتملة على شرائع الله المنزلة من السماء كالتوراة والإنجيل كما هو مصطلح القرآن و لعلّ المراد من تصديقها كلمات ربّها وكتبهكونها صدّيقة كما في قوله تعالى : « ما المسيح بن مريم إلاّ رسول قدخلت من قبله الرسل و اُمّه صدّيقة » المائدة : ۷۵ .

و قوله : « و كانت من القانتين » أي من القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه غلّب فيه المذكّر على المؤنث .

و يؤيّد هذا المعنى كون القنوت بهذا المعنى واقعاً فيما حكى الله من نداء الملائكة لها «يامريم اقنتي لربّك و اسجدي و اركعي مع الراكعين » آل عمران : ٤٣ و قيل : يجوز أن يراد بالقانتين رهطها و عشيرتها الّذين كانت مريم منهم وكانوا أهل بيت صلاح و طاعة ، و هو بعيد لما تقدّم .

على أنّ المناسب لكون المثل تعريضا لزوجي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يراد بالقانتين مطلق أهل الطاعة والخضوع لله تعالى .

## ﴿بحث روائى﴾

في تفسير البرهان عن شرف الدين النجفيّ رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال قوله تعالى : « ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط » الآية مثل ضربه الله لعائشة و حفصة أن تظاهرتا على رسول الله صلّى الله عليه وآله و أفشتا سرّه .

و في المجمع : عن أبي موسى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله .

وفي الدرّ المنثور أخرج أحمد والطبرانيّ والحاكم وصحّحه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله : أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ماقصّ الله علينا من خبرهما في القرآن « قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة » .

و فيه أخرج الطبرانيّ عن سعد بن جنادة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ الله زوّجني في الجنّة مريم بنت عمران و امرأة فرعون و اُخت موسى .

**أقول** : و امرأة فرعون على ما وردت به الروايات مقتولة قتلها زوجها فرعون

لمّا اطّلع أنّها آمنت بالله وحده ، و قد اختلفت الروايات في كيفيّة قتلها .

ففي بعضها أنّه لمّا اطّلع على إيمانها كلّفها الرجوع إلى الكفر فأبت إلّا الإيمان فأمر بها أن ترمى عليها بصخرة عظيمة حتّى ترضح تحتها ففعل بها ذلك .

و في بعضها لمّا اُحضرت للعذاب دعت بما حكى الله عنها في كلامه من قولها : « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة» الخ فاستجاب الله لها ورأت بيتها في الجنّة وانتزعت منها الروح و اُلقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

و في بعضها أنّ فرعون وتّدلها أربعة أوتاد و أضجعها على صدرها و جعل على صدرها رحىً واستقبل بها عين الشمس . والله أعلم

**تم والحمد لله**

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٣ | ٤ | لمّا | لما |
| « | ١٣ | المراد | المراد به |
| ٤ | ١٧ | أنه | إنّه |
| » | ٢٠ | ١٠٢ | ١٠٤ |
| » | ٢٤ | ٥ | ٦ |
| ٨ | ٧ | تفريعا | تقريعا |
| ١١ | ١٩ | رهين عمله | زائد |
| ١٢ | ٣ | متنعماتهم | تنعماتهم |
| ١٤ | ١٢ | مات | قدمات |
| » | ٢٢ | البزاز | البزّار |
| ١٨ | ١٨ | أن يكون | الاّ أن يكون |
| ٢٠ | ١٢ | يثبتون | فهم يثبتون |
| ٢٥ | ١٨ | جميعا | جميعا ومن غرر الايات فيهاقوله : « وان الى ربك المنتهى »وقوله : « وان ليس للانسان الاّ ماسعى» . |
| ٣٨ | ٨ | ليسمون | لَيسمّون |
| ٣٩ | ١٥ | حقّيّه | حقيّة |
| ٤١ | ٢١ | تعالى | تعالى له |
| ٤٤ | ١٩ | عصموا | عصوا |
| ٤٧ | ٤ | وازرة | وارزة |
| ٤٨ | ٢٠ | والسوره مكيّة الى قوله : ماسعى | زائد |
| ٥٥ | ٦ | ٨ . | ١٨. |

| الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٥٨ | ٤ | كفّوه | كفوه |
| » | ١٣ | السماء | أبكى السماء |
| ٦١ | ١٣ | لانشاق | لانشقاق |
| » | ٢٠ | اشارة | اشارة الى |
| ٥٤ | ٥ | الا أن تاتيهم الساعة | الاّ الساعة أن تأتيهم |
| ٧٧ | ٩ | الظا ظاهر | الظاهر |
| » | ٢٢ | وتاره | وتارة |
| ٧٨ | ١٠ | والعظمة | والعظة |
| ٧٩ | ٩ | لم يكن | لم يكن لنا |
| ٨٠ | ٤ | ٤ | ٣ |
| ١٧ | ١٧ | فقى | ففى |
| ٨٦ | ٢٢ | كنابه | كتابه |
| ٩٥ | ١٥ | وجوههم | على وجوههم |
| ١٠٢ | ٧ | ١ | ٢ |
| » | ١٥ | العمل | العلل |
| » | ٢٢ | اختياربة | اختيارية |
| ١٠٦ | ١٥ | ولقد | لقد |
| ١٠٧ | ٧ | لوضع | لوضع الكلام |
| ١٠٩ | ٨ | ٣ | ٣٠ |
| ١١٦ | ١١ | أمّا | اما |
| ١٣٨ | ١٢ | اصحاب | واصحاب |
| » | ١٣ | للقرآن | بالقرآن |
| ١٣٠ | ٣٠ | يختارون و | يختارون وبلحم |

| الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
|---|---|---|---|
| ١٥٨ | ١٥ | ٣٢ | ١١ |
| » | ١٦ | ٦٠ | ٦١ |
| ١٦٠ | ٤ | ينبئو | ينبىء |
| » | ١٥ | لمّا | انّه لمّا |
| ١٦١ | ١ | رواه | واه |
| ١٦٤ | ١٩ | ٢٤ | ٤٤ |
| » | ٢٤ | ٢٠ | ٢١ |
| ١٧١ | ٢ | مستخلِفين | مستخلَفين |
| ١٧٣ | ٣ | عن سابقه | سابقه |
| ١٧٨ | ٢٢ | ٦٦ | ٤٦ |
| ١٨٢ | ٥ | خوّلتهم | خوّلتم |
| ١٨٦ | ٥ | ولا تكونوا | ولا يكونوا |
| ١٨٧ | ١٤ | فريق | وفريق |
| » | ٢٢ | العقر | الفقر |
| ١٨٩ | ١٥ | سارعوا | وسارعوا |
| ١٩٢ | ٨ | فرجه | فرحه |
| ٢٠٣ | ٦ | فنحرير | فتحرير |
| ٢٠٤ | ١ | جميلا | وعداً حميلا |
| » | ١٨ | للمبصرات | بالمبصرات |
| ٢١١ | ١٧ | ايّاما | ايّامًا |
| ٢٢٩ | ١٠ | تثبت | ثبتت |
| ٢٣٢ | ٦ | ان يكونوا | انلا يكونوا |
| ٢٣٣ | ٢٢ | حقّه | حقّة |
| ٢٤٣ | ١٢ | خالدين | خالدّين |

| الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٢٤٨ | ٥ | فاتاه | فاتاه اهلها |
| ٢٥٠ | ٢١ | الى ذاته | الى ذاته وصفاته |
| ٢٥١ | ١٢ | قدّمت | قدّموها |
| ٢٥٢ | ١٢ | ٦ | ٧ |
| » | ١٥ | عمله | عملها |
| » | ٢٠ | بالطاعات | على الطاعات |
| ٢٥٣ | ٥ | فيها | فيها مع زوال مبدئه |
| ٢٥٥ | ١٦ | يهتدى | يهدي |
| ٢٦٠ | ١١ | وبدا | وَبَدَا |
| ٢٦١ | ٦ | تولوهم | تَوَلَّوْهم |
| ٢٦٢ | ٩ | وهو | هو |
| ٢٦٧ | ٣ | قال | قالوا |
| ٢٧٢ | ١٤ | بصنعة | بصنعه |
| ٢٧٤ | ١٧ | ملازمة | ملاءمة |
| ٢٨٨ | ٢ | الزامي | التزامي |
| » | ٦ | الالزامي | الالتزامي |
| ٢٩٨ | ٢٤ | اهل | من اهل |
| ٣٠٨ | ٢٢ | ٩٢ | ٩٤ |
| ٣١٢ | ١٦ | ينتهى | تنتهى |
| ٣١٣ | ١٧ | به | بها |
| ٣١٤ | ٤ | والاسباب | والاسباب هي المولّدة للحوادث |
| » | ١٣ | فان | ان |
| » | ١٤ | ٦٢ | ٨ |

| الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٣١٧ | ٨ | صلاه | صلاة |
| ٣٢٣ | ١٢ | بواحدانيته | بوحدانيته |
| ٣٢٥ | ٣ | وطبع | ونطبع |
| ٣٣١ | ٧ | انفسكم | بانفسكم |
| ٣٣٧ | ١٣ | ٢٦ | ٤٦ |
| ٣٣٨ | ١٩ | فاذا | اذا |
| ٣٣٩ | ١٣ | مايشاء | مايشاء ويؤخر مايشاء |
| ٣٤٠ | ١٠ | قل | قل بلى |
| ٣٤٥ | ٦ | يطبع الله | نطبع |
| ٣٦٧ | ١٥ | معن | معنى |
| ٣٦٨ | ٣١ | فلينق | فلينفق |
| ٣٧٤ | ١٢ | بالنمسك | بالتمسك |
| ٣٧٥ | ١٤ | فانظر كيف كان عاقبة المكذبين | بما كانوا يكسبون |
| ٣٧٩ | ١١ | السماء | السماوات |
| ٣٨١ | ٩ | يبدْ له | يُبدِ له |
| » | ١٣ | (٤) | (٦) |
| ٣٨٨ | ١٤ | الأمر | الأثر |
| ٣٩٠ | ٣ | المكن | الممكن |